

صَبْحُ الْاِسْتِ

الجزء الحادى عشر

دَارُ الْكِتَابِ السُّلْطَانِيَّةِ

كِتَابٌ

صُنْحُ الْأَسَدِ

نَالِيَّةٌ

السَّيِّحُ ابْنُ الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْقَلَقَشَنْدَكِي

الجزء الحادى عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

س ١٣٣٥ هـ
م ١٩١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الفصل الثاني^(١)

من الباب الرابع من المقالة الخامسة

(فيما يُكتب من الولايات عن الملوك ، وفيه [ثلاثة] أطراف)

الطرف الأول

(في مصطلح كُتاب الشرق)

قد تقدّم في الكلام على ما كان يُكتب عن الخلفاء أنّ الولايات في الخلافة العباسية ببغداد كانت تصدر عن الخلفاء دون الملوك المساهمين لهم في الأمر ، لا يُشاركونهم في شيء من الولايات أصلاً . وقد تقدّم ذكر ما كان يكتب عن خلفائهم من الولايات هناك .

والمقصود هنا ما كان يُكتب عن ملوك بني جنك خان من البيت الهولاكوهي فمن بعدهم . ولم أقف على شيء من مصطلحهم في ذلك فأوردته هنا .

(١) وقع سهواً في آخر الجزء العاشر أن أول الجزء الحادي عشر "الفصل الثالث" وصوابه "الثاني"

الطرف الثانى

(فى مصطلح كُتَابِ الْغَرْبِ وَالْأَنْدَلُسِ فيما يُكْتَبُ من الْوَلَايَاتِ عن المملوك)
 وأعلم أنهم يعبرون عما يُكْتَبُ فى جميع ولاياتهم بِالظَّهَائِرِ: جمع ظَهِيرٍ ^(١)، يفتتحونه
 بلفظ «هذا ظهير» كما تقدم بيَّانه فى الكلام على ما كان يكتب عن حُفَاءِ الْمَغْرِبِ .
 ثم هى على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

(ما يكتب لأرباب الوظائف من أصحاب السيف)
 وهذه نسخة ظَهِيرِ بِنَايَةِ السُّلْطَنَةِ بِالْحَضْرَةِ مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 الْخَطِيبِ ، وهى :

هذا ظهيرٌ كريمٌ ، مُزِيلُهُ فى الظَّهَائِرِ منزلةَ الْمُعْتَمِدِ به من الظُّهَرَاءِ ، ومَحَلُّهُ من
 الصُّكُوكِ ، الصَّادِرَةِ عَنْ أعَاضِمِ الْمُلُوكِ ، مَحَلُّ أُولَى الرِّايَاتِ ، الْخَافِقَةِ الْعَدَبَاتِ ،
 والآراءِ . فَتَحَّ عَلَى الْإِسْلَامِ ، من بعد الإِبْهَامِ ، أَبْوَابَ السَّرَّاءِ ، وَرَاقَ طِرَازًا مُدْهَبًا
 عَلَى عَاتِقِ الدَّوْلَةِ الْغُرَّاءِ ، وَأَعْمَلَ عَوَامِلَ الْجِهَادِ فى طَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ ، شَارِعَةً لِأَهْلِ
 الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ ، من بابِ الْإِعْمَالِ وَالْإِعْرَاءِ .

أمر به فلان لَصَدْرِ صُدُورِ أَوْدَائِهِ ، وَحُسَامِهِ الْمَشْهُورِ عَلَى أَعْدَائِهِ ؛ وَوَلِيَّهُ الَّذِى
 خَبَرَ صِدْقَ وَفَائِهِ ، وَجَلَّى فى مِضْمَارِ الْخُلُوصِ لَهُ مُغَبَّرًا فى وَجْهِهِ أَكْفَائِهِ . شَيْخُ شَيْوُخِ
 الْمَجَاهِدِينَ ، وَقَائِدِ كِتَابِهِ الْمَنْصُورَةِ لَغَزْوِ الْكَافِرِينَ وَالْمُعْتَدِينَ ؛ وَعُدَّتِهِ الَّتِى يُدَافِعُ بِهَا
 عَنِ الدِّينِ ، وَسَائِقِ وَرْدِهِ الْمُبَرِّزِ فى الْمِيَادِينِ ؛ الشَّيْخُ الْأَجَلُّ الْأَعَزُّ الْأَسْنَى ؛ الْأَمِجِدُ ،

(١) فى اللسان وغيره "الظهير العون يستوى فيه الواحد والجمع" . وقد جمعه القراء على ظهراء . وفى شرح
 الأَشْوَثِ عن بعض النحويين أنه يشترط فى جمع فعيل على فاعل أن يكون علما لمؤنث . تأمل .

الأُسْعِدِ ، الأَصْعَدِ ، الأَعْنَى ، الأَحْمَى ، الأَحَبِ ، الأَوْصَلِ ، الأَفْضَلِ ، المجاهد ،
الأَفْضَى ، الأَرْضَى ، الأَمْضَى ، الشهيد ، المقدّس ، المرحوم أبي عبد الله بدر الدين
أبن شيخ الشيوخ وعلم الأعلام ، المدافع عن حوزة الإسلام ، البعيد الغارة في نُحُومِ
عَبْدَةِ الأَصْنَامِ ، الشيخ الكبير ، الجليل الخطير ، الرفيع ، الصّدر ، المعظم ، الموقر ،
صاحب الجهاد الأرضى ، والعزم الأَمْضَى ، المقدّس ، المرحوم أبي عمران (موسى)
أبن أبى زيد رحو بن محيو بن عبدالحق بن محيو ، وصلّ الله سعدَه ، وحَرَسَ مجده ،
وبلّغه من مظاهرة دولته وموازرة خلافته قَصْدَه . رَفَعَ قِبَةَ العناية والاختيار
على عِمَادِ ، وأشاد بدعوة التعظيم [مُسَمِّعاً ^(١)] كُلِّ حَىٍّ وَجَمَادٍ ، وقابل السعى الكريم
بإِحْمَادٍ ، وأورد من البر غير مِمَادٍ ، واستظهر بالوفاء الذى لم تستتر ناره برماد ،
ولا قصرت جياؤه عن بلوغ آماد ، وقد سيف الجهاد عاتق الحسب اللباب ، وأعلق
يدى الاستظهار بأوثق الأسباب ، واستغلظ على الأعداء بأحبّ الأحياب .
لَمَّا قامت له البراهين الصادقة على كرم شيمه ، ورُسُوخ قَدَمِهِ ، وجنى منه عند
الشدة والتمحيص ثمرة ما أولاه من نعمه ، قابل بالرعى كرائم ذممه ، وعظائم خدمه ،
وشدّ اليد على عهده الذى عرفه حين آتكت العقد وأخلق المعتد ، وأستأسد
التقد ، وتنكر الصديق ، وفريق الفريق ، وسدت على النظرة الطريق ، وتميز المغرق
والغريق ، فأنقل له ميزان المكافات ، وسجل له رسم المصافات ، وجعله يمين الملك
الذى به يُناضل ، ويُقَاطِع ويواصل ، وسيف الجهاد ، الذى يحى بمضائه حوزة
البلاد ، ومِرآة النصح التى تتجلى بها وجوه الرّشاد . فقَدَمه - أعلى الله قدمه ، وشكر

(١) الزيادة عن "ريحانة الكتاب" لابن الخطيب .

(٢) النقد بالتحريك السفلى من الناس ، وضرب من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه يقال هو أذل من
النقد . أنظر اللسان .

نِعْمَه ، وأسعده فيما يَمَحُه ، ونَشَرَ بالنصر علمه - شيخُ الغزاة بحضرته العليّه ، وسائر بلادِه النصرية : ترجعُ القبائلُ والأشياخُ إلى نظره في السّكّات ، وتُسْتَدِرُّ على يده من مقامه الكريم غيومَ البركات ؛ وتُتَرَّرُ وسائلُها بوساطة حُطوته ، وتَصْرُ خطاها أَعْرَافًا بحَقِّه الواجب عن حُطوته . فعليه تدورُ أفلاكُ جماعاتهم كُلِّها اجتمعوا وأتلفوا ، وبحجة فضله يزولُ إشكالُهم مهما اختلفوا ؛ ولبسانه المُسِينِ يقرر لهم ما أسلفوا ، وفي كَنَفِ رَعِيه ينشأ من أعقبوا من النّشأة وخلفوا ؛ وبإقدامه تنهضُ أقدامهم مهما توقّفوا . فهو يَعْسوبُ كتائبهم الملتفه ، وفِرْزانُ قِطْعهم المصطفاه ؛ وشَهْمُ جوارِحهم الفارِحه ، وعَيْنُ عيونهم النَّايِه ، وتأويلُ أمورهم المتشابهه ؛ عن نظره يَرْدُون ويَصْدرون ، وبإشارته يَرِيشون ويَرُون وآثاره يَتَقَفُون ، وبتلعة دَوّاره المَرِيئِيّ في خدمة مقامه النصرى يَقْفُون . فهو الذى لا تأنفُ أشرافُ القبائل من آقتفاء آثاره ، ولا تجهلُ رفعةَ مقداره ؛ فليته المَرِيئَةُ بالحق ، المستوجبةُ للفخر بسابقة السعادة لعبد الحق ؛ ولذاته قَصْبُ السبق ، ولوفائه الشهرة في الغرب والشرق .

فليتولَّ ذلك - تولّاه الله - منْشِرِحًا بالعز صدره ، مستمدًا من شمسِ سعاده بذره ، معروفًا حقّه معظما قدره ؛ فهي خُطّة قومه ، وفريسةُ حومه ، وطيةُ أمسه ويومه ؛ وكُفءُ خطبته ، ومَرْمَى رُتبتِه ؛ وحلىُ جيده ، ومُظْهَرُ توفيقه وتسديده . مُطْلَقًا من عنانِ الثناء ، على أهل الغناء ، معامِلًا بصادق الإطراء ، لذوى الآراء ؛ متغمّدًا بالإغضاء ، هَفَوَاتِ أهل المضاء ؛ معرفًا بالقبائل ، والعشائر والفصائل ؛ كُلِّها وفدوا من الآفاق للاستحقاق ؛ منبها على مَظَانِّ الاستحقاق ، مُطَبِّقًا للطباق ، مِمَّا لجيادها يومَ السّباق ؛ حريصا على إتمام الأعداد ، مطبّقًا مفاصل الشّراد ؛ محتاطًا على الأموال التى تَمْتَرِي

بها أكَفَّ الجباية ضُرُوعَ العباد، واضعاً مَالَ الله حيثُ وضعه ألحق من الورع والاستداد، [لا] سِيَّما في هذه البلاد؛ حتَّى تعظم المزايا والمزاين، وتتوفر الكتاب والخزائن ويتنجم السامع ويُسَرُّ المعين؛ ويظهر الفضل على من تقدّم، وأنَّ الظهراء كم غادرت من متردّم، ويتخسّر من قَصْر ويتندّم، وعند الله يجد كل ماقدّم . فهي قلادة الله التي يُضِيع من أضاعها، ويرضى^(١) عن عمل فيها أو امره وأطاعها . وهو، - وصل الله سعادته ! وحرس مجادته ! - أولى من لاحظ ضرائرها، وأستطلع من ثنائيا التوكل على الله بشائرها : نسباً وحسباً ، وجداً وأباً ، وحدّاً وشباً ، ونجدة وضحت مذهبها .

وعلى الغزاة - وقر الله جموعهم ! وأنجد تابعهم ومتبوعهم ! - أن يعرفوا قدر هذا التعظيم الذي خفقت أعلامه، ووضحت أحكامه، والاختصاص الذي لطف محله، والاعتناء الكريم الذي ضفا ظله ؛ فيكونوا من إيجاب حقه حيث حدّ ورسم، وميز ووسم ؛ لا يتخلّف أحد منهم [في خدمته]^(٢) أيده الله عن إشارته الموقفة، ولا يشدّ عن رياسته المطلقة ؛ بحول الله تعالى وقوّته .



وهذه نسخة ظهير بناية السلطنة ببعض الأعمال، وهي :

هذا ظهير كريم، مضمته استجلاء لأُمور الرعايا واستطلاع، ورعاية كرمت منها أجناس وأنواع؛ وعدل بهر منه شعاع، ووصايا يجب لها إهطاع .

أصدرناه للفقير أبي فلان . لما تقرر لدينا دينه وعدله وفضله رأينا أنه أحق من نُقلده المهم الأكيد، ونرمي [به] من أغراض البر الغرض البعيد؛ ونستكشف به

(١) في "ريحانة الكتاب" التي لا يضيع من أضاعها، ويوفى صاعها .

(٢) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

أحوال الرعايا حتى لا يغيب عنا شيء من أحوالها، ولا يتطرق إليها طارق من إهمالها،
ويُنهي إلينا الحوادث التي تنشأ فيها لإنهاء تكفل بحياطة أبنائها وأموالها .
وأمرناه أن يتوجه إلى جهة كذا - حاطها الله - فيجمع الناس في مساجدهم، ويندبهم
من مشاهدهم . ويبدأ بتقرير غرضنا في صلاح أحوالهم، وإحساب آمالهم،
ومكابدتنا المشقة في إدارة عدوهم الذي يعلم من أحوالهم ما غاب عنهم - دفعه الله
بقدرته، ووقى نفوسهم وحريمهم من معرته - وبما رأينا من آتيات الأسباب التي
فيك تؤمل، وعجز الحيل التي كانت تعمل . ويستدعى لإنقاذهم بالدعاء، وإخلاصهم
فيه إلى رب السماء . ويسأل عن سيرة القواد، وولاة الأحكام بالبلاد : فمن نالته
مظلمة فليرفعها إليه، ويقصها عليه : ليبلغها إلينا، ويوفدها مقررة الموجبات علينا .
ويختبر ما أقرض صدقة للجبل، وما فضل عن كريم ذلك العمل : ليعين لبناء
الحصن بجبل قارة يسر الله لهم في إتمامه، وجعل صدقتهم تلك مسك ختامه،
وغيره مما أقرض إعانة للسافرين، وإنجاداً للجهاد الكافرين؛ فيعلم مقداره،
ويتولى اختباره؛ حتى لا يجعل منه شيء على ضعيف، ولا يعدل به لمشروف
عن شريف، ولا تقع فيه مضايقة ذى الجاه، ولا مخادعة غير المراقب لله . ومتى
تحقق أن غنياً قُصّر به فيه عن حقه، أو ضعيفاً كُلف منه فوق طوقه، فيجبر الفقير
من الغنى، ويحجى من العدل على السنن السوى - ويعلم الناس أن هذه المعونة
وإن كانت بالنسبة إلى محل ضرورتها يسيره، وأن الله يضاعفها لهم أضعافاً كثيرة؛
ليست مما يلزم، ولا من المعاون التي بتكريرها يُجزم - وينظر في عهود المتوفين
فيصرفها في مصارفها المتعينة، وطرقها الواضحة البينة - ويتفقد المساجد تفقداً يكسو

عاريها ، وَيَتَمَمُّ مِنْهَا الْمَأْرَبَ [نَتِيْمًا] يُرْضَى بِأَرِيْهَا - وَيَنْدُبُ النَّاسَ إِلَى تَعْلِيمِ
الْقُرَّاءِ لِصُبْيَانِهِمْ ، فَذَلِكَ أَصْلُ أَدْيَانِهِمْ . وَيَحْذَرُهُمُ الْمَغِيبَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ
أَعْشَارِهِمْ فَالزَّكَاةُ أَخْتُ الصَّلَاةِ وَهُمَا مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ آخَرْنَا لَهُمْ بِأَقْصَى الْحَدِّ
وَالْإِعْتِرَامِ ، وَرَفَعْنَا عَنْهُمْ رَسْمَ التَّعْرِيفِ نَظْرًا إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْأَهْتِمَاءِ ، وَقَدَّمْنَا الثَّقَاتَ
لِهَذِهِ الْأَحْكَامِ ، وَجَعَلْنَا الْخَرْصَ شَرْعِيًّا فِي هَذَا الْعَامِ ، وَفِيَا بَعْدَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
مِنَ الْأَعْوَامِ .

وَمِنْ أَهَمِّ مَا أَسْنَدْنَاهُ إِلَيْهِ ، وَعَوَّلْنَا فِيهِ عَلَيْهِ ، الْبَحْثُ بِتِلْكَ الْأَحْوَازِ عَنْ أَهْلِ
الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ ، وَالسَّائِرِينَ مِنَ السَّبِيلِ عَلَى غَيْرِ السَّوَاءِ ، وَمَنْ يُنْبِزُ بِفُسَادِ الْعَقْدِ ،
وَتَحْرِيفِ الْقَضْدِ ، وَالتَّلْبُسِ بِالصُّوفِيَّةِ وَهُوَ فِي الْبَاطِنِ مِنْ أَهْلِ الْفُسَادِ ، وَالذَّاهِبِينَ
إِلَى الْإِبَاحَةِ وَتَأْوِيلِ الْمَعَادِ ، وَالْمُؤَلِّفِينَ بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ، وَالْمُتَتَبِعِينَ لِمَذَاهِبِ
الضَّلَالِ . فَهُمَا عَثَرُ عَلَى مُطَوَّقٍ بِالتَّهْمَةِ ، مَنبَزٌ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَلْيُشَدَّ
وَتَأْقَاهُ شَدًّا ، وَلْيُسَدَّ عَلَيْهِ سَبِيلَ الْخَلَاصِ سَدًّا ، وَيُسْتَرْعَ فِي شَأْنِهِ الْمُوجِبَاتُ ،
وَيُسْتَوْعَبِ الشَّهَادَاتُ ، حَتَّى نَنْظُرَ فِي حَسْمِ دَائِهِ ، وَنُعَالِجَ الْمَرَضَ بِدَوَائِهِ ،

فَلْيَتَوَلَّ مَا ذَكَرْنَا نَائِبًا بِأَحْسَنِ الْمَنَاقِبِ ، وَيَقْتَصِدْ وَجْهَ اللَّهِ رَاجِيًا مِنْهُ جَزِيلَ الثَّوَابِ ،
وَيَعْمَلْ عَمَلًا مَنْ لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَّا تُمَّ لِيَجِدَ ذَلِكَ فِي مَوَاقِفِ الْحِسَابِ ؛

وَعَلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوَادِ وَالْأَشْيَاحِ وَالْحُكَّامِ أَنْ يَكُونُوا مَعَهُ يَدًا وَاحِدَةً عَلَى
مَا قَرَّرْنَاهُ فِي هَذِهِ الْفُصُولِ : مِنَ الْعَمَلِ الْمَقْبُولِ وَالْعَدْلِ الْمَبْذُولِ . وَمَنْ قَصَّرَ عَنْ غَايَةِ
مِنْ غَايَاتِهِ ، أَوْ خَالَفَ مَقْتَضَى مِنْ مَقْتَضَيَاتِهِ ، فَعَقَابُهُ عِقَابُ مَنْ عَصَى أَمْرَ اللَّهِ
وَأَمْرَنَا فَلَا يُلَوِّمَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ الَّتِي غَوَتْ ، وَإِلَى مَضَرِّعِ النِّكَيرِ بَحْرَتُهُ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .



وهذه نسخة ظهير بالإمرة على الجهاد ، وهى :

هذا ظهير كريم بلغ فيه الاختيار، الذى عضده الاختبار، الى أقصى الغاية؛^(١) وجمع له الوفاق، الذى خدّمه البختُ والاتفاق، والأهلية التى شهدت بها الآفاق، بين نُجْحِ الرأى ونَصْرِ الرايه، وأنجبتْ به مقدماتُ الولاء نتيجةَ هذه الرتبة السامية العلّاء والولاية. وأستظهر من المعتمد به، على قصده الكريم فى سبيل الله ومذهبه، بليث من ليوث أوليائه. شديد الوطأة على أعدائه والنكايه، وفرع من فروع الملك الأصل معروف الأبوّة والإبايه، لتتضح حجة النصر العزيز والفتح المبين ذى القوة المتين محكمة الآيه، وتدل بداية هذه الدولة الرافعة لمعالم الدين، المؤيدة فى الأقوال والأفعال بمدد الروح الأمين، على شرف النهايه.

أصدر حكمته وأبرز حكمه، وقزّر حدّه الماضى ورسمه، عبدُ الله، الغنى بالله [محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر]^(٢) - عضد الله كتابه وشدّ عضده، ويسّر فى الظهور على أعداء الله قصده - لوليّه المستولى على ميادين خطوته وإيثاره، الفائز بالقدح المعلى من إجلاله وإكباره؛ ظهير استنصاره، وسيف جهاده المعّد لصديق ضريته ويوم افتخاره، ويعسّوب قبائل الغزاة بأصقاعه الجهادية وأقطاره؛ الأمير أبى عبد الرحمن، ابن الأمير أبى على، ابن السلطان أمير المسلمين أبى سعيد، ابن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبدالحق - وصل الله له أسباب سعده، وأنجز للمسلمين بمظاهرة إياه على الكافرين سابق وعده، لمّا وفد على بابه الكريم

(١) فى ربحانة الكتاب « بلغ فيه الاختيار النهايه والاختبار الى » الخ .

(٢) الزيادة "من الريحانة".

(١) مؤثراً على ما كان بسبيله عن جواره، ملقياً بحملة الجهاد عصاً تسياره، مفضلاً ما عند الله على رغب أوطانه وأقطاره؛ شيةً من أسرع إلى خير الآخرة ببداره، قبل اكتمال هلاله وإبداره، وعلى أنبغات أمله وترامى هممه وأستقامة مداره - قابل أيده الله وقادته بالقبول المدوح، والصدر المشروح، والعناية العالية المظاهر والضروح؛ وجعل له الشرب المهنى في مناهل الصنائع التي صنع الله للملكه والفتوح؛ ولم يدخر عنه تقريباً يقف الأولياء دون مداه، وترفعاً تشهد به محافل الملك وامتداه؛ إلى أن ظفرت بحقيقة الموالاتة الكريمة يده، ثم أستظهر به على أعداء الله وعداه، فوق النصح لله وأداه، وأضمره وأبداه، وتحلى بالبسالة والحلالة والطهارة، اللاتقية بمنصب الإمارة، في رواجه ومغده؛ حتى آتفت الأهواء على فضله وعفافه، وكال أوصافه وظهرت عليه مخايل أسلافه. ثم رأى الآن - سدّد الله رأيه، وشكر عن الإسلام والمسلمين سعيه - أن يوفد ركائب الاعتقاد الجميل على جنابه، ويفسح ميدان الاستظهار بحسن منابه، ويصل أسبابه بأسبابه؛ ويضعف بولائه الصادق أهتامه، ويقيمه في قود عساكره لجهاد البرّ مقامه؛ فأضفى ملابس وده عليه، وجعله فاتح أبواب الجنة بفضل الله بين يديه؛ وأجراه مجرى عضده الذي تصدق عنه الضريبة في المجال، وسيفه الذي يفرج به مضايق الأهوال؛ ونصبه للقبائل الجهادية قبلة في مناصحة الله ومناصحة مشروعه، ورأية سعيدة في مظاهرة متبوعة؛ وعقد له الولاية الجهادية التي لا تعدل بولايه، ولا توازن عناية المعتمد بها بعنايه؛ يشهد بصراحة نسبها الدين، وتتحلى بجلى غرّتها الميادين. فالجهاد في سبيل الله نحلة نبي الأمّة، ومن بعده من الأمّة؛ لاسيّما في هذا القطر المتأكد فيه ذلك للأولى الدين والهمّة.

(١) لعله "مؤثراً له على ما كان يشغله عن جواره"، تأمل.

فليتولَّ ذلك تولَّى مثله وإن قلَّ وجودُ مثله ، جارياً على سَنَنِ مَجْدِهِ وفضله ، سائرًا من رضا الله على أَوْصَحِّ سَبِيلِهِ ، معتمداً عليه فى الأمر كُلِّهِ .

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الذى يَخْلُقُ ما يَشَاءُ وَيَخْتَارُ قد هَيَّأَ له من أمرِهِ رَشْداً ، وسَلَكَ به طَرِيقاً سَدِّداً ، ^(١) واستعمله اليومَ فيما يُحِيطُ بِهِ غداً ، وجعل حَظَّهُ الذى عَوَّضَهُ نُوراً وهُدًى ، وأبعدَ له فى الصالحاتِ مَدًى - ولينظرَ فيما لديه من القبائلِ الموقُوره ، والجموعِ المؤيَّدة المنصُوره ؛ نظراً يُزِيحُ العِللَ ، ويبلِّغُ الأملَ ، ويرعى ^(٢) الهمْلَ ، ويُحَسِّنُ القولَ ويُنَجِّحُ العملَ ؛ مِنبَهاً على أهلِ الغِناءِ والاستِحقاقِ ، مستندِراً للعوائِدِ والأرزاقِ ، معرِّفاً بالغرباءِ الواردينِ من الآفاقِ ، مُطَبِّقاً منهم للطَباقِ ، متَعَمِّداً للهَفَواتِ بحسَنِ الأخلاقِ ؛ مستجيداً للأسلحةِ والكِرَاعِ ، ^(٣) مبادِراً هَيْعَاتِ الصَّرِيحِ بالإسراعِ ؛ مسترعياً للشُّورةِ التى يَقَعُ الحَكْمُ فيها عن حصولِ الإجماعِ ، رفيقاً بمن ضَعُفَ عن طُولِ الباعِ ؛ محتاطاً على الإسلامِ فى مواقفِ الدِّفاعِ ، مُقَدِّماً عندَ انْجِلاءِ الأَطْباعِ ؛ صابراً فى المضايِقِ على القِرَاعِ ، متقدِّماً للأبطالِ بالأصْطِناعِ ، مقابلاً نَصائِحَ أُولَى الحِجْرةِ بِحُسْنِ الاستِمَاعِ ، مستَعِمِّلاً فى الحروبِ ما أجازَه الشرعُ من وُجوهِ الحِذَاعِ ؛ حتَّى يكونَ عملُهُ وَفْقَ شُهْرَتِهِ البعيدَةِ المَطَّارِ ، وسيرَتِهِ فيما أُسْنَدَ إليه مثلاً فى الأَقْطارِ ، واستقامَةُ التَّدبيرِ على يَدَيْهِ ذَرِيعَةً إلى إِرْغامِ أنُوفِ الكُفَّارِ ؛ بِقُوَّةِ الله وحولِهِ ، وعِزَّتِهِ وطَوْلِهِ .

وعلى الغُزاةِ بالحِضرَةِ العَليه ، وسائرِ البلادِ النَّصْريَةِ ؛ من بنى مَرِيٍّ ، وسائرِ القبائلِ المِجَاهِدِينَ ، أَن يَعْرِفُوا قُدْرَهُ ، وَيَمْتَثِلُوا فى مَرْضاتِنا أَمْرَهُ ؛ وَيَكُونُوا مَعَهُ رُوحاً وَيداً

(١) السدد القصد والاستقامة والسدد أيضاً مقصور من السداد . انظر اللسان .

(٢) الهمْلُ اسم جمع هامل لأن فاعلاً لا يكسر على فعل ونظيره راح وروح . انظر اللسان .

(٣) الكراع كغراب جماعة الخيل . والهيعة الصوت تفرع منه وتخافه من عدو . انظر القاموس .

وجَسَدًا، وساعداً وعَضُدًا؛ فبذلك يشمله من الله ومن مَقَامنا الرضا والقَبُول، والعزُّ
الموصول؛ وَيُمَضَّى في عدو الله النُّصُول، ويتأثَّى على خير الدنيا والآخرة الحُصُول،
إن شاء الله . ومن وقف عليه ، فليعرف مآلديه ؛ بحول الله تعالى .



وهذه نسخة ظهير بالتقدمة على الطبقة الأولى من المجاهدين، لولد السلطان،

وهي :

هذا ظهيرٌ كريمٌ، فاتحٌ بنشر الألوية والبُنود، وقود العساكر والجنود؛ وأجال
في ميدان الوجود، جِياذ البأس والجُود؛ وأضفى ستر الحِماية والوقاية بالتهائم
والنُّجود، على الطائفين والعاكفين والركع السُّجود - عقد للعتمد به عقد التشريف
والقدر المُنيف زاكِي الشُّهود؛ وأوجب المناقسة بين مجالس السُّروج ومَصْاجِع
المُهود، وبشَّر السيوف في الغُمود، وأنشأ رِيح النصر آمنةً من النُّجود - أمضى
أحكامه، وأنهد العِزَّ أمامه، وقَتَح عن زهر السُّرور والحبور أكرامه، أميرُ المسلمين
عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن مولانا أمير المسلمين
أبي الوليد فرج بن نصر - أيد الله أمره، وخلد ذكره - لكبير ولده، وسابق أمدده،
ورِيحانة خَلده، وياقوتة الملك على يده؛ الأمير الكبير، الطاهر الظاهر، الأعلى،
واسطة السلك، وهلال سماء الملك، ومُصباح الظلم الخُلُك، ومِظَنَّة العناية الإلهية
من مدبر الفلك ومُجَرى الفلك؛ عُنْوَان سَعْدِهِ، وحُسام نصره وعَضُدِهِ، وسمي
جَدُّهُ، وسلالة فضله ومجده؛ السعيد، المظفر، الهمام، الأعلى، الأمضى، العالم،
العادل، العامل، الأرضي، المجاهد، المؤمل، المعظم، أبي الحجاج يوسف - ألبسه
الله من رضاه عنه حللاً لا تُخْلَق جَدَّتْها الأيام، ولا تبلغ كُنْهها الأفهام؛ وبلغه
في خدَمه المبالغ التي يُسرُّها الإسلام، وتسبح في بحار صنائعها الأقلام، وحرس

معاليه الباهرة بعينه التى لاتتأَم ، وكنفه برُكنه الذى لا يُضام - فهو الفرع الذى جرى بخصله على أصله ، وأرتسم نصره فى نصله ، واشتمل جذه على فضله ، وشهدت ألسن خلاله ، برفعة جلاله ، وظهرت دلائل سعادته ، فى بدء كل أمر وإعادته .

ولما صرف وجهه إلى ترشيحه لأفتراع هضاب المجد البعيد المدى ، وتوشيعه بالصبر والحلم والبأس والندى ، وأرهف منه سيفاً من سيوف الله لضرب هام العدا ، وأطلعه فى سماء الملك بدر هدى ، لمن راح وغدا ، وأخذ بالآداب التى تقيم من النفوس أودا ، وتبذر فى اليوم فتجنى غدا ، ورقاه فى رتب المعالى طورا فطورا ، ترقى النبات ورقاً ونورا ، ليجده بحول الله يداً باطشة على أعدائه ، ولسانا مجيها عند ندائه ، وطراراً على حلة عليائه ، وعماماً من غمام آلائه ، وكوكبا وهاجا بسماؤه . وعقد له لواء الجهاد على الكتيبة الأندلسية من جنده ، قبل أن ينتقل من مهده ، وظلله بجناح رايته ، وهو على كند دايته ^(١) ، واستركب جيش الإسلام ترحيباً بوفادته ، وتنوياً بمجادته ، وأثبت فى غرض الإمارة النصرية سهم سعادته - رأى أن يزيده من عنايته ضروبا واجناسا ، ويتبع أثره ناسا فناسا ، قد اختلفوا لسانا ولباسا ، وآتفقوا آبتغاء لمرضاة الله والتمسا ، ممن كرم أنماؤه ، وأزيت بالحسب الغرسماؤه ^(٢) ، وعرف غناؤه ، وتأسس على المجادة بناؤه ، حتى لا يدع من العناية فناً إلا جلبه إليه ، ولا مقادة فخر إلا جعلها فى يديه ، ولا حلة عن إلا أضفى ملابسها عليه .

وكان جيش الإسلام فى هذه البلاد الأندلسية - آمن الله خلالها ، وسكن زلزالها ، وصدق فى رحمة الله التى وسعت كل شىء آمالها - كلف همته ، ومرعى

(١) الكند بفتح التاء وكسرهما أعلى الكتف والذاية الظئر ، أنظر اللسان .

(٢) لعله الاغر وفى ربحانة الكتاب « الخالص » .

أَذِمَّتْهُ ؛ وَمَيْدَانِ جِيَادِهِ ، وَمَتَعَلَّقِ أُمْدِ جِهَادِهِ ، وَمِعْرَاجِ إِرَادَتِهِ ، إِلَى تَحْصِيلِ سَعَادَتِهِ ؛ وَسَبِيلِ خِلَالِهِ ، إِلَى بُلُوغِ كِمَالِهِ ؛ فَلَمْ يَدَعْ لَهُ عِلَّةً إِلَّا أَزَاحَهَا ، وَلَا طَالِبَةً إِلَّا أَجَالَ قِدَاحَهَا ، وَلَا عَزِيمَةً إِلَّا أَوْرَى آفَتِدَاحَهَا ، وَلَا رَغْبَةً إِلَّا فَسَّحَ سَاحَهَا ؛ أَخَذَا مُرُوءَتَهُ بِالْتِهَذِيبِ ، وَمَصَافَّهُ بِالْتَرْتِيبِ ، وَأَمَالَهُ بِالتَّقْرِيبِ ، وَتَأْنِيسِ الْمُرِيبِ ، مُسْتَنْجِزًا لَهُ وَبِهِ وَعَدَّ النُّصْرَ الْعَزِيزَ وَالْفَتْحَ الْقَرِيبَ ؛ وَرَفَعَ عَنْهُ لِهَذَا الْعَهْدِ نَظَرَ مَنْ حَكَّمَ الْأَغْرَاضَ فِي حُمَاتِهِ ، وَاسْتَشْعَرَ عُرُوقَ الْحَسَائِفِ لِشَرِيفِ كُنْكَاتِهِ ؛ وَاشْتَغَلَ عَنْ حُسْنِ الْوَسَاطَةِ لَهُمْ بِمَصْلَحَةِ ذَاتِهِ ، وَجَلَّبَ جُبَاتِهِ ، وَتَثْمِيرَ مَالِهِ وَتَوْفِيرَ أَقْوَاتِهِ ، ذَاهِبًا أَقْصَى مَذَاهِبِ التَّعْمِيرِ بِأَمْدِ حَيَاتِهِ ؛ فَأَنْفَرَجَ الضِّيقُ ، وَخَلَّصَ إِلَى حَسَنِ نَظَرِهِ الطَّرِيقُ ، وَسَاغَ الرِّيقُ ، وَرَضِيَ الْفَرِيقُ .

رَأَى - وَاللَّهُ الْكَفِيلُ بِنُجْحِ رَأْيِهِ ، وَشُكْرِ سَعْيِهِ ، وَصَلَةِ حِفْظِهِ وَرَعْيِهِ - أَنْ يُجَاهِدَ لَهُمْ أَخْتِيَارَهُ ، وَيُحَسِّنَ لَدَيْهِمْ آثَارَهُ ؛ وَيُسْتَنْيِبَ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَيُوفِ جِهَادِهِ ، وَأَبْطَالَ جِلَادِهِ ؛ وَحُمَاةَ أَحْوَارِهِ ، وَأَلَاتِ اعْتِرَازِهِ ، مَنْ يَجْرَى بِجُرَى نَفْسِهِ النَفِيسَةِ فِي كُلِّ مَعْنَى ، وَمَنْ يَكُونُ لَهُ لَفْظُ الْوَلَايَةِ وَلَهُ - أَيْدِ اللَّهِ - الْمَعْنَى ؛ فَقَدَّمَهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ الْأُولَى كِبَرِي الْكُنَائِبِ ، وَمَقَادِرِ الْجَنَائِبِ ؛ وَأَجَمَّةِ الْأَبْطَالِ ، وَمُزْنَةِ الْوَدْقِ الْهَطَّالِ ؛ الْمُشْتَمَلَةِ مِنَ الْغَزَاةِ عَلَى مَشِيخَةِ آلِ يَعْقُوبَ نُسَبَاءِ الْمُلُوكِ الْكَرَامِ ، وَأَعْلَامِ الْإِسْلَامِ ؛ وَسَائِرِ قِبَائِلِ بَنِي مَرَيْنَ ، لُيُوثِ الْعَرِينِ ؛ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْنَافِ الْقِبَائِلِ ، وَأُولَى الْوَسَائِلِ ؛ لِيَحُوطَ جَمَاعَتَهُمْ ، وَيَرْفَعَ بِتَفْقُّدِهِ إِضَاعَتَهُمْ ، وَيَسْتَخْلَصَ اللَّهُ وَلَآئِيَهُ - أَيْدِ اللَّهِ - طَاعَتَهُمْ ؛ وَيُشَرِّفَ بِإِمَارَتِهِ مَوَاقِبَهُمْ ، وَيَزِينَ بِهَلَالِهِ النَّاهِضَ إِلَى الْإِبْرَارِ ، عَلَى فَلَكِ سَعَادَةِ الْأَقْدَارِ ، كَوَاكِبَهُمْ ؛ تَقْدِيمًا أَشْرَقَ لَهُ وَجْهَ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَتَهَلَّلَ ، وَأَحْسَسَ بِاقْتِرَابِ مَا أُمِّلَ ؛ فَلِلْخَيْلِ اخْتِيَالِ وَمِرَاحِ ، وَلِلْأَسَلِ السُّمْرِ أَهْتَازُ وَآرْتِيَا حِ ، وَلِلْصُّدُورِ انْشِرَاحِ ، وَلِلْأَمَلِ مَغْدَى فِي فَضْلِ اللَّهِ وَمِرَاحِ .

فليتولَّ ذلك - أسعده الله - تولى مثله من أسرة الملك أسرته ، وأسرة النبي صلى الله عليه وسلم أسرته ، والمَلِكُ الكريم أصل لفرعه ، والنسبُ العربى مَفْخَرٌ لَطِيبٌ^(١) طبعه ، آخذًا أشرفهم بترفع المجالس بنسبة أقدارهم ، مقرَّبًا حُسن اللقاء بإيثارهم ، شاكرًا غنائهم ، مستديمًا ثنائهم ، مستدرًا لأرزاقهم ، موجبًا للزينة بحسب استحقاتهم ، شافعًا لديه فى رَغَبَاتهم المؤمَّلة ، ووسائلهم المتحمَّلة ، مسهلًا الإذن لوُفودهم المتلاحقة ، مُتَقِّقًا لبضائعهم النافقة ، مُؤَنِّسًا لُغربائهم ، مستجلبًا أحوالَ أهلهم وآبائهم ، مميزًا بين أغفالمهم ونُبَاهئهم .

وعلى جماعتهم - رعى الله جهادهم ، ووفَّر أعدادهم - أن يطيعوه فى طاعة الله وطاعة أبيه ، ويكونوا يدًا واحدة على دِفَاعِ أعادى الله وأعاديهِ ، ويَشُدُّوا فى المواقف الكريهة أزره ، ويمثلوا نهيه وأمره ، حتى يعظم الانتفاع ، ويُنْجِرَ الدِّفاع ، ويخلص القصدُ لله والمطاع ؛ فلو وجد - أيده الله - غاية فى تشريفهم لبلَّغها ، أو موهبةً لسوَّغها ؛ لكن ما بعد ولده العزيز عليه مذهب ، ولا وراء مباشرتهم بنفسه مرغب ؛ والله منجح الأعمال ، ومبلغ الآمال ، والكفيل بسعادة المآل .

فمن وقف على هذا الظَّهير الكريم فليعلم مقدار ما تضمَّنه من أمرٍ مُطاع ، ونُفَرٍ مستند إلى إجماع ، ووجوبِ اتِّباع ، وليكن خيرَ مرعى لخير راع ، بحول الله .

وأقطعه - أيده الله - ليكون بعض المدد لأزواد سَفَره ، وسِمَاط قَفَره ، فى جملة ما أولاه من نعمه ، وسوَّغَه من مَوَادِّ كرمه - جميع القرية المنسوبة إلى عَرَبِ غَسَّان : وهى المحلة الأثيرة ، والمنزلة الشهيرة ؛ تنطلق عليها أيدى خُدَّامه ورجاله ،

(١) فى الريحانة «منجد لطيب» الخ .

جارية مجرى صالح ماله ، محررة من كل وظيف لاستغلاله ، إن شاء الله فهو المستعان سبحانه ، وكتب في كذا .



وهذه نسخة ظهير لمشيخة الغزاة بمدينة مالتة ، وهو :

هذا ظهير كريم أطلع الرضا والقبول صباحا ، وأنشأ للعناية في جود الوجود ، من بعد الركون ، رياحا ، وأوسع العيون قرة ^(١) [وإبصارا] والصدور أنشراحا ، وهيا للتعتمد به مغدى في السعادة ومرآحا ، وهز منه سيف عتيقا يفوق اختيارا ويروق التماسا ، وولاه رياسة الجهاد في القطر الذي تقدمت الولاية فيه لسلفه فنال عزاً شهيراً وأزداد نفراً صراحاً ، وكان ^(١) [له] ذلك إلى أبواب السعادة مفتاحاً .

أمر به وأمضاه ، وأوجب العمل بحسبه ومقتضاه ، الأمير عبدالله محمد ابن مولانا أمير المسلمين ، والمجاهد في سبيل رب العالمين ، أبى الحجاج ^(١) [يوسف] ابن مولانا أمير المسلمين ، أبى الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر - أيد الله أمره وأعز نصره ، وأسعد زمانه وعصره - لوليه في الله الذى كساه موله من جميل اعتقاده حلاً ، وأورده من عذب رضاه منلاً ، وعرفه عوارف قبوله مفصلاً خطأها ومجسلاً ، الشيخ أبى العلا ، إدريس ، ابن الشيخ أبى سعيد عثمان ، بن أبى العلا وصل الله أسباب سعادته ، وحرس علي ^(٢) مجادته ، وأجراه من ترفع المكانة لديه على [أحمد ^(١) عادة سلفه] وعادته .

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

(٢) في ريحانة الكتاب «أخاف» .

ولمّا كان له القَدْرُ الجليل ، والمجدُّ الأثيل ، والذكرُ الجميل ، والفضائلُ التي كَرُمَ منها الإجمال والتفصيل ، وأحرزَ قَصَبَ السَّبْقِ بذاته وسلفه إذا ذُكِرَ المجدُّ العريض الطويل ، وكان قد أعملَ الرِّحْلَةَ إليه يَحْدُوهُ إلى خدمته التَّاميل ، ويَهْوَى به الحُبُّ الذى وَصَحَ منه السبيل ، وعاق عنه الواقعُ الذى تبيّن فيه عُذْرُهُ الجميل ، ثم خلّصه الله من مَلَكَةِ الكفرِ الخِلاصَ الذى قام به على عناية الدليل - قابله بالقبول والإقبال ، وفَسَّحَ له مَيدانَ الرضا رَحَبَ المَجَال ، وصَرَفَ إليه وجهَ الاعتداد بمضائه رائق الجمال ، سافراً عن بلوغ الآمال ، وآواه من خدمته إلى ربوة متسعة الأرجاء وارفة الظلال ، وقطع عنه الأطلع بمقتضى همته البعيدة المنال . ثم رأى - والله يُنَجِّح رأيه ، ويشكر في سبيل الله عن الجهاد سعيه - أن يستظهر بمضائه ، ويرسل عليه عَوَارِفَ آلائه ، ويعمّر به رُتَبَ آبائه . فقدمه - أعلى الله قدمه ، وشكر [آلاه] ^(١) ونعمه - شيخ الغزاة والمجاهدين ، وكبير أُولى الدِّفاع عن الدين ، بمدينة (مالقة) حرسها الله أختِ حضرة [دار] ^(١) ملكه ، وثانية الدُّرّة الثمينة من سلّكه ، ودار سلفه وقرارة مجده ، والأفق الذى تألّق منه نور سعده ، راجعاً إليه نظر القواعد الغربية رُنْدَةً وركوان (؟) وما إليه رجوعُ الاستغلال والاستيراد ، والعزّ الفسيح المَجَال البعيد الآماد ، يقودُ جميعها إلى الجهاد ، عاملاً على شاكلة مجده فى الإصدار والإيراد ، حتّى يظهر على تلك الجهات المباركة آثارُ الحِماية والبَسالة ، ويعود لها عهدُ المجادة والجلالة ، وتترنّ ملابس الإياله . وهو يعمل فى ذلك الأعمال التى تليق بالمجد الكريم ، والحسب الصميم ، حتّى ينمو عددُ الجُساه ، ويكفّ البأسُ أكفّ الغزاة ويعظم أثرُ الأبطال النُكّاه ، وتظهر ثمرة الاختيار ، ويشمل الأمنُ جميعَ الأقطار ، وتحسّم عنه أطلعُ الكفار .

(١) الزيادة من "الريحانة" .

وعلى من يقف عليه من الفرسان - وفر الله أعدادهم ، وأعز جهادهم - أن يكونوا ممثلين في الجهاد لأمره ، عارفين بقدره ، مُضِينَ فيما ذُكر لحكمه ، واقفين عند حدّه ورسمه . وعلى من سواهم من الرعايا والخدم ، والولاة والحكام ، أن يعرفوا قدرَ هذا الاعتناء الواضح الأحكام ، والسير المشريق القسام ، فيعاملوه بمقتضى الإجلال والإكرام ، والترفع والإعظام . على هذا يُعتمد ، وبحسبه يعمل ، بحول الله وقوته .

الضرب الثاني

(من ظهائر بلاد المغرب ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية
من أصحاب الأقلام)

وهذه نسخة ظهير بقضاء الجماعة بالحضرة ، وهو :

هذا ظهير كريم أنتج مطلوب الاختيار قياسه ، ودلّ على ما يُرضى الله عز وجل آتماسه ، وأطلع نور العناية يحلو الظلام نبراسه ، وأعتمد بمثابة العدل من عرف بافتراح هضبتها بأسه ، وألقى بيد المعتمد به زمام الاعتقاد الجميل تروق أنواعه وأجناسه ، وشيّد مبنّى العز الرفيع في فنة الحسب المنيع وكيف لا والله بانيه والمجد أساسه .

أمر به ، وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه ، أمير المسلمين أبو الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر - أيد الله أمره ، وخلد نخره - لقاضى حضرته العلية ، وخطيب حمرائه السنية ، المخصوص لديه بترفيع المزية ، المصروف إليه خطاب القضاة بإيالاته النصريه ، قاضى الجماعة ، ومصرف الأحكام الشرعية المطاعه ،
الشيخ أبي الحسن ابن الشيخ أبي محمد بن الحسن وصل الله سعادتة ،

وَحَرَسَ مَجَادَتَهُ ، وَسَتَّى مِنْ فَضْلِهِ إِرَادَتَهُ . عَصَبَ مِنْهُ جَبِينَ الْمَجْدِ بِتَاجِ الْوِلَايَةِ ، وَأَجَالَ قِدَاحَ الْأَخْتِيَارِ حَتَّى بَلَغَ الْغَايَةَ وَتَجَاوَزَ النِّهَايَةَ ، فَأَلْقَى مِنْهُ بِيَمِينِ عَرَابَةِ الرَّايَةِ ، وَأَحْلَهُ مِنْهُ مَحَلَّ اللَّفْظِ مِنَ الْمَعْنَى وَالْإِعْجَازِ مِنَ الْآيَةِ ، وَحَشَرَ إِلَى مِرَاعَاةِ تَرْفِيعِهِ وَجُوهَ الْبِرِّ وَأَعْيَانِ الْعَنَاءِ ، وَأَنْطَقَ بِتَبْجِيلِهِ ، أَلْسُنَ أَهْلِ جِيلِهِ ، بَيْنَ الْإِفْصَاحِ وَالْكِتَابَةِ .

وَمَا كَانَ لَهُ الْحَسَبُ الَّذِى شَهِدَتْ بِهِ وَرَقَاتُ الدَّوَاوِينِ ، وَالْأَصَالَةُ الَّتِى قَامَتْ عَلَيْهَا صِحَاحُ الْبِرَاهِمِينَ ، وَالْآبَاءُ الَّذِينَ أَعْتَرَّ بِمَضَاءِ قُضَاتِهِمُ الدِّينَ ، وَطَبَّقَ ^(١) مَفَاصِلَ الْحُكْمِ بِسُيُوفِهِمُ الْحَقِّ الْمُبِينِ ، وَأَزْدَانِ بِمَجَالَسَةِ وَزَرَائِهِمُ السُّلَاطِينِ : فَمِنْ فَارِسِ حُكْمِ أَوْحَكِيمِ تَدْبِيرٍ ، أَوْ قَاضٍ فِي الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ وَوَزِيرٍ ، أَوْ جَامِعٍ بَيْنَهُمَا جَمَعَ سَلَامَةَ لَاجِمِ تَكْسِيرٍ ؛ تَعَدَّدَ ذَلِكَ وَأَطْرَدَ ، وَوَجَدَ مَشْرَعَ الْمَجْدِ عَذْبًا فَوْرَدَ ، وَقَصَّرَتْ النَّظَرُ عَنْ مَدَاهِ فَانْفَرَدَ ، وَفَرَى الْفِرَى فِي يَدِ الشَّرْعِ فَاشْبَهَ السَّيْفَ الْفِرْدَ ؛ وَجَاءَ فِي أَعْقَابِهِمْ مُحْيِيًا لِمَا دَرَسَ ، بِمَا حَقَّقَ وَدَرَسَ ، جَانِيًا لِمَا بَذَرَ السَّلَفُ الْمُبَارَكُ ، وَاغْتَرَسَ ؛ طَاهِرَ النَّشْأَةِ وَقُورَهَا ، مَحْمُودَ السَّجِيَّةِ مَشْكُورَهَا ، مَتَحَلِّيًا بِالسَّكِينَةِ ، حَالًا مِنَ التَّزَاهَةِ بِالْمَكَانَةِ الْمَكِينَةِ ؛ سَاحِبًا أَذْيَالَ الصُّونِ ، بَعِيدًا عَنِ الْإِتِّصَافِ بِالْفَسَادِ مِنْ لَدُنِ الْكَوْنِ ، نَظْمَتَهُ الْخُطَطُ الْعَلِيَّةَ ، وَاعْتَبَطَتْ بِهِ الْمَجَادَةُ الْأَوَّلِيَّةَ ؛ وَاسْتَعْمَلَتْهُ دَوْلَتُهُ الَّتِى تَرْتَادُ أَهْلَ الْفَضَائِلِ لِلرُّتَبِ ، وَتُسْتَظْهَرُ عَلَى الْمَنَاصِبِ بِأَبْنَاءِ الثَّقَى وَالْحَسَبِ ، وَالْفَضْلِ وَالْمَجْدِ وَالْأَدَبِ ، مِمَّنْ يَجْمَعُ بَيْنَ الطَّارِفِ وَالتَّالِدِ وَالْإِرْثِ وَالْمَكْتَسَبِ ؛ فَكَانَ مَعْدُودًا مِنْ عُدُولِ قُضَاتِهَا وَصُدُورِ نُبَاهِهَا ، وَأَعْيَانِ وَزَرَائِهَا ، وَأُولَى آرَائِهَا .

فَلَمَّا زَانَ اللَّهُ خَلَافَتَهُ بِالتَّحْيِصِ ، الْمَتَجَلَّى عَنِ التَّخْصِصِ ، وَخَلَصَ مُلْكُهُ الْأَصِيلَ كَالذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ مِنْ بَعْدِ التَّخْلِصِ ، كَانَ مِنْ صَحْبِ رِكَابِهِ الطَّالِبَ لِلْحَقِّ

(١) يُقَالُ طَبَّقَ السَّيْفَ إِذَا أَصَابَ الْمَقْصِلَ فَأَبَانَ الْعُضْوُ . انْظُرِ اللِّسَانَ .

بَسَيْفِ الْحَقِّ ؛ وَسَلَكَ فِي مَظَاهِرَتِهِ أَوْضَحَ الطَّرِيقِ ، وَجَادَلَ مَنْ حَادَّهُ بِأَمْضَى مِنْ
الْحِدَادِ الدُّلْقَى ، وَأَشْتَهَرَ خَيْرُ وَقَائِهِ بِالْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ؛ وَصَلَّى بِهِ صَلَاةَ السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ،
وَالْأَمْنِ وَالْحَذَرِ ؛ وَخَطَبَ بِهِ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي بَعْدَ بَذْرِ اللَّهِ عَهْدَهَا ، وَخَاطَبَ
عَنْهُ - أَيْدَهُ اللَّهُ - الْمَخَاطَبَاتِ الَّتِي حُمِدَ قَصْدُهَا ؛ حَتَّى اسْتَقَلَّ مُلْكُهُ فَوْقَ سَرِيرِهِ ،
وَأَبْتَهَجَ مِنْهُ الْإِسْلَامَ بِأَمِيرِهِ وَأَبْنِ أَمِيرِهِ ، وَنَزَلَ السُّتْرَ عَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ بِبِرْكَةِ إِيَالَتِهِ
وَيَمْنِ تَدْبِيرِهِ ، وَكَانَ الْجَلِيسَ الْمُقَرَّبَ الْمُحَلَّ ، وَالْحَظِيَّ الْمَشَاوَرَ فِي الْعَقْدِ وَالْحَلِّ ؛
وَالرَّسُولَ الْمُؤْتَمَنَ عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَالْأَمِينَ عَلَى الْوُظَائِفِ الْجِبَارِ ؛ مَزِينَ الْمَجْلِسِ
السُّلْطَانِيَّ بِالْوَقَارِ ، وَمَتَحِفَ الْمَلِكِ بِغَرِيبِ الْأَخْبَارِ ؛ وَخَطِيبَ مَنبَرِهِ الْعَالِي فِي الْجُمُعَاتِ ،
وَقَارِيَّ الْحَدِيثِ لَدَيْهِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ .

ثُمَّ رَأَى - أَيْدَهُ اللَّهُ - أَنْ يُشْرِكَ رَعِيَّتَهُ فِي نَفْعِهِ ، وَيَصْرِفَ عَوَامِلَ الْخُطُوةِ
إِلَى مَزِيدِ رَفْعِهِ ، وَيُجْلِسَهُ مَجْلِسَ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لِإِيضَاحِ شَرْعِهِ ،
وَأَصْلِهِ الْوُثِيقِ وَفَرْعِهِ ؛ وَقَدَّمَهُ - أَعْلَى اللَّهِ قَدَمَهُ ، وَشَكَرَ آلاءَهُ وَنِعَمَهُ - قَاضِيًا فِي الْأُمُورِ
الشَّرْعِيَّةِ ، وَفَاصِلًا فِي الْقَضَايَا الدِّينِيَّةِ ؛ بِحَضْرَةِ غَرْنَاطَةِ [الْعُلْيَا] حَرَمِهَا اللَّهُ تَقْدِيمَ
الْأَخْتِيَارِ وَالْإِتْقَاءِ ، وَأَبْقَى لَهُ نَخْرَ السَّلَفِ عَلَى الْخَلْفِ وَاللَّهُ يَمْتَنِعُهُ بِطُولِ الْبَقَاءِ .

فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ عَادِلًا فِي الْحُكْمِ ، مُهْتَدِيًا بِنُورِ الْعِلْمِ ؛ مَسْوِيًا بَيْنَ الْخَصُومِ حَتَّى
فِي لَحْظِهِ وَالْتِفَاتِهِ ، مُتَصِفًا مِنَ الْحِلْمِ بِأَفْضَلِ صِفَاتِهِ ؛ مَهِيبًا بِالْدِّينِ ، رُفُوفًا بِالْمُؤْمِنِينَ ؛
مَسْجَلًا لِلْحَقُوقِ ، غَيْرَ مُبَالٍ فِي رِضَا الْخَالِقِ بِسُخْطِ الْمَخْلُوقِ ؛ جَزَلًا فِي الْأَحْكَامِ ،
مُجْتَهِدًا فِي الْفَضْلِ بِأَمْضَى حُسَامٍ ، مُرَاقِبًا لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا فِي التَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ ، بَارًّا
بِمَشِيخَةِ أَهْلِ التَّوَثِيقِ ، عَادِلًا إِلَى سَعَةِ الْأَقْوَالِ عِنْدَ الْمَضْيِيقِ ، سَائِرًا مِنْ مَشْهُورِ
الْمَذْهَبِ عَلَى أَهْدَى طَرِيقٍ - وَأَوْصَاهُ بِالْمَشُورَةِ الَّتِي تَقْدَحُ زِنَادَ التَّوْفِيقِ ، وَالتَّثَبُّتِ

حتى يَنْبَلِجَ قِياسُ التحقيق ؛ وصِيَّةٌ أَصْدَرُهَا لَهُ مَصْدَرُ الذِّكْرِ الَّتِي تَنْفَعُ ، وَيُعَلِّي اللَّهُ بِهَا الدَّرَجَاتِ وَيَرْفَعُ ، وَإِلَّا فَهُوَ عَنِ الْوَصَاةِ غَنِيٌّ ، وَقَصْدُهُ قَصْدُ سَنِيٍّ ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلِيُّ إِعَانَتِهِ ، وَالْكَفِيلُ بِحِفْظِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَصِيَّانَتِهِ .

[وَأَمْرُهُ - أَيْدُهُ اللَّهُ - أَنْ يَنْظُرَ فِي الْأَحْبَاسِ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، وَالْأَوْقَافِ عَلَى شَتَّى أَصْنَافِهَا] ^(١) وَالْيَتَامَى الَّتِي آتَسَدَلَتْ كِفَالَةُ الْقُضَاةِ عَلَى ضِعَافِهَا . فَيَذُودُ عَنْهَا طَوَارِقَ الْخَلَلِ ، وَيُجَرِّى أُمُورَهَا بِمَا يَتَكَفَّلُ لَهَا بِالْأَمَلِ .

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرَاهُ ، وَأَنْ فَلَتَاتِ الْحُكْمِ تُعَاوِدُهُ الْمَرَاجِعَةَ فِي أَنْوَارِهِ ، فَيَدْرِغُ جُنَّةً تَقْوَاهُ ، فَسُبْحَانَ مَنْ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ ﴾ .

فَعَلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ حَقَّ هَذَا الْإِجْلَالِ ، صَائِنًا مَنْصِبَهُ عَنِ الْإِخْلَالِ ، مُبَادِرًا أَمْرَهُ الْوَاجِبَ بِالْأَمْتِثَالِ ، بِحَوْلِ اللَّهِ .

وَكُتِبَ فِي الثَّالِثِ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْحَرَمِ فَاتِحِ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، عَرَّفَ اللَّهُ فِيهِ هَذَا الْمَقَامَ الْعَلِيِّ عَوَارِفَ النُّصَرِ الْمُبِينِ وَالْفَتْحِ الْقَرِيبِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، فَهُوَ الْمُسْتَعَانَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ .



وهذه نسخة ظهير بقضاء الجماعة بالحضرة أيضا ، وهو :

هَذَا ظَهِيرٌ كَرِيمٌ أَعْلَى رَتَبَةِ الْأَحْتِفَاءِ [وَالْأَحْتِفَالِ] ^(١) اخْتِيَارًا وَآخْتِبَارًا ، وَأَظْهَرَ مَعَانِيَ الْكَرَامَةِ وَالتَّخْصِصِ انْتِفَاءً وَأَصْطِفَاءً وَإِثَارًا ، وَرَفَعَ لَوَاءَ الْجَلَالَةِ عَلَى مَنْ أَشْتَمَلَ عَلَيْهَا حَقِيقَةً وَاعْتِبَارًا ، وَرَفَعَ فِي دَرَجَاتِ الْعِزِّ طَاوِلَهَا عِلَاءَ بَهَرِ أَنْوَارِهِ ، وَدِينًا كَرَّمَ فِي الصَّالِحَاتِ آثَارًا وَزَكَا فِي الْأَصَالَةِ نِجَارًا ، وَخُلُوصًا إِلَى هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ السَّعِيدِ

(١) الزيادة عن ريجانة الكتاب ، ونفع الطيب ص ٧٣ ج ٣ .

راق إظهاراً وإظهاراً. أمر به وأمضاه، وأنفذ العمل بحكمه ومقتضاه، فلان للشيخ
القاضي، العدل، الأرضي، قاضي الجماعة وخطيب الحضرة عليه، المخصوص
لدئ المقام العليّ بالحظوة السنيّة والمكانة الحفيّة، الفاضل، الحافل، الكامل،
الموقر، المبرور أبي الحسن ابن الشيخ الفقيه، الوزير، الأجل، الأعزّ، المساجد،
الأسنى، المرفّع، الأحفل، الأصالح، المبارك، الأكل، الموقر، المبرور، المرحوم
أبي محمد بن الحسن - وصلّ الله عزّته، ووالى رفعتّه ومبرّته، ووهب له من صلة
العناية الربّانية أمله وبقيته - لمّا أصبح في صدور القضاة العلماء مُشاراً إلى جلاله،
مستنداً إلى معارفه المخصوصة بكاله، مطرّزاً على الإفادة العلمية والأدبيّة بحاسنه
البديعة وخياله، محفوفاً مقعد الحكم النبويّ ببركة عدّالته وفضل جلاله، وحلّ
في هذه الحضرة العلية المحلّ الذي لا يرقاه إلا عيّن الأعيان، ولا يتبوء مهاده إلا مثله
من أبناء المجد الثابت الأركان، وموالى العلم الواضح البرهان، والمبرزين بالماثر العلية
في الحُسن والإحسان. وتصدّر لقضاء الجماعة فصدرت عنه الأحكام الراجحة
الميزان، والأنظار الحسنة الأثر والعيان، والمقاصد التي وفّت بالغاية التي لا تُستطاع
في هذا الميدان، فكم من قضية جلا بمعارفه مشكلها، ونازلة مبهمّة فتح بإدراكه
مُقفَلها، ومسألة مُهمّلة عرّف نكبتها وقرّر مهمّلتها، حتى قرّرت بعدالته وجرّالته
العيون، وصدّقت فيه الآمال الناجحة والظنون، وكان في تصديره لهذه الولاية
العظمى من الخير والخيرة ماعسى أن يكون - كان أحقّ بالتشفيح لولاياته وأولى،
وأجدر بمضاعفة النعم التي لا تزال تترادّف على قدره الأعلى.

فلذلك أصدر له - أيده الله - هذا الظهير الكريم مشيراً بالترفع والتنويه، ومؤكّداً
للاحتماء الوجيه، وقدمه - أعلى الله قدمه، وشكر نعمه - خطيباً بالجامع الأعظم

[من حضرته] ^(١) - عمره الله بذكره - من عليّة الخطباء، و كبار العلماء، و خيار الفقهاء الصّالحاء ؛ فليتولّ ذلك فى جُمعاته ، مظهرًا فى الخطبة أثر بركته وحسناته ، عاملاً على مايقتر به عند الله من مرضاته ، و يُظفره بجزيل مَثوباته ؛ بحول الله وقوته .

الضرب الثالث

(ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية)

وهذه نسخة ظهير بالقلم الأعلى المعبر عنه فى بلادنا بكتابة السر ؛ وهى :

هذا ظهير كريم نصب للمعتمد به الإنافة الكبرى ببابه فرّعه ، وأفرد له مثلّ العز ^(٢) جمعه ووثره وشفّعه ، وقتر به فى بساط الملك تقريباً [أرغم به أنف عداه ووضعه] ^(٣) ، وفتح له باب السعادة وشرّعه ، وأعطاه لواء القلم الأعلى فوجب على من دون رتبته ، من أولى صنعه ، أن يتّبعه ؛ ورعى له وسيلته السابقة عند استخلاص الملك لما أبتّره الله من يد الغاصب وأنترعه ، وحسبك من ذمام لا يحتاج إلى شىء معه .

أمر به الأمير فلان لفلان - وصل الله سعادته ، وحرس مجادته - أطلع له وجه العناية أبهى من الصبح الوسيم ، وأقطعه جناب الإنعام الجميم ، وأنشقه أرج الحظوة عاطر النسيم ، ونقله من كرسيّ التدريس والتعليم ، إلى مرقى التنويه والتكريم ، والرتبة التى لا يلقاها إلا ذو حظّ عظيم ؛ وجعل أقلامه جياداً لإجالة أمره العلى ، وخطابه السنّى ، فى ميادين الأقاليم ؛ ووضع فى يده أمانة القلم الأعلى ، جارياً من

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

(٢) فى الريحانة «نصب المعتمد به للأمانة» الخ وهو أنسب بالمقام .

(٣) من "ريحانة الكتاب" .

الطريقة المثلى، على التهج القويم، واختصه بمزية الشفوف على كتاب بابہ الكريم .
 لما كان ناهض الوكر في طلبة حضرته من البدايه ، ولم يزل تظهر عليه لأولى التميز
 تحايل هذه العنايه : فإن حضر حلق العلم جلّ في حلبة الحفاظ إلى الغايه ، وإن نظم
 أو نثر أتى بالقصائد المصقوله ، والمخاطبات المنقوله ، فاشتهر في بلده وغير بلده ،
 وصارت أزمه العناية طوع يده ، بما أوجب له المزيه في يومه وغده .

وحين رد الله عليه ملكه الذي جبر به جناح الإسلام ، وزين وجوه الليالي
 والأيام ، وأدال الضياء من الظلام ، وكان ممن وسمه الوفاء وشهره ، وعجم الملك
 عود خلوصه وخبره ، فحمد أثره ، وشكر ظاهره ومضمرة ، وأستصحب على ركابه
 الذي صحب اليمن سفره ، وأخلصت الحقيقة نقره ، وكفل الله ورده وصدره ،
 ميمون النقيبه ، حسن الضريبه ، خالصا في الأحوال المريبه ، ناطقا عن مقامه
 بالمخاطبات العجيبه ، واصلا إلى المعاني البعيدة بالعبارات القريبه ، مبرزا بالخدم
 الغريبه ، حتى آستقام العباد ، ونطق بصدق الطاعة الحى والجماد ، ودخلت
 في دين الله أفواجا العباد والبلاد ، لله الحمد على نعمه الثرة العباد ، وآلائه المتواليه
 الترداد - رعى له - أيده الله - هذه الوسائل وهو أحق من يرعاها ، وشكره الخدم
 المشكور مسعاها ، فقصر عليه الرتبة الشماء التي خطبها بوفائه ، وألبسه أثواب
 أعتنائه ، وفسح له مجال آلائه ، وقدمه - أعلى الله قدمه ، وشكر نعمه - كاتب السر ،
 وأمير النهى والأمر ، تقديم الاختبار ، والأغبطا بخدمته الحسنه الآثار ، والتمين
 باستخدامه قبل الحلول بدار الملك والاستقرار ، وغير ذلك من موجبات الإيثار .

فليتول ذلك عارفا بمقداره ، مقتفيا لآثاره ، مستعينا بالكم لأسراره ، والأضطلاع
 بعظام أموره وبقاره ، متصفا بما يجمل من أمانته وعفافه ووفاره ، معطيا هذا الرسم

حقه من الرئاسة ، عارفاً بأنه أكبر أركان السياسة ؛ حتى يتأكد الاغتراب بتقريبه وإدناؤه ، وتتوفر أسباب الزيادة فى إعلائه ؛ وهو - إن شاء الله - غنى عن الوصاة فهماً ثاقباً ، وأدباً لعيون الكمال مُراقباً ؛ فهو يعمل فى ذلك أقصى العمل ، المتكفل ببلوغ الأمل .

وعلى من يقف عليه : من حملة الأعلام ، والكُتّاب الأعلام ، وغيرهم من الكفاة والخدم ، أن يعرفوا قدر هذه العناية الواضحة الأحكام ؛ والتقديم الراجح الأقدام ، ويوجبوا ما أوجب من البر والإكرام ، والإجلال والإعظام ؛ بحول الله وقوته ، وكتب فى كذا .

الطـرف الثالث

(فى مصطلح كُتّاب الديار المصرية فيما قبل الخلفاء الفاطميين
وفى بعدهم إلى زماننا)

وفيه أربع حالات :

الحالة الأولى - ما كان عليه أمر تُواب الخلفاء بهذه المملكة إلى ابتداء الدولة الطولونية .

ولم يكن لديوان الإنشاء بالديار المصرية فى هذه المدة صَرف عناية ، تقاصراً عن التشبه بديوان الخلافة ، إذ كانت الخلافة يومئذ فى غاية العزِّ ورفعة السلطان ؛ ونيابة مصر بل سائر النيابات مضمحلة فى جانبها ، والولايات الصادرة عن التواب فى نياباتهم متصاغرة متضائلة بالنسبة إلى ما يصدر من أبواب الخلافة من الولايات ، فلذلك لم يقع مما كتب منها ما تتوفر الدواعى على نقله ولا تصرف الهمم لتدوينه مع تطاول الأيام وتوالي الليالى .

الحالة الثانية — ما كان عليه أمر الدولة الطولونية من حين قيام دولتهم إلى انقراض الدولة الأخشيدية .

وقد تقدم أن أحمد بن طولون أول من أخذ في ترتيب الملك وإقامة شعاع السلطنة بالديار المصرية . ولما شَمَخَ سُلْطَانُهُ ، وَارْتَفَعَ بِهَا شَانُهُ ، أخذ في ترتيب ديوان الإنشاء لما يحتاج إليه في المكاتبات والولايات ، فاستكتب ابن عبد كان ، فأقام منار ديوان الإنشاء ورفع مقداره ؛ وكان يفتتح ما يكتبه عنه في الولايات بلفظ « إن أولى كذا » أو « إن أحق كذا » وما أشبه ذلك .

وهذه نسخة عهد كتب به ابن عبد كان عن أحمد بن طولون بقضاء برقة ترشد إلى ما عداها من ذلك وهي :

إِنَّ أَحَقَّ مَنْ آثَرَ الْحَقَّ وَعَمِلَ بِهِ ، وَرَاقَبَ اللَّهَ فِي سِرِّ أَمْرِهِ وَجَهْرِهِ ، وَأَحْتَرَسَ مِنَ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ فِي قَوْلِهِ وَفَعَلَهُ ، وَعَمِلَ لِمَعَادِهِ وَرَجَعْتِهِ ، إِلَى دَارِ فَاقَتِهِ وَفَقَرِهِ وَمُسْكَّتِهِ ، مَنْ جُعِلَ بَيْنَ الْمَسَامِينَ حَاكِمًا ، وَفِي أُمُورِهِمْ نَازِرًا : [فَأَرَأَى] ^(١) الدَّمَاءَ وَحَقَّهَا ، وَأَحَلَّ الْفُرُوجَ وَحَرَمَهَا ، وَأَعْطَى الْحَقُّوقَ وَأَخَذَهَا ؛ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَائِلُهُ عَنْ مِثْقَالِ الذَّرَّةِ مِنْ عَمَلِهِ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَقَلَّبُ فِي قَبْضَتِهِ ، أَيَّامَ مُدَّتِهِ ، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنْ دُنْيَاهُ نَخْرُوجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ، إِمَّا سَعِيدًا بِعَمَلِهِ وَإِمَّا شَقِيًّا بِسَعْيِهِ .

وَإِنَّا لِمَا وَقَفْنَا عَلَيْهِ مِنْ سَدِيدِ مَذْهَبِكَ وَقَوِيمِ طَرِيقَتِكَ ؛ وَجَمِيلِ هَدْيِكَ وَحُسْنِ سِيرَتِكَ ؛ وَرَجَوْنَاهُ فِيكَ ، وَقَوَّرْنَاهُ عِنْدَكَ : مِنْ سُؤْلِكَ الطَّرِيقَةَ الْمُسْتَلَى ، وَاقْتِفَاءِ آثَارِ أُمَّةِ الْهُدَى ، وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ لَا بِالْهَوَى — رَأَيْنَا تَقْلِيدَكَ الْقَضَاءَ بَيْنَ أَهْلِ ثَغْرِ بَرَقَةٍ ، وَأَمْرَنَاكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مِنْ طَلَبٍ ، وَلَا يُقْوِتُهُ مِنْ هَرَبٍ — وَبَطَاعَتِهِ الَّتِي مَنْ آثَرَهَا

(١) بياض في الاصل والتصحيح من المقام .

سعيد، ومن عمل بها حُمد، ومن لزمها نجا، ومن فارقها هوى - وأن تُواصل
الجلوس لمن بحضرتك من الخُصوم : صابرا بنفسك على تنازعهم فى الحقوق،
وتدافعهم فى الأمور، غير برِّم بالمراجعات، ولا صَحر بالمُحاكات : فإنَّ من حاول
إصابة فصل القضاء، وموافقة حقيقة الحكم بغير مادة من حلم، ولا معونة من
صبر، ولا سُهمة من كظم، لم يكن خليقا بالظفر بهما، ولا حقيقا بالدرك لهما -
وأن تقسم بين الخصمين إذا تقدما إليك، وجلسا بين يديك، فى لحظك ولَفْظك،
وتوفى كل واحد منهما قِسمه من إنصافك وعدلك، حتى يئأس القوى من ميلك،
ويأمن الضعيف من حيفك : فإنَّ فى إقبالك بنظرك وإصغائك بسمعك إلى أحد
الخصمين دون صاحبه ما أضلَّ الآخر عن حُجته، وأدخل الحيرة على فكره ورويته -
وأن تُحضر مجلس قضائك من يُستظهر برأيه، ومن يرجع إلى دينٍ وحيَّا وتقى :
فإنَّ أصبتَ أيُّدك، وإن نسيتَ ذكرك - وأن تقتدى فى كل ما تعمل فيه
رويتك، وتُضى عليه حكمك وقضيتك، بكتاب الله الذى جعله صراطا مستقيما،
ونورا مستبينًا، فشرع فيه أحكامه، وبين حلاله وحرامه، وأوضح به مشكلات
الأمر، فهو شفاء لما فى الصدور . وما لم يكن فى كتاب الله جل وعز نصه
فإنَّ فيما يُؤثر عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم حُكمه، وما لم يكن فى حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم أقتفيت فيه سبيل السلف الصالح من أئمة الهدى رضى الله
عنهم الذين لم يألوا الناس اختبارا، ولا أدخروهم نصيحةً واجتهادا، علما أنك
أسعد بالعدل ممن تعدل عليه، وأحظى بإصابة الحق ممن تُصيبه فيه : لما تتعجله
من جميل أحوثه وذكره، ويُدخلك من عظيم ثوابه وأجره، ويُصرف عنك من
حُب ما تنقلده ووزره - وأن يكون الذين تحكم بشهادتهم [من] أهل الثقة فى أديانهم،
والمعروفين بالأمانة فى معاملاتهم، والموسومين بالصدق فى مقالاتهم، والمشهورين

بالتقدم في عدالاتهم : فإنك جاعلهم بين الله وبينك في [كل] كلام تُصدِّره، وحكم تُبرِّمه، وحقيق بأن لا ترضى لنفسك منهم إلا بما يرضى منك، وتعلم أن ذلك هو الصدق، وأنت قد أبلت عُذرك في تخييرهم، فإنه بعلم أن ذلك هو الصدق من نيتك، والصحة من يقينك، تحسن عليه معونتك، ويحضرك التوفيق في جميع أقضيتك - وأن يكون من تستعين به على المسألة عن أحوال هؤلاء الشهود ومذاهبهم، وما يعرفون به وينسبون إليه في رحالهم ومساكنهم أهل الورع والأمانة، والصدق والصيانة - وأن تجدد المسألة عنهم في كل مرة، وتفحص عن خبرهم في كل قضية، ثم لا يمتنع وقوفك على سقوط عدالة من تقدمت بتعديله من استقبال الواجب في مثله، وأستعمل الحق في أمره - وأن تُشرف على أعوانك وأصحابك، ومن تجرى أمورك على يديه من خلفائك وأسبابك؛ إشرافا يمنعهم من الظلم للرعيه، ويقبض أيديهم عن المآكل الرديه، ويدعوهم إلى تقويم أودهم، وإصلاح فاسدهم، ويزيد في بصيرة ذوى الثقة والأمانة منهم؛ فمن وقفت منه على أمثالٍ لمذهبك، وقبول لأدبك؛ واقتصار فيما يتقلده لك، أقررت وأحسن مكافأته ومثوبته، ومن شمت منه حيفا في حكمه، وتعديا في سيرته، وبسطا ليدِه إلى ما لا يجب له، تقدمت في صرفة، وألزمته في ذلك ما يلزمه - وأن تختار لكاتبك من تعرف سداد مذهبه، واستقلاله بما يتقلده، وإشارا لرس (١) من صحته، ومن تقدّر عنده تقديرا (٢) في نصيحتك فيما يجرى على يديه، وتوخيا لصدقك فيما يحضره وتغيب عن مشاهدته؛ فإنك تأمنه من أمر حكمك على ما لا يؤتمن على مثله إلا الأمين، وتفوض إليه من حجب الخصوم المرفوعين إليك ما لا يفوض إلا لذي العفاف والدين - وأن تتفقد

(١) لعله « وإشاره للتأكد من صحته » . تأمل .

(٢) لعله « تحريا » تأمل .

مع ذلك أمره، وتصفّح عمله، وتُشْرِف على ماتحت يديه بما يؤدّيك إلى إحكامه وضبطه، ويؤمّنك من وقوع خلل فيه - وأن تختار لمجابتك من لا يتجهم الخُصوم، ولا يختصّ بعضها دون بعض بالوصول؛ وتُوَعز إليه فى بسط الوجه، ولين الكنف، وحسن اللفظ، ورفع المشونة، وكف الأذى.

فقلّد ماقلّدناك من ذلك عاملاً بما يحقّ عليك لله جلّ وعزّ ذكره، ومستعيناً به فى أمرك كلّ: فإنّا قلّدناك جسيماً، وحملناك عظيماً، وتبرّأنا إليك من وزره وإضره، واعتمدنا عليك فى توحى الحق وإصابته، وبسط العدل وإفاضته؛ وأقبض لأرزاقك وأرزاق كُتّابك وأعوانك ومن يحجّبك ولئن قراطيسك وسائر مؤنك فى كل شهر أربعين ديناراً؛ فقد كتبنا إلى عامل الخراج بازاحة ذلك، أوقات استحقاقك إياه ووجوبه لك، وإلى عامل المدينة بالشّد على يدك، والتقوية لأمرك؛ وضَمّ العِدّة التى كانت تُضمّ إلى القضاة من الأولياء إليك، وهما فاعلان ذلك إن شاء الله تعالى.

الحالة الثالثة - ما كان عليه الأمر فى زمن بنى أيوب.

وكانوا يسمّون ما يكتب عن ملوكهم من الولايات لأرباب السيوف والأقلام «تقاليد» و«تواقيع» و«مراسيم» وربّما عبّروا عن بعضها بـ«لمنّاشير»

وهى فى الافتتاحات على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى - أن تفتح الولاية بخطبة مبتدأة بالحمد لله تعالى ثم يؤتى بالبعدية، ويذكر ما سيخ من حال الولاية والمولى، ويوصى المولى بما يليق بولايته، ثم يقال: «وسبيل كلّ واقف عليه من النّواب العمل به» أو نحو ذلك.

وهى على ثلاثة أصناف:

الصف الأول — أرباب السيوف من هذه المرتبة

وهذه نسخة توقيع بولاية ناحية وإقطاع بلادها لمتوليها ، وهي :

الحمد لله على عوائده الجميلة وعواطفه ، وفوائده الجزيلة وعوارفه ، ناصب الحق وناصره ، وقاصم الباطل وقاصره ، ومبير الدين ومبيله ، ومبير الكفر ومبيله ، وشاد أزروليائه وساد ثغرىهم ، وناصر معزهم ومعز نصرهم ، الذى أضفى علينا مدارع نعمه ، وأصفى لدينا مَشارع كرمه ، وأعلق أيدينا من العدل بأوكيد الأسباب والأمراض ، وصرف بنا صرف العسف وكف بكفايتنا كف البؤس عن الرعية واللباس ، وجلب إلى استجلاب الشكر من الناس همتنا ، وطوى على حب البر وإبرار المحب طويتنا ، وحسم بما أولانا من أيدٍ مادة كل يد تمتد إلى محذور ، ويسرنا بساط العدل المطوى لما طوى بعدلنا بساط الظلم المنشور ، وأبى لنا أن نكفر نعمة أو نهبها لكافر ، أو ندع شكر منة أو نودعها عند غير شاكر .

ولما كان الأمير فلان ممن سبقت لخدمته ولأبيه - تعاهد الله بالعهد متواهما ، وخص بثرار الرحمة ثراهما - الحرم الأكيده ، والخدم الطريفة والتليسه ، ولم يزل مجتهدين فى تعمير هذا البيت وتشيد أسسه ، ملازمي الإداب فى إنمائه وتشديد غرسه ، مفضيين بالموالاة إلى مواليه ، مفضحين بالمعاداة لمعاديه ، رأينا - لا زال الإقبال لآرائنا مقابلا ومراققا ، والسعد مساعدا والتوفيق موافقا - أن نلحقه بدرجة أوليه ، ونورده من كرمنا مورد جدّه وأبيه ، ونلحقه إليه عنان عنايتنا ، ونرعاه بعين رعايتنا ، ونلحقه جناح طفقنا ، ونلوّه مقعد شرف تحت ظلنا ، ونحرس حده من القلول ، وجده من الخمول ، وعوده من الخور ، وورده من الكدر ، وأن نقرره

على ما بؤنا فيه والدّه من الهبات والإنعام والإفضال والإحسان، وجميع ما دخل تحت أسمه من المعافى والبُدان، وسيُصحّ ذلك بقلم الديوان .

فليقابل هذا الإنعام من الشكر بمثله ، ويوازِ هذا الإفضال من حُسن القبول بعِذله ؛ وليرتبط نعم الله عنده بالشكر الوافى الوافر، فالسعيدُ من أطرح حلّة الشاكرى وأدرع حلّة الشاكر ؛ وليدمن التحدّث بها فالتحدّث بالنعم من الشكر ، ويستجذب موادّها بإيضاح سُبُل البر ؛ ويجعل التقوى شعاره ودناره ، ويخلص الطاعة لله بإيراده وإصداره .

وليكن العدل رَبيّته ورائده ، والأمرُ بالمعروف دليّله وقائده ؛ وليقيم فيما نيّط به حقّ القيام ، ويشمرّ في حفظ ما استرعيناه عن ساق الإهتمام ، ويعلم أن منزلته عندنا أسنى المنازل وأعلاها ، ومرتبته لدينا أبهج المراتب وأبهاها ؛ ومحله عندنا السامى الذى لا يُضاهيه سامى ، ومكانه المكان الذى ليس له فى الممكن أن يفترع علمه سامى ؛ فسبيله علم ذلك وتحقيقه ، وتيقّنه وتصديقه ، وسبيل كل واقف على هذا المثال ، [أن] يقابله بالامتثال ، من سائر العَمال ، وأرباب الولايات والأعمال . والاعتماد على العَلامة الشريفة فى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

الصنف الثانى — أرباب الوظائف الدينية

وهذه نسخة توقيع بتدريس مدرسة والنظر عليها ، والتحدّث على أوقافها وسائر تعلّقاتها ، وهى :

الحمد لله الظاهر إحسانه ، الباهر برهانه ، القاهر سلطانه ، المتظاهر آمتنانه ؛ نحمده على إنعامه حمداً يدوم به من حلب غزارته وحلى نضارته ازدياده وازديانه ،

ونسأله أن يصلّي على سيدنا محمد نبيّه الشارع الشارح بيأته ، وعلى آله وصحبه الذين هم أعضاء شرعه وأركانهُ .

أما بعد ، فإنّا لما نراه من تشييد بيوت دوى البيوتات ، وإمضاء حكم المروءة في أهل المروءات ، وإرعاء موات دوى الحقوق الحقيقة بالمراعاة وإحياء الموات ، وموالات النعم الشامل عمومها لأولى الخصوص والخُلوص في الموالات ، ما نزال نُلحِق درجات الأخلاف منهم في الاختصاص بالاستخلاص بالأسلاف ، فنوردهم من مشاريع دولتنا ومشارب نعمتنا في الأصطفاء والأصطناع أعذب النطاف ، ونُجنِّهِم من مغارس الرجاء ، ومجارى النماء ، في الإدناء والاجتباء ، ثمرات النعم الدانية القطاف ؛ ونُقيض عليهم من مدارع البهجة والبهاء ، وحُلل الثناء والثناء ، في الاكرام ، بالاحترام ، ما يصفقو على الأعطاف .

ولما كان الشيخ فلان متوحّدا بالنسب الأثير الأثيل ، والحسب الجليّ الخليل ، والمحتد الأكيد الأصيل ؛ والفضل الموروث والمكتسب ، والزرّاء في المنتمى والمنتمسب ؛ والدّكاء الذى أنارت في أفق التوفيق دُكاؤه ؛ والولاء الذى بان في شرعة الإخلاص صفاءؤه ؛ والدين الذى علا سناسنته ، في منار التحميد ، والخُلوص الذى حلا جنى جنته ، في مذاق التوحيد ؛ والرياسة التى تَضَوّع رياء رياضها المؤنقه ، والسماحة التى تتوّح حياءها المغدقه ؛ والأمانة التى نهضت بها فضائله ، والموالات التى نجحت بها عندنا وسائله - رأينا إجراءه على عادة والده فى تولّى المدرسة المعمورة التى أنشأها جدّه للشافعية بحلب ، وأوقافها ، وأسبابها ، وتدريسها ، وإعادتها ، وأستنابة مَنْ يراه وينخارّه فى ذلك كله ، والنظر فى جميع ما يتعلق بها كثره وقُلّه ؛ وترتيب الفقهاء فيها ، وتقرير مشاهراتهم على ما يراه من تفضيل وتقديم ، وتفصيل

وتقسيم ، وتخصيص وتعميم ، ونقص وتكميل ونتميم ؛ وحفظ الوقوف بالأحتياط
 فى مصارفها ، والعمل فيها ، بشروط محبستها وإطلاقها بقيود واقفيها ، بالابتداء
 بالعمارات ، التى تؤذن بتوفير الارتفاعات ، وتكثير المغلات ، وتنمية الثمرات ؛
 مستشعرا تقوى الله التى هى حلية الأعمال الصالحات ، والعصمة الباقية والحنّة
 الواقية عند النائبات . وفوضنا ذلك إلى أمانته ، وبعده إلى من يقوم مقامه من
 إخوته ، تشييدا لبيتهم الكريم ، وتجديدا لمجدهم القديم ؛ ورفعنا لمكاتهم المكيه ،
 وحفظا لمرتبتهم المصونه . وأمرنا بإعفاء جميع أوقاف المدرسة وسائر أوقافهم ،
 وأملاكه وأملاك إخوته وحمايتهم من جميع المظالم والمطالب ، والنوائب والشوائب ،
 والعوارض والعراض واللوازم والكلف ، والمؤون والسخر ، والتبن والخطب ،
 والأطباق والأنزال ، وسائر التوزيعات والتقسيمات والأنفال ؛ وإعفاء فلاحيها
 ومزارعيها من جميع ذلك ؛ وإطلاق كل ما يصل من مغلات الأوقاف والأملاك
 المذكورة إلى مدينة حلب من جميع المؤون على الإطلاق ، وكذلك جميع ما لهم من
 البضاعات والبياعات والتجارات مفعاة مطلقه لا اعتراض عليها لأحد ، ولا تمتد إلى
 شئ منها يد يد . وليتول ذلك على عادته المشكوره ، وأمانته المشهوره ؛ بنظر
 كاف شاف ، وكريم وافر وإف ؛ وورع من الشوائب صاف ، وعزوف عن الدنيات
 بالدنيات متجاف ؛ وسداد لركن المصالح شائد ، وتذكر لترقى مواد المناسج رائد ؛
 ورأي فى ذمة الصواب راجح ، وسعى برتبة الرشاد ناجح ؛ وهمة عالية فى نشر العلم
 بالمدرسة وإعلاء مناره ، وإلزام الفقهاء والطلبة بتدريسه وإعادته وحفظه وتكراره ؛
 ومروءة تامة فى الاشتغال على إخوته ومخلفي أبيه بما يصل به الرحم ، ويظهر به
 الكرم ، ويحيى من مفاخر آباءه الرمم ، ويقوى لهم من معاهد مكارمه العصم . وسبيل
 الولاة والنواب وكل واقف على هذا المثال إمضاء ذلك كله على سبيل الاستمرار ،

وتصمّم الأعمار ، وتصرف الأعصار ، وتقلب الأحوال والأدوار ؛ وحفظه فيهم
وفى أعقابهم على العصور والأحقاب ، ووصل أسبابه عند انقطاع الأسباب ،
من فسّخ ينقض مبرمّ معاقده ، أو نسّخ يقوّض مُحْكَم مَقَاعِدِه ؛ أو تبديل يكدر صفّى
موارده ومشارعه ، أو تحويل يقلّص ضافى مَلَابِسِه ومدارعه . وليبدّل لهم المساعدة
فى كلّ ما يعود له ولجماعته بصلاح الحال ، وفراغ البال ونجاح الآمال ، وإقامة الجاه
فى جميع الأحوال . والعمل بالأمر العالى وبمقتضاه ، والاعتماد على التوقيع الأشرف
به إن شاء الله تعالى .

الصف الثالث — أرباب الوظائف الديوانية

وهذه نسخة توقيع بوزارة ، من إنشاء بعض بنى الأثير ، وهى :

الحمد لله الذى فضّلنا على كثير من عباده ، وأغنانا بمزيد عطائه عن أزدیاده ،
وجعلنا ممن استخلفه فى الأرض فشكر عواقب إصداره ومبادئ إیراده .

نحمده ولسان أنعمه أفصح مقالاً وأفسح مجالاً ، وإذا اختلفت خواطر الحامدين
رؤية كآثرها ارتجالاً ، ونسأله أن يوفّقنا لتلقى أوامره ونواهيه بالاتباع ، وأن يصنّى
بقلوبنا إلى إجابة داعى العدل الذى هو خير داع ، ويُنقِذنا من تبعات ما استرعانا
يوم يُسأل عن رعيته كلّ راع .

أما بعد ، فإن الله قرّن استخارته برّشده ، وجعلها نورا يُهتدى به فى سلوك جَدَدِه ،
ويُستمد من يَمْن صوابه ما يُغنى عن الرأى ومدده . ومن شأننا أن نتأدّب بأداب الله
فى جليل الأمر ودقيقه ، وإذا دلّ التوفيق أمراً على عمله دلّ عملنا على توفيقه ؛
فمن عنوان ذلك أنا أصحابنا لوزارتنا من تحمّدنا الأيام من أجله ، وتحسّدنا الملوك
على مثله ، ويعلم من أتى فى عصره أنه فات السابقين من قبله ، وهو الوزير الأجل

السيدُ الصدرُ الكبيرُ، جلالُ الدين، شرفُ الإسلام، مجتبيُ الإمامِ نَحْرُ الأَنامِ ؛
 وليست هذه النعوت مما تزيد مكانه عُرْفًا ، ولا تستوفى من أوصافه وَصْفًا ؛
 وإن عَدَّها قومٌ جُلًّا ما يَدْنِحُونَهُ من الأحساب ، ومعظم ما يَخْلُقُونَهُ من التُّراثِ
 للأعقاب ؛ ولا يَفْخَرُ بِذلك إلا مَنْ أَعَدَمَ من ثَرْوَةٍ شَرِيفَةٍ ، ورضى من الجوهرِ
 بِصَدْفِهِ ؛ وأنتَ فغيرُ فائِزٍ به ولا بما وَرِثْتَهُ من مَجْدِ أبيك الذى أَضَحَّتِ الأَيَّامُ به
 شُهودًا ، والجُدُودُ له جُدُودًا ، وَعَدَا وَكَانَ عليه من شمس الضُّحَى نُورًا ومن الصَّباحِ
 عُمُودًا ؛ وقد علمت أنه كان إليه نَسَبُ المكارمِ وسِمَمُها ، وكان ما بلغه منها أعظمَ
 ما بلغه من دنياه على عِظَمِها ؛ أَمَّا كَ خَلَّفْتَ لِنَفْسِكَ مَجْدًا مِنْكَ مِيلَادُهُ ، وعنكَ
 إِيجَادُهُ ؛ وإذا أَقترن سَعَى الفَتَى بِسَعَى أبيه فَذلك هو الحَسَبُ الذى تقابل شَرَفَاهُ ،
 وتلاقى طَرَفَاهُ ، وَغَضَّ الزمانُ عنه طَرَفَهُ كما فَتَحَ بِمَدْحِهِ فَاهُ ؛ وإذا أَستَطرَفَتْ سَادَةُ
 قومِ بَنِيَتٍ بالسُّودِّ الطَّرِيفِ التَّلِيدِ ، ولقد صدَّقَ اللهُ لَهْجَةَ المُثَنِّى عليك إذ يقولُ :
 إِنَّكَ الرَّجُلُ الذى تُضَرَّبُ به الأَمْثَالُ ، والمَهْدَبُ الذى لا يُقالُ معه : أَىُّ الرِّجالِ ؛
 وإذا وَازَرْتَ مَمْلَكَةً فَقَدْ حَظِيتَ مِنْكَ بِشَدِّ أَزْرَها ، وَسَدِّ ثَغْرِها ، وَأَصْبَحْتَ وَأَنْتَ
 صَدْرُ لِقَابِها وَقَلْبُ لَصْدَرِها ؛ فهى مَزْدَانَةٌ مِنْكَ بِالْفَضْلِ المِيسِينِ ، معانَةٌ بالقَوَى
 الأَمِينِ ؛ فلا تَبَيْتُ إلا مُستَخدَمًا ضَمِيرَكَ فى وَلائِها ، ولا تَعْدُوا إلا مُستَجدِيًا كِفَايَتَكَ
 فى تَمْهيدِها وإِعْلانِها .

ومن صفاتِكَ أَنَّكَ الواحدُ فى عَدَمِ النَظِيرِ ، والمَعْدُودِ بِأَلْفِ فى صَوَابِ التَدْيِيرِ ،
 والمُؤَاوَزِ عِنْدَ ذِكْرِ الخَيْرِ على الإِعانَةِ وعندِ نِسيانِهِ على التَذْكِيرِ ؛ ولم تَرَقْ إلى هذه
 الدَرَجَةِ حَتَّى نَكَحْتَ عَقَبَاتِ المَعَالَى فَقَضَيْتَ أَجَلِها ، وَأَنْسَتَ من طُورِ السَّعَادَةِ نَارًا
 فَهَيْدِيَّتِ لها ؛ ولم تَبْلُغْ من العُمُرِ أَشَدَّهُ ، ولا نَزَعَ عَنْكَ الشِّبابُ بَرْدَهُ ؛ بل أَنْتَ
 فى رِيْعانِ عُمُرِكَ المَتَجَمِّلِ رِيْعانُ سُوْدَدِهِ ، المَتَقَمِّصُ من سِيما الخِلالِ ما أَبرَزَ وَقَارَ

المسيب في أسوده . وهذا المنصب الذي أهلت له وإن كان ثاني الملك محلاً ، وتلوه عقداً وحلاً ، فقد علا بك قدره ، وتأبل بك أمره ؛ وأصبح وشخصك في أرجائه منار ، ورأيك وفضلك من حوله سور وسوار ؛ وله من قلمك خطيب يجادل عن أحساب الدولة فيفتحها خيراً ، وسيف يجادل عن حوزتها فيمنحها نصراً ؛ ولقد كان من قبلك وقبل أبيك مكرها على إجابة خاطبه ، والتزوي إليه عن مراتبه ؛ فلما جئته استقر في مكانه ، ورضي بعلو شأنك لعلو شأنه ؛ وقد علم الآن أنك نزلته نزول الليث في أجبه ، وأستقلت به استقلال الرمح بأحدمه (؟) ؛ وما زالت المعالي تسفر بينك وبينه وأنت مشغول بالسعى للسيادة وآدابها ، عن السعى للسعادة وطلابها . نخذ ما وصلت إليه باستحقاق فضلك ومناقبه ، لا باتفاق طالعك وكواكبه .

وأعلم أن هذه النعمة وإن جاءتك في خفها ، وأناخت بك بصاحبها وأهلها ؛ فلا يؤنسها بك إلا الشكر الذي يجعل دارها لك داراً ، وودها مستملاً لك لا معاراً ؛ وقد قيل : إن الشكر والنعمة توءمان ، وإنه لا يتم إلا باجتماع سر القلب وحديث اللسان ؛ فاجعله معروفها الذي تمسكها بإحسانه ، وتقيدها بأشطانه .

وقد أفردنا لك من بيت المال ما تستعين به على فرائض خدمك ونوافله ، وترد فضله على آبناء مجدك وفضائله ؛ وذلك شيء عائد على الدولة طيب سمعته ، فلها محمود ذكره ومنك موارد شرعته ؛ وإذا حُمدت مناهل الغدر كان الفضل للسحاب الذي أغدرها . والمفرد باسمك من بيت المال كذا وكذا .

وكل ما تضمنته تقليد غيرك من الوصايا التي قرعت له عصاها ، ونبتت له حصاها ، فانت مستغن عن استماعها ، مكتفٍ بأطلاع فكرك عن اطلاعها ؛ غير أنا نسألك كما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً ، ونسأل الله أن يجعل لك

من أمرك يُسرًا ومن عزمك نفاذا ، وقد أجابنا لسان حالك بأنك تأخذ بتقوى الله
التي ضمن لها العاقبة ، وجعل شيعتها الغالبة ، وأنك تجعلها بينك وبينه سببا ممدودا ،
وبينك وبين الناس خُلُقًا معهودا ، حتى تُصبح وقد أمنت من دهرِكَ عثارا ، ومن
أبنائه أسماعا وأبصارا — ومن شرائطها أن يكون الرجل المسلم الذي سلم الناس
من يده ولسانه ، وفي هذين كفاية عن غيرهما من الشيم ، التي تُحفظ بها سياساتُ
الأمم : فإن العدل هو الميزان الذي جعله الله ثاني الكتاب ، والإحسان الذي هو
الطينة التي شاركتها القلوب في جيلتها مشاركة الأحاب .

وأما ماسوى ذلك من سياسة الملك في تقرير أصوله ، وتدير محصولة ، كالبلاد
وأسعارها ، والأموال واستثمارها ، وولاية الأعمال واختبارها ، وتجنيد الجنود
واختيارها ، فكل ذلك لا يصدر تديره إلا عن نظرك ، ولا يُمشى فيه إلا على
أترك ، وأنت فيه الفقيه ابن الفقيه الذي سرى إليك علمه نفسا ودرسا ، وثمره
وغرسا ، فهذا كتاب عهدنا إليك : نخذه بقوة الأمانة التي أبت السموات والأرض
حملها ، وما أطاقَت ثقلها ، والله يسلك بك سدا ، ويتحرى بك رشا ، ويلزمك
التوفيق قلبا ولسانا ويذا ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة توقيع باعادة النظر بغير الإسكندرية لابن بصاصة في شهر
سنة ثمان وسبعين وستائة ، وهي :

الحمد لله الذي أضحك الثغور بعد عبوسها ، ورد لها جمالها وأثار أفاقها بطُوع
شموسها ، وأحيا معالم الخير فيها وقد كادت أن تُشرف على دروسها ، وأقام
لمصالح الأمة من يُشرق وجه الحق بياض آرائه ، وتلذذ الأسماع بتلاوة أوصافه

الجميلة وأنبأته ؛ حمد من أُسبغت عليه النعماء ، وتهادت إليه الآلاء ، وخطبته لنفسها العلياء .

وبعد ، فأحق من ماس في أندية الرئاسة عطفاً ، وأستجلى وجوه السعادة من حجب عزها فأبدت له جمالاً ولطفاً ، وأصطفته الدولة القاهرة لمهمات ما رآته خير كافل ، وتقل في مراتبها السنية تنقل النيرات في المنازل ^(١) .

ولما كان المجلس السامى القاضى ، الأجل ، الصدر ، الكبير ، الرئيس ، الأوحد ، الكامل ، المجتبى ، المرتضى ، الفاضل ، الرشيد ، جمال الدين ، نحر الأنام ، شرف الأكاير ، جمال الصدور ، قدوة الأمناء ، ذخر الدولة ، رضى الملوك والسلاطين ، الحسين ابن القاضى زكى الدين أبى القاسم - أدام الله رفعتة - ممن أشارت إليه المناقب الجليله ، وصارت له إلى كل سؤال نعم الوسيله - رسم بالأمر العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، العادلى ، البدرى ، - ضاعف الله علاءه ونفاذه - أن يقوض إليه نظر نعر الإسكندرية المحروس ونظر متاجره ، ونظر زكواته ونظر صادرة ؛ ونظر قوة والمزاحمتين ، فيقدم خيرة الله تعالى ويناشر هذا المنصب المبارك ، بعزماته الماضيه ، وهممه العاليه ؛ برأى لا يساهم فيه ولا يشارك ، ليصبح هذا الثغر بمباشرة باسمه حالياً ، وتعود بهجته له بجميل نظره ثانيا . وينتصب لتدبير أحواله على عادته ، ويقرر قواعده بعالى همته ؛ ويجهد في تحصيل أمواله وتحصيل ذخائره ، وأستخراج زكاته وتمية متاجره ؛ ومعامله التجار الواردين إليه بالعدل الذى كانوا ألقوه منه ، والرفق الذى نقلوا أخباره السارة عنه ؛ فإنهم هدأيا البحور ، ودوالبه

(١) لم يذكر خبر المبتدا ولعله سقط من قلم النسخ وأصله « من اشتهر بحسن الخلال ، ومحمد الخصال ،

وساس الأمور برأيه الراجح ، ودبرها بسعيه الناجح ، ولما « الخ أو نحو ذلك فتنبه .

الثَّغُور، ومن أَلَسَّتْهُمْ يُطَّلَعُ عَلَى مَا تُجِنُّهُ الصُّدُور، وإذا بَدَّرَ لَهُمْ حَبَّ الْإِحْسَانِ
نَشَرُوا لَهُ أَجْنَحَةَ مَرَائِكِهِمْ وَحَافُوا عَلَيْهِ كَالطُّيُور. وَلِيَعْتَمِدَ مَعَهُمْ مَا تَضَمَّنَتْهُ الْمَرَاسِيمُ
الْكَرِيمَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ الْحُكْمُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ، وَلَا يَسْلُكُ بِهِمْ حَالَةً تُوجِبُ لَهُمُ الْقَلَقَ وَالتَّظَلُّمَ
وَالْمَقْتَ، وَلِيُوَاصِلَ بِالْحُمُولِ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ، وَيُمَلَأُ الْخَزَائِنَ السُّلْطَانِيَّةَ
مِنْ مُسْتَعْمَلَاتِ الثَّغْرِ وَأَمْتَعَتِهِ وَأَصْنَافِهِ بِكُلِّ مَا يُسْتَغْنَى بِهِ عَنِ الْوَاصِلِ فِي الْبُرُورِ
وَالْبُحُورِ، وَلِيُصِرْفَ هِمَّتَهُ الْعَالِيَةَ إِلَى تَدْيِيرِ أَحْوَالِ الْمَتَاجِرِ بِهَذَا الثَّغْرِ بِحَيْثُ تَرْتَفِعُ
رُءُوسُ أُمُوَالِهَا وَتَتِمَّى، وَتَجُودُ سَحَابُ فَوَائِدِهَا وَتَهْمَى، وَلِيَرِاجَ أَحْوَالِ الْمُسْتَخْدَمِينَ
فِي مَبَاشَرَاتِهِمْ، وَيُكْشَفَ عَنْ بَاطِنِ سَيْرِهِمْ فِي جِهَاتِهِمْ، لِيَتَحَقَّقُوا أَنَّهُ مَهَيَّمٌ عَلَيْهِمْ،
وَنَاطِرٌ بَعِينَ الرَّأْفَةِ إِلَيْهِمْ، فَتُنْكَفَى يَدُ الْخَائِنِ مِنْهُمْ عَنِ الْخِيَانَةِ، وَتُحْلَى أُنَامِلُ الْأَمِينِ
بِحَاسَنِ الصِّيَانَةِ، وَلِيَتَفَقَّ فِيهَا يَأْتِيهِ وَيَذَرُهُ، وَيَقْدِمُهُ مِنَ الْمُهْمَّاتِ وَيُؤَخِّرُهُ، مَعَ الْمَجْلِسِ
السَّامِيِّ، الْأَمِيرِ، الْأَجَلِّ، الْكَبِيرِ، الْمَجَاهِدِ، الْمَقْدَمِ، الْأَوْحِدِ، النَّصِيرِ، شَمْسِ الدِّينِ،
مَتَوَلَّى الثَّغْرِ الْمَحْرُوسِ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - فَإِنَّهُ نِعَمُ الْمُعِينِ عَلَى تَدْيِيرِ الْمُهْمَّاتِ، وَنِعْمَتُ
الشَّمْسِ الْمَشْرِقَةِ فِي ظُلَمِ الْمَشْكَالَاتِ. وَلِيُطَالِعَ بِالْمُتَجَدِّدَاتِ فِي الثَّغْرِ الْمَحْرُوسِ، لِيَرِدَ
الْجَوَابُ عَلَيْهِ عَنْهَا بِمَا يَنْسَرِحُ الصَّدُورُ وَيُطَيَّبُ النُّفُوسُ، وَلِيَتَنَاوَلَ مِنَ الْجَامِكَةِ
وَالْجَرَايَةِ عَنْ ذَلِكَ فِي غَزَّةٍ كُلِّ شَهْرٍ مِنْ أَسْتِقْبَالِ مَبَاشَرَتِهِ مَا يَشْهَدُ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ
لِمَنْ تَقْدِمُهُ مِنَ النَّظَّارِ بِهَذِهِ الْجِهَاتِ، وَهِيَ نَظَرُ الثَّغْرِ وَمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ عَلَى مَا شَرَحَ
أَعْلَاهُ.

المرتبة الثانية

(أن تفتتح الولاية بلفظ « أما بعد حمد الله » أو « أما بعد فإن كذا »

ويؤتى بما يناسب من ذكر الولاية والمولى ، ثم يذكر ما سنع

من الوصايا ، ثم يقال « وسبيل كل واقف عليه »)

فمن المكتب لأرباب السيوف من هذه المرتبة ما كان يكتب لبعض الولاة .

وهذه نسخة بولاية الشرقية ، وهى :

أما بعد ، فإننا لما منحن الله إياه من معجزات النصر المستنطق الألسنة بالتسييح ،
وآتانا من نظر حى ناضر عيش الأئمة من التصويح ، وألبسناه من ثياب العظمة
المخصوصة بأحسن التوشيع والتوشيح ، ووقفنا له من أصطفاء من نُقيل عليه بوجه
التأهيل للمهمات والترشيح ، ووقاه من عزائنا التى تُرج بها أرض الكفر وتدوخ ،
ووسعه لنا من الفتوح التى أنباؤها خير ما تُصدر به السير وتؤرخ - لا نزال نبالغ فيما
صان الحوزة وحاطها ، ومدد رواق الأمانة ومهد بساطها ، وقرب نوازيح المصالح
وجمع أشتاتها ، وأوجب أنصرام حبال اختلال الأمور واقتضى أنبتاتها .

ولما كانت الأعمال الشرقية جديرة بمتابعة الاعتناء وموالاته ، وإعراق كرم التعهد
فما يحفظ نظامها بمغالاته ، وأحقها بأن تُصرف إلى صونها وجوه الهمم الطوامح ،
ويوقف عليها حسن الاحتفال الجامع دواعى تذليل الجاه ، إذ كانت أجدر الأعمال
بكلاءة الفروع من أوضاعها والأصول ، والباب الذى لا يجب أن يدخله إلا من
أذن له فى القدوم إليها والوصول ، ويتعين التحرز على الطرقات التى منها إليها
الإفضاء ، ويوكل بما دونها من المياه عيون حفظة لا يلزمها النوم والإغضاء ،

— وكنت أيها الأمير أشدَّ الأُمراء باسا، وأوفاهم لحسن الذكر الجميل لباسا، وأكثرهم لمُهَج الأعداء اختلاسا، وأجمعهم للحاسن المختلفة ضُروبا وأجناسا، وقد تناصرت على قُصودك الحسنة وإِصْحَاتُ الدلائل، وتخلَّت أجيادُ خِلالك من جواهر المفآخر بقلائد غير قلائل، وأستطار لك أبجلُ شُمع، وفطمتُ سيوفك أبناء الكُفر عن ارتضاعها من المِلَّة الإسلامية ثدى طمعه، ولا استبهمت طُرُق السياسة إلا هُديت إلى مجاهلها، ولا حَلَّ التَقصير سِوَاك عن شَرائع النِّعم إلا غَدوت بِكفآيتك وارِدَ مناهلها، وكَم شَهِدَت مَقَام جَلاد، ومَوْقِف جِهاد، فَرَقَّت ثوبَ مارِقه نَسْجا، وأدلت في ليل قَسْطله عَوادى صَواريك شَرِجا، وقُتت فيا وكل إليك من أمور الفاقوسية وقلعتى صَدْرٍ وأيلة حرسهما الله تعالى قيامًا أحظاك بالثناء والثواب، وأستنبت في كلِّ منها من أجرى أُمورها على الصواب — خرج أُمُر المَلِك الناصر بِكُتُب هذا السجِّل بتقليدك ولاية الأعمال الشرقية المقَدَّم ذكُرها .

فاعتمد مباشرةً عاملاً بتقوى الله التى مَغْنَمُها خيرُ ما آقْتاده مستشعروها لأنفسهم وأستاقوه . قال الله تعالى : ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاكُوهُ ﴾ وأبسط العدل على أهل هذه الولاية ، وأخصَّص أهل السَّلامة بما يُسبِّل عليهم سِرَّ الحياطة والحمايه ، وتطلَّب المفسدين أتمَّ تطلَّب ، وأحظُر عليهم التَّنَقُّل في هذه البلاد والتقلُّب ، ومن ظَفِرت به منهم فقابله بما يُوجِبُه حكم جَريرته ، وبقتضيه مَوْقِع جريمته ، ويجعله مُزْدَجرا لسالكى طريقته . وشُدَّ من المستخلف على الحكم العزيز شدا ينصُر جانب الشرع ويعزِّه ، ويكُتُر به على الباطل ترويع الحق وأزه ، وأعين المستخْدَمين فى المال على استيفائه من وجوهه عند وجوبه ، وبلغ كَلَّا منهم من الإعانة على تحصيله أقصى مطلوبه ، وقوأيديهم فى تخضير البلاد وتعميرها ،

وَأَبْعَثِ الْمُزَارِعِينَ عَلَى مِبَاشَرَةِ أَحْوَالِ الزَّرَاعَةِ وَتَقْرِيرِ أُمُورِهَا ، وَفِيَا يُسْتَرْعَوْنَهُ مِنْ مَصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَيُعُودُ عَلَيْهِمْ فِي مَوْجِبَاتِ الرِّجَاءِ بِمَنَاجِحِ الْأَمَالِ . وَرَاعِ أَمْرَ السَّبِيلِ وَالطَّرِيقَاتِ ، وَاجْعَلِ احْتِرَاسَكَ عَلَيْهَا الْآنَ مُوفِيَا عَلَى الْمُتَقَدِّمِ مِنْ سَالِفِ الْأَوْقَاتِ ؛ وَلَا تَنْ فِي إِنْفَازِ الْمُتَخَبِّرِينَ إِلَى بِلَادِ الْعُدُوِّ ، وَتَحْدِيثِهِمْ فِي الرُّوَاكِ وَالْفُدُودِ ، بِمَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْمُدُودِ ، وَكَشْفِ أَخْبَارِهِمْ ، وَتَتَبِعْ آثَارَهُمْ ، وَتَسِيرِ الْجَوَاسِيسِ إِلَى دِيَارِهِمْ ؛ حَتَّى لَا تَخْفَى عَنْكَ مِنْ شُؤْنِهِمْ خَافِيَةٌ ، وَلَا يَجِدُوا سَبِيلَ غِرَّةٍ يَهْتَبِلُونَهَا . وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - بِالْجُمْلَةِ الْكَافِيَةِ . وَطَالِعْ بِمَا يَتَجَدَّدُ لَكَ وَمَا يَرِدُ مِنَ الْأَنْبَاءِ عَلَيْكَ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَى عِلْمِهِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَمَا تَجْرَى عَلَيْهِ أَحْكَامُ خِدْمَتِكَ ، فَاعْلَمْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة بولاية الغربية من هذه المرتبة ، وهى :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّا لِمَا آتَانَا اللَّهُ مِنْ سَعَادَةٍ لَطَرَقَ الْإِرَادَاتِ فِيهَا تَعْيِيدُ ، وَأُسْبَغَهُ بِنَا مِنْ نِعَمٍ لَا يَعِدُّهَا التَّحْدِيدُ ، وَلَا يَحُدُّهَا التَّعْدِيدُ ؛ وَأُبَهِّجُنَا بِهِ مِنْ أَكْتِنَافِ الْمَطَالِبِ بِنِجَاجِ لَا يُعَقِّبُهُ تَعْسِيرٌ وَلَا يَعْسِرُهُ تَعْقِيدُ ؛ وَأَمْضَاهُ مِنْ عِزَائِنَا الَّتِي مَا فَتَكَتْ قَطُّ بِالْأَعْدَاءِ فَقَيْدَ مِنْهُمْ فَقِيدُ ؛ وَلَقَّاهُ الْأَمْنَةُ بِنَظَرِنَا مِنْ نَضْرَةِ عَيْشِ جَانِبِ الْحَقَافِ دَوَّحِهِ الْمُخْضَلِّ ، وَأَهْدَاهُ بِتَبْصِيرِنَا مِنْ أَنْوَارِ الْهَدَى الْمُتَقَدِّمَةِ كُلِّ ذِي جَهْلٍ ظَلٍّ مِنْ ضَلٍّ - لَا تَزَالُ نَسْتَوْخِجُ أُمُورَ أَمْرَاءِ دَوْلَتِنَا مُتَصَفِّحِينَ ، وَنَبْلُو أَخْبَارَ الْمُؤَهَّلِينَ مِنْهُمْ لِسِيَاسَةِ الرِّعْيَةِ الْمُرْتَجَّحِينَ ، وَنَكْشِفُ شُؤْنَهُمْ غَيْرَ مُتَجَوِّزِينَ وَلَا مُتَسَمِّحِينَ ؛ وَنُظْهِرُ فِي أَحْوَالِهِمْ آثَارَ الْإِثَارِ لِرَفْعِ دَرَجَاتِهِمْ ، وَأَمَارَاتِ الرِّفْعِ مِنْهُمْ مُقَابِلَةً عَلَى حَيَاطَةِ أَمْوَالٍ مَنْ نَكُونُ عَلَيْهِ وَصُونَ مِنْحَاتِهِمْ ، وَنَبْؤُهُمْ مُبَوَّأَ صَدَقٍ مِنْ تَصْدِيقِ أَمَالِهِمْ وَتَحْقِيقِهَا ؛ وَنُزِفُ إِلَيْهِمْ

عقائل المَنَحِ المَانِعِ شُكْرَهُمْ مِنْ تَسْيِبِ سَيِّئِهَا وَتَطَرُّقِ تَطْلِيْقِهَا ؛ وَنَحْلَ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَا يُؤَمِّلُهُ مِنْ أَجْتِهَادِهِ وَيُؤَثِّرُهُ ؛ وَلَا نُلْغِي الْأَهْتَامَ بِمَا يُوْطِئُ لَهُمْ مِهَادَ الطُّولِ الْجَزِيلِ وَيُؤَثِّرُهُ ؛ عَمَلًا بِآدَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي إِجْزَالِ حُطُوظِ الْحَسَنِينَ مِنْ إِحْسَانِ الْمَجَازَاهِ ، وَإِيْلَاهُمْ الْمَزِيدِ الْحَاكِمِ بِنَقْصِ أَعْتِدَادِهِمْ عَنِ الْمُوَازَنَةِ لَهُ وَالْمُوَازَاهِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَقَوْلُهُ هَدَى وَنَوَّرَ وَشَفَّاءُ لِمَا فِي الصَّدُورِ : ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

وَمَا كَانَ الْأَمِيرُ (وَالنُّعُوتُ وَالِدَعَاءُ) مِنْ أَنْجَحِهِمْ فَلَا ، وَأَرْجَحِهِمْ مَصَالَا ، وَأَصْلَحِهِمْ أَعْمَالَا ، وَأَوْضَحِهِمْ كَلَالَا ؛ وَمَا زَالَتْ أَغْصَانُ نَهْأِهِ مُتَتَابِعَةً فِي بُسُوقِهَا ، وَضُرَائِبُهُ نَافِقَةٌ أَعْلَاقُ الْحَامِدِ يُسَوِّقُهَا ؛ وَعِزَائِمُهُ فِي إِذْلَالِ الْفِرَقِ الْمُبَالِغَةِ فِي فُسُوقِهَا ، مَشْمَرَةٌ عَنْ سُوقِهَا ؛ وَمَا بَرَحَ فِي شَوَاطِ الْفَخْرِ رَاكِضًا ، وَلَعُقُودِ مَكْرُوهِ الْأُمُورِ الَّتِي تُزِيغُ الْأَمَانَةَ رَافِضًا ، وَبَأْعَاءِ الْقِيَامِ بِفَرَائِضِ الْآلَاءِ نَاهِضًا ؛ وَمَا أَنْفَكْتَ مَنَاقِبُهُ تُعَيِّ بَيَانَ الْوَاصِفِ وَبَنَانِ الْعَادِّ ، وَمَسَاعِيهِ مُدْرِكَةٌ وَهِيَ وَادِعَةٌ مَا يَعِجْزُ عَنْ أَقْلِهِ جِدُّ الْجَادِّ ؛ وَرَأْيُهُ [يَرْتَقِ] كُلَّ مُتَفَقِّقٍ وَمُنْبَثِقٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَهْمَةِ بِسَدَادِ الرَّاتِقِ السَّادِّ ، وَجَمِيلُ ذِكْرِهِ يَفُوحُ بِمَا يَفُوقُ الْمِسْكَ فَيُثَوِّبُ إِلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ بِالنَّائِي النَّادِّ ؛ وَمَا قَتَّى دَابَّ شَيْمَتِهِ الْإِعْرَاضِ ، عَنْ الْمَوْبِقِ مِنَ الْأَعْرَاضِ ؛ وَاخْتِيَارِ الرَّفْقِ ، وَالْإِعْرَاقِ فِيمَا يُدِيمُهُ إِلَى فَكِّ أَعْنَاقِ أُسْرَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ سَرَى الْعَتَقِ - نَخْرَجُ أَمْرَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ بِكُتُبِ هَذَا السِّجْلِ لَهُ بِتَقْلِيدِهِ وَلَايَةِ الْأَعْمَالِ الْغَرِبِيَّةِ .

فَلْيَتَقَلَّدْ مَا قُلَّدَهُ مَعْتَمِدًا عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي صَرَفَ عَنْ مَعْتَمِدِهَا شَرِبَ التَّكْدِيرِ ، وَمَنْحَهُ مِنَ الْمَكَارِمِ عِنْدَهُ مَا يُؤَيِّفُ عَلَى التَّقْدِيرِ ؛ وَلْيَجْرِ عَلَى عَادَتِهِ فِي بَسْطِ ظِلِّ الْمَعْدِلَةِ وَمَدِّ رُوَاقِهَا ، وَصُونَ مَسَاحِي الرِّعَايَا عَنْ إِمْلَاقِهَا مِنْهَا وَإِخْفَاقِهَا ؛ وَالْمَسَاوَاةَ بَيْنَ

الأقوى والأضعف، والأدنى والأشرف؛ والبادي والحضر، والمناوين والأنصار؛ والخاص والعام، والأجنبي وربّ الحرمة والدمام: لينام المستورون على مهاد الأمن، ويسلم جانب سلامة أموالهم وأرواحهم من الوهن. وليعامل المستخلف على الحكم العزيز بما يستوجبه مثله من نصرة الأحكام «وكل إليه أمر الأمراء لمن آثرها والإحكام» والإكرام الشامل لقدره، والأهتمام الشارح لصدّره. وليتوخّ المستخدمين في الأموال بما يكون لعلّهم مُزِيحًا، ليصل إليهم ما يرومونه نجيحًا. وليُزَم من جرّت عادته بلزوم الحدود واجتناب تعديها، والتوفّر على حفظ مسالكها والمترددين فيها، وليطالع بما يتجدّد قبله من الأحوال الطارئة، وما لم تزل الرسوم بإنهاء مثيلها جاريه؛ إن شاء الله تعالى.

المرتبة الثالثة

(أن تفتّح الولاية بلفظ «رسم» ثم يذكر أمر الولاية والمولى ويوضح، ثم يقال «وسبيل كل واقف عليه»)

فن المكتتب لأرباب السيوف من هذه المرتبة نسخة مرسوم بشدّ ناحية، وهي: رسم - أعلى الله المراسيم وأدام نفاذها - بالإينعام على الأمير فلان بما يُفيض عليه ملابس الأصطفاء ويُضيفها، ويُسمى لقدمه في الثبات مدارج الارتقاء ويُسنيها؛ ويُعرب عن اختصاصه بالمرتبة التي يُفضّل بها على مُباريه، وأستخلصه للمرتبة التي يفوت بها شأؤُ مجاريه؛ ويؤهّله لثغر حريم المحروس وشده، وتوليّه أمورَه بكفايته ونهضته وحزّامته وجده؛ وقد أمرنا بتسليم قلعة حريم وأعمالها وسائر ما يختص بها ويُضاف إليها من ضياعها ومواضعها إليه، والتعويل في ولايتها وتعميرها وتثريها

(١) كذا في غير نسخة ولا معنى له وقد تقدّم لهذا المقام أمثال ونظائر يفهم منها المقصود.

عليه ؛ بموجب ما يُفَصِّل من الديوان على ما كان جارياً فى الإقطاع المحروس للحال ،
وسبيل أهل الديوان - أيدهم الله - العمل بالأمر العالى وبمقتضاه ، والاعتماد على
التوقيع الأشرف به ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة مرسوم بشد وقف ، وهى :

رُسِم - أعلى الله المراسيم وأدام نفاذها - بالتحويل على الأمير فلان فى تولىة
الوقوف بالجامع المعمور بجلب المحروسة ، والبيمارستان ، والمساجد ، والمشاهد
بالأماكن والمواقع ، وظاهرها وباطنها وأعمالها ، وتفويضها إليه ، والاعتماد
فى جميعها عليه ، سكونا إلى نهضته وكفايته ، ووئوقا بخبرته ومعرفته وعلمها بنزاهته ،
وسداده وأمانته ؛ وذلك لاستقبال سنة سبع وثمانين وخمسة .

فليتول ذلك بكفاية كافيه ، ونهضة وافيه ، وهمة لأدواء الأحوال شافيه ؛ ونظر
تام ، لشمل المصالح ضام ، وتدير جميل فى كل خاص من أسباب عمله وعام ؛
وتقوى لله عز وجل تقوى بها يده ، ويضح بالاستقامة على سننها جدده ؛ ناظرا
فى الوقوف ومصاريفها ، وتتبع شروط واقفها ؛ بكل ما يعود بتعمير أعمالها ، وتثير
أموالها ، وتدير أحوالها ؛ مطالباً بحساب من تقدمه وتحقيق مبالغه تكليلاً وإضافة ،
واحتساباً وسياقه ؛ وليطلب شواهد ، وليبين على الصحة قواعده ، وليتمس ما يصح
من بواقه من جهاتها ، وليكشف بما يوضحه من سبل الأمانة وجوه شبهاتها ؛ وقد أذن
له فى استخدام من يراه من النواب والمتصرفين والمشارفين ، والوكلاء والمستخدمين ؛
على ما جرت به العادة ، من غير زياده . وسيل النواب - أيدهم الله - العمل بالأمر
العالى وبمقتضاه ؛ والاعتماد على العلامة الشريفة ، إن شاء الله تعالى .

المرتبة الرابعة

(أن يفتح بلفظ : «إن أحق» أو «إن أولى» أو «من كانت صفته كذا» وما أشبه ذلك)

فمن ذلك نسخة منشور بتقابة الأشراف ، وهى :

مَنْ كَانَتْ أَوْصَافُهُ شَائِعَةً بَيْنَ الْأَنْامِ ، وَصُحُفُ فَضَائِلِهِ مَشْهُورَةٌ لَدَى الْخَاصِّ وَالْعَامِ ، مَعَ شَرَفٍ نَسَبٍ شَايِخِ الْأَعْلَامِ ، وَتَقَى فَيْخَ رَبِّهِ عَلَى الْأَنْامِ ، وَعِلْمٌ يُجَلِّى بِهِ صَدَأُ الْأَفْهَامِ ، وَعِفَّةٌ مَرَاتُهَا مُحْكَمَةُ الْإِبْرَامِ - كَانَ جَدِيرًا بِإِفَاضَةِ سَبَالِ النَّعْمِ عَلَيْهِ ، وَقَيْنَا بِإِرْسَالِ سَيْلِ الْمَوَاهِبِ إِلَيْهِ .

ولما كان الشيخ فلان متصفًا بهذه الصفات الجميلة ، ومتخصِّصًا بمزاياها الجليلة ؛ وضاربًا فيها بالسَّهمِ المُعَلَّى ، ونازلًا منها فى الشَّرَفِ الأَعْلَى ، ومتقمِّصًا ثوبَ الإخلاص والصِّفاء ، ومتَّشِّحًا بوشاحِ العِفَّةِ والوَلَاءِ - أختصصناه بزيادةِ التَّقديمِ والإِجْتِبَاءِ ، وَحَبَوْنَاهُ بِوُفُورِ الْكَرَامَةِ وَالْإِصْطِفَاءِ ؛ وَأَجْرَيْنَاهُ عَلَى مَسْتَمَرِّ رَسْمِهِ بِالرَّعَايَةِ عَلَى ذُرِّيَّةِ أَهْلِ الْعِبَادَةِ ، حَسَبَ عَادَتِهِ الْمُسْتَقَرَّةِ إِلَى آخِرِ عَهْدٍ مَنْ كَانَتْ الْإِيَالَةُ إِلَيْهِ وَإِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ مُضَى : لَيْسَ فِيهِمْ بَكِتَابُ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ، وَيَسْلُكُ جَدَدَ الْحَقِّ الَّذِى يُوصِّلُهُ مِنَ الزُّلْفَى إِلَى أَقْصَى مُنَاهِ وَسُؤْلِهِ ؛ وَيُحْضِرُهُمْ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَمَعْرِفَةِ مَا يَصْلُحُ لِلْأَدْيَانِ . وَلَيْسَ وَفَى الْحُكْمِ بَيْنَ الضَّعِيفِ فِيهِمْ وَالْقَوِىِّ ، وَيَعْمُّ بِالْإِنْصَافِ الْفَقِيرَ وَالْفَنَى . وَلِيُحْسِنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، وَلِيَجْرِ عَلَى فَضْلِهِ لِمُسِيئِهِمْ ؛ بَعْدَ أَنْ يَقْدَمَ إِلَيْهِ زَجْرًا وَوَعِيدًا ، وَيُوسِعَهُ إِنْ ذَارَا وَتَهْدِيدًا ؛ فَإِنْ وَعَى وَأَرْعَى وَإِلَّا سَلَّطَ عَلَيْهِ أَسْبَابَ الْأَذَى ، وَتَوَلَّاهُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْجَزَا ؛ وَيَعِيدُهُ إِلَى حَالَةِ الْإِسْقَامَةِ وَالْأَسْتَوَا ، وَيَكْفُهُ عَنْ دَوَاعِى الْهَوَى . وَمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ حَدُّ أَقَامِهِ فِيهِ ، وَبَادَرَ إِلَى اعْتِمَادِهِ وَتَوَخَّيْهِ ، حَسَبَ مَا يَوْجِبُهُ حُكْمُ الشَّرْعِ وَيَقْتَضِيهِ .

وليكن رُؤوفاً بهم ما استقاموا، ومتقياً منهم ما أعوجوا ومالوا؛ وإن وجب على أحدهم حقٌ لملىّ أو دنيّ، استخلصه منه ولم يمنعه تعلقه بنسبٍ شريفٍ علىّ؛ وإن أفتى منهم مفترٍ على أحد من الملل، قابله عليه بما يزجره عن قبيح العمل: فإنّ الناس في دار الإسلام ومن هو تحت الدّمام سواسية وأقربهم إلى الله تعالى من كانت سيرته في الإسلام رضيّه، وطويته في الإيمان خالصة نقيّة؛ ومن حكم عليه حاكمٌ من الحكماء، بحقّ ثبت عنده بالبيّنة العادلة أو الإعلام، أنترعه منه أو سجنه عليه، إلى أن يرضى خصمه أو يردّ أمره إلى الحاكم ويفوّضه إليه .

وليحرس أنسابهم بإثبات أصولها، وتحقيق فروعها؛ ومن رام دخولاً فيه بدعوى يُبطل فيها نقب عن كشف حاله، وإظهار محاله؛ وجازاه بما يستحقّه أمثاله، ويرتدّع فيما بعد مثاله: ليخلص هذا النسب الكريم، من دعوى المجهول، وأندماجه في أسرة الرسول؛ عليه أفضل الصلاة والتسليم . ويمنع من اتصال أيم من الأسرة إلى عامي، ولا يفسّح أن يُعقد عليها عقد إلا لكفء ملىّ: ليبرأ هذا المجد الشريف من التكدير، ولا تُزيّفه شوائب التغير .

ولينظر في الوقوف على المشاهد والدّريّه، نظراً يحمده عليه من يعلمه من البرية، ويحظيه بالثواب عند مالك المشيّه . ويتبدى بعمارة أصولها وأستكمال فروعها، وقسمة مغلّها على ما تضمنه شرط الواقفين لها . وليحتط على النذور، وينفقها على عاداتها في المصالح والجمهور؛ عالماً أنّ الله تعالى سائله عمّا توحّاه في جميع الأمور، وأنه لا يخفى عليه كلّ خفيّ مستور . قال الله سبحانه: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ .

وأذنّا له أن يستنّب عنه في حال حياته ، وبعد وفاته - فسّح الله له في المهل ،
 وخوّله صالح العمل - الأرشد من بينه ، ومن يختاره لهذا الأمر وله يرتضيه . وقد
 أنعمنا عليه بإجراء ما كان باسمه مستمرا إلى الآن ، وأضفنا إليه ما يعينه على النظر
 في مصالح الأسرة أدام الله له علو الشأن ؛ من تملك وإدرا و تيسير ، وجعلناه له
 مستمرا ، وعليه مستقرا ؛ ولن بعده من نسله والأعقاب ، على توالي الأزمان
 والأحقاب ؛ وحظرنا تغييره وفسخه ، وتبديله ونسخه : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ
 فَأْتَمَّا إِمْنَهُ عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ وهو معين من ديوان الاستيفاء
 المعمور ، بهذا المنشور المستطور ، بالأمر العالى أعلاه الله وأمضاه ، عما كان قديما ،
 وما أنعم عليه به آخرا ، وهو القديم الذى كان له وشهد به الديوان المعمور ، وهو
 الإقطاع من ناحية كذا ، ويجرى على عادته فى إطلاق ما قرّر له من ناحية كذا
 بشهادة الديوان الفلانى ، والمجدد الذى أنعم به عليه لأستقبال سنة سبع وسبعين
 وما بعدها . وسبيل كافة الأسرة الطالبيين بمدينة كذا الانقياد إلى تبعته ، والامتثال
 لإشارته ، والتوفر على إجلاله وكرامته ؛ فإنه زعيمهم ، ومقدمهم ورئيسهم ؛ ومن
 خالفه منهم قابلناه ، وبأليم العقاب جازيناه ، والاعتماد فى ذلك أجمع على التوقيع
 الأشرف العالى أعلاه الله ، والعلائم الديوانية فيه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية الشرقية ، وهى :

لما كانت الأعمال الشرقية أجدر البلاد بأكيد الاهتمام وأخلق ، وأولاها بإضفاء
 سربال الاهتبال الذى لا يخلق إذا رث سواه وأخلق ، وأقمنها بحسن نظير يرسل
 لرسول على الرسم الأعنة فى إدامة نضرة العارة عليها ويطلق ، وأحقها بأن يبرم لها

سَبَبُ تَفْقُدٍ لَا يَلْتَصِقُ بِهِ رَهْنٌ وَلَا يَغْلُقُ ؛ وَأَحْرَاهَا بَاعْتِنَاءُ يَقْضَى لِأَمْرِهَا بِالْإِطْرَادِ ،
وَأَوَّلَاهَا بِتَعَهُّدٍ يَحْمِلُ مَصَالِحَ الشُّؤْنِ آفَةً لِلثَّوَاءِ بِهَا وَالْمُقَامِ عَائِفَةً لِلنَّشُوزِ عَنْهَا
وَالشَّرَادِ ؛ لِأَنَّهَا بَابُ الشَّامِ ، وَإِلَيْهَا تَرْدُ الْقَوَائِلُ الْمُرْتَدَّةُ مِنْهُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ ؛ وَمِنْهَا
يَسْتَكْشِفُ الْأَخْبَارَ وَيَسْتَنْهَضُ الطَّوَالِعَ وَالْمُتَخَبِّرِينَ ، وَبِمَوَاصِلَةِ التَّفَقُّدِ تَعْلَمُ الْأَحْوَالُ
الطَّارِئَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينَ ؛ فَتَجِبُ الْمُبَالَغَةُ فِي حِفْظِ طُرُقَاتِهَا وَمِيَاهِهَا ، وَأَنْ تَصْرِفَ
الْهِمَمُ إِلَى ضَبْطِ أَحْوَالِهَا ، وَعَامَةِ أَنْقَابِهَا وَأَتَّجَاهِهَا ، وَيُوضَعُ بِنَاءُ الْحَزْمِ فِي صَوْنِ
أَطْرَافِهَا عَلَى أَثْبَتِ قَاعِدَةٍ وَيُؤَسَّسُ ، وَيَسَالَعُ فِي إِذْكَاءِ الْعِيُونِ عَلَى كُلِّ طَارِقٍ يَتَخَبَّرُ
لِلْعَدُوِّ الْمَلْعُونِ وَيَتَجَسَّسُ ؛ وَكَنتِ أَيْهَا الْأَمِيرِ مِنَ الْمَشْهُورِينَ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ ،
وَدَوَى الْكَفَايَةِ الْمُوفَى ثَرَاؤُهُمْ فِيهَا [عَلَى] عَارِضِ الْإِعْدَامِ ، وَمَا زِلْتَ مَعْدُودًا مِنْ خَاصِ
الْأَتْرَاكِ الْأَعْيَانِ لِسَمِّهِ (؟) ، الْمَقْصَرُ مَجَارَوْهُمْ إِلَى غَايَةِ الْبَسَالَةِ عَنْ التَّلَاقِ بِهِمْ وَالْإِدْرَاكِ
وَقَدْ تَقَدَّمَتْ وَلَايَتُكَ هَذِهِ الْأَعْمَالُ فَقَصَدْتَ مِنْهَا قَصْدًا سَدِيدًا ، وَأَلْحَقْتَ الرِّعَايَا
ظِلًّا مِنَ الْأَمْنَةِ مَدِيدًا - نَحْرَجُ الْأَمْرَ بِإِيدَاعِ هَذَا الْمَنْشُورِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ إِعَادَتِكَ
إِلَى وَلَايَتِهَا ، فَبَالِغَ فِي أَسْتِضَاحِ الْأَنْبَاءِ وَكَشْفِهَا ، وَرَفْعِ الْوَيْتَةِ فِي ذَلِكَ وَصَرَفِهَا ؛
وَوَكَّلَ بِهِ عَزْمَةً لَا تُلْمُ سَنَةً بِطَرَفِهَا ، وَأَنْتَ فِيهِ إِلَى غَايَةِ تَضَيُّقِ سَعَةِ الْقَوْلِ بَوْصَفِهَا ؛
وَتَابِعَ فِي تَسْيِيرِ الطَّلَائِعِ وَنَذِيرِهَا ، وَعَوَّلَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنَ الْعُرَبَانِ الْمُسْتَنْهَضِينَ عَلَى
شَهْمِهَا وَنَذِيرِهَا ؛ وَاجْتَهَدَ فِي حِفْظِ الطَّرُقَاتِ وَالْمَسَافِلِ ، وَاسْتَنْهَضَ لِلتَّحَرُّزِ عَلَيْهَا
مَنْ هُوَ عَالِمٌ بِهَا غَيْرُ جَاهِلٍ ؛ وَتَحَقَّقَ مِنْ جَلَلٍ يَتَطَرَّقُ - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ - عَلَى الْبِلَادِ
وَحَلَّلَ يَتَخَلَّلُهَا ، وَأَنْتَضَ لِهَذِهِ الْمَهْمَاتِ بَصَارِمٌ حَدَّ تَسْلَمَ مَضَارِبُهُ مِنْ عَجْزٍ يَفْلُلُهَا ؛
وَلَا تُبْقِ مَمَكًا فِي إِنْفَاقِ الْمُتَخَبِّرِينَ ، وَإِرْسَالِ مَنْ يُغَيِّرُ عَلَى بِلَادِ الْعَدُوِّ مِنَ الْخَبِيرِينَ ،
بِمَا [أَنْ] هَذِهِ سَبِيلُ التَّدْرِيبِ ، وَأُلْزِمَ أَرْبَابَ الْحُدُودِ مِنْ جَمِيعِ الْأَفْطَارِ حِرَاسَةَ
حُدُودِهِمْ ، وَخُذَهُمْ بِاسْتِنْفَادِ وَسْمِهِمْ فِي الْأَحْتِيَاظِ وَاسْتِفْرَاقِ مَجْهُودِهِمْ ؛ وَطَالِعَ

بما يُورَد قبلك ، وأنه ما يُزيح بُسرعة إجابتك عنه في الخدمة علك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية المُرَاحية ، وهى :

خرج الأمر بكتب هذا المنشور وتضمينه : إن من أظهر خلاصة جوهرة السبب ، وأرتفع في إشكائه بالإنصاف عن كل شاك الشك ، وحصل عنده [من] الخلال الزكية نظم لا يحل وعقد لا ينك ، وأوفى على التقدير والظن في التدبير المفرج به عن الرعية الضنك - أستوجب أن تُسند إليه حمايتهم ، وتجعل إليه كلائهم .

ولما كنت أيها الأمير من أحمَد عند تحز عزمه ، وتجريب نصل خزمه ؛ وأعتبر فصل مقالته ، وأختار أصل أصالته ؛ وشكر استراره على الاتصاف بمحض الولاء ، واستدراؤه أخلاف غرر الآلاء ، واستثماره أصناف جنى الشاء ، واستقراره أكاف وهبى الاعتناء ؛ ولم تزل في رفعتك وجيها ، وما برح جميل الرأى يديم بعثا لتحف الإحسان نحوك وتوجيها ؛ وما أنفكت مجاهدتك مجاهدة في مهام إقدام تنويعا ، وشجاعتك مائة على الكفار كل كفاح يلقون منه كلاً ثقيلًا ويوماً كريهاً - أودع هذا المنشور ما رسم من استخدامك في ولاية الأعمال المُرَاحية .

فباشرها معتمدا على تقوى الله سبحانه التى تقوى بها أسباب توفيقك وتناله ، وتسلم أمور مباشرتك من خلل يكدر استبشارك وينكد . وأعتمد العدل على من تشتمل عليه هذه الولاية وتحويه ، وبالغ فيما يزيل عنهم الحيف ويؤويه ؛ وأقصد ما يقضى لسرهم بالتأمين ، ويبلغهم من تحصين أوطانهم غاية التأميل . وأجعل أيدى المفسدين مكفوفة عن كافتهم ، ووجوه المعتدين مصروفة عن إخافتهم ؛

وتطلب الأشرار ، وتبتع الدعار ، ومن ظفرت به منهم فلا تكن عن التنكيل به ناكلا ، ولا تقصر فى الحوطة عليه والمطالعة به عاجلا . وعامل النائب فى الحكم العزيز بإنهاضه ، وصون مديد باعه فى تنفيذ الأحكام عن أنقباضه ؛ وأعضده فى إنفاذ قضايه ، واختصاصه بإكرام يقبل عليه مطلق محياه . وشد من الضامن فى استيداء حقوق الديوان واستئطافها على أحسن حال من غير خروج عن الضرائب المستقره ، وعوائد العدل المستمره . وتحرز أن يكون لمناهضة العدو طروق إلى ناحيتك أو آتيا ، وشمر لتتخفظ من مكائدهم تسميرا يزول عن حقيقته عارض الأرتياح ؛ ولا تبق شيئا يمكن لأهل ولايتك قواعد الأمانة منهم ، وتبتل لوقايتهم أذاهم تبتل من لا ينام عنهم . وطالع بما يحتاج إلى علمه من جهتك إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية السمنودية ، وهى :

إن أولى من ولي الأعمال ، وتعلقت بكفائته الآمال ، وعُدقت به المهمات ، وأسندت إليه الولايات ، من نطقت بمعدلاته الألسنه ، وانتفت عن عين خبرته السنه ؛ وكان حسن السياسة لرعيته ، كثير العارة مدة توليته ؛ شهما فى استخراج الحقوق من جهاتها ، صارما فى ردع المجرمين عن زلات النفس وهفواتها ؛ حسنة سيرته ، خالصة مناصحته وسريته .

ولما كنت أيها الأمير فلان - أدام الله تأييدك وتسديدك ، وحراستك وتمهيدك - أنت المتوشح بهذه الصفات الحسان ، المتصف بما تقدم من الشرح والبيان ؛ الذى نطقت شمالك بشهامتك ، وشهدت محالك بنبأتهك - خرج الأمر الفلانى بأن نتولى مدينة سمنود وضواحيها ، وما هو معروف بها ومنسوب إليها ؛ بشرط بسط

العدل ونشره، وإعباق عِرف الحق ونشره؛ وأن تُخفف الوطأة عنهم وتفعل ما هو أولى، وتعلم أنك تُسأل من الله تعالى في الأخرى ومِنَّا في الأولى؛ وأن تصون الرعايا وتجتلب لنا أدعيتهم، وتعاملهم بما يُطيب نفوسهم ويبلغهم بُغيتهم؛ حتى يتساوى في الحق ضعيفهم وقويهم، ورشيدهم وغويهم، ومليهم ودنيهم؛ وأن لا تقيم الحدود على مَنْ وجبت عليه إلا بمقتضى الشرع الشريف، والعدل المنيف؛ وأن تُشد من ثواب الحكم العزيز، وتفعل في ذلك فعل المهدب ذى التميز؛ وأن تحسّر عن ساعد الاجتهاد فى الجمع بين استخراج جميع الحقوق الديوانية والعِمارة، وتجعل تقوى الله هى البطانة لك والظّهاره؛ وأن تبدل النهضة فى استِخراج الأموال، وتحصيل الغلال على التمام والكمال؛ بحيث لا يتأثر منها الدرهم الفرد ولا القَدَح الواحد، وتفعل فى ذلك فعل المُشفق المشمر الجاهد؛ وأن تُديم مباشرتك للأقصاب فى حال برشها وزراعتها وتربيتها وحملها، واعتصارها وطبخها، وتزكية أثمارها؛ بحيث لا تكل الأمر فى شيء من ذلك إلى غير ذى ذِمّة بمفرده، ولا إلى من ليس بذى خبرة لا يعلم مُشقى التصرف من مُسعده. وقد جعلنا لك النظر على جميع النّواحي الجارية فى ديواننا بالوجه البحرى خاصة لتنظر فى أمرها، وتزجر أهل الخنايات بها؛ وتفعل فيها كل ما يحدّ به الأثر، ويطيب بسَماعه الخبر.

فقلّد ما قلّدت، وقم حق القيام بما إليه نُدبت؛ وأعمل فيه بتقوى الله فى سرك وجهرك، وقدم الخوف من الله على جميع ما تأتیه أو تذرّه من أمرك؛ وتسلمه شاكرًا لما أسديناه إليك، متمسكًا بما أوجبناه عليك؛ فإن الشكر يُوجب مزيدك، ويكثر عديدك.



وهذه نسخة بولاية النستراوية، وهى :

من عادتنا فى التدبير وشيئتنا، وسُنَّتِنَا فى السياسة وسيرتِنَا؛ إسباغ المواهب والنعم، وتنقيل عبيدنا فى مراتب الخدم؛ استرشادا بأسلافنا الملوك وأقنداء، وأستضاءةً بأنوارهم المشرقة وأهتداء .

ولما كنت أياها الأمير من عُرِفَتْ بسالته ، وأشتهرت شجاعته وصرامته ؛ وأستحق أن يُلاحظ بعين الرأيه ، وأن يشرف بالإرتضاء للتعويل عليه فى ولاية ، - رأينا - وبالله توفيقنا - أستخدمك فى ولاية الأعمال النستراوية ، وخرج أمرنا إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك ذلك ، وتضمينه ماتعمد عليه ، وتنتهى إلى المثل لك فيه .

فتقلد ما قلده حاملا بتقوى الله فيما تُسرّه وتعلنه ، معتمداً فيها غاية ما يستطيعه المكلف ونهاية ما يمكنه ؛ فالله تعالى يقول إرشاداً للمؤمنين وتفهما : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ . وساو بين القوى من هذه الولاية والضعيف ، ولا تجعل فى الحق فرقا بين المشروف والشريف ؛ وأمدد على كافتهم رواق السكون والأمنه ، وأجرهم فى المعدلة على العادة الجميلة الحسنه ؛ وأفعل فى إقامة الحدود على من تجب عليه ما يوجبهُ كتابُ الله الكريم ، وتقضى به سنة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم ؛ وأدأب فى حفظ السبل والمسالك ، واجتهد فى ذلك الاجتهاد الذى يجب على أنظارك وأمثالك ؛ ومتى ظفرت بمن يؤذى مسافرا، أو يخيف واردا أو صادرا ؛ فطالع بحاله ليمثل لك فى التمثيل بما تعتمده ، وتؤمر فى شأنه بما تنتهى

إليه وتقصده . وراع المستخدمين على الحكم والدعوة فهما يتوليان ما بإعزازه يقوم
متأرا الإسلام ، وتجرى أمور الشريعة على أجمل وضع وأحسن نظام . وخذ
المستخدمين في الأموال الديوانية بالأجتهد في العماره ، وحمل المعاملين على ما توجبه
المعدلة والحرص على ما وفر الارتفاع ، وحماء من أسباب التفريط والضِّياع ،
واستئحض الرجال المستخدمين معك فيما ترى نذبهم إليه ، واستنهاضهم فيه ، فاعلم
هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية الإسكندرية ، وهى :

أهتامنا بما حاط ثغر الإسكندرية - حماه الله تعالى وحصنه ، ومنحه أتم حظ
التفقد وأكله وأجمل وضع التعهد وأحسنه ، وقوى سبب استقامة شؤنه وأتساق
أموره ومكثه ، ومدّ ظلّ الدعة والسكون على كافة من تديره وسكّنه ، وحفظ
عليه نظام النضاره ، وأماط عنه مكروه الأحوال الضاره ، وأنام أهله على مضجع
الأمن ومهاده ، وحكم بإحلالهم بُجود الاتحاد على المصالح وإجلالهم عن وهاده ،
وحى سوام أموالهم من مشروب ورد أجاج ومرعى نبت وخيم ، وحباهم من
رسوم الإحسان وعوائده مالا ينطق لسان على زوائده بترخيم ، وملا آمال الأعداء
عن التطرق إليه إخفاقا ، وردّ نصول سهام مكائدهم عنه على ما عهد من فضل الله
سبحانه أفواجا - إذ كان من أجل الثغور الإسلامية أوزارا ، وأسبقها إلى غاية
التفضيل آتدارا ، وأكثرها بمن حواه من صدور الدين وأئمة المسلمين أفتخارا ،
وأفضلها محلا ولم يزل مفزع السفار من كل جهة رسلا وتجارا - أوجب أن نُسند
ولاية ، ونردّ كلاءته ، إلى من يجرى في التدبير على حكم سياسته المعلوم بالحسن

الأخذ بيدِ المظلوم ، ويقومُ بحسن التفويض والإيثمان ، ويعطى بَدَل السَّلامة من حقوق انتقامه عهدَةَ الأمان ؛ ويسلكُ فيما يُعَدَّق به طريقَ السَّداد ويلزم نَهْجَه ، ولا يمكنُ أن يكونَ له على غير الصواب مَعَاجٌ ولا عَرَجَه ؛ ويأخذُ في كل أحواله بوثائق الحَزْم ، ويُحِلُّ له أعمالُه الصالحةُ من مَثْوَى المنازل الرفيعة ما هو على غيره من الحرام الحَزْم .

ولما كان الأميرُ المعنى بهذا الوصفِ الواضح البيان ، المتكافئة في ذكر مناقبه شهادة السَّماع والعيان ؛ الكائى ما يُناطُ به بقلْبِ المعنى وطَرْفِ يَقْظان ، الحالُّ من الورع فى أسمى مكان وأعلى مَظان ؛ الجامع فى إقامة شرع الإخلاص بين الفرائض والسَّنن ، الموفية عزائمُه على مضاربِ المهَنَّة التى لا تَقى منها ما نعاتُ الجُنن ؛ الفائح من نبئه ما تُؤثِّر صحاحُ الأنباء عن عَليِّ نَسيمه ، الجدير بما يُزفُّ إليه من عقائل حزيل الإنعام وجَسيمه ؛ وقد أبان فى ولايته بمطابقتها بين شدِّته ولينِه ، وإقامة منار الإنصاف المُعرب عن امتدادِ باعه فى الحرب وأنقباضِ يمينِه ؛ وإروائه كافَّة أهلها من تَمير العون على استتبابِ الأمور ومَعينِه - خرج أمرُ الملك العادل بتقليده ولاية نَغر الإسكندرية حماه الله تعالى والبحيرة .

فليتقلدْ ما قلده إِيَّاه ، ويباشرْه منشراح صدره متهللاً مُحَيَّاه ؛ وليعتمدْ على تقوى الله التى هى خير عَتاد ، وأفضل ما أَعْتَمِد عليه فى الحياة الدُّنيا ويومَ يَقُومُ الأَشهاد ؛ وهى نِجاةُ أهل اليقين ، وفوزُ المتقين ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وليُبالِغْ فى نُشْر رايةِ العدل ومدَّ جناحه ، وتُعْفِيَةِ أذى الجور واجْتِياحه ؛ وليشْمَلِ الصغير والكبير من أهل هذه الولاية برِداء النصفه ، ويعاملهم بالجميل الموفى على

الصَّفَهَ ؛ وَيُقِمُ الْحُدُودَ عَلَى مُسْتَوْجِبِهَا ، وَيُنْتَهِي إِلَى الْغَايَةِ فِي تَجَنُّبِ إِضَاعَتِهَا وَتَوَقُّيْهَا ؛
وَلِيُدَلَّ عَلَى الْمَفْسِدِينَ عَيْنَ مَنْ يَتَّبِعُ وَقُوعَهُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَيَتَطَلَّبُ ، وَيَقَابِلُ كُلًّا مِنْهُمْ
بِمَا يَرَى مُتَعَقِّبًا بِإِمَاعِضِ بَرْقِ الْمُعَاقِبَةِ غَيْرِ خَلَبٍ ؛ وَلَا يُبْقِي مُمَكِّنًا فِي التَّنْقِيبِ عَلَى
مَرْتَكِبِي الْآثَامِ ، وَالْمَرْتَكِنِينَ عَلَى سَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ ؛ وَمَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ فَلْيَحْكَمْ فِيهِ
شَبَابُ ظُفْرِ الْأَنْتِقَامِ وَنَابِهِ ، وَيَقَابِلْهُ مِنَ الرَّدْعِ بِمَا يُؤْمَنُ مِنْ مُعَاوَدَةِ عَادَاتِ التَّعَدَّى
عَلَى كُلِّ حَقِيرٍ وَنَابِهِ . وَلْيَجْرِ عَلَى عَادَتِهِ فِيمَا يَسِيرُ عَنْهُ أَحْسَنَ السَّمْعِ ، وَيَشْهَدُ لَهُ بِالتَّزُّهُ
عَنْ خَبِيثِ الطُّعْمَةِ وَقَبِيحِ الطَّمَعِ . وَيَشَدِّدْ مِنَ الْقَاضِي مَتَوَلَّى الْحُكْمِ فِيمَا يُصْدِرُهُ
وَيُورِدُهُ ، وَيَحْلُلْهُ وَيَعْقِدْهُ ، وَيُضَيِّعْهُ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَيَعْتَمِدْهُ فِي الْقَضَايَا بِمَا
لَدَيْهِ مِنَ الْأُمْلِيَّةِ . وَيُعَاضِدِ الْمُسْتَخْدِمِينَ فِي الْأَمْوَالِ مُعَاضِدَةً مُثْمَرَةً ، وَتَمْتَيَّ الْأَرْتِفَاعِ
وَتَوْفَرَهُ ، وَتَعُودُ عَلَى الدِّيَوَانِ بِالْحِظِّ الْوَاقِي ، وَتُعْرِبُ عَنْ كَوْنِهِ بِمَثَلِ هَذِهِ الْوَلَايَةِ نِعَمَ
الْكُفِّ الْكَافِي . وَيُعَامِلِ التَّجَارَ عَلَى تَبَايُنِ بُلْدَانِهِمْ ، وَأَخْتِلَافِ أَلْسِنَتِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ ،
مُعَامَلَةً يُجْمَلُ أَثَرُهَا وَيُحْسُنُ ؛ وَيَتَلَقَّهِمْ بِبُشْرٍ وَطَلَاقَةٍ تَنْطِقُ بِشُكْرِ أَسْتَبْشَارِهِمْ بِهَا
الْأُنْسُ . وَيَحْفَظُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَبَضَائِعِهِمْ ، وَيَسْتَنْفِدِ الْوُسْعَ فِي دَفْعِ مَضَارِهِمْ
وَرَوَائِعِهِمْ . وَيَعْتَمِدُ بَعَثَ رِجَالَهُ عَلَى الْإِسْتِعْدَادِ لِلْجِهَادِ ، وَالتَّاهِبِ لِقِرَاعِ الْأَضْدَادِ .
وَيُنْتَهِي إِلَى الْغَايَةِ فِيمَا يُزِيلُ مِنْهُمْ أَعْتِدَارًا وَيُزِيحُ أَعْتِلَالًا ، وَيُوجِبُ لَهُمُ الْاِقْتِدَارَ عَلَى
مَكَافَةِ عَدُوِّ إِنْ طَرَقَ الثَّغَرُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى .



وهذه نسخة بولاية برقة ، وهي :

مِنْ حَقِّ الْأَطْرَافِ الْمُتَنَاهِيَةِ فِي بُعْدِ أَقْطَارِهَا ، وَالْبِلَادِ الشَّاسِعَةِ عَنْ ثَوَاءِ الْمَمْلَكَةِ
وَحَلِّ أَسْتَقْرَارِهَا ، الَّتِي أَنْتَضَمَتْ فِي سِلْكِ أَعْمَالِ الْمَمْلَكَةِ النَّاصِرِيَّةِ وَأَنْخَرَطَتْ ،

وَأَسْتَدْرَكْتَ مُعِدَّاتِهَا لِمَنْ حَوَتْهُ فَوَائِتُ الْفَوَائِدِ الَّتِي سَلَفَتْ وَفَرَطْتَ - أَنْ يُدِيمَ أَكِيدُ
الْأَهْتَامَ لَهَا التَّحْصِينَ وَالتَّحْسِينَ ، وَلَا يُغَيَّبُ أَهْلُهَا مَا يَغْشَاهُمْ مِنَ الْمَلَاخَظَاتِ مُصْبِحِينَ
وَمُمْسِينَ ، وَتُزَجَّى لَهَا سَحَابُ كَرَمِ التَّعَهُدِ عَهْدَهُ غَدَقًا ، وَيُعْمَلُ الْأَوْلِيَاءُ فِي حَيَاطَتِهَا
مِنَ الْغُمُودِ أَلْسِنَةً وَيُذْكَرُونَ دُونَهَا مِنَ الْقَنَاءِ حَدَقًا ، وَيَفُوضُ أُمُورَهُمْ إِلَى مَنْ تَخَفُّ
عَلَى يَدِهِ كَلَفَتَهُمْ ، وَتَجْتَمِعُ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ أَلْفَتُهُمْ ، وَيَسْتَمِلُ مِنْ عِنَايَتِهِ عَلَيْهِمْ آسْتِمَالُ
الصَّدْفَةِ عَلَى الْقُلُوبِ ، وَتَنِيلُهُمْ مَهَابَتُهُ مِنْ كَفِّ عَدَوَى الْعِدَا كُلِّ مُؤَثِّرٍ مُطْلُوبٍ .

ولما كنت أيها الأمير من أُمِيز سَالِكِي هَذِهِ الطَّرَائِقِ ، وَأُمَثِلِ فُرْسَانَ الْحُرُوبِ
وَحِمَاةَ الْحَقَائِقِ ، وَأَشْجَعَ الْمُجَاهِدِينَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، وَأَجْسِرَهُمْ عَلَى إِصْلَاءِ الشَّرِكِ
ضِرَامَ فَنِكَ لَا يُخْشَى إِصْلَادُ زِنَادِهِ ، وَلَكِ السِّيَاسَةُ الَّتِي تُرْتَّبُ بَيْنَ الْأَسْوَدِ وَالْظُّبَاءِ
أَصْطَحَابًا ، وَالْمُخَالَصَةُ الَّتِي لَا تُنَاجَى إِذَا وُصِفَتْ بِالتَّغَالَى فِيهَا وَلَا تُحَابَى - خَرَجَ أَمْرُ
الْمَلِكِ الْعَادِلِ بِكُتُبِ هَذَا الْمُنْشُورِ لَكَ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِوِلَايَتِهِ وَإِقْطَاعِهِ : وَهُوَ بَرَقَةٌ
بِجَمِيعِ أَعْمَالِهَا وَحُقُوقِهَا : مِنَ الْعَقَبَةِ الصُّغْرَى وَإِلَى آخِرِ حُدُودِهَا ، وَبِمَا أَمَرَ بِهِ كَافَّةَ
الْعُرَبَانِ الْمُقِيمِينَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ ، وَجَمِيعِ أَهْلِهَا مِنْ حَاضِرٍ وَبَادٍ : مِنَ الْإِعْلَانِ لَكَ بِشِعَارِ
الطَّاعَةِ ، وَصَوْنِ مَا يَلْزِمُهُمْ أَدَاؤُهُ إِلَيْكَ مِنْ فُرُوضِ النُّصْحِ عَنِ الْإِضَاعَةِ ، وَأَنْ يَبْدُلُوا
فِي مُوَافَقَتِكَ غَايَةَ الْأَجْتِهَادِ ، وَيَعْتَمِدُوا مِنْ أَمْتِنَالِ مَرَاثِمِكَ أَحْسَنَ اعْتِمَادٍ ، وَيَحْذَرُوا
مِنَ الْعُدُولِ عَنْ أَمْرِكَ ، وَيَحْتَنِبُوا مُخَالَفَةَ نَهْيِكَ وَزَجْرَكَ .

فَاسْتَمْسِكْ بِجَبَلِ التَّقْوَى الْفَائِزِ مِنْ يَعْتَصِمُ بِهِ وَيَتَعَلَّقُ ، وَاسْتَشْعِرْ مِنْ خِيفَةِ اللَّهِ
مَا يُشْرِقُ لِأَجَلِهِ عَلَيْكَ نُورُ الرِّضْوَانِ وَيَتَأَلَّقُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمَكْنُونِ :
(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) . وَعَامِلْ أَهْلَ هَذِهِ الْوِلَايَةِ بِالْإِنْصَافِ ،
وَأَيَّاكَ وَمَكْرُوهُ الْعُدُولِ عَنْ حَجَّةِ الْعَدْلِ وَالْإِنْخِرَافِ ، وَتَوَقَّ الْعَسْفَ بِهِمْ وَالْحَيْفَ

عليهم ، وأجتنب الترخيص لأصحابك في مد يد أحد منهم بعدوان إليهم ؛ وسرفهم
سيرة ترؤف بهم وترفق ، وجانب سبيل من تقوم عنده أسواق اختلاق المتخترعين
وتنفق ؛ ولا تخرج في تدبير الأمور عن قانون الشريعة ، ولا تجعل لك إلى فوز الآخرة
عن تقديم العمل الصالح من ذريعه . وغل عنهم أيدي حاضري المفسدين وباديهم ،
وأنهم بالمهابة عن إصرارهم على المنكرات وتماديهم ؛ وكل بهم عزما رادعا لهم
وازياء ، ونكل بمن ظفرت به منهم تنكيلا يزجر من يظل بجر الضلال نازعا . وشد
من خلفاء الحكم العزيز في تنفيذ قضاياه ، وخصهم من الكرامة بما تقتضيه إقامة
مناره وإنارة مزاياه . واعتمد ما يعيد الحقائق بوجوه ناضره ، ويرد الأباطيل
بصفقة خاسره . وراع أمور التجار والحجاج مراعاة شملهم في السفر والإقامه ،
وتحميهم من تطرق استهانة إلى أحد منهم واستنضامه ؛ وطالع بما يتجدد من أحوال
خدمتك ، وما يحتاج إلى علمه من جهتك ؛ إن شاء الله عز وجل .



وهذه نسخة بولاية الفرما ، وهي :

نحن لما ضاعف الله لدينا من إحسانه وأجزله ، وعدقه بنا من تدبير أمور الخلق
وأسنده إلينا ووكله ، نعتمد عبيدنا بتوفير الرعاية لهم والإكرام ، ونحافظ على ما يغمرهم
من شامل الإفضال وسابغ الإنعام ؛ فنقدم للخدم من خطبها بخلوص طاعته ، ونؤهل
للرتب من أبانت شيمه عن خبرته ومناصحته .

ولما كنت أيها الأمير ممن ظهرت مشايعته ومولاته ، وحسنت في مكاحة
الأعداء مشاهدته ومقاماته ، ووضحت في أفعاله دلائل النصيح وبانت عليه سماته ؛
ولك مساع مشكوره ، ومواقف مشهوره ، ومقاصد هي من ما شريك معدودة .

(١) وفى فضائلك مذكوره؛ رأينا - وبالله توفيقنا - أستخدمك فى ولاية القرما والجفار :
سكوناً إلى رضا مذهبك ، وثقةً بانتظام الحال فيما يرد إليك ويناط بك ؛ وخرج
أمرنا إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الولاية المذكورة وتضمينه
مانأمر به ونرسمه ، مما يهديك إلى الصواب فتتمسك به وتعكف عليه وتلزمه .

فتقلد ما قلده شاكراً على هذه النعمى ، عاملاً بطاعة الله تعالى ومراقبته فى السر
والنجوى ؛ وأعتدّها زاداً إلى الآخرة تطمئن به القلوب وتقوى ، قال الله عز من
قائل فى كتابه : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ . وأعتدّ فى أهل هذه الولاية
نصفه تعمهم ومعدله ، وسنهم سياسة تكون لسنة الخير مؤكدة لسنة الجور
مبدله . ومائل فى الحق بين قويهم وضعيفهم ، ولا تجعل مزية فى الواجب
لشريفهم على مشروفهم ؛ وأنصف للظلم من المعتدى الظالم ، وأعمل بالكتاب
والسنة فى الحدود التى تقيمها على ذوى الجرائر والجرائم ؛ وأنصب لحفظ
الطرفات ، وصون الصادرين والواردين فى جميع الأوقات ؛ ونكل بمن تظفر به من
المفسدين ، وأجعله عظة لأمثاله من الظالمين والمعتدين ؛ وعاضد النائب فى الحكم
العزیز معاضدة تقضى بإعزاز الجانب ، وساعده مساعدة تنفذ بها أحكامه على قضية
الواجب ؛ وكذلك متولى الدعوة الهادية فهى مصباح الزمان ، وبإشادة ذكره تقوى
دعائم الإيمان ؛ فاجتهد فى تمييز متولّيها وإكرامه ، وبلغه فى ذلك غاية مطلوبه
ومرامه . وتوفّر على الشد من المستخدمين فى الأموال ، وراع [ما يحسن] لدينا فيما
تنظر فيه من الأعمال ؛ وأحرص على ما عاد بوفور ارتفاعها ، وأجر أحوالها على أفضل
رؤسومها وأوضاعها ؛ بحيث يكون العدل منبسطاً منبثاً ، والحيف منحسماً مستأصلاً
مجتثاً ؛ وأجل صحة الرجال المستخدمين معك ، وأحسن معاشرتهم مع مطالبتهم بملازمة

(١) كانت عدة قرى ومن مدنها العريش والورادة ورغ وقطية وقس والزعقا . انظر معجم البلدان .

الخدمه ، وأستنهاضهم فى الأمور الشاقّة المهمّة ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع بما تحتاج إلى المطالعة به ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية عسقلان ، وهى :

من شيمنا التى غدت للمصالح ضوا من ، وعلت فكل متناول عندها متطامن ؛ وهممنا الكافلة [لرعيّة] بما يقر عيوننا ، والقاضية للخاصّة والعامة بما يوجب طمأنينتها وسكونها ؛ أنعمنا النظر فيما نرعاها به ونسوسها ، وأعملنا الفكر فيما يستقيم به أمرها ويزول معه بؤسها ؛ فيقف [بنا] الاجتهاد فى ذلك على محجة الصواب التى لا ضلال فى سلوكها ، ويقضى منا الحرص إلى غاية لم يبلغها أحد من مدبرى الدول وموكلها ؛ فنتخب لخطر الخدم من كان قنوما بها مستقلا بأصارها ، ونتجب لجليل الرتب الأعيان من أمراء دولتنا وأنصارها ؛ حفظا لما استحفظناه من أمور العباد والبلاد ، ورفعاً لعماد الصلاح وحسنا لمواد الفساد .

ولما كنت أيها الأمير من الأولياء الذين صفت فى المخالصة ضمائرهم ، وحسنت فى الطاعة عقائدهم وسرائرهم ؛ ونالوا من نبيه الحظ ما أطنب الواصف فيما يذكره منه ويرويه ، وأحمدوا المناصحة فيما رقوا فيه من درج التنويه ؛ وقد استكفيت مهمات من الخدم فكفيت همها وخففت ثقلها ؛ وأهلت لولايات سنية فملت كلها ، وكنت مستحقا لها وأهلها ؛ فلك موات حميدة من حسن المقاصد ومشكور المساعى ، وحرمت أكيدة ظلت على أصطفائك من أوفى البواعث وأقوى الدواعى ؛ وكانت مدينة عسقلان - حماها الله تعالى - نغر الإسلام الذى لا تغرله فى الشام سواه ، والرباط الذى من كان به فقد نال الثواب الجزيل وأحرزه وحواه ؛ وهو فى عيون الكفار - خذلهم الله - نكته ، وأسباب طمعهم فيه منقطع بحاماته منبته ؛ ونحن

نُوفِرَ أَهْتَامُنَا عَلَيْهِ رَعَايَةً لِمَكَانِهِ الْمَكِينِ ، وَنَلْتَصِي الكُفَاةَ لِتَوَلَّيْهِ تَوْصِيلاً إِلَى النِّكَايَةِ ^(١) فِي الْمَشْرُكِينَ ؛ وَهُوَ مَعْقِلٌ لِلْسَّالِمِينَ الْمُجَاهِدِينَ وَرِدِّ ، وَجُأَوْرِهِ قَوْمُ لُدٍّ ، وَأَمْرُهُمْ أَمْرٌ إِدِّ ، فَيَجِبُ أَنْ يُرْتَادَ لَضَبْطِهِ النَّدْبُ الَّذِي لَا تُهْتَبَلُ غَرَّتُهُ ، وَيُسَامَ لِحَفْظِهِ الْعَضْبُ الَّذِي لَا تُتَّقَى ضَرْبَتُهُ ؛ وَيُخْتَارُ لِمَوْنِهِ الشَّهْمُ الَّذِي تَقِفُ عَلَى الْمَصَالِحِ هَمَّتُهُ ، وَتَنْفُذُ فِيهَا عَزَمَتُهُ ؛

وَحِينَ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِيكَ مَوْجُودَةً ، وَظَلَّتْ مُحْسُوبَةً مِنْ خَلَائِكَ مَعْدُودَةً ؛ رَأَيْنَا - وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُنَا - مَا نَخْرُجُ بِهِ أَمْرُنَا إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ مِنْ كَتَبِ هَذَا السِّجْلِ بِتَقْلِيدِكَ وَلَايَةِ هَذَا الثَّغْرِ وَضَوَائِحِهِ ، وَعَمَلِهِ وَنَوَاحِيهِ ؛ ثَقَّةً بِمَشْهُورِ مَضَائِكَ ، وَعِلْمًا بِإِبْرَارِكَ عَلَى نَظَائِكَ .

فَتَقَلَّدَ هَذِهِ الْخِدْمَةَ عَارِفًا قَدْرَ مَا خُولَتْ مِنْهَا ، وَعَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ وَخِيفَتِهِ فِي جَمِيعِ مَا تَأْمُرُ بِهِ وَتَنْهَى ؛ فَإِنْ تَقَوَّاهُ الْجُنَّةَ الْوَاقِيَةَ ، وَإِنْ خِيفَتَهُ الذَّخِيرَةُ الْبَاقِيَةُ ؛ وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ بِتَسْيِيرِ الْأُمُورِ ، وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَإِعْظَامِ الْأُجُورِ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ . وَاسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ فِي جَمِيعِ مَنْ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ عَمَلُكَ ، وَيَجْرِى عَلَيْهِ تَوَلِّيكَ وَنَظْرُكَ ؛ وَسَاوِ فِي الْحَقِّ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِي ، وَمَائِلِ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْقَصِيِّ ؛ وَإِذَا ثَبَتَ عَلَى شَرِيفِ حَقٍّ فَلَا تُجَاهِيهِ لُرُبَّتْهُ ، وَإِذَا ثَبَتَ لَوْضِعٍ نَحْذَهُ مَنْ لَزِمَهُ وَاسْتَقَرَّ فِي جِهَتِهِ .

وَأَعْتَمِدْ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَا يَسْتَنْطِقُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْكَ أَلْسِنَةُ الْمَادِحِينَ ، وَيَنْظُمُكَ فِيمَنْ عَنَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) فِي الْقَامُوسِ وَغَيْرِهِ « أَتَصَيْتُ » أَيْ بِالضَّادِ الْمُهْمَلَةِ « الرَّجُلُ آخَرَتُهُ » فَتَبَهُ .

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ .

وأقيم الحدود على من لزمته بما أمر الله به إقامة [تجربى بها] تجرباها ، وتوق الزيادة فيها والنقص توقى من يتمثل المجازاة كأنه يراها . وهذا الثغر لخملة وسمو مقداره ، وقرب العدو منه ودنو داره ؛ لا يقنع له بمركزيته ، ولا يكتفى في حقه بمرايئته وقراريته ؛ فنحن نسير إليه العساكر المظفرة دفعتين في كل سنة على حكم البذل : فيرده عسكر جديد مزاح العلة ، كثيف العدة ، وافر العدة ؛ يؤثر أن يظهر أثره ، ويحافظ على ما يطيب به ذكره وخبره ؛ فبث السرايا وشن الغارات ، وضيق على العدو فسيح النواحي والجهات ؛ وجهز إليه من يخيفه في مآمنه ، وأبعث عليه من يطرقه في أحرز أماكينه ؛ وأنذب من يطالعك بخفي أخباره ، ويظهر لك باطن أموره ومستور أسرارته : لتنتهز فيه الفرصة إذا لا حث محالها ، وتبادر الغفلة منه إذا ظهرت دلائلها . وأجعل للتطوعين من الكنانيين نصيبا من ثواب الجهاد ، وأحملهم على است فراغ الوسع بغاية الحرص والاجتهاد ؛ وأفعل في هذا الباب ما تتضاعف به مواد الأجر ، وتتسخ به الأوزار كما ينتسخ الظلام بضياء الفجر ؛ وأعضد متولى الحكم العزيز عضدا يعلى أمره ، ويسد أزره ، ويمحرس نظامه ، وينفذ قضاياه وأحكامه ؛ وكذلك متولى الدعوة الهادية - ثبته الله تعالى - فاعتمده بما يشرح صدره فيما يوصحه للؤمنين ، ويهدى به المستجيبين والمتدينين ؛ ووفر موقر اهتمامك على مرافدة من يتولى أمر المال وما يجرى في الخاص لتبدر أخلاقه ، ويزكو ارتفاعه ، وتغزر مادته ، ويتوفر مستخرجه ؛ ويحتمى من خيانة وتحيف ، ويسلم استيداؤه من ترث وتوقف . وأستنهض الرجال المستخدمين في الأمور السوانح ، وصرفهم فيما ترى تصرفهم عليه من أسباب المنافع والمصالح ؛ وأستطير

الإحسان لمن أحمَدَتْ طَريقَتَه ، وقوِّم بالتأديب من ذمَّت فعله وكرِهَتْ سَيرَتَه ،
فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع بما يُحتاج إلى المطالعة بمثله ، إن شاء الله عز وجل .



ومن المكتَّب بالوظائف الديوانية من هذه المرتبة نسخة توقيع بنظر
الدواوين ، وهى :

أحقُّ الأعمال بأن يُنعمَ فيها النظرُ الشافى ، ويُندَبَ لحملِ عِنيِّها الأُمِينُ الكافى ،
ويُحَالُ النظرُ فى تَقليدِها للقيمِ بأمرِها ، ويُعمَلُ الرَّأْيُ لآرْتِيادِ القَوِيِّ على ضَبطِها
وحَصْرِها ، ما كان منها جامعاً لمَصالحِ الدولة ، حائِزاً لمَهامِ المملكة : وهى أعمال
الديوان ، والنظرُ فى حفظِ وجوهِ الأموال وما يُعين على آسَتيائِها ، ويعودُ بالزيادة
فى أصولِ أبوابِها ، إذ كان ذلكَ ملاكَ الأمور ، وزِمَامَ التسييرِ فى حِفْظِ الجُمهورِ ،
والمَعُونَةِ العُظمى على الاستِثْكارِ من الرجالِ الذين بهم يتمُّ حِفْظُ البلادِ وحمايَةُ الشُّعورِ .

ولمَّا سَلَطْنَا البَحْثَ على استِصلاحِ من نُوهِلَ لهذه المَرتلة ، واستِخلاصِ من نُحِلَّه
بهذه المَرتبة ، أذا نا الاختِبارُ والائْتِقاد ، وأتَهِى بنا الأَعْتِيامُ والآرْتِياد ، إلى آختِيارِ
الشيخِ فلان : حينَ سَفَرَتْ لَه النَّبَاهَةُ فى الكِفايَةِ ، والوَجَاهَةُ فى الخِبرَةِ والدَّرَايَةِ ،
وجب ... (١) ... على آختِصاصِه بالفَضْلِ الذى تَحَلَّى بِأَدَبِه ، والعَفَافِ الذى أَشْتَهَرَ من
مَذْهِبِه ، من الحِصَالِ الحَمِيدَةِ ، وَالْخِلَالِ الرَّشِيدَةِ ، وَالْفَضَائِلِ المَورُوثَةِ والمَكْتَسَبَةِ ،
وَالْخِلَاقِ المُتَّقَاةِ المَهْدَبَةِ ، ورَأْيَانِه أَهْلًا لِإِحْلَالِ هَذِهِ المَكَانَةِ ، وَعَدْلًا قِيَمًا بِاحْتِمَالِ
هَذِهِ الأَمَانَةِ ، وعَلِمْنَا أَنَّ الصَّنِيعَةَ عِنْدَهُ زَاكِيةُ المَغَارِسِ ، وَالنِّعْمَةَ المُفَاضَّةَ عَلَيْهِ
ضَافِيَةُ المَلَابِسِ ، فَقَلَّدْنَاهُ أَمْرَ الدِيَوَانِ بِحَلَبَ وما مَعَهَا مِنَ البلادِ المَضافَةِ إِلَيْهَا

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

والداخلة في حكمها : قاصي ذلك ودانيه ، وأواسطه وحواشيه ، مقدمين الاستخارة فيما يُبديه من قول ، ونعزم عليه من فعل .
وأمرناه أن يستشعر تقوى الله سبحانه فإنها الجنة الواقية ، والذخيرة النافعة الباقية ، ويعتلق أسبابها فإنها المنجية من المهالك ، الهادية إلى السُّبُل الواضحة إذا اشتبهت المسالك ، محققا ما توهمناه فيه من مخايل الأضال ، ودلائل الخزال ؛ مصدقا ما استلمحنه من كفايته وغناؤه ، وأستوصحنه من استقلاله وأستقصائه .
وأن يبدأ فيرتب في كل معاملة أمينا من الثقات الكفاه ، مشهودا له بالنهضة والأمانة المستوفاه . وأن يزم الأعمال القاصية والدانية ، والبلاد القريبة والنائية ؛ بالضبط المستقصى ، والحفظ المستوفي ؛ وبمن يربيه عليها من الكتاب الأمناء ، ويستصلحه لها من الحفظة النصحاء . ويتتبع حال من بها من الثواب : فمن شهدت له التجربة بالكفاية ، ودل الاختبار منه على العفة والأمانة ، أستدامه في خدمه المنوطة به ، وطالع من حاله بما يقضى له حسن النظر بحسبه ؛ ومن ألفاه متنجسا سبيل الأمانة ، مقارفا طريق العجز والحيانه ، بادر إلى الاستبدال به ، وعجل قطع ما بينه من الخدمة وبين سببه . وأن يسترفع البواقي من الأموال ، في سائر الجهات والأعمال ، إلى آخر التاريخ الذي تليه مباشرته ، ويتصل بأخره مبدأ نظره وفاتحته ، موثقة أوراق ذلك بخطوط الأمناء ، مفصلة جهاته بأسماء المعاملين والضماناء ؛ حتى إذا حلت إليه ، وصارت حجة على رافعها في يديه ؛ طالبه بمواقفة من هو في ذمته ، وتقديم بعد تصديقه على ذلك بمضايقته بعد المطالعة بجلى الحال وحقيقته . ثم يسترفع من مستوفي الديوان وعُماله شروط الضمان ورُسومهم ، وقواعدهم في الضمان وعوائدهم : ليكون علم ذلك عنده مينا ، ووقت مَسَّاس الحاجة إليه حاضرا . ويطلب بجرائد الضياع خاصها ومقطعيها المشتملة على ذكر رُسومها وحقوقها ؛ وعدد فُئنها

ومَقَاسِهَا . وجرائدِ الخَرَاجِ اللازمِ لأربابِ الأملاكِ على أملاكهم ، وتحقيقِ المصفوحِ عنه والمسامحِ به والباقي على الأداءِ فى جهته . وجرائدِ الجزيةِ مفصَّلةٌ فى نواحيها ، وأسماءُ أربابها إلى حينِ رفعها - وأن يطالب نوابُ الجزيةِ فى كلِّ شهرٍ بختمَةٍ تتضمَّنُ ذكرَ مَصَارِفِ ما يُحوَّلُ إليهم ، وإقامةِ وجوهِ المالِ الذى جُمِعَ عليهم ؛ مفصَّلةٌ ممَيِّزةُ الإبتِعااتِ عن الإطلاقاتِ ، والضَّيافاتِ عن السُّفَرَاتِ والإصطبلاتِ ؛ وكذلك نوابُ الأهرَاءِ يسترفعُ منهم مايدُلُّ على مثل ذلك ، وسائرُ المتولين فى سائرِ الخِدمِ يطالبهم بهذه المطالبه ، ويضيقُّ عليهم فى مثل ذلك سبيلَ المغالطةِ والموارَبَةِ ؛ ويجعل مؤاخذتهم بذلك من الأمورِ الراتبَةِ ، والوظائفِ اللازمةِ الواجبه ؛ حتَّى يتبينَ له الكافى من العاجزِ ، والأمين من الخائن .

وليتأملَ وجوهَ الإخراجاتِ ، ومبلغَ الإطلاقاتِ والإذاراتِ ؛ ويستترِفِعُه من مظانِّه مفصَّلاً بجهاته ، منسوباً إلى أربابه ؛ ويتقدَّمُ بكتبِ مؤامرةٍ جامعةٍ لذلك التفصيلِ ، دالة على المقدارِ المطلقِ فى كلِّ سنةٍ محكِّمِ النظرِ الدقيقِ دونَ الجليلِ ؛ وليعتمدَ فى إطلاقِ ما يُطَلَّقُ منها على سبيلِ ما يوقع به عند ذلك ، وليكن هذا من الأمورِ الجاريةِ على العادةِ والرسمِ ، ويلزمه كلُّ من نوابِ الديوانِ .



ومن المكتبِ منها بالوظائفِ الدينيةِ نسخةٌ تقليدِ بولايةِ الحِسبةِ ، من إنشاءِ الوزيرِ ضياءِ الدين بن الأثيرِ ، وهى :

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

هذا أمرٌ يشتمل على معنى الخُصوص دون العموم ، ولا يختص به إلا ذوو الأوامر المطاعة أو ذوو العلوم ؛ وقد منحنا الله هذين الوصفين كليهما ، وجعلنا من المستخلفين عليهما .

فلنبداً أولاً بحمده الذى هو سبب للزيد ، ثم لناخذ فى القيام بأمره الذى هو على كل نفس منه رقيب عتيد ؛ ولا ريب أن إصلاح العباد يسرى إلى الأرض حتى تزكو بطونها ، وتتمو عيونها ، ويشارك في بركات السماء ساكنها ومسكونها ؛ والأمر بذلك حصل إن لم تنوزعه الأكف ثقل على الرقاب ، وإذا انتشرت أطراف البلاد فإنها تفتقر إلى مساعدة من مستنيب ومستناب ؛ وقد اخترنا مدينة كذا رجلا لم نال في اختياره جهداً ، وقدمنّا فيه خيرة الله التى إذا صدقت نيتها صادفت رشدًا ؛ وهو أنت أيها الشيخ فلان .

فابسط يدك [بقوة^(١)] إلى أخذ هذا الكتاب ، وكُن حسنةً من حسناتنا التى ثم يربح بها ميزان الثواب ، وحقّق نظرنا فيك فإنه من نور الله الذى ليس دونه من حجاب .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أمر الشريعة مبنى على التيسير لا على التعسير ؛ ولا يضع اللسان موضع السوط إلا من أوتي زيادةً فى التفسير ؛ وفى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مندوحة لمن لزمها ، وهى هدى لمن عمل بها ونور لمن علمها ؛ ويكفى من ذلك قصة الأعرابي الذى أتى حاجته فى المسجد فسارع الناس إليه ، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إِنَّمَا بُعِثْتُ مَيْسِرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ ، ثُمَّ دَعَا بِذُنُوبٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُوضَعْ لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا وَإِنَّمَا وُضِعَتْ لِلصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ » .

فانظر إلى هذا الرفق النبوى الذى شفى وكفى ، وعفى على أثر المعصية لمّا عفا ، ولو عاد ذلك الأعرابى لمثلها لُنُقِلَ عن لين التهذيب ، إلى شدة التأديب ، وكذلك فكن أنت فى الرفق الذى حَدَّثَتْ عنه ، وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ .

ونحن نأمرُك أن تحتسب أولاً بلين القول لا بالآنف [و] النكير ، وأن تترفق فى الموعظة التى هى طريق إلى الخشية والتذكير ، وأن لا تكون باحتسابك مديلاً بأنك على الصراط المستقيم ، وأن الناس بين يديك على سنن التثقيف والتقويم ؛ فإن من أكبر الذنوب ذنب الإعجاب ، والأولى لك حينئذ أن تعود على نفسك بالاحتساب^(١) ، ومن أدبك وأدب أمثالك أن يقف فى أمره بالمعروف مع التقوى لامع هواه ، وأن لا يفرق فى إزالة المعصية أن تكون بيده أو بيد أحد سواه ؛ وإذا كنت كذلك قرنك الله بمن أنزل السكينة على لسانه ويده ، وقوم له أود الناس لتقويم أوده ، والله ينظر إلى قلب ابن آدم لا إلى عمله ولا إلى جسده . وعليك بالمجاهدين الذين سلب عنهم ثوب العافية ، ومن آخفى منك بالاستتار فلا تكشف عن حاله الخافية . وأما ذوو الهيئات فإن عثراتهم تُقال ، وأعراضهم لا تُدال ، ولربما كان التجاوز عنهم داعياً إلى الانتقال ؛ وفى قصة أبى محجن وسعد ما ينبئك أن الحياء أغنى فى الإزدجار ، وفى الناس أذنان لا قدر لها تدب عنه ورؤس تدب عما لها من الأقدار . وهاهنا من ضروريات الوصايا ما يؤتى فى مثله بتوكيد الأقوال ، وأكثر ذلك يدور فى المعاملات التى ألفها قوم دون قوم ، واستمروا عليها يوماً دون يوم ؛ وقد أتى منها ما اتفق على العمل به كل فريق ، وأيسر ذلك إزالة النخامة من المسجد وإماطة الأذى عن الطريق .

(١) فى القاموس احتسب عليه أنكر ومنه المحتسب .

وهذه الوصايا كلها لا تقتصر فيها إلى التوقيف ، وأنت عالمٌ بوضع كلمتها في . واضعه
وغيرك الذي يتعدى إلى التحريف ؛ فامض على السنن ، وأت بالحسن ؛ وسو بين
حالتيك في السر والعلان ، وكن من خوف الله ورجائه بين رحلة سفر وقرارة وطن .
وهذا عهدنا إليك تتقمص اليوم منه رداء جميلا ، وستحمل غداً منه عبأ ثقيلا ؛
وقد فرضنا لك عن حق سعيك فريضة تجد بها كفافا ، وتمنعك أن تمد عينك إلى
غيرها استشرافا ، فإن العمل الذي توليته يستغرق أوقاتك أن تكون للدينا كاسبه ،
وتشغل نفسك بالعمل والنصب لا أن تكون عاملة ناصبه . وإذا نظرت إلى ما نيط
بك وجدته قد استحصى الزمن أو كاد ، وأنت فيه بمنزلة الباني وقواعده :
« وكل بناء على قدر بانيه وما شاد » . ونحن نأمر ولا نتأ على اختلاف مراتبهم
أن يرفعوا من قدرك ، ويسددوا من أمرك ، وإذا استوعر عليك أمر من
الجوانب سهّلوا من وعرك ؛ والله قد أمر أهل طاعته بأن يكون بعضهم لبعض
من الأعوان ، فقال جل وتعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى
الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

الحالة الرابعة

(مما يُكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات ماعليه مصطلح كُتاب الزمان بديوان الإنشاء بالديار المصرية مما يُكتب عن السلطان لأرباب السيوف والأقلام وغيرهم من التقاليد والمراسيم والتفاويض والتواقيع ، على ما سيأتى بيانه ، وفيه [ثلاثة^(١)] مقاصد)

المقصد الأول

(فى مقدمات هذه الولايات ، وفيه مهيعان)

المهيع الأول

(فى بيان رجوع هذه الولايات إلى الطريق الشرعى)

قد تقدم فى أول الكلام على العهود أن السلطنة فى زماننا دائرة بين إمارة الاستيلاء : وهى أن يقلده الخليفة الإمارة على بلاد ويقوض إليه تدبيرها فيستولى عليها بالقوة ، وبين وزارة التفويض : وهى أن يستوزر الخليفة من يقوض إليه تدبير الأمور برأيه وفصلها على أجهاده ، وأنها بإمارة الاستيلاء أشبه ، على ماتقدم بيانه هناك . وقد صرح الماوردى فى "الأحكام السلطانية" أنه إذا كمل فى المستولى على الأمر بالقوة بعد تولية الخليفة له مع أشتماله على الصفات المعبرة فى المولى فى الولاية الصادرة عن اختيار الخليفة الإسلام ، والحرية ، والأمانة ، وصديق اللهجة ، وقلة الطمع ، والسلامة من الميل مع الهوى ، والبراءة من الشحناء ، والدكاء ، والفطنة - جازله ما يجوز للخليفة من تولية وزارة التفويض وغيرها من سائر النيابات ، وجرى على من استوزره أو استنابه أحكام من استوزره الخليفة

(١) بياض بالأصل والنصح من الآتى .

أو استنابه ؛ وإن لم يستكمل الصفات المعتبرة في الولاية الصادرة عن اختيار الخليفة ،
استتاب له الخليفة لكل ولاية من تتكامل فيه شروطها .

قلت : وقد كانت ملوك بني بويه وبني ساجوق مع غلبتهم على أمر الخلفاء
ببغداد وأستيلائهم يقتصرون في تصرفهم على متعلقات الملك في الجهاد والتصرف
في الأموال ، ويكفون أمر الولايات إلى الخليفة يباشرها بنفسه ، وتكتب عنه
العهود والتقاليد على ما تشهد به نسخها الموجودة من إنشاء الصابي وغيره . وكذلك
الخلفاء الفاطميون بمصر عند غلبة وزراءهم على الأمر من لدن خلافة المستنصر
وإلى أنقراض خلافتهم من الديار المصرية ، كالصالح طلائع بن رزيك في وزارته^(١)
للفائز والعاقد ، ونحو ذلك : فإن الخليفة هو الذي كانت الولايات تصدر عنه
تارة بإشارة الوزير ، وتارة بغير إشارته ، على ما تشهد به نسخ السجلات المكتوبة
في دولتهم ، على ما تقدم بيانه في الفصل الأول من هذا الباب . على أن أصحابنا
الشافعية وغيرهم من أئمة الفقهاء - رحمهم الله - قد صححوا الإمامة بغلبة الشوكة
والأستيلاء على الأمر بالفهر دون استكمال شروط الإمامة ، تصحيحاً للأحكام
الشرعية الصادرة عن المستولي بالشوكة : من العقود والفُسوخ وإقامة الحدود
وغيرها ، على ما هو مذكور في باب الإمامة . وحينئذ فتكون جميع الولايات الصادرة
عن السلطان صحيحة شرعاً وإن لم يستنبه عنه الخليفة ؛ وكذلك ما يترتب عليها ،
على ما الأمر جارٍ عليه الآن .

(١) ضبطه المجد في قاموسه فقال « كقبيط » . ونقل عن الحافظ ابن حجر ضبطه بكسر الزاي ووضعه
شارح القاموس وبه ضبطه ابن خلكان في تاريخه .

المهية الشانى

(فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات)

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ فِي ذَلِكَ مِرَاعَاةُ أُمُورٍ .

الأمر الأول — براعة الاستهلال بِذِكْرِ أَسْمِ الْمَوْثَى أَوْ نَعْتِهِ أَوْ لَقَبِهِ أَوْ الْوُضُفَةِ ، أَوْ حَالِ الْوِلَايَةِ ، مَعَ اسْتِصْحَابِ بَرَاةِ الْاسْتِهْلَالِ إِلَى آخِرِ الْخُطْبَةِ وَنَحْوِهَا مِنْ الْإِفْتِاحَاتِ ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْحَلَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ”حُسْنُ التَّوَسُّلِ“ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْبَيْعَاتِ وَالْعُهُودِ .

الأمر الثانى — مِرَاعَاةُ قَطْعِ الْوَرَقِ فِي الْجُمْلَةِ لِكُلِّ مَا يُكْتَبُ مِنْ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ وَالْوِلَايَاتِ وَغَيْرِهَا . وَالَّذِى يَخْتَصُّ بِهَذَا الْمَكَانِ ذِكْرُ مَقَادِيرِ قَطْعِ الْوَرَقِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْوِلَايَاتِ خَاصَّةً ، وَهِيَ خَمْسَةُ مَقَادِيرَ : — أَحَدُهَا قَطْعُ الثَّلَاثِينَ ، وَيَخْتَصُّ فِي الْوِلَايَاتِ بِكِبَارِ التَّقَالِيدِ دُونَ غَيْرِهَا — وَثَانِيهَا قَطْعُ النِّصْفِ ، وَفِيهِ تُكْتَبُ صِغَارُ التَّقَالِيدِ ، وَالْمَرَاسِيمُ الْمُكَبَّرَةُ ، وَالتَّفَاوِيضُ ، وَكِبَارُ التَّوَاقِعِ — وَثَالِثُهَا قَطْعُ الثُّلُثِ ، وَفِيهِ تُكْتَبُ صِغَارُ الْمَرَامِيسِ الْمُكَبَّرَةِ ، وَالتَّوَاقِعُ الْمُتَوَسِّطَةُ — وَرَابِعُهَا قَطْعُ الْعَادَةِ الْمَنْصُورِيِّ ، وَفِيهِ تُكْتَبُ صِغَارُ التَّوَاقِعِ وَالْمَرَامِيسِ الَّتِى لِأَصْحَابِهَا بَعْضُ مِيزَةٍ لَا تَنْتَهَى بِهِمْ إِلَى رُتْبَةِ قَطْعِ الثُّلُثِ — وَخَامِسُهَا قَطْعُ الْعَادَةِ الصَّغِيرِ ، وَفِيهِ تُكْتَبُ صِغَارُ التَّوَاقِعِ وَالْمَرَامِيسِ الَّتِى هِيَ فِي الرُّتْبَةِ الْآخِرَةِ .

الأمر الثالث — مَعْرِفَةُ مَا يَنْبَغُ كُلَّ قَطْعٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقَادِيرِ مِنَ الْأَقْلَامِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْمَقَالَةِ الثَّلَاثَةِ تَقْلًا عَنْ ”التَّعْرِيفِ“ مَا لِكُلِّ مَقْدَارٍ مِنَ الْأَقْلَامِ . وَالتَّعَلُّقُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ لِقَطْعِ الثَّلَاثِينَ قَلَمَ الثَّلَاثِ الثَّقِيلِ ، وَلِقَطْعِ النِّصْفِ قَلَمَ الثَّلَاثِ الْخَفِيفِ ، وَلِقَطْعِ الثَّلَاثِ قَلَمَ التَّوَقِيعَاتِ ، وَلِقَطْعِ الْعَادَةِ مُطْلَقًا قَلَمَ الرَّقَاعِ .

الأمر الرابع — معرفة اللَّقَب المطابق لرتبة كل ولايةٍ وصاحبها من الألقاب الأصول المتقدِّم ذكرها في الكلام على الألقاب من المقالة الثالثة . وهى المَقَرَّ، والجناب، والمجلس، ومجلس كذا على الإضافة؛ وما يُناسب كلَّ لقب من هذه الألقاب من الفروع المرتبة عليها، كوصف المَقَرَّ بالكریم العالی، ووصف الجناب تارةً بالكریم العالی، وتارةً بالعالی مجرّداً عن الكریم، ووصف المجلس تارةً بالعالی، وتارةً بالسامی، وإضافة مجلس في حق أرباب السيوف إلى الأمير فيقال : مجلس الأمير، وفي حق أرباب الأقلام من العلماء وأصحاب الدواوين إلى القاضی فيقال : مجلس القاضی ، وفي حق الصُّلحاء إلى الشيخ فيقال مجلس الشيخ؛ وأنَّ لِمَنْ دُونَ هؤلاء الصُّدْر ويوصف بالأجل فيقال الصُّدْر الأجل ؛ وأن لكل أصل من هذه الأصول فروعا شتى ترتب عليه . وتقدّم أيضا في المقالة الرابعة في الكلام على المكاتبِ الصادرة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية في زماننا إلى أهل المملكة مكتوبة كل واحدٍ ممّن جرت العادةُ بالمكتبة إليه، وما يختصُّ به من الألقاب الأصول والفروع .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الولاياتِ أعمُّ من المكاتبات : فقد يكون للشخص ولايةٌ من الأبواب السلطانية وليس له مكتبة، إذ المكاتبات إنما تكون لقوم مخصوصين من أرباب الولايات . إذا عُلِمَ ذلك فكلُّ من له مكتبة عن الأبواب السلطانية من أرباب السيوف والأقلام ممن تقدّم ذكره في الكلام على المكاتبات إذا كُتِبَتْ له ولايةٌ نُعتَ باللقاب ونُعوته التي بها يُكتب عن الأبواب السلطانية، إلا أنَّ الدعاء المصدّر به المكتبة يجعل في الآخر دُونَ الأول : فإذا كانت المكتبة إلى أحدٍ «أعزَّ الله تعالى انصار المَقَرَّ الكریم» قيل في ألقابه في الولاية «المَقَرَّ الكریم» إلى آخر ما يقتضيه الحال، ثم يقال : فلان أعزَّ الله تعالى أنصاره؛ وكذلك في البواقى . أمّا من لم تجر

العادة بمكاتبة إليه عن الأبواب السلطانية ممن يُولى عنها فإن لكل طبقة ألقاباً تخصهم . ونحن نذكر الألقاب الأصول وما يتفرع عليها لكل طبقة من كل طائفة على الوضع الذى تقتضيه الولايات دون المكاتبات ، ليُجرى كل من أرباب الولايات على ما يناسبه من الألقاب .

وقد علمت فيما تقدم فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة أن الألقاب على خمسة أنواع ^(١) :

النوع الأول - ألقاب أرباب السيوف

والمستعمل منها بديوان الإنشاء تسع مراتب :

المرتبة الأولى - المقر الكريم مع الدعاء بعز الأنصار، وهى : المقر الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى، العونى، الغياثى، المثاغرى، المرباطى، المهدى، المشيدى، الظهيرى، العايدى، الناسكى، الأتابكى، الكفيل، الفلانى، معز الإسلام والمسلمين، سيد أمراء العالمين، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، ممد الدول، مشيد الممالك، عماد الملة، عون الأمة، ظهير الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين، فلان (باسمه) الفلانى (بلقب الإضافة إلى لقب السلطان) أعز الله تعالى أنصاره .

المرتبة الثانية - الجنب الكريم مع الدعاء بعز النصرة، وهى : الجنب الكريم، العالى، الأميرى الكبيرى العالمى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى، العونى، الغياثى، المثاغرى، المرباطى، المهدى، المشيدى، الظهيرى، الكافلى، الفلانى، عز الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء فى العالمين، نصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش

الموحدين ، مقدّم العساكر ، مهيّد الدول ، مشيدّ الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة
ظهير الملوك والسلاطين ، سيف أمير المؤمنين ، فلان (باسمه) الفلاني (بلقب
الإضافة إلى لقب السلطان) أعزّ الله تعالى نصرته .

المرتبة الثالثة — الجنب العالى مع الدعاء بمضاعفة النعمة ، وهى : الجنب
العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادى ، المؤيدى ، العونى ، الزعيمى ،
المهيّد ، المشيدّ ، الظهيرى ، الكافى ، الفلاني ، عزّ الإسلام والمسلمين ،
سيدّ الأمراء فى العالمين ، نصرّة الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مهيّد
الدول ، مشيدّ الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة ، ظهير الملوك والسلاطين ، سيف
أمير المؤمنين ، فلان (باسمه) الفلاني (بلقب الإضافة إلى السلطان) ضاعف الله
تعالى نعمته .

المرتبة الرابعة — الجنب العالى مع الدعاء بدوام النعمة ، وهى : الجنب العالى
الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، المؤيدى ، الأوحدي ، النصيرى ، العونى ،
الهمامى ، المقدّمى ، الظهيرى ، الفلاني ، عزّ الإسلام والمسلمين ، سيدّ الأمراء
فى العالمين ، نصرّة الغزاة والمجاهدين ، مقدّم العساكر ، كهف الملة ، ذخّر الدولة ،
عماد المملكة ، ظهير الملوك والسلاطين ، حسام أمير المؤمنين ، فلان الفلاني ،
أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة الخامسة — المجلس العالى والدعاء بدوام النعمة ، وهى : المجلس العالى
الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، العونى ، الأوحدي ، النصيرى ،
الهمامى ، المقدّمى ، الظهيرى ، الفلاني ، عزّ الإسلام والمسلمين ، شرفّ الأمراء
فى العالمين ، نصرّة الغزاة والمجاهدين ، مقدّم العساكر ، كهف الملة ، ذخّر الدولة ،
ظهير الملوك والسلاطين ، حسام أمير المؤمنين ، فلان الفلاني ، أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء، والدعاء بدوام التأييد ونحوه، وهى :
المجلس السامى، الأميرى، الكبيرى، الذخرى، النصيرى، الأوحدي،
المؤيدى، الفلانى، مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الأمراء، ذخّر المجاهدين،
عُضد الملوك والسلطين، فلان الفلانى، أدام الله تأييده .

المرتبة السابعة — السامى بغيرياء، والدعاء أدام الله رفّعه ونحو ذلك، وهى :
المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، الغازى، المجاهد، المؤيد، الأوحّد،
المرتضى، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، نحر الأمراء، زين المجاهدين،
عمدة الملوك والسلطين، أدام الله رفّعه .

المرتبة الثامنة — مجلس الأمير، والدعاء أدام الله سعده ونحوه، وهى : مجلس
الأمير، الأجل، الكبير، الغازى، المجاهد، المؤيد، الأوحّد، المرتضى، فلان
الدين، مجد الأمراء، زين المجاهدين، عمدة الملوك والسلطين، فلان الفلانى،
أدام الله سعده .

المرتبة التاسعة — الأمير مجزدا عن المضاف إليه، وهى : الأمير، الأجل،
وربما زيد فيه فقيل الكبير، المحترم، ونحو ذلك .

النوع الثانى

(ألقاب أرباب الوظائف الديوانية، وهى على ست مراتب)

المرتبة الأولى — الجنب العالى مع الدعاء بمضاعفة النعمة . وفيها أسلوبان :

الأسلوب الأول — ألقاب الوزير وهى : الجنب العالى، الصاحبى،

الكبرى، العالمى، العادلى، الأوحدي، الأكلى، القوامى، النظامى، الأثيرى،

البليغيّ، المنفذي، المسدديّ، المتصرفيّ، الممهّديّ، العونيّ، المدبريّ، المشيريّ،
الوزيريّ، الفلانيّ، صلاح الإسلام والمسلمين، سيّد الوزراء في العالمين، رئيس
الكبراء، كبير الرؤساء، أوحّد الأصحاب، ملاذّ الكتّاب، قوام الدّول، نظام الملوك،
مفيد المناجح، معتمد المصالح، مرّتب الجيوش، عماد الملة، عون الأئمة، مشير
الملوك والسلاطين، وليّ أمير المؤمنين، فلان الفلاني، ضاعف الله تعالى نعمته .

الأسلوب الثاني — ألقاب كاتب السرّ، عند ما استقرّ ما يكتب له تقليدا
في قطع الثلثين، وهي: الجناب العالي، القاضويّ، الكبيريّ، العالميّ، العادليّ،
العلاميّ، الأفضليّ، الأكملّيّ، البليغيّ، المسدديّ، المنفذيّ، المشيّد، العونيّ،
المشيريّ، اليمينيّ، السفيريّ، الأصيليّ، العريقيّ، الفلانيّ، صلاح الإسلام
والمسلمين، سيّد الرؤساء في العالمين، قدوة العلماء العالمين، جمال البلاء، أوحّد
الفضلاء، جلال الأصحاب، كهف الكتّاب، يمين المملكة، لسان السلطنة، سفير
الأئمة، سليل الأكابر، مشير الملوك والسلاطين، وليّ أمير المؤمنين، فلان الفلاني،
ضاعف الله تعالى نعمته .

قلت: وقد كان رتبته: المجلس العالي عند ما كان يكتب له توقيع في قطع
النصف .

المرتبة الثانية — المجلس العالي مع الدّعاء بدوام النعمة؛ وفيها أربعة أساليب .

الأسلوب الأوّل — ألقاب كاتب السرّ على ما كان الأمر عليه في كتابة توقيع
في قطع النصف، ويدعى له: أدام الله نعمته، وهي: المجلس، العالي، بالألقاب
المتقدّمة له مع الجناب العالي، على ما استقرّ عليه الحال .

الأسلوب الثانى — ألقاب ناظر الخاص ، وهى : المجلس العالى القاضى ،
الكبرى ، العالمى ، الفاضلى ، الأوحدى ، الأكلى ، الرئيسى ، البليغى ، البارعى ،
القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأثيرى ، المنفذى ، المسددى ، المتصرفى ،
الفلانى ، جمال الإسلام والمسلمين ، سيد الرؤساء فى العالمين ، قوام المصالح ، نظام
المنافع ، جلال الأكابر ، قدوة الكُتاب ، رئيس الأصحاب ، عماد الملة ، صفوة
الدولة ، خالصة الملوك والسلاطين ، ولئى أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله
تعالى نعمته .

الأسلوب الثالث — ألقاب وزير دمشق إذا صرح له بالوزارة ، وهى :
المجلس العالى ، الصاحبى ، الوزيرى ، الأجلّى ، الكبرى ، العالمى ، العادلى ،
المؤيدى ، الأوحدى ، القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأثيرى ، المشيرى ،
الفلانى ، صلاح الإسلام والمسلمين ، سيد الوزراء فى العالمين ، رئيس الكبراء ، كبير
الرؤساء ، بقية الأصحاب ، ملاذ الكُتاب ، عماد الملة ، خالصة الدولة ، مشير الملوك
والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله تعالى نعمته .

الأسلوب الرابع — ألقاب ناظر النظار بالشام ، إذا لم يكن وزيرا ، وهى :
المجلس العالى ، القضاى ، الكبرى ، العالمى ، العالمى ، الأوحدى ، الرئيسى ،
الأثيرى ، القوامى ، النظامى ، المنفذى ، المتصرفى ، الفلانى : مجد الإسلام
والمسلمين ، شرف الرؤساء فى العالمين ، أوجد الفضلاء ، جلال الكبراء ، حجة
الكُتاب ، صفوة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله
تعالى نعمته .

المرتبة الثالثة — المجلس السامى بالياء مع الدعاء بدوام الرفعة وما فى معناها ،
وهى : المجلس السامى ، القضاى ، الأجل ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضلى ،
الكامل ، الرئيسى ، الأوحدى ، الأصلى ، الأثيرى ، البليغى ، الفلانى ، مجد
الإسلام ، شرف الرؤساء فى الأنام ، زين البلغاء ، جمال الفضلاء ، أوحد الكتاب ،
نخرا الحساب ، صفوة الملوك والسلطين ، أدام الله تعالى رفعتة .

فإن كان من كتاب الإنشاء ، أسقط منه « نخرا الحساب » .

المرتبة الرابعة — السامى بغير ياء ، مع الدعاء بدوام الرفعة ونحوه أيضا ، وهى :
المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ، الكبير ، الصدر ، الرئيس ، الأوحد ، البارع ،
الكامل ، الأصيل ، الفاضل ، فلان الدين ، جمال الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف
الأكابر ، زين الرؤساء ، أوحد الفضلاء ، زين الكتاب ، صفوة الملوك والسلطين ،
أدام الله تعالى رفعتة .

المرتبة الخامسة — مجلس القاضى ، وهى : مجلس القاضى ، الأجل ، الكبير ،
الفاضل ، الأوحد ، الأثير ، الرئيس ، البليغ ، العريق ، الأصيل ، فلان الدين ، مجد
الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الرؤساء ، زين الكتاب ، مرتضى الملوك والسلطين ،
أدام الله رفعتة .

المرتبة السادسة — القاضى ، وهى : القاضى الأجل . وربما زيد فى التعظيم
الصدر ، الرئيس ، الكبير ، ونحو ذلك .

النوع الثالث

(ألقاب أرباب الوظائف الدينية - وهى أيضا على ست مراتب)

المرتبة الأولى - الجنبُ العالى - وهى لمن استقر له كتابة تقليد في قطع
الثلثين من قضاة القضاة بالديار المصرية وهو الشافعى ؛ وهى : الجنبُ العالى ،
القاضوى ، الشىخى ، الكبيرى ، العالمى ، العاملى ، الأفضلى ، الأكلى ، الأوحدى ،
البليغى ، الفريدى ، المفيدى ، النجيدى ، القدوى ، الحجى ، المحققى ، الورعى ،
الخاصى ، الناسكى ، الإمامى ، العلمى ، الأصلى ، العريقى ، الحاكى ، الفلانى ؛
جمال الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء العاملين ، أوجد الفضلاء المفيدين ؛ قدوة
البلغاء ، حجة الأمة ؛ عمدة المحققين ، نخر المدرسين ، مقى المسلمين ؛ جلال الحكم
بركة الدولة ، صدر مصر والشام ؛ معز السنة ، مؤيد الملة ؛ شمس الشريعة ، رئيس
الأصحاب ، لسان المتكلمين ، حكم الملوك والسلاطين ، ولى أمير المؤمنين ؛ فلان
(بنسبه) أعز الله تعالى أحكامه .

وكذلك قاضى القضاة الحنفى بالديار المصرية عند ما استقر المكتوب له تقليداً .
المرتبة الثانية - المجلس العالى ؛ وبها كان يكتب لقاضى القضاة الشافعى
قبل أن يستقر ما يكتب له تقليداً ، بالألقاب والنعوت السابقة له مع الجنب ؛
وكذلك الثلاثة الباقيون باختصار فى الألقاب والنعوت ؛ وهى : المجلس العالى ،
القاضوى ، الكبيرى ، العالمى ، العاملى ، الأفضلى ، الأكلى ، الأوحدى ، البليغى ،
الفريدى ، المفيدى ، النجيدى ، القدوى ، الحجى ، المحققى ، الإمامى ، الأصلى ،
العريقى ، الحاكى ، الفلانى ؛ جمال الإسلام والمسلمين ، سيد العلماء العاملين ،
أوجد الفضلاء المفيدين ؛ قدوة البلغاء ، حجة الأمة ، عمدة المحدثين ، نخر المدرسين ،

مفتي المسلمين؛ جلال الحُكَّام، حَكَم الملوك والسلاطين، فلان الفلاني (بَنَسَبه) أعزَّ الله تعالى أحكامه .

المرتبة الثالثة — المجلس السامي بالياء، وهي : المجلس السامي، القضاة، الكبير، العالم، الفاضل، الأَوَّحَدِي، الرئيس، المُفِيدِي، البليغ، القُدْوِي، الأَثِيرِي، مجد الإسلام والمسلمين، جمال العلماء العاملين، أوحد الفضلاء، صدر المدرسين، عمدة المفتين، خالصة الملوك والسلاطين، فلان الفلاني : أدام الله تعالى تأييده .

المرتبة الرابعة — السامي بغير ياء، وهي : المجلس السامي، القاضي، الأجل، الكبير، الصدر، الرئيس، العالم، الفاضل، الكامل، فلان الدين، مجد الصدور، زين الأعيان، مرتضى الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى رفعة .

المرتبة الخامسة — مرتبة مجلس القاضي؛ وهي : مجلس القاضي، الأجل، الكبير، العالم، الفاضل، الأَوَّحَدِي، الصدر، الرئيس؛ مجد الإسلام، بهاء الأنام، زين الأعيان، فخر الصدور، مرتضى الملوك والسلاطين، فلان : أعزَّه الله تعالى .

المرتبة السادسة — مرتبة القاضي؛ وهي : القاضي، الأجل . وربما زيد في التعظيم نحو الكبير، الصدر، الرئيس، ونحو ذلك .

الذووع الرابع

(ألقاب مشايخ الصوفية — وهي على خمس مراتب)

المرتبة الأولى — المجلس العالي . وبها يكتب لشيخ الشيوخ بالديار المصرية، وهي : المجلس العالي، الشيخ، الكبير، العالم، العاقل، السالك، الأَوَّحَدِي،

الزاهدى، العابدى، الخاشعى، الناسكى، المفيدى، القدوى، الإمامى، النظامى،
الملاذى، جلال الإسلام والمسلمين، شرف الصلحاء فى العالمين، شيخ شيوخ
الإسلام، أوجد العلماء فى الأنام، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين، فلان،
أعاد الله تعالى من بركاته .

المرتبة الثانية — المجلس السامى بالياء، وهى : المجلس السامى، الشيخى،
الكبرى، الأوحدي، الأكلي، العابدى، الخاشعى، الناسكى، جمال الإسلام،
زين الأنام، صفوة الصلحاء، نحر العباد، بركة الملوك والسلاطين : أعاد الله تعالى
من بركاته .

المرتبة الثالثة — المجلس السامى بغير ياء، وهى : المجلس السامى، الشيخ،
الصالح، الزاهد، العابد، الورع، الخاشع، الناسك، السالك، فلان الدين،
مجد الصلحاء، زين المشايخ، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين : نفع الله
تعالى ببركته .

المرتبة الرابعة — مجلس الشيخ، وهى : مجلس الشيخ، الصالح، الزاهد،
العابد، الناسك، السالك، فلان الدين، مجد الصلحاء، زين المشايخ، بركة الملوك
والسلاطين : أدام الله تعالى بركاته .

المرتبة الخامسة — مرتبة الشيخ، وهى : الشيخ، الصالح، الورع، الزاهد،
ونحو ذلك : نفع الله تعالى به .

النوع الخامس

(ألقاب مَنْ قد يُكتب له بولاية من رؤساء العامة من التجّار وغيرهم)

وفيه أربع مراتب :

المرتبة الأولى — المجلس السامى بالياء ، وهى : المجلس السامى ، الصدرى ، الأجلّ ، الكبيرى ، الرئيسى ، الفلافى .

المرتبة الثانية — المجلس السامى بغيرياء ، وهى : المجلس السامى ، الصدر ، الأجلّ ، الكبيرى ، الرئيسى ، المحترم .

المرتبة الثالثة — مجلس الصدر ، وهى : مجلس الصدر ، الأجلّ ، الكبيرى ، المحترم ، المؤتمن ، فلان الدين . ويقال فى ألقاب المهتارية ونحوهم : الحاج فلان .

المرتبة الرابعة — مرتبة الصدر ، وهى : الصدر ، الأجلّ . فإن زيد فى تكريمه قيل بعد ذلك : الكبيرى ، المحترم .

النوع السادس

(ألقاب زعماء أهل الذمة ، وهم ثلاثة)

الأول — بطرك النصارى اليعاقبة ، وهى : الحضرة السامية ، الشيخ ، الرئيس ، المبجل ، المكرم ، الكافى ، المعزز ، المفخر ، القديس ، شمس الرياسة ، عماد بنى المعمودية ، كنز الطائفة الصليبية .

الثانى — بطرك الملائكية ، وتختصر ألقابه عما يكتب به لبطرك اليعاقبة بعض الاختصار .

الثالث - رئيس اليهود، وهى : الرئيس الأوحُد، الأجل، الأعز، الأخص، الكبير، شرف الداوديين، فلان أبو فلان : سدده الله فى أقواله ، وثبته فى أفعاله .

قلت : ومما يجب التنبه له أن ما تقدم من الألقاب والتعوت المفرعة على الألقاب الأصول ليست مما يوقف عند حد، بل محتملة للزيادة والنقص بحسب ما تقتضيه الحال ، ويحتمله المقال . بل ربما ولى بعض المناصب من فيه صفات تستحق ألقابا ونعوتا خاصة، فيكتب له بذلك مراعاة لما يقتضيه حاله، ويستوجبه مقامه ، ثم يل ذلك المنصب بعده من لا يستحق الوصف بالألقاب والتعوت التى تخص المتقدم ، فيؤتى بها للثانى : كما اتفق فيما كتب به فى نيابة الشام حين وليها الأمير بيدمر الخوارزمي رحمه الله، وكان من الديانة على ما لا يوجد فى غيره . فكتب فى ألقابه حينئذ : العايدى، الناسكى، الخاشعى . فليزمت فيمن بعده وصارت مما يكتب به إلى الآن ، سواء اتصف نائبا يدين أم لا - وكما اتفق فى صاحب علم الدين بن زنبور حين اجتمع له الوزارة ونظر الخاص والجيش ، فكتب له بألقاب ونعوت جامعة لألقاب تلك الوظائف ونعوتها، فاستمر ذلك فيما يكتب به لكل من ولى الوزارة بعده إلى الآن ، حتى إنه يكتب فى ألقاب الوزير الآن « مرتب الجيوش » وهو من الألقاب الخاصة بنظر الجيش استطرادا لما كتب به لأبن زنبور : لانضمام نظر الجيش إليه على ما تقدم - وكما اتفق فيما كتب به للشيخ تقي الدين السبكي من الألقاب الجليلة المقدار، الرفيعة المكانة ، فى قضاء الشام لرفعة مقامه ، واتساع باعه فى العلم ، وعلو مكانته فى الخاصة والعامة فلزم كتابة ذلك لقاضى قضاة الشافعية بالديار المصرية ، من حيث إنه لا يليق بالحال

أن يكون قاضي الشام أعلى رتبة من قاضي الديار المصرية . ثم سرى ذلك في كل من ولي المنصب بعد ذلك ، وهلم جرا إلى زماننا .

ومما يلتحق بذلك أنه قد جرت العادة في الزمن المتقدم وهلم جرا إلى زماننا أنه كان يكتب في الطرة لأرباب السيوف بعد الأمير « الكبيرى الفلانى » بلقب الإضافة إلى لقب السلطان كالناصرى ونحوه ، بخلاف أرباب الأقلام فإنه لم تجر العادة بأن يكتب لهم ذلك في شيء من طرة تقاليدهم ولا توقيعهم ، إلى أن ليس القاضي سعد الدين بن غراب الكلوتى ، وأستقر إستادارا في الدولة الناصرية فرج ابن برقوق ، ثم أستقر مشيرا وكتب له تقليد بالإشارة كتب له في طرة تقليده بعد الكبيرى « الناصرى » لجمعه بين السيف والقلم . ثم جرى بعض الكتاب على مثل ذلك في غيره من أرباب الأقلام الأكابر : كالوزير ، وكاتب السر ، وناظر الخاص ، وناظر الجيش ، ومن في معناتهم من أرباب الوظائف الديوانية . والحجة فيه ظاهرة من حيث إن كلا من المذكورين إذا كتب عنه كتاب ، كتب في أعلاه تحت البسملة « الملكى الناصرى » وإذا كتب عنه قصة ، كتب فيها تحت البسملة « الملكى الفلانى » . ومقتضى ذلك أن يكتب لقب الإضافة إلى لقب الساطنة في تقليده أو توقيعه على ما تقدمت الإشارة إليه من فعل بعض الكتاب .

الأمر الخامس — مما يجب على الكاتب مراعاته معرفة الوصف اللائق بصاحب الوظيفة .

فيجب عليه مراعاة ما يناسبه من الأوصاف التى يقع بها تقريره ومدحه :

فإن كان نائب سلطنة وصفه بالشجاعة، والنَّجْدَة، وقُوَّة العزم، والشَّهامة،
 وشِدَّة الشَّكِيمة، ونُصْرَة الدِّين، وكَفَّ [الأيدى] العاديَّة، وإرهاب العدو، وقَمَعَ
 المفسدين، وإرغام أهل العُدوان، وحِماية الثُّغور - إن كان فى ثغر - ووُفُور الهَيْبَة،
 وبُعْد الصِّيت، وطيران السُّمعة، مع بَسْط المَعْدِلَة والرَّفْق بالرَّعيَّة، والرُّأفة بخلق الله
 تعالى، والشفقة عليهم، والإحسان إلى الكافَّة، والأخذ بقلوبهم، والوقوف مع
 أحكام الشريعة، وبَذل الطاعة، والمناصحة، والمحالصة، وقِدَم هجرته فى الدولة - إن
 كان قديم هجرة - ومُرُور الدَّول عليه - إن كان قد مرَّت عليه دول - ، وأنه نَشَأ
 الدولة - إن كان ابتداء أمره فيها - ، ونحو ذلك .

وإن كان نائب قلعة وصفه بالحِذْق، واليقظة، وقُوَّة الحزم، وشِدَّة
 التحرُّز، والمعرفة بأحوال الحِصَار وضُروب القتال وطُرُق التحصين والمدافعة،
 ونحو ذلك .

وإن كان وزيرا وصفه بحُسن التدبير، وجَرَّالة الرَّأى، والإحتياط فى الأمور،
 والقيام بمصالح الإسلام، وعمارة البلاد، والنُّهوض فى المهمَّات، وكَفَّ الأيدى
 العاديَّة، والأخذ على يد المتعدِّى، وتَمِيَّة الأموال وتَثْميرها، وتسهيل مايجرى من
 الأرزاق على يده، وبَذل المجهُود فى معاضدة الشريعة، وشِبْه ذلك مما يجرى
 هذا المجرى .

وإن كان كاتب سرَّ وصفه بالفصاحة والبلاغة، وقيام أقلامه فى التأثير
 فى العدو مقام السُّيوف والرِّماح، وكُتْبِه فى تفريق الكتائب مقام الحيوش
 والعساكر، وسَداد الرَّأى، وكَتَم الأسرار، وحماية الممالك بنتائج أفكاره،
 وما شاكل ذلك .

وإن كان ناظر جيش وصفه بالمعرفة بأموال الجيوش وترتيبها ، وأصناف
الأمراء ، والجُند ، والمستخدمين ، وترتيب مقاماتهم ، وما ينخرط في هذا السلك .

وإن كان ناظر الخاص وصفه بالمعرفة بأموال الحساب ، والنهضة في المهمات ،
والمعرفة بأحوال ديوان الخاص وجهاته ، والقدرة على تحصيل الأموال وزيادتها ،
ومعرفة ما يحتاج إليه من أصناف الأقمشة والطُرز وغيرها ، مع الأمانة والعفة ،
وما يجري مجرى ذلك .

وإن كان مستوفى الصُحبة وصفه بالمعرفة بفنون الكتابة ، ونظم الحسابات ،
والاحتياط في استرفاعها ، مع الضبط والاحتراز والأمانة والعفة وما هو من هذا
القييل ،

وإن كان ناظر خزانة الخاص وصفه بالأمانة ، والعفة ، والمعرفة بأصناف
الخزانة : من الأقمشة ، والتشارييف ، والطُرز ، ومعرفة مراتب أربابها ، وما يناسب
كل واحد منهم من أنواع التشارييف من عاليها وهابطها ، وما يطابق ذلك .

وإن كان قاضيا وصفه بغزارة العلم ، وسعة الفضل ، ونصرة السنة ، وقمع
البدعة ، والعدل في الأحكام ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، والأخذ للضعيف من
القوى ، والنزاهة عن المطاعم الوخيمة ، والمطامع الرديئة ، والبعد عن الأهواء
في الحكم ، وما ينخرط في هذا السلك .

وإن كان محتسبا وصفه بعد وصفه بالفضل بالعفة ، والأمانة ، وعلو الهمة ،
وقوة العزم ، والصرامة ، ووفور الهية ، والنهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
والنظر في مصالح المسلمين ، وعدم محاباة أهل الدنيا وأرباب الجاه ، وأنه لا يفرق
في الحق بين الجليل والحقير ، وما في معنى ذلك .

وإن كان وكيل بيت المال وصفه بعد العلم والديانة بالوقوف مع الحق ،
والتثبت فيه ، ومراعاته المصلحة العامة في كل ما يتعلق به ، والمعرفة بشروط الاعذار
ومواقع ابداء الدافع ونفيه ، وأنه يقدم مصالح المسلمين على مصالح نفسه ،
وما يقارب ذلك .

وإن كان مدرّسا وصفه بسعة العلم ، والتضلّع بالفنون ، والأخذ من كل منها
بحظّ وافر ، وطول الباع في البحث والمناظرة ، والوقوف مع الحق فيها ، وعدم
الجدال في الباطل ، وترية الطلبة ، وتأديبهم ، والتقريب على من عسر على فهمه
شئ من المسائل ، وعدم الترفع عليهم ، وتنزيلهم منازلهم في الفضل ، وتقديم من
برع منهم .

وإن كان خطيبا وصفه بالفصاحة ، والبلاغة ، وقوة اللسان ، وشدة الشكيمة
في الكلام ، وتأثير وعظه في القلوب ، وأنسكاب الدموع من وقع عظائمه ، وما
أشبه ذلك .

وإن كان شيخ خانقاه وصفه بالورع ، والزهد ، والنسك ، وقطع العلائق من
الدنيا ، وترية المريدين وتسليكهم ، والوقوف مع طريق السلف الصالح .

وإن كان رئيس الأطباء وصفه بالحدق في الطب ، والمهارة فيه ، وتقديمه على
غيره في الفن ، والمعرفة بالعقاقير وما فيها من نفع وضرر ، والمعرفة بالأمراض والعلل
وطرق العلاج ، وما يجري مجرى ذلك .

وإن كان رئيس الكحّالين وصفه بالمعرفة في صنعة الكحل ، والتقدم على أبناء
صنعتهم فيه ، والمعرفة بحال العين وأمراضها ، وأصناف الأكمال ، وما يوافق كلّ
علة من ذلك ، وما ينخرط في هذا السلك .

وإن كان رئيس اليهود أو بطركا من بطاركة النصارى، وصفه بالمعرفة بأمور ملته، والوقوف مع قوانين شرعته، ومعاونة العدل في جماعته، والتزام شروط الذمة، والوقوف عند حدها، والدخول تحت الطاعة، والوقوف عند ما حُد له، ونحو ذلك .

الأمر السادس — مما يجب على الكاتب مراعاته وصية رب كل ولاية من الولايات المعتمدة بما يناسبها .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا حَسُنَ وَصِيَّةُ الْمَوْلَى بِهِ ، حَسُنَ وَصْفُهُ بِهِ . وَالْوَصَايَا مُخْتَلِفَةٌ بِاخْتِلَافِ مَوْضُوعَاتِهَا ، إِلَّا أَنَّ الْجَمْعَ يَشْتَرِكُ فِي الْوَصِيَّةِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَهِيَ الْأُسُّ الَّذِي يُبْنَى عَلَيْهِ ، وَالرَّكْنُ الَّذِي يُسْتَنْدَ عَلَيْهِ . وَهَذَا الْبَابُ هُوَ الَّذِي يَطُولُ فِيهِ سَبْحُ الْكَاتِبِ ، وَيَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى سَعَةِ الْبَاعِ ؛ فَإِنَّهُ مَا لَمْ يَكُنِ الْكَاتِبُ حَازِقًا بِمَا يُلْزَمُ رَبَّ كُلِّ وِلَايَةٍ لِيُوفِّيَهَا فِي الْوَصِيَّةِ حَقَّهَا ، وَإِلَّا ضَلَّ عَنْ الطَّرِيقِ ، وَحَادَ عَنْ جَادَةِ الصَّنْعَةِ . وَلِذَلِكَ يَقَالُ لِلْكَاتِبِ : « الْقَلَمُ الْأَكْبَرُ » : لِأَنَّهُ بِصَدَدِ أَنْ يَعْلَمَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ مَا يُلْزَمُهُ فِي وِلَايَتِهِ .

وحيثُ إنَّ كَانَ الْمُتَوَلَّى « نَائِبَ سُلْطَنَةِ » وَصَّى بِتَفْقُدِ الْعَسَاكِرِ ، وَعَرَضَ الْجِيُوشَ ، وَإِنْهَاضِهَا لِلْخِدْمَةِ لِلْوَظَائِفِ مَنْ يَلِيقُ بِهَا ، وَتَنْفِيزِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَمُعَاوَدَةِ حُكَّامِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَإِجْرَاءِ الْأَوْقَافِ عَلَى شُرُوطِ وَاقْفِهَا ، وَمُلَاحَظَةِ الْبِلَادِ وَعِمَارَتِهَا ، وَإِطَابَةِ قُلُوبِ أَهْلِهَا ، وَالشَّدِّ مِنْ مَبَاشِيرِ الْأَمْوَالِ ، وَتَقْوِيَةِ أَيْدِيهِمْ ، وَمُلَازِمَةِ الْعَدْلِ ، وَعَدَمِ الْأَنْفِكَالِكِ عَنْهُ ، وَتَحْصِينِ مَا لَدَيْهِ مِنَ الْقِلَاعِ ، وَاسْتِظْلَاحِ الْأَخْبَارِ وَالْمُطَالَعَةِ بِهَا ، وَالْعَمَلِ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ الْمُرَاسِمِ

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة ولعله « وأنتقاه » للوظائف الخ .

السلطانية، وأنَّ ما أَشْكَل عليه يَسْتَضَى فيه بالآراء الشريفة، والإحسان إلى الجند،
وتعيين إقطاع مَنْ مات منهم لولده إن كان صالحاً، ونحو ذلك .

وإن كان « نائب قلعة » وَصَّى بحفظ تلك القلعة، وعمارة ما دَعَتْ الحاجةُ
إلى عمارته منها، والأخذِ بقلوب من فيها، وجمعهم على الطاعة، وأخذِ قلوبهم
بالإحسان إليهم، وتحصينها بآلات الحِصَار، وأدْخار آلات الحرب : من المجانيق
والقسيِّ وسائر الآلات : من السهام، واللبُوس، والستائر، وغير ذلك . وكذلك
آلاتُ أرباب الصنائع، كآلات الحدادين، وصنَّاع القسيِّ وَمَنْ في معناهم مما
يُحْتَاج إلى عمله في آلات القلعة، والاعتناء بغلق أبواب القلعة وفتحها، وتفقد
متجددات أحوالها في كل مساء وصباح، وإقامة الحرس، وإدامة العسس،
وتعرُّف أخبار المجاورين لها من الأعداء، وإقامة نوب الحماة بها، والمطالعة بكل
ما يتجدد لديه من الأخبار .

وإن كان « وزيراً » وَصَّى بالعدل وزيادة الأموال وتثمينها، والإقبال على تحصيلها
من جهات الحِلِّ، واختيار الكُفَّاة الأمانة، وتجنب الخونة، وتطهير بايه، وتسهيل
حجابه، والنظر في المصالح، وأنه لا يَسْتَبْدِل إلا بَمَنْ ظهر لديه عجزه أو خيانتُه،
والنظر في أمر الرواتب وإجرائها على أربابها .

وإن كان « كاتب سِر » وَصَّى بالاهتمام بتلقى أخبار الممالك وعرضها على المواقف
الشريفة، والإجابة عنها بما تبرز به المراسيمُ الشريفة، وتعريف التواب في الوصايا
التي تُكْتَب في تقاليدهم عن المواقف الشريفة ما أبهم عليهم، وبين لهم ما يقفون

(١) جرى على اللغة القليلة والكثير الشائع إغلاق فتنه .

عند حدّه ، والنظر في تجهيز البريد والنّجّابة ^(١) ، وما يُبعث فيه من المصالح وينفّذ فيه من المهمّات والقُصّاد ، ومعرفة حقوق ذوى الخدمة والنّصيحة ، وإجرائهم في رُسوم الرواتب وعوائد البر والإحسان على أتمّ العوائد ، وتأليف قلوبهم ، والأخذ بخواطيرهم ؛ والنظر في أمر الكشّافة والديّادب والنظارة والمنّاور والمحرّقات وأبراج الحماة ؛ وصرف نظره إلى رسل الملوك الواردة ، ومعاملتهم بالإكرام ، والأخذ في صون سرّ الملك وكتّانه حتى عن نفسه ، وضبط ألواح البريد ، والاحتراز فيما تؤخذ عليه العلامة الشريفة ، ومراعاة كُتّاب ديوان الإنشاء ، والإحسان إليهم ، وأن لا يستكتب في ديوانه إلا من علم صلاحه لذلك وكفايته ، ووثق منه بكنان السرّ كما يثق به من نفسه .

وإن كان « ناظر جيش » وصّى بالاحتياط في أمر ديوانه ، والوقوف على معالم هذه المباشرة ، وجرائد الجند ، والإقطاعات ، وتحرير الكُشوف والمحاسبات ، وأستيضاح أمر من يموت من أرباب الإقطاعات من ديوان المواريث أو من المقدمين والنقباء ، والاحتراز في أمر المربعات وجهات الإقطاعات وما يترتب عليها من المناشير ، والنظر في أمر المقطعين : من الجند ، والعرب ، والتركمان ، والأكراد ، ومن عليه تقدمة أو درك بلاد أو غير ذلك .

وإن كان « ناظر خاص » وصّى بالاحتياط لديوانه ، والأخذ في تحصيل أموال جهاته وتتميتها وتمهيرها ، وزيادتها وتوفيرها ، والتحرّز فيما يرفع من حسباناتها ، والاهتمام بأمر التّشاريف والخلع ، وما يختص بكل ولاية وغيرها من التّشاريف ،

(١) جرى العامة في هذا الاستعمال .

وما جرت به العادة من الهدايا المحضرة إلى ملوك الأقطار، والأخذ في ذلك كله بالخطّ الأوفى للديوان السلطانيّ، وما يجرى مجرى ذلك .

وإن كان «مستوفى صحبة» وصّى بإلزام الكتاب بما يلزمهم من الأعمال وتحريرها، وعمل المكلفات وتقدير المساحات، وتمييز ما بين تسجيل القُدن في كل بلد بحسب ما يصلح لها من الزراعة، وتمييز قيم بعضها على بعض، ومستجدّ الجرائد، وما يقابل عليه من ديوان الإقطاعات والأحباس وغير ذلك .

وإن كان «ناظرًا لخزانة الخاص» وصّى بتحصيل ما يحتاج إليه لتفصيل الخاصّ وتشاريف أرباب السيوف والأقلام : العرب، والترُكّان، والأكراد، وغيرهم؛ وهدايا الملوك وما يجرى مجرى ذلك : من العتّابيّ والأطلس، والمُشربش، والمُقندس والمتمّر، والطرازات على اختلافها : من الزركش، والباهى، وأنواع المستعملات، وما يحلّ من دار الطراز، وما يُبتاع للخزانة العالية، وما هو مُرصد لها من الجهات التي يحلّ إليها متحصّلها : لِيُنْفَق في أثمان المبيعات ومصرف المستعملات، والاحتراز فيما يُنفق من الأثمان وقيمة المُبتاع، وشهادات الرسائل المكتتبة إليه بالحمول وما يكتب بها من الرجعات، وأن يحصل كلّ شيء هو بصدد الحاجة إليه قبل الاحتياج .

وإن كان «قاضيا» وصّى بالتروى في أحكامه قبل إمضاءها، وأن يراجع الأمر مرّة بعد أخرى، واستشارة أهل العلم، والرّجوع إليهم فيما أشكل عليه، واستشارة الله تعالى قبل الإقدام على الحكم، والقضاء بحق الخصم بعد وضوحه، والتسجيل له به، والإشهاد على نفسه بذلك، والتسوية بين الخصوم حتّى في تقسيم النّظر إلى الخصمين، والتحرّى في استيداء الشهادات، وأن لا يقبل من الشهود الا من عُرف

بِالْعَدَالَةِ : مَنْ رَبَّ قَلَمٍ أَوْ سَيْفٍ ، وَالتَّنْقِيبَ عَمَّا يَصْدُرُ مِنَ الْعُقُودِ ، وَلَا يَعُولُ
مِنْ شُهُودِ الْقِيَمَةِ إِلَّا عَلَى كُلِّ عَارِفٍ بِالْقِيَمِ خَبِيرٍ بِهَا ، وَالنَّظَرَ فِي أَمْرِ الرُّسُلِ وَالْوُكَلَاءِ ،
وَالنَّظَرَ فِي أُمُورِ أَهْلِ مَذْهَبِهِ ، وَالْإِعْتِنَاءَ بِشَأْنِهِمْ .

ويزاد « الشافعي » الوصية بالنظر في دعاوى بيت المال ومحاكماته ، والاحتراز
في قضايها ولا يقبل فيها بينة لو كمل بيت المال فيها مدفع ، ولا يعمل فيها بمسألة
ضعيفة ، والنظر في أمر أموال الأيتام وأمر المتحدثين فيها بالإحسان إليهم ،
وكذلك أموال الصدقات الجارية تحت نظره ، والتيقظ لإجرائها على السداد في صرفها
في وجوه استحقاقها ، وأن لا يعمل في مسألة تفرد بها مذهب إلا بما نص عليه إمامه
أو كان عليه أكثر أصحابه ، ولا يعتمد في ذلك مرجوحا ولا ما تفرد به قائله ،
وأن لا يولى في البرئائبا إلا مَنْ عُرِفَ استحقاقه وأهليته لما يتولاه .

ويزاد « الحنفي » الوصية بالعمل بما اقتضاه مذهب من الأمور التي فيها صلاح
لكثير من الناس : كترويح المعصرات ، وشفعة الحوار ، ونفقة المعتدة البائن ، وعدم
سماع بينة الإعسار إلا بعد مضي المدة المعتبرة في مذهب ، والإحسان إلى مَنْ ضمه
نطاق ولايته ممن نزع إليه من أهل الشرق وأقاصي الشمال .

ويزاد « المالكي » الوصية بالتحري في بينات الدماء ، والإعذار إلى الخصم ليبدى
مالديه من دافع ، والعمل بما تفرد به مذهب مما فيه فسحة للناس : كالثبوت
بالشهادة على الخط ، وولاية الأوصياء ، وإسقاط الرِّيع في الوقف المسترد بعد البيع ،
والإحسان إلى مَنْ لديه من غرباء أهل مذهب ، لاسيما مَنْ أتاه من بلاد المغرب .

ويزاد « الحنبلي » الوصية بالاحتياط في بيع مادّثر من الأوقاف والاستبدال بها ،
ورعاية المصلحة في ذلك لأهل الوقف بما أمكن ، والفسخ على مَنْ غاب عن زوجته

الغِيبة المستوجبة للفسخ عندهم ، ووقف الإنسان على نفسه ، وأمر الجوائح التي يحصل بها التخفيف عن ضُعفاء الناس ، والمُعامل على الزرع بالحرث ونحوه ، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، والوصية بأهل مذهبه الذين هم أقل المذاهب عدّة وأنزَرُهم وظائف وأوقافاً ، ومعاملتهم بالإحسان .

وإن كان « قاضى عسكر » وصّى بنحو ما يوصى به [القاضى] وأن يتخذ معه كاتباً يكتب للناس ، وأن يقبل من الجُند من كان ظاهره العدالة ، فإنّ الشهود المُعَدّين لتحمل الشهادة يعزّ وجودهم في العسكر ، وأن يكون له منزل معروف يُقصد فيه إذا نُصبت إحيام ، وأحسن ما يكون ذلك عن يمين الأعلام السلطانية ؛ وأن يكون مستعدّاً للأحكام التي يكثر فضلها في العسكر : كالغنائم ، والشركة ، والقسمة ، والمبيعات ، والردّ بالغيّب ؛ وأن يُسرّع في فصل القضاء بين الخصوم : لئلا يكون في ذلك تشاغل عن مواقع الحرب ومقدماته ، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى .

وإن كان « محتسباً » وصّى بالنظر في أمر المكاييل والموازين وسائر المقادير ؛ والتحذير من الغش في الطعام والشراب ؛ وأن يتعرّف الأسعار ، ويستعلم الأخبار في كل سوق من غير علم أهله ؛ وأن يقيم على الأسواق وأرباب المعاييس من ينوب عنه في النظر في أمورهم من الأمناء المأموين ؛ وأن لا يمكن أحداً من العطارين من بيع غرائب العقاقير إلا ممن لا يُستَراب به بخط متطبب لمريض ؛ وأن يمنع المتحيلين على أكل أموال الناس بالباطل : من الطُرُقِية وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة إلى بنى ساسان من تعاطى ما يتعاطونه من ذلك ، ويقمّهم ويَحْسِم مادّتهم ، والتصدّى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والمنع من الغش

(١) أى المنجمين الذين يدعون معرفة المغيبات بمقتضى النظر في النجوم .

وإخبار المشتري بأزيد مما اشترى به ، والنظر في أمر فقهاء المكاتب والعالمات من النساء ، ولا يمكن منهم أحدا [أن] يتعاطى ذلك إلا من عرفت أمانته ، وأثرت صيانتته ، وأن لا يستنيب إلا أهل العفة والأمانة والنزاهة ممن بعد عن الطمع ، ونأى عن مطاعم السوء .

وإن كان «وكيل بيت المال» وصى بالعمل بالشرع الشريف في جميع أحكامه ، وأن مات وله ورثة تستوعب ميراثه لا يكلفهم ثبوتا فيه تعنت ومدافعة عن حقهم ، والتشديد في أمر من كانت قصته منكرا ، والتحرز من شهود الزور في مثل ذلك ، وأن يرجع في كل ما يساع ويؤجر إلى العوائد ، وأن يتحرز في شهادة شهود القيمة ، ولا يرجع فيها إلا لمن يوثق به ممن يكون عنده معرفة بقيمة الأشياء ، وينبئ على أن له أن يدعى بحق المسلمين حيث شاء عند من يشاء من أصحاب المذاهب ، وأن الدعوى عليه لا تكون إلا في مجلس الحكم العزيز الشافعي ، على ما جرت به العادة القديمة ، والاحتياط في حق بيت المال ، وليختار للاستنابة في الأعمال من يصلح لذلك .

وإن كان «مدرسا» وصى بأن يقبل على جماعة درسه بطلاقة وجه ، وأن يستميلهم إليه جهدا استطاعته ، ويربيهم كما يربي الوالد ولده ، ويستحسن نتائج أفكارهم التي يأتون بها في درسه ، ويقدم منهم من يجب تقديمه ، ويترى كل واحد منهم منزلته ، ليهزم ذلك إلى الإكباب على الاشتغال والازدياد في التحصيل . ثم يأتي [في] كل مدرس بما يناسبه من أمور العلم الذي يدرس فيه إن كان يدرس في علم خاص .

وإن كان «خطيبا» وصى برعاية حق رتبة الخطابة والقيام بحق ازدواجها ، وأن يأتي من المواعظ بما يقرع الأسماع بالوعد والوعيد ، ويلين القلوب القاسية ،

وَأَنْ يُعَدَّ لِكُلِّ مَقَامٍ يَقُومُهُ مَقَالًا يَقُولُهُ ، وَأَنْ يُخَفَّفَ الْخُطْبَةُ ، وَيَأْتِيَ بِهَا بَلِيغَةً مَفْهُومَةً ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُتَعَلِّقَاتِ الْخُطَابَةِ .

وَإِنْ كَانَ « شَيْخُ خَاتَمِهِ » وَصَّى بِالْاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ ، وَالْمَشْيِ عَلَى طَرِيقِ السَّلَفِ : مِنْ الزُّهْدِ ، وَالْوَرَعِ ، وَالْعَفَافِ ؛ وَأَنْ يَأْخُذَ جَمَاعَتَهُ بِمَآخِذِهِ فِي الْأُمُورِ ؛ وَأَنْ يَعْرِفَ الْجَمَاعَةُ مَكَانَهُ حُقُوقَهُمُ الْوَاجِبَةَ لَهُمْ وَيُزِيلَهُمْ مَنَازِلَهُمْ خُصُوصًا أَوْلَى السَّابِقَةِ مِنْهُمْ ، وَيَأْخُذَ فِي الرِّفْقِ بِهِمْ وَمُدَارَاتِهِمْ ، مَعَ تَرْتِيبٍ مِنْ أَسْتَجَدَّ مِنْهُمْ ، وَإِحْرَافِهِمْ عَلَى طَرَائِقِ الصُّوفِيَّةِ ، وَتَعْرِيفِهِمُ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَدْرِيجِ الْمُرِيدِينَ عَلَى قَدَرٍ مَا تَحْتَمِلُهُ أَفْهَامُهُمْ ، دُونَ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَحْوَالِ الطَّرِيقِ بِمَا لَا تَحْتَمِلُهُ عُقُولُهُمْ . وَ[اتِّبَاعِ] سَبِيلِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ اللَّذِينَ مِنْ حَادٍ عَنْهُمَا ضَلَّ ، وَمَنْ نَخَرَجَ عَنْ جَادَّتِهِمَا زَلَّ ، وَكَفَّهُمْ عَنْ أَرْكَابِ الْبِدْعِ وَالْجُرْئِ عَلَى مَنَاجِحِهَا ؛ وَمَنْ أَتَى ذَنْبًا خَفِئَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالْأَسْتِغْفَارِ ؛ وَالْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ أَخَذَ فِي الشَّطْحَاتِ ، وَالخُرُوجِ عَنْ قَانُونِ ظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ ، وَمَنْعَ مَنْ نَحَا هَذَا النُّحُوًّا أَوْ جَرَى عَلَى هَذِهِ الْجَادَّةِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ يَقْدَمُ عَلَيْهِ مِنَ الْآفَاقِ ، وَحُسْنِ التَّلَقِّيِّ لَهُ ، وَإِكْرَامِ نُزُلِهِ بَعْدَ أَنْ يَعَجَّلَ لَهُ بِالْإِذْنِ ، وَالْأَمْرِ بِأَخْذِ عُكَّازَةٍ ، وَفَرَشِ سَجَّادَةٍ ، وَمَا يَنْخَرِطُ فِي سَبِيلِكَ ذَلِكَ .

وَإِنْ كَانَ « رَئِيسُ الْأَطْبَاءِ » وَصَّى بِالنَّظَرِ فِي أَمْرِ طَائِفَتِهِ ، وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ ، وَيَأْمُرُ الْمَعَالِجَ أَنْ يَعْرِفَ أَوَّلًا حَقِيقَةَ الْمَرَضِ وَأَسْبَابَهُ وَعِلَامَاتِهِ ، ثُمَّ يَنْظُرَ إِلَى السِّنِّ وَالْفَصْلِ وَالْبَلَدِ ، وَحِينَئِذٍ يَشْرَعَ فِي تَخْفِيفِ الْحَاصِلِ ، وَقَطْعِ الْوَاصِلِ ، مَعَ حِفْظِ الْقُوَّةِ ؛ وَأَنْ لَا يَهَاجِمَ الدَّاءَ ، وَلَا يَسْتَعْرِبِ الدَّوَاءَ ، وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى الْأَبْدَانِ إِلَّا مَا يَلَائِمُهُمَا ، وَلَا يُخْرِجُ عَنْ عَادَةِ الْأَطْبَاءِ وَلَوْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ الْإِصَابَةُ حَتَّى يَتَبَصَّرَ فِيهِ بِرَأْيِ أَمثالِهِ ؛ وَيَتَجَنَّبُ الدَّوَاءَ ، مَا أَمَكَّتْهُ الْمَعَالِجَةُ بِالْغِذَاءِ ، وَالْمَرْكَبَ مَا أَمَكَّتْهُ الْمَعَالِجَةُ بِالْمَفْرُودِ ؛

ويتجنب القياس إلا ما صحَّ بتجريب غيره في مثل من أخذ في علاجه، وما عرض له،
وسنّه، وفصله، وبلده، ودرجة الدواء؛ وأن يحذر التجربة فإنها خطر، مع الاحتراز
في المقادير والكيفيات، وفي الاستعمال والأوقات، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر
عنه؛ ولا يأمر باستعمال دواء ولا ما يستغرب من غذاء حتى يحقق حقيقته، ويعرف
جديده من عتيقه، ليعرف مقدار قوته في الفعل .

وإن كان «رئيس الكهان» وصى بالنظر في حال جماعته أيضا، ومعرفة
أحوالهم، وأن لا يُصرف منهم إلا من عُرف بحسن الإدارة والملازمة في العلاج،
ويأمر كلاً منهم أن لا يُقدم على مداواة عين حتى يعرف حقيقة المرض، وأن
يلاطفها بما يناسبها من الغذاء، وأن يتخير من الكحل ما فيه شفاء العين وجلاء
البصر، وأن يستشير الأطباء الطبائعية فيما أهم، مما لا يستغنى عن رأى مثليهم فيه،
من تخفيف المادة بالاستفراغ أو نقص دم أو غير ذلك .

وإن كان «رئيس اليهود» وصى بضم جماعته، ولمّ شملهم، والحكم فيهم بقواعد
ملته، والنظر في أمور الأنكحة عندهم، وما يعتبر عندهم فيها على الإطلاق، وما يفتقر
إلى الرضا من الجانبين في العقد والطلاق، والنظر فيمن أوجب حكم دينه عليه
التحريم، والتوجه في صلاتهم تلقاء بيت المقدس إلى جهة قبلتهم، وإقامة حدود
التوراة على ما أنزل الله تعالى من غير تحريف ولا تبديل للكلمة بتأويل ولا غيره،
وأتباع ما أعطوا عليه العهد مع إلزامه لهم [ما التزموه] من حكم أمثالهم من أهل الذمة
الذين أقرّوا في دار الإسلام على الصغار والإذعان لأهل الإسلام، وعدم مضايقتهم
للمسلمين في الطرق، وتميزهم بشعارهم في الحمام، كي لا يحصل اللبس بالمسلمين، وحمل
شعار الذمة على رؤوسهم: وهى العائم الصفّر؛ يأخذهم بتجديد صبغه في كل حين،
وعدم التظاهر بما يقتضى المناقضة: من ذكر الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم

بُسوء، أو إظهار الخمر أو معتقدهم في العزير عليه السلام . وله أن يرتب طبقاتهم على ما تقتضيه مراتبهم عنده، وكذلك له التحدث في كنائس اليهود المستمرة إلى الآن بأيديهم، من حين عقد الذمة، من غير تجديد متخرب، ولا فعل ما لم تُعقد عليه الذمة ويقرهم عليه السلف الأول .

وإن كان «بطرك النصارى المليكانيّة» وصّى بما عليه بناءً شرعته من المسامحة والاحتمال والصبر على الأذى، وعدم الأكرات به، وأخذ نفسه بهذه الآداب؛ وأنه يُقدّم المصالحة بين المتحاكين إليه قبل فصلها على البت فإنه قاعدة دينه المسيحي، ولم تُخالف فيه الملة الإسلامية، وأنه ينقّي صدور إخوانه من الغل، ويتخلّق بكل خلق جميل، ولا يستكثر من الدنيا، ويتنزّه عن أموال جماعته والتوسّل إلى أخذها، وأنّ إليه أمر الكنائس والبيع، وعليه أن يتفقدها في كلّ وقت، ويرفع ما فيها من الشُّبُهات، ويحدّر رُهبان الديارات من جعلها مَصيدةً للال؛ وأن يتجنّبوا فيها الخلوة بالنساء، ولا يؤوى إليه أحدا من الغرباء القادمين عليه يكون فيه رية، ولا يكتّم ما أطلع عليه من ذلك عن المسماع الشريفة السلطانية، ولا يُخفى كتاباً يرد عليه من أحد من الملوك، أو يكتب له جواباً، ويتجنّب البحر وما يرد منه من مظانّ الرّيب .

وإن كان «بطرك البعاقبة» قيل في وصيته نحو ما تقدّم في وصيّة بطرك المليكانيين، إلا أنه لا يقال : وأعلم أنّك في المدخل إلى شريعتك طريق الباب، بل يقال : وأعلم أنّك في المدخل إلى شريعتك قسيم الباب، ومساو له في الأمر والنهى والتحليل والتحريم . ويقال بدل قوله «وليتجنّب البحر» : «وليتوقّ ما يأتيه سرا من تلقاء الحبشة» .

قلت : وهذه الوصايا مَدْخَلُ إلى ما يرضى به أصحابُ الولايات ممن تقدّم ذكره والأمر في الزيادة والنقص في ذلك بحسب المناسبة راجعٌ إلى نظر الكاتب . على أن المقتر الشهابيّ ابن فضل الله رحمه الله قد ذكر في "التعريف" عدّة وصايا ليست مما يُكتب الآن ، فأضربنا عن ذكر مقاصدها هنا : لتُورد برمتها في الكلام على ما يكتب في متن التقاليد والتواقيع ونحوها ، مع النسخ التي تُورد هناك على صورة ما أوردها ، لينسج على منوالها إن أمر بكتابة شيء منها .

المقصد الثاني

(في بيان مقاصد ما يكتب في الولايات ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في بيان الرسوم في ذلك ، ومقادير قطع الورق لكل صنف منها)

على سبيل الإجمال)

وهي على أربعة أنواع :

النوع الأول

(التقاليد)

جمع تقليد . يقال : قلّدتُه أمر كذا إذا وليّته إياه . قال الجوهري : وهو مأخوذ من القلادة في العنق ، يقال قلّدتُ المرأة فتقلدت ، قال : ومنه التقليد في الدين أيضا .

ثم التقاليد تشتمل على طرّة ومتن ، فأما الطرّة فقد أشار إليها في "التعريف" بقوله : وعنوانها «تقليد شريف لفلان بكذا» . وأوضح ذلك في "التشيف" فقال :

وصورته : ان يكتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقرّ الكريم ، أو إلى الجنب الكريم ، أو إلى الجنب العالى الأميرى الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، أعز الله تعالى أنصاره ، أو نصرته ، أو ضاعف الله تعالى نعمته ، نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس ، أو بحلب المحروسة ، أو بطرابلس المحروسة ، أو نحوها ، على أجل العوائد فى ذلك وأكمل القواعد على ما شرح فيه .

قلت : وتفصيل هذا الإجمال : إن كان المكتوب له التقليد هو النائب الكافل ، كتب فى طرة تقليده : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقرّ الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكفيل ، الفلانى ، فلان الفلانى ، بلقب الإضافة إلى لقب السلطان ، كالناصرى مثلاً ، كفاءة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية ، أعلاها الله تعالى على أجل العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بكفاءة السلطنة بالشام ، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقرّ الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكفيل ، فلان الناصرى ، مثلاً كفاءة السلطنة بالشام المحروس على أتم العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بـنيابة السلطنة بحلب ، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى الجنب الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، فلان الناصرى ، أعز الله تعالى نصرته ، نيابة السلطنة الشريفة بحلب المحروسة ، على أجل العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بـنيابة طرابلس ، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى الجنب العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، فلان الناصرى : ضاعف الله

تعالى نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة، على أجمل العوائد في ذلك
وأكل القواعد، على ما شُرح فيه .

وإن كان التقليد بنيابة السلطنة بحمّة، أُبدل لفظ طرابلس بحمّة .

وإن كان بنيابة السلطنة بصَفَد، أُبدل لفظ طرابلس وحمّة بصَفَد، والباقي على
ما ذُكر في طرابلس .

وإن كان التقليد بنيابة السلطنة بغَزّة - حيث جعلت نيابة - كتب : تقليد
شريف بأن يفوّض إلى الجنب العالي، الأميري، الكبيرى، الكافلى، الفلانى،
فلان الناصرى : أدام الله تعالى نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بغَزّة المحروسة، على
أجمل العوائد، وأكل القواعد، على ما شُرح فيه .

فإن كان مُقدم العسكر كما هو الآن، أُبدل لفظ نيابة السلطنة الشريفة بلفظ
« تقدمة العسكر المنصور » والباقي على ما ذُكر .

وإن كان التقليد بنيابة السلطنة بالكرك، كتب : تقليد شريف بأن يفوّض إلى
المجلس العالي، الأميرى، الكبيرى، الفلانى، فلان الناصرى : أدام الله تعالى
نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بالكرك المحروس، على أجمل العوائد، وأكل القواعد،
على ما شُرح فيه .

وإن كان التقليد بالوزارة، كتب : تقليد شريف بأن يفوّض إلى الجنب العالي
الصاحي، الفلانى، فلان الناصرى : ضاعف الله تعالى نعمته، الوزارة الشريفة
بالممالك الإسلامية أعلاها الله تعالى، على أجمل العوائد، وأكل القواعد، بالمعلوم
الشاهد به الديوان المعمور، على ما شُرح فيه .

وإن كان التقليد بكتابة السر، كُتب : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوض إلى الجنب
العالى، القاضوى، الكبيرى، اليمينى، الفلانى، فلان الناصرى : ضاعف الله
تعالى نعمته، صحابة دواوين الإنشاء الشريفة بالممالك الإسلامية، أعلاها الله
تعالى، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور،
على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بقضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، كُتب : تقليدٌ شريفٌ
بأن يفوض إلى الجنب العالى، القاضوى، الكبيرى، الفلانى، فلان : أعز الله
تعالى أحكامه، قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، على أجمل العوائد، وأكمل
القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بقضاء قضاة الحنفية، كتب كذلك، إلا أنه يُبدل لفظ الشافعية
بلفظ الحنفية .

وإن كان التقليد لأمر مكة، كتب : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوض إلى المجلس
العالى، الأميرى، الكبيرى، الشريفى، فلان الفلانى : أدام الله تعالى نعمته
إمرة مكة المشرفة، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شرح فيه .

وإن كان بإمرة المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، والتحية والإكرام،
كتب كذلك إلا أنه يُبدل لفظ مكة المشرفة بلفظ المدينة الشريفة .

وإن كان بإمرة آل فضل، كتب : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوض إلى المجلس
العالى، الأميرى، الكبيرى، الفلانى : أدام الله تعالى نعمته إمرة آل فضل،
على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شرح فيه .

هذه جملة ما عهدت كتابته من التقاليد المكتتبة من ديوان الانشاء بالأبواب الشريفة، فإن حدث كتابه ما يستحق أن يكتب له تقليدٌ، كالأتابكية ونحوها، كتب بالألقاب اللائقة بصاحبه .

ثم وراء ذلك أمران : أحدهما - أنه قد تقدم نقلا عن "التعريف" أنه يكتب في العنوان الذى هو الطرة : «تقليدٌ شريفٌ لفلان بكذا» فإن كتب تقليدٌ بكفالة السلطنة مثلا، كتب : «تقليدٌ شريفٌ للقرّ الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى، الفلانى»، بكفالة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية، على أجمال العوائد، وأكمل القواعد، على ما شرح فيه .

الثانى - أنه اقتصر فى "التثقيف" على قوله فى آخر الطرة، على أجمال العوائد فى ذلك وأكمل القواعد، وليس الأمر منحصراً فى ذلك، بل لو عكس بأن قيل : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوض إلى فلان كذا، أو تقليدٌ شريفٌ لفلان بكذا على أكمل القواعد واجمل العوائد على ما شرح فيه، لكان سائغاً .

فإن كان صاحبُ التقليد على الرتبة : كالنائب الكافل، ونائب الشام، ونائب حلب، والوزير، وكاتب السرّ، ونحوهم، كتب على أجمال العوائد وأتمّها، وأكمل القواعد وأعمّها، أو بالعكس : بأن يكتب على أجمال العوائد وأعمّها، وأكمل القواعد وأتمّها، على ما شرح فيه .

وأما متن التقليد، فقد قال فى "التعريف" : إن التقاليد كلّها لا تفتح إلا بالحمد لله وليس إلا، ثم يقال بعدها : أما بعد، ثم يذكر ما سنع من حال الولاية وحال الموئى، وحسن الفكر فيمن يصلح، وأنه لم يراحق من ذلك الموئى ويسمى، ثم يقال ما يفهم أنه

هو المقدم الوصف أو المتقدم إليه بالإشارة؛ ثم يقال: رُسِمَ بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى (ويدعى له) أن يقلد كذا، أو أن يفوض إليه كذا، والأول أجل؛ ثم يوصى بما يناسب تلك الولاية مما لا بد منه تارةً جُملياً وتارةً تفصيلياً، وينبّه فيه على تقوى الله تعالى؛ ثم يختم بالدعاء للمولى، ثم يقال: وسبيل كل واقف عليه العمل به بعد الخطّ الشريف أعلاه.

قال: ولقضاء الكتاب فى هذا أساليب، وتفنن كثير الأعاجيب، وكل ما لوف غريب، ومن طالع كلامهم فى هذا وجد ما قلناه، وتجلّى له ما أهتمناه.

وذكره فى "التثقيف" بأوضح معنى وأبين، فقال: ويكتب بعد الصدر بخطبة مناسبة أولها الحمد لله إلى آخرها، ثم أما بعد، ويذكر ما يرى ذكره من حال الولاية والمولى، ويذكر اسمه، وهو أن يقال: ولما كان المقتر، أو الجنب، وألقابه ونعوته إلى آخرها، ويدعى له: أعزّ الله أنصاره أو نصرته، أو نحوه، على ما جرت به عادته، ولا يزداد على دعوة واحدة؛ ثم يقال ما يفهم أنه المراد بهذه الأوصاف، أو المعنى بهذه الإشارة أو نحو ذلك؛ ثم يقال: آقتضى حسن رأينا الشريف، ويذكر ما يقتضى تكريمه وتعظيمه؛ ثم يقال: فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى (ويدعى له) بما يناسب الحال ثلاث دعوات أو أربعا) أن يفوض إلى المشار إليه كذا؛ ثم يقال: فليقلد ذلك، أو فليتلّق هذا التفويض، أو نحو هذا؛ ثم يوصى بما يناسب تلك الولاية مما لا بد منه، ويحرص أن ينبّه فيه على العمل بالتقوى؛ ثم يختم بالدعاء للمولى بالإعانة والتأييد ونحو ذلك ثلاث دعوات، وأكثرها أربع، وأقلها اثنتان؛ ثم يقال: بعد الخط الشريف شرفه الله تعالى وأعلاه أعلاه إن شاء الله تعالى؛ ثم التاريخ

والمستند، والحمدلة، والحسبة على العادة . ولم يقل فيه : وسبيل كل واقف عليه ، كما قال في "التعريف" .

وأعلم أن التقاليد على اختلافها لا تخرج في مقادير قطع الورق عن مقدارين :
الأول — قطع الثلاثين بقلم الثلث الثقيل . وفيه يكتب لثواب السلطنة بمصر
والشام مطلقا ، وكذلك الوزير ، والمشير ، وكاتب السر ، وقاضى قضاة الشافعية
والحنفية بالديار المصرية .

الثانى — قطع النصف بقلم الثلث الخفيف . وفيه يكتب لذوى التقاليد من
أمرء العرب : وهم أمير مكة المشرفة ، وأمير المدينة الشريفة ، وأمير آل فضل
من عرب الشام على ما تقدم ذكره . ولا يكتب من التقاليد شيء فيما دون
هذا المقدار من قطع الورق بحال . وسيأتى الكلام على نسخ التقاليد فيما بعد ،
إن شاء الله تعالى .

النوع الثانى

(مما يكتب فى الولايات السلطانية المراسيم)

جمع مرسوم ، أخذاً من قولهم : رسمت له كذا فارتسمه إذا أمثله ، أو من
قولهم : رسم على كذا إذا كتب ، ويحتمل أن يكون منهما جميعا .

وهى على ضربين :

الضرب الأول

(المراسيم المكبّرة)

ولم يتعرض لها المقتر الشهابى ابن فضل الله فى "التعريف" لأنها لم تكن مستعملة
فى زمنه وإنما حدثت بعده .

قال فى "التثقيف" : وهى على نمط التقاليد ليس بينهما اختلافٌ إلا فى أمرين : أحدهما - أنه لا يكتب شئٌ من المراسيم فى قطع الثلاثين بل فى قطع النصف أو الثالث . الثانى - أنه لا يقال فيها « تقليدٌ شريفٌ » بل « مرسومٌ شريفٌ » .

قلت : ويفترقان من أربعة وجوه . أحدها - أنه يقتصر فى طرّة المرسوم على « الأميرى » دون « الكبيرى » بخلاف التقاليد فإنه يقال فيها « الأميرى الكبيرى » . الثانى - أنه يقال فى المرسوم : « أن يستقر » ولا يقال : « أن يفوض » ولا : « أن يُقلد » . الثالث - أنه لا يقال : « على أجمل العوائد وأتم القواعد » بل يقال : « على عادة من تقدمه وقاعدته » . الرابع - أنه لا يقال فى الصّدر : « أما بعد » بل « وبعد » .

قال : وهى تختص بنواب القلاع المنصورة بالممالك الإسلامية، وأمراء العربان^(١) أو من بالشام وحلب، وشاذى مراكز البريد وغيرهم .

ثم هى على طبقتين :

الطبقة الأولى - ما يكتب فى قطع النصف بقلم خفيف الثلث . وذلك للنواب بالقلاع : من مقدّمى الألوف والطبلخانات : كئائب حمص، والرحبة، والديرة، وقلعة المسلمين، وملطية، وطرشوس، وأذنة، وبهسنى، والفتوحات الجاهانية وغيرها من يكتب له المجلس العالى والسامى بالياء أو بغيرياء على ما تقدم بيانه فى المكاتبات إليهم . وكذلك بعض أمراء العربان وهم أمير آل على، وأمير آل مرا، وأمير بنى عقيب . قال فى "التثقيف" : وصورة ما يكتب فى الطرّة أن يكتب :

(١) لعله من بالشام الخ . تأمل .

« مرسومٌ شريفٌ بأن يستقرّ المجلسُ العالى أو السامى الأميرى ، الفلانى ، فلان (ويدعى له بما يناسبه) فى النيابة فى الجهة الفلانية على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته على ما شرح فيه . »

فإن كانت النيابة تقدمة ألف : كنيابة الرّجبة ونحوها ، كُتب فى طرّة مرسومٍ نائبها : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقرّ المجلسُ العالى الأميرى الفلانى فلان ، أدام الله تعالى نعمته ، فى المكان الفلانى على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته . »

وإن كانت النيابة طبّخاناه كتب : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقرّ المجلس السامى الأمير فلان ، أدام الله تعالى تأييده فى النيابة بمكان كذا ، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته » ، أو كتب : « مرسومٌ شريفٌ أن يستقرّ المجلس السامى الأمير فلان الدين فلان ، أدام الله تعالى تأييده فى النيابة بمكان كذا ، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته . »

وإن كانت نيابة قلعة دِمَشق ، كتب : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقرّ المجلسُ العالى ، الأميرى ، فلان ، أدام الله تعالى نعمته فى النيابة بالقاعة المنصورة بِدِمَشق المحروسة ، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته ، على ما شرح فيه . » وكذلك كلُّ قلعة بحسب ألقاب نائبها التى يكتب بها .

ثم يكتب فى الصّدر بعد البسملة خُطبةً مَفْتَحَة بالحمد لله ، ثم يقول : وبعد ، ويأتى بنحو ما تقدّم ذكره فى التقاليد ، ثم يقال : ولما كان المجلسُ العالى أو السامى إلى آخر ألقابه ، ثم يقال : فلان ، ويدعى له بما جرت به عادته ، ويقال ما يفهم منه أنه المقصود بما تقدّم ذكره من المدح والأوصاف السابقة ؛ ثم يقال : فلذلك رُسم

بالأمر الشريف إلى آخره أن يستقر المشار إليه في كذا على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته، فليتلق ذلك ونحوه . ثم يوصى بما يناسب وظيفته التي تولّاها ، ويختم بنظير ما تقدم ذكره في ختم التقاليد .

الطبقة الثانية — من المراسيم المسكّبة ما يكتب في قطع الثلث بقلم التوقيعات . قال في "التثقيف" : وصورته في الطرة والصدر على ما تقدم في الطبقة الأولى، إلا أن خطبته تفتتح بأما بعد حمد الله، وتختتم بما تقدم ذكره . قال : وقد تكتب لنواب القلاع من أمراء العشرات : مثل نائب بغراس ، ونائب الدرّ بساك، ونائب كركر، ونائب الكحّتا، ونحوها . قال : وكذلك أرباب الوظائف غير النيابات، مثل شادّ الدواوين بالشام وحلب، وشادّ مراكر البريد بهما، ونحو ذلك؛ وبعض أمراء العرب : كأمر بنى مهديّ، ومقدم عرب جرم، ومقدم عرب زبيد على ندره فيه . فإن كان المرسوم بناية من النيابات المذكورة وغيرها، كتب : «مرسوم كريم بأن يستقر المجلس السامى، الأمير فلان الدين أعزه الله تعالى، فى النيابة ببغراس، أو بالدرّ بساك، أو بكركر، وما أشبه ذلك على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بشدّ بالشام أو بحلب، كتب : «مرسوم كريم أن يستقر المجلس السامى، الأمير، فلان الدين : أعزه الله تعالى فى شدّ الدواوين بالمكان الفلانى، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته على ما شرح فيه» . وإن كان بشدّ مراكر البريد، أبدل لفظ «شدّ الدواوين» بلفظ «شدّ مراكر البريد بالمكان الفلانى» . وإن كان بإمرة بنى مهديّ، كتب : «فى إمرة بنى مهديّ، على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بتقدمة عرب جرم، كتب : «فى تقدمة عرب جرم، على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بتقدمة عرب زبيد، أبدل لفظ جرم بزبيد، وعلى ذلك .

الضرب الثاني

(من المراسيم التي تكتب بالولايات المراسيم المصغرة)

وهي ما يكتب في قطع العادة، وبها يكتب لأرباب السيوف بالولايات الصغيرة مثل نظير الأوقاف ونحوه . وهي صنفان :

الصنف الأول — ما يُترك فيه أوصالٌ بياض بين الطرة والبسملة، وهي أعلاها، ويكتب بالسامى بغيرياء أو مجلس الأمير :

وصورتها أن يكتب في الطرة : « مرسومٌ شريفٌ أن يستقرَّ المجلس السامى الأمير فلان الدين ، أو مجلس الأمير فلان في كذا وكذا بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوان الوقف ، أو نحو ذلك ، على ما شرح فيه » ثم يكتب في الصدر بعد البسملة ماصورته : « رُسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطاني ، المملكي ، الفلاني » (باللقب الخاص ولقب السلطنة) ويدعى له بما فيه براعة الاستهلال بذكر الوظيفة أو اسم صاحبها أو لقبه ونحو ذلك ، وأقلها ثلاث فقرات فما زاد « أن يستقرَّ المجلس السامى ، الأمير ، الأجل » (إلى آخر ألقابه) ، أو أن يستقرَّ مجلس الأمير ، الأجل (إلى آخر الألقاب) لما له من كذا وكذا (ويأتى من صفات المدح بما يناسب المقام) ثم يقال : فليباشِرْ ذلك ، أو فليتلَقَ ذلك ، أو فليقابل صدقاتنا الشريفة بكذا ونحو ذلك . ثم يوصى بما يليق به ، ويدعى له بدعوتين فقط ، ثم يقال : بعد الخط الشريف العالى أعلاه الله تعالى .

قلت : وهذا الصنف إن روى صاحبه ، كتب في قطع العادة المنصوري ، وإلا ففي قطع العادة الصغير . قال في "التتقيف" : ومما ينبّه عليه أنه لا يكتب

مرسوم شريف في قطع العادة إلا بمثل نيابة الشَّيْف بصفد وصرخد و(١) وعجلون والصَّبِيَّة ، فإنه لا يُؤْتَى فيها إلا مقدَّم حَلْقَة او جندي ، ومثل هذا لا يكتب عن المواقف الشريفة إلا نادرا ، فإن كُفَّال الممالك يَسْتَبِدُّون بالتولية في ذلك .

الصنف الثانى — ما يكتب في هيئة ورقة الطريق ، ويكون في ثلاثة أوصال ؛ وصورته أن يكتب في الطَّرة ماصورته : «مرسوم شريف أن يستقر فلان ، أو أن يرتب فلان في كذا وكذا ، على ماشرح فيه» ويكون ذلك في سطرين ، ولا يكتب في أعلاه الأسم الشريف كما يكتب في غيره : لأن من المعلوم أنه لا يكتب في هذا إلا الأسم الشريف فيستغنى عن ذكره ؛ ثم يكتب في آخر ذلك الوصل : «رسم بالأمر الشريف» على نحو ما تقدم ، إلا أنه لا يحتاج في الدعاء إلى ما يكون فيه براعة استهلال ، بل يكفي «أعلاه الله وشرفه ، وأنفذه في الآفاق وصرفه» ونحو ذلك «أن يستقر فلان في كذا أو يرتب في كذا ، فليعتمد ذلك ويعمل بحسبه ومقتضاه ، بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى» .

النوع الثالث

(ما يكتب في الولايات السلطانية التفاويض)

جمع تفويض ؛ وهو مصدر فَوْض الأمر إلى زيد إذا ردّه إليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾ أى أَرُدّه إليه . قال في " التعريف " : وبه يكتب لعامة القضاة ، يعنى ممن دون أرباب التقاليد ، وهى من نمط التقاليد ، غير أنها يقال في تعريفها « تفويض شريف لفلان بكذا » . ومقتضى ما ذكره أنه إذا

(١) لعله وصفد بوار العطف . تأمل .

كتب « تفويض شريف بقضاء قضاة الديار المصرية مثلاً » يكتب في الطرة :
« تفويض شريف للجلّاس العالى ، القاضى ، الكبرى ، بقضاء قضاة المالكية
بالديار المصرية ، على أجمال العوائد ، وأكل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان
المعمور على ما شرح فيه » ثم يأتى بنحو ما تقدّم ترتيبه فى التقاليد ، إلا أنه
يكون أخصر .

قلت : ولم أقف على نسخة تفويض غير نسخة واحدة من إنشاء المقر الشهابي
أبى فضل الله لبعض قضاة دمشق . وقد أنشأت أنا تفويضاً بقضاء قضاة المالكية
بالديار المصرية لقاضى القضاة جمال الدين يوسف البساطى ، حين ولى على أثر
ولاية قاضى القضاة جلال الدين البلقينى^(١) قضاء قضاة الشافعية ، آفنتحه بلفظ :
« الحمد لله الذى شفع جلال الإسلام بجماله » وكتبت له به ، وكتبت فى طرته :
« تفويض شريف للجلّاس العالى ، القاضى ، الجمالى ، يوسف البساطى المالكى ،
أعز الله تعالى أحكامه بقضاء قضاة المالكية بالديار المصرية ، على أجمال العوائد ،
وأكل القواعد ، على ما شرح فيه » . وقرأته بالمجلس العام بالمدرسة المنصورية .
وسياى ذكر نسخته فى الكلام على النسخ فى المقصد الثانى من هذا الطرف ،
إن شاء الله تعالى .

(١) بلقينة بضم الباء وسكون اللام وكسر القاف كما فى المعجم والقاموس .

النوع الرابع (التواقيع ، جمع توقيع)

قد تقدم في مقدمة الكتاب عن ابن حجب الثَّمان في ذخيرة الكُتَّاب : أنَّ التوقيع معناه في اللغة التأثير الخفيف ، ومنه قولهم : ناقةٌ موقَّعةُ الجنبَةِ إذا أثر فيها الرَّحْلُ تأثيراً خفيفاً ، وأنه يحتملُ غير ذلك . وفي اصطلاح الأقدمين من الكُتَّاب أنه اسم لما يُكتب في حواشى القصص نخطُّ الخليفة أو الوزير في الزمن المتقدم ، وخط كاتب السرِّ الآن ؛ ثم غلبَ حتى صار علماً على نوع خاصٍّ مما يُكتب في الولايات وغيرها . قال في "التعريف" : وهى على أنموذج التفاوض . قال : وقد يقال : أن يرتب ، وأن يقدّم ، ثم قال : وعنوانها « توقيعُ شريفٍ لفلان بكذا » ولا يقال فيها على اختلافها : « وسيلُ كلِّ واقفٍ عليه » كما في التقاليد ، بل يقال : « فليعتمدْ ما رسم به فيه بعد الخطِّ الشريف أعلاه » . وقد ذكر في "التعريف" أنها تكون لعامة أرباب الوظائف جليلها وحقييرها ، وكبيرها وصغيرها ، حتى الطبليخانات اللاحقين بشأو الكبار فمن دونهم . وقال في "التثقيف" : إنها مخصصة بالمتعممين من أرباب الوظائف الدينية والديوانية ، ولا يُكتب لأرباب السيوف منها إلا القليل : مثل نظر السيارستان ، ونظر الجامع الجديد ، ونظر الحرمين الشريفين ، يعنى حرم القدس وحرم الخليل عليه السلام .

قلت : والجامع بين كلاميهما أنه في زمن صاحب "التعريف" كانت التواقيع تُكتب بالوظائف لأرباب السيوف من الثيابات وغيرها قبل أن تُحدث المراسيم المكبرة المقدمة الذكر ؛ ثم خُصَّت التواقيع بعد ذلك بالمتعممين دون أرباب

(١) الجنب والجانب والجنبَة محرّكة شق الانسان . قاموس .

السيوف . ومضى الأمر على ذلك في زمن صاحب "التثقيف" بخرى على حكمه ولم يبق ممن يكتب له توقيع من أرباب السيوف سوى نظار الجهات الثلاث المتقدمة الذكر : من البيارستان المنصوري ، والجامع الجديد الناصري بمصر ، ونظر الحرمين : حرم القدس الشريف ، وحرم الخليل عليه السلام . والحكم باق على ذلك إلى الآن .

ثم التواقيع على اختلافها لا تخرج عن أربع طبقات :

الطبقة الأولى

(ما يفتح بخطبة مفتحة بالحمد لله ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع النصف بقلم خفيف الثلث . قال في "التثقيف" : وصورته يعني ما يكتب به لأرباب الأقلام أن يكتب في الطرة : « توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالي ، القاضوي ، الكبير ، الفلاني » (ويدعى له دعوة واحدة) ^(١) بما جرت به عادته ، على أجل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخروقت على ما شرح فيه .

قال : فإن كان حاكماً ، كتب له بعد الكبير ، الحاكمي . وإن كان كاتب السر ، كتب له بعد الكبير ، اليميني ، لا غير . ثم يكتب في الصدر خطبة مفتحة بالحمد لله ثم يقال : أما بعد ، والتتمة على نظير ما ذكر في التقاليد إلا فيما يليق بالوظيفة والمتولى لها مما يناسب الحال . وقد ذكر في "التثقيف" أنه كان يكتب بذلك للقضاة الأربعة بالديار المصرية ، والقضاة الأربعة بالشام ، وكاتب السر بمصر

(١) لم يذكر المفوض به إليه للعلم به من نظائره والأصل أن يفوض إلى المجلس نظر الجامع الجديد الناصري مثلاً بما جرت به الخفتنه .

والشام ، وناظر الجيش بهما ، وناظر الدواوين المعمورة والصُّحبة الشريفة ، وهو ناظرُ الدولة .

وحينئذ فإن كتب بذلك لقاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية على ما كان الأمر عليه أولا ، كتب فى الطرة « توقيع شريف بأن يستقر المجلس العالى ، القاضى ، الكبيرى ، الفلانى ، فلان : أعز الله تعالى أحكامه ، فى قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية ، على أجمل العوائد وأتمها ، وأكمل القواعد وأعمها ، بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور ، على ما شُرح فيه » .

وإن كتب به لقاضى القضاة الحنفية ، على ما كان الأمر عليه أولا أيضا ، كتب له نظير قاضى القضاة الشافعية إلا أنه يُبدل لفظ الشافعية بـ «الحنفية» .

وإن كتب لقاضى القضاة المالكية ، على ما الأمر مستقر عليه الآن ، كتب له كذلك ، وأبدل لفظ الشافعية والحنفية بـ «المالكية» .

وإن كتب لقاضى القضاة الحنابلة فكذلك ، ويقال فيه «الحنابلة» .

وإن كتب به لأحد من القضاة الأربعة بالشام ، فكذلك ، إلا أنه يقال قضاء قضاة الشافعية أو الحنفية أو المالكية أو الحنابلة بالشام المحروس .

وإن كتب به لكاتب السر على ما كان الأمر عليه أولا ، كتب : « توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالى ، القاضى ، الكبيرى ، اليمينى فلان ، ضاعف الله تعالى نعمته ، صحابة دواوين الإنشاء الشريف بالملك الإسلامية أعلاها الله تعالى ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور ، على ما شُرح فيه » .

وإن كُتِبَ به لكتّابِ السّرّ بالشّام، أُبدِلَ لفظُ الممالكِ الإسلامية بـ«الشّام المحروسِ» .

وإن كُتِبَ به لناظر الجيش بالديارِ المصريّة، كُتِبَ : «توقيعُ شريفٍ بأن يفوّض إلى المجلسِ العالى، القاضى، الكبيرى، الفلانى» : ضاعفَ الله تعالى نعمته، نظرُ الجيوش المنصورةِ بالممالكِ الإسلاميّة، أعلاها الله تعالى على ما شُرح فيه .

وإن كُتِبَ به لناظرِ الجيش بالشّام، أُبدِلَ لفظُ الممالكِ الإسلامية بـ«الشّام المحروسِ» .

وإن كُتِبَ به لناظر الدولة، كُتِبَ : «توقيعُ شريفٍ بأن يفوّض إلى المجلسِ العالى، القاضى، الكبيرى، الفلانى، فلان، ضاعفَ الله تعالى نعمته، نظرُ الدواوين المعمورة والصّحبة الشريفة، على أجملِ العوائد، وأكملِ القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوانُ المعمورُ على ما شُرح فيه» .

وإن كُتِبَ به لناظر البيارستان لصاحب سيف^(١)، كُتِبَ : «توقيعُ شريفٍ أن يفوّض إلى المقرّ الكريم، أو الجناّب الكريم، أو العالى (على قدر رُتبته) الأميرى، الكبيرى، الفلانى، فلان الناصرى مثلاً : أعزّ الله أنصاره، أو نصرتَه، أو ضاعفَ الله تعالى نعمته (بحسب ما يليق به) نظرُ البيارستان المعمور المنصورى، على أجملِ العوائد، وأكملِ القواعد، بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور على ما شُرح فيه» . وكذلك نظرُ الجامع الحديد ونظرُ الحرمين الشريفين كلُّ بما يناسب الألقاب . وعلى ذلك .

(١) لعله ودان صاحب سيف .

المرتبة الثانية من التواقيع — ما يكتب فى قَطْعِ الثلث بقلم التوقيعات ، وهو لمن مرتبته السامى بالياء . قال فى "التثقيف" : صورته فى الطرة والصدر على ما تقدم شرحه لكن بأخصر مما تقدم . قال : وبذلك يكتب لتقيب الأشراف ولقضاة القضاة بحلب وطرابلس وحماة وصفد والكرک ، وكذلك لقضاة العسكر بالممالك المذكورة والمفتين بدار العدل بها ، ووكلاء بيت المال بها ، والمحسنيين ، ونظار الجيش بها ، وكتاب الدست بمصر والشام ، وناظر البيوت بالديار المصرية . وكذلك ناظر خزانة السلاح ، ومستوفى الصعبة ، وناظر بيت المال ، وناظر الخزانة الكبرى وخزانة الخصاص ، وناظر الأعباس ، ومشايخ الخوانق الجكار : كسعيد السعداء ، وبيبرس بالقاهرة ، والشميمصاتيّة بدمشق . وكذلك مقدمة الترتكان بالشام ، وتقديم الأكراد به ، ومشیخة العائد .

فإن كتب بذلك لتقيب الأشراف ، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، الأميرى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى علوه ، فى نقابة الأشراف بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه وقاعدته ، على ما شرح فيه» .

وإن كتب لقاضى قضاة الشافعية بحلب ، كتب «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أيد الله تعالى أحكامه ، فى قضاء قضاة الشافعية بحلب المحروسة ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته على ما شرح فيه» .

وإن كتب للحنفى بها كتب كذلك ، وأبدل لفظ الشافعية بـ «الحنفية» وكذا فى المالكية والحنابلة .

وإن كتب لأحد قضاة القضاة بغيرها : كطرابلس ، وحماة ، وصفد ، والكرک ، أبدل لفظ حلب بلفظ تلك المدينة ، والباقي على حكمه .

وإن كتب لأحدٍ من قضاة العسكر بالممالك المذكورة ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، فلان الشافعى ، مثلاً أو نحو ذلك : أيد الله تعالى أحكامه ، فى قضاء العسكر المنصور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب بإفتاء دار العدل بشىء من هذه الممالك ، أبدل لفظ « قضاء العسكر » بلفظ « إفتاء دار العدل » والباقى على حكمه .

وإن كتب لأحدٍ من وكلاء بيت المال بها ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى وكالة بيت المال المعمور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من المحتسبين بهذه الممالك ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى نظر الحسبة الشريفة بالمكان الفلانى على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من وكلاء بيت المال بها ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى وكالة بيت المال المعمور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من نظار الجيش بها ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى نظر الجيوش المنصورة بالملكة الفلانية ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من كُتَّاب الدَّست بالديار المصرية، كتب «توقيع شريف بأن يستقرّ المجلس السامى، القضاءى، الفلانى، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه، فى كتابة الدَّست الشريف بالأبواب الشريفة». ثم إن كان عن وفاة عيَّنه أو بنزول عيَّنه .

وإن كان بالشام، أُبدل لفظ «بالأبواب الشريفة» بلفظ «بالشام المحروس» .

وإن كتب بذلك فى نظر البيوت بالديار المصرية، كتب «توقيع شريف أن يستقرّ المجلس السامى، القضاءى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى نظر البيوت المعمورة» .

وإن كُتب لأحدٍ بنظر خزائن السَّلاح بالديار المصرية، كتب «توقيع شريف بأن يستقرّ المجلس السامى، القضاءى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى خزائن السَّلاح المنصورة، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب باستيفاء الصُّحبة، كتب «توقيع شريف أن يستقرّ المجلس السامى، القضاءى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى آستيفاء الصُّحبة الشريفة، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب بنظر بيت المال، كتب «توقيع شريف بأن يستقرّ المجلس السامى، القضاءى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى نظر بيت المال المعمور، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب بنظر الخزانة الكُبرى، كتب «توقيع شريف أن يستقرّ المجلس السامى، القضاءى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى نظر الخزانة العالية الكُبرى، على عادة من تقدّمه وقاعدته» .

وإن كتب بنظر خزانة الخاص ، أبدل لفظ الخزانة العالية الكبرى بلفظ خزانة الخاص الشريف ، والباقي على ما تقدم .

وإن كتب بنظر الأحباس ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامي » ، القضائي ، الفلاني ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، في نظر الأحباس المبرورة ، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته .

وإن كتب بمشيخة الخانقاه الصلاحية (سعيد السعداء) كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامي ، الشيخى ، الفلاني : أعاد الله تعالى من بركاته ، في مشيخة الخانقاه الصلاحية ، على عادة من تقدمه وقاعدته .

وإن كتب بمشيخة خانقاه بيبرس ، أبدل لفظ « الخانقاه الصلاحية » بلفظ « الخانقاه الركنية بيبرس » والباقي على ما تقدم .

وإن كتب بمشيخة الشميمصاتية بدمشق ، أبدل ذلك بلفظ « الخانقاه الشميمصاتية بالشام المحروس » .

وإن كتب بتقدمة التركمان بالشام ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامي ، الفلاني : أعزّه الله تعالى ، في تقدمه التركمان بالشام المحروس ، على عادة من تقدمه وقاعدته .

وإن كتب بتقدمة الأكراد ، أبدل لفظ « التركمان » بلفظ « الأكراد » .

وإن كتب بمشيخة العائد ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامي الفلاني : أعزّه الله تعالى ، في مشيخة العائد ، على عادة من تقدمه وقاعدته . وعلى ذلك .

الطبقة الثانية

(من التواقيع ما يُفْتَح بلفظ « أما بعد حمد الله » وهو لمن رُتِبته

السامى بغيرياء ، وهى على مرتبتين)

المرتبة الأولى — ما يُكْتَب فى قَطْع الثُلث ، وهو الأصل فيما يُكْتَب فى الثُلث ثم تُرَقِّ عنه إلى رُتْبة الافتتاح بالحمد . ألا ترى أن المناشير التى تُكْتَب فى قَطْع الثُلث بقلم التوقيعات تَفْتَح كلها بلفظ « أما بعد » على ما سيأتى بيانه فى المقالة السادسة ، فى الكلام على المناشير ، إن شاء الله تعالى .

وصورته أن يكتب فى الطرة « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، فلان الدين أو الشيخ فلان الدين فى كذا ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته ، على ما شرح فيه » ثم يكتب فى الصدر « أما بعد حمد الله » ويصل على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : « فإن أولى الأمور بكذا من هو بصفة كذا » أو « إن أولى الناس بالتقديم من هو متصف بكذا » ونحو ذلك ، ثم يقال : « ولما كان المجلس » ويؤتى بنحو ما تقدم فى المفتح بالحمد لله .

قلت : وقد قلّ استعمال هذا الضرب بديوان الإنشاء الشريف وإن كان هو الأصل فيما يكتب فى هذا القطع ، حتى لا يكاد يكتب به إلا فى النادر ، تغالبا فى رفعة المكتوب لهم ، مع المسامحة لهم فى مثل ذلك .

المرتبة الثانية — ما يُكْتَب فى قَطْع العادة المنصورى .

والأمر فيه على ما تقدم فيما يكتب من هذه الطبقة فى قطع الثُلث . قال فى " التثيف " : وهو قليل جدًا لا يكون إلا فى تدريس كبير ، أو نظير وقف

كبير، أو مشيخة الحرم الشريف بالقدس الشريف، إن لم يكن في قطع الثلث؛
أو لرجل كبير قديم الهجرة في الخدمة الشريفة، إلا أن الوظيفة صغيرة لا تقتضى أن
تكون في قطع الثلث .

الطبقة الثالثة

(من التواقيع ما يفتتح بلفظ «رسم بالأمر الشريف» وهى على مرتبتين)

المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع العادة المنصوري بقلم الرقاع، وهو لمن
رتبته السامى غير ياء ممن لم تبلغ رتبته قطع الثلث . قال في «التشيف»: وصورته
أن يكتب في الطرة «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى القاضى فلان الدين؛
أعزه الله تعالى في كذا، أو أن يرتب، أو أن يقدم» ويذكر ما تضمنه الشاهد
من قصة أو قائمة من ديوان الوزارة أو الخاص أو غير ذلك «على ما شرح فيه» . قال:
ثم يكتب في الصدر بعد البسملة «رسم بالأمر الشريف العالى، المولى،
السلطانى، الملكى، الفلانى، الفلانى، باللقب الخاص، ولقب السلطنة»:
بمثل الناصرى، الزينى، ونحو ذلك (ويدعى للسلطان بأدعية تناسب الوظيفة
والمولى لها، وأقلها ثلاث فقرات فما زاد) «أن يستقر المجلس السامى، القاضى،
فلان الدين فلان، أو مجلس القاضى فلان الدين فلان: أعزه الله تعالى في كذا،
لما له من صفات هي كذا وكذا (ويأتى من صفات المدح بما يناسب المقام)
ثم يقال: فليباشر ذلك، أو فليتنق هذا الإحسان، أو فليقابل صدقاتنا الشريفة»
ونحو ذلك؛ ثم يوصى بما يليق بتلك الرتبة، ويدعى له بسجعتين فقط . ثم يقال:
«بعد الخط الشريف أعلاه» . ثم قال: وبذلك يكتب لكتاب الدرج، ومستوفى

الدولة ، وناظر الأهراء ، وناظر المطابخ ، ومشايخ الخوانق الصغار ، والتدريس الصغار ، وأنظار الأوقاف الصغار ، ونحو ذلك مما لا يأخذه حصر .

وحيث إن كُتب بذلك لكاتب درج ، كتب فى الطرة « توقيع شريف أن يستقر مجلس القاضى فلان الدين فلان : أعزّه الله تعالى فى كتابة الدرج الشريف » .

وإن كتب به لمستوف من مستوفى الدولة ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله نعمته ، فى آستيفاء الدولة الشريفة على عادة من تقدمه » .

وإن كتب لناظر الأهراء ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله رفعتّه ، فى نظر الأهراء السعيدة » .

وإن كتب بنظر مطابخ السكر ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله تعالى رفعتّه ، فى نظر المطابخ السعيدة » .

وإن كتب بمشيخة خانقاه صغيرة ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، الشيخى ، فلان الدين فلان ، أو مجلس الشيخ فلان الدين فلان : نفع الله تعالى ببركته ، فى مشيخة الخانقاه الفلانية ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب بتدريس صغير ، كتب « أن يستقر فى تدريس المدرسة الفلانية ، على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب بنظر وقف ، كتب « أن يستقر فى نظر الوقف الفلانى » ونحو ذلك .

ثم إن كان لشيء من ذلك معلوم يشهد به الديوان السلطاني ككتابة الدرّج وأستيفاء الدولة ، كُتِبَ بعد قوله وقاعدته : « بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور » .

وإن كان الشاهد بالمعلوم كتاب وقف ، كتب « بما لذلك من المعلوم الشاهد به كتاب الوقف المبرور » . ويقول في آخر طرّة كل ولاية من التقاليد ، والتفاويض ، والمراسيم ، والتواقيع على اختلافها : « على ما سُرح فيه » .

الطبقة الرابعة

(التواقيع الصّغار ، وهي لأصغر ما يكون من الولايات :

من نظروقف صغير ونحو ذلك ، وتكون في ثلاثة أوصال ونحوها)

وهي على ضربين

الضرب الأوّل — ما يُكتب على مثال أوراق الطّريق .

وصورتها أن يُكتب في أعلى الدرّج : « توقيع شريف بأن يستقر فلان في كذا ، على ما سُرح فيه » . ويكون ذلك في سطرين ؛ ثم يُكتب في آخر ذلك الوصل : « رُسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني » إلى آخر ما تقدّم في الطبقة الثالثة . ويقال في الدعاء : « أعلاه الله وشرفه ، وأنفذه وصرّفه » ونحو ذلك . ثم يقال : « أن يستقر فلان في كذا » ويشرح ما تضمنه الجواب في هامش القصّة . ثم يقال : « فليعتمد هذا المرسوم الشريف كلّ واقف عليه ، ويعمل بحسبه ومقتضاه ، من غير عدول عنه ولا خروج عن معناه ، بعد الخط الشريف أعلاه » .

الضرب الثانى — ما يُكتب على ظهور القِصَص .

وكيفيته أن تُلصَق القِصَّة التى شَمِلها جوابُ كاتب السرِّ أو غيره على وِصْلين من ورق العادة الصغير . قال فى "التثقيف" : وصورتها أن يُكتب فى ظاهر القِصَّة بغير بَسْمَلَةٍ قبل الوصل الذى وصله بنحو أربعة أصابع ماصورته : « رُسِم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى » على نحو ما تقدّم . ويُدعى له : « أعلاه الله وشرفه » ، وأنفذه وصرفه « على ما تقدّم فى الضرب الأول . ثم يقال : « أن يُتأمل ما أنناه رافعها باطنا ، وليتقدّم بكذا وكذا » ويشرح ما تضمّنه الجواب فى هامش القِصَّة . ثم يقال : « فليعتد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه ومقتضاه ، بعد الخطّ الشريف أعلاه » . قال : وإن كان رافع القِصَّة ممن هو متميّز بعض التميّز قيل : « مترجمها » بدل « رافعها » . فإن زيد فى قدره ، قيل : « ما ذكره مجلس القاضى أو المجلس السامى القاضى » إن كان من هذه الرتبة ، وتذكر بعض ألقابه . ثم يقال : « أدام الله علوه » أو « أعزه الله ، فليتقدّم » ويكمل إلى آخره .

وأعلم أن المقرّ الشهابى ابن فضل الله رحمه الله قد ذكر فى "التعريف" افتتاحات أخرى للتواقيع بين رتبة «أما بعد حمد الله» ورتبة «رُسِم بالأمر الشريف» فقال : بعد الافتتاح بأما بعد حمد الله : وقد تستفتح بقول : «أما بعد فإن أولى ما كان كذا» أو ما هذا معناه ، وقد تستفتح بقول : «من حسنت طرائقه ، وحمدت خلائقه» أو ما هذا معناه ، وجعلها رتبة بعد رتبة .

قلت : وهذه الافتتاحات كانت مستعملة فى الدولة العباسية ببغداد ، وفى الدولة الفاطمية بالديار المصرية والبلاد الشامية ، ثم فى الدولة التركية إلى زمن المقرّ الشهابى

المشار إليه في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون؛ ثم رُفِضَتْ بعد ذلك، وتُركَ استعمالُها بالديار المصرية البتَّة، فلم يكن أحدٌ من كُتَّاب ديوان الإنشاء يستعمل شيئاً منها .

المُقَصِّد الثالث

(في بيان كيفية وضع ما يُكتب في هذه الولايات في الورق ،
ويتعلَّق به عشرة أمور)

الأمر الأول — الطَّزَّة، وهي في اصطلاحهم عبارة عن طَرَف الدَّرَج من أعلاه، ثم أطلقوه على ما يُكتب في رأس الدَّرَج مجازاً، تسميةً للشيء باسم محلِّه .

قلت : وليس صحيحاً من حيث اللغة، فإنَّه في الأصل مأخوذٌ من طُزَّة الثوب . وقد ذكر الجوهريّ وغيره أن طُزَّة الثوب هي طَرَفُه الذي لا هُذْب فيه، والذي لا هُذْب فيه من الثوب هو حاشيته، بخلاف أعلاه وأسفله . نعم يجوز أن تكون مأخوذةً من الطَّرْبَعِ، بمعنى القطع ، لأن الطَّزَّة مقتطعةٌ عن كتابة المتن ، يَفْصِلُ بينهما بياضٌ ، ومنه سُمِّيَ الشَّعْرُ المرسل على الصُّدغ طُزَّة . وقد جرت العادة في كل ما يكتب له طُزَّةٌ أن يكتب في أعلى الدَّرَج في الوَسَط بقلم الرِّقاع بكل حالٍ ماصورته « الأسم الشريف » ثم تكتبُ الطَّزَّة تلوَ ذلك من أول عَرْض الدَّرَج إلى آخره ، دون هامشٍ عن يمينٍ ولا شمال : بحيث تكون أطراف المنتصبات من أول السطر الأول ملاصقةً لأسفل ما كُتِب في أعلى الدَّرَج مما تقدّم ذكره . ويأتي بالطَّزَّة المناسبة : من تقليدٍ ، أو مرسومٍ ، أو تفويضٍ ، أو توقيعٍ ، بالقلم المناسب لمقدار قَطْع ذلك الورق على ما تقدّم بيانهُ، ويأتي على ما يكتب في الطَّزَّة على ما تقتضيه

الحال ، على ما سبق ذكره إلى أن ينتهى إلى آخره . فإن آتتهى فى أثناء سطر ، ترك باقية بياضا ، وكتب فى آخره «على ماشرح فيه» بحيث يوافى آخر ذلك آخر السطر . وإن آتتهى ما يكتب فى الطرة فى آخر السطر ، كتب تحت ذلك السطر على حيال آخره «على ماشرح فيه» كما تقدم ، لا يختلف الحال فى ذلك فى مكتوب ولاية ، إلا فيما يكتب على ظهور القصص : فإن العادة جرت فيه أن لا يكون له طرة ، ولا يكتب فى أعلاه الاسم الشريف : لأنه قد علم أنه لا يكتب فيه إلا الاسم الشريف ، فلم يحتج إلى تنبيه على ذلك .

الأمر الثانى — البسملة الشريفة . ومن شأنها أن تكتب فى أول كل ولاية لها شأن ، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ أَمْرٍ ذِى بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أَجْزَمُ » . يعنى ناقص البركة . ومحللها من كتب الولايات فى أول الوصل الرابع بعد أوصال البياض . أما مالا بال له من كتب الولايات : كالتواقيع التى على ظهور القصص وما هو منها على صورة أوراق الطريق ، فقد جرى الاصطلاح على أنه لا يكتب فى أولها بسملة أصلا ، بل تفتح بـ «رسم بالأمر الشريف» .

قلت : وقد كان القاضى علاء الدين على الكركى حين ولى كتابة السر الشريف بالديار المصرية فى أول سلطنة الظاهر برقوق الثانية أمر أن تكتب فى أول هذه التواقيع بسملة لطيفة المقدار ، طلباً للتبرك ، ثم ترك ذلك بعد موته وانتقال الوظيفة إلى غيره . ولا يخفى أن ما عليه الاصطلاح هو الوجه : فإن النبى صلى الله عليه وسلم قد قيد ما يبدأ بالبسملة بما يكون له بال من الأمور ، ومقتضاه أن مالا بال له لا يبدأ فيه بسملة . على أنه قد كان أمر أن تجعل البسملة قبل قوله «رسم بالأمر

الشریف» ومقتضى ذلك أن تقع العلامة فوق البسملة، وفيه مالا يخفى. بخلاف غيره من الولايات الكبار فإن العلامة تكون فيها تحت السطر الثانى من البسملة، على ما سيأتى بيانه.

الأمر الثالث — الافتتاح الذى يلى البسملة. وقد علمت مما تقدم أن الذى استقر عليه افتتاح كتب الولايات على اختلافها من أعلى وأدنى لا يخرج عن ثلاثة أصناف :

أحدها — الافتتاح بالحمد لله، وهو أعلاها. ثم تختلف رتبته بعد ذلك باختلاف ما يكتب فيه من مقادير قطع الورق : إذ هو تارة تفتتح به التقاليد، وتارة تفتتح به المراسيم المكبرة، وتارة تفتتح به التفاويض، وتارة تفتتح به إر التواقيع.

الثانى — الافتتاح بأما بعد حمد الله. وهو المرتبة الثانية من المراسيم المكبرة، والتواقيع الكبار. وتكون فى قطع الثلث تارة، وفى قطع العادة المنصورية أخرى.

الثالث — الافتتاح برسم بالأمر الشريف. وهو المرتبة الثالثة من المراسيم والتواقيع، وهى أدنى رتبها. وتكون فى قطع العادة الصغير، وربما كتبت بها فى قطع العادة المنصورية.

الأمر الرابع — البعدية فيما يفتتح فيه بالحمد لله، وهو على ضربين.

الأول — أن يقال بعد التحميد والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : أما بعد، وهو الأعلى. وتكون فى التقاليد خاصة.

الثانى — وبعد، وهى دون أما بعد. وتكون فى التفاويض وكبار المراسيم والتواقيع. وقد مر القول على ذلك مستوفى فى الكلام على الفواتح فى المقالة الثالثة.

الأمر الخامس — وصفُ المتولّى بما يُناسب مقامه ومقام الولاية من المدح والتقريض . وقد مرّ القولُ على ذلك فى المقصد الأول من هذا الطّرف، فى الكلام على مقدّمات الولايات .

الأمر السادس — الألقابُ المختصّة بصاحب الولاية . قد تقدّم أنه يذكر فى الطّرة بعض الألقاب التابعة للقب الأصيل : من المقرّ والجناب وغيرهما، مع التصريح باسم المتولّى والدعاء له بما يُناسبه، على ما تقدّم بيّنه هناك . أما فى أثناء الولاية، فإنه يُستوعب جميع ألقابه ويعاد ذكر الأسم والدعاء المذكور فى الطّرة . وقد تقدّم ذكر الألقاب مستوفى فى المقصد الأول من هذا الفصل فى الكلام على مقدّمات الولايات .

الأمر السابع — وصيّة صاحب الولاية بما يُناسب ولايته . وقد تقدّم التنبيه على ذلك فى الكلام على مقدّمات الولايات أيضا .

الأمر الثامن — الدعاء لصاحب الولاية بما يُناسبه إذا كان مستحقاً لذلك . وقد ذكر فى " التعريف " أن من استصغر من المولّين لا يدعى له فى أول ولاية ولا آخرها، وربما قيل بدل الدعاء أو بعده : « والخير يكون » .

الأمر التاسع — الخواتم : من كتابة « إن شاء الله تعالى » والتاريخ، والمستند، والحمدلة، والتصلية، على نحو ما تقدّم فى المكاتبات .

فأما المشيئة، فإنه يكتب فى آخر مكتوب كل ولاية : « إن شاء الله تعالى » فى سطر منفرد .

وأما التاريخ، فإنه يكتب فى سطرين كما تقدّم فى المكاتبات، فيكتب « كُتب فى يوم كذا من شهر كذا » فى سطر، ويكتب « سنة كذا وكذا » فى سطر تحته .

وأما المستند، فإنه يكتب تحت التاريخ، كما تقدم في المكاتبات . فإن كان بتلق كاتِب السرّ، كُتِب في سطرٍ واحد «حَسَبَ المرسوم الشريف» . وإن كان برسالة الدّوّادار، كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» في سطر، ثم كتب في سطر تحته «برسالة الجَناب العالى الأميريّ، الكبيريّ، الفلانيّ الدّوّادار، الناصريّ» مثلاً . وإن كان بخط السلطان، كتب «حَسَبَ الخطّ الشريف» . وإن كان بإشارة النائب الكافل، كتب «بالإشارة العالِيّة الأميريّة الكبيريّة الفلانية» في سطر، وكتب «كافل الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى» في سطر تحته . وإن كان بإشارة الوزير، كتب «بالإشارة العالِيّة الصّاحبيّة الوزيريّة الفلانية» في سطر، ثم كتب في السطر الثاني «مدبر الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى» . وإن كان الوزير صاحب سيف، أسقط منها «الصّاحبيّة» . اللهم إلا أن يكون مرسومًا صغيرًا أو توقيعًا صغيرًا مما كُتِب في هيئة ورقة الطريق أو على ظهر القصّة، فإنه إن كان بتلق كاتِب السرّ، كُتِب المستند على حاشية التوقيع على سَمْت ما بين السطر الأوّل والثاني . وإن كان بإشارة النائب الكافل كُتِب هناك «بالإشارة العالِيّة» سطرين، على نحو ما تقدم فيما يُكْتَب تحت التاريخ . وإن كان بإشارة الوزير، فالأمر كذلك . وإن كان برسالة الدّوّادار، كتب على الحاشية هناك «حَسَبَ المرسوم الشريف» ، ثم كُتِب تحت التاريخ «برسالة الجَناب العالى» إلى آخر المستند .

وأما الحمدلة والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم، ففي سطر تحت المستند، كما في المكاتبات، يكتب فيها «الحمد لله وحده» ثم يُحَلَّى بياضًا، ثم يكتب «وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه» .

وأما الحسبة ، ففى سطر تحت ذلك يكتب فيه « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » على ما تقدم فى المكاتبات .

الأمر العاشر — البياض الواقع فى كُتُب الولايات ، وله ستة مواضع :
الأول — فيما بين الطَّرة والبسملة ، وهى ثلاثة أوصال بالوصل الذى فيه الطَّرة ، لا يتجاوز ذلك فى مقدار قطع كبير ولا صغير . إلا أنه ربما أقتصر على وصلين فيما استُصغر شأنه من الرتبة الثالثة من التواقيع .

الثانى — الحاشية فيما على يمين البسملة وما بعدها . وأهل زماننا يعبرون عن ذلك بالهامش ، ولم أجد له أصلاً فى اللغة . وقد تقدم القول عليها فى المقالة الثالثة ، فى الكلام على متعلقات قطع الورق وما ينخرط فى سلكه . أما آخر الأسطر فإنه لا بياض فيه ؛ على أن ملوك الروم يجعلون لكُتُبهم حاشية من أول الأسطر وحاشية من آخرها ، على ما تقدم القول عليها فى الكُتُب الواردة عن صاحب القسطنطينية .

الثالث — بيت العلامة ؛ وهو فيما بين السطر الأول : وهو الذى يلى البسملة ، وبين السطر الثانى : وهو الذى يكون فى آخر وصل البسملة . وقد تقدم فى الكلام على مقادير الورق فى المقالة الثالثة أن مقداره فى الزمن القديم كان قدر شبر ، وقد شاهدناه دون ذلك بقليل فيما كُتِب به فى الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" على ما يشهد به الموجود من تواقيعهم ؛ ثم تناقص قليلاً . فلمَّا غلَا الورق وقُصرت الأوصال نقص مقداره حتى صار نحو شبر^(١) ، وهو على ذلك إلى الآن . ويزيد ذلك وينقص باعتبار قطع الورق فإنه فى القطع الكبير يكون الوصل أطول منه فى القطع الصغير .

(١) لعله نحو "نصف شبر" كما لا يخفى .

الرابع — ما بين الأسطر في متن الولاية . وهو على مقدار النصف من بيت العلامة في القطع الكبير والقطع الصغير ، لا يكاد ذلك يختلف إلا في التواقيع والمراسيم التي هي على هيئة أوراق الطريق ، والتي على ظهور القصص فإن ما بين السطرين منها يكون متضايقا حتى يكون بقدر ثلاثة أصابع مطبوعة .

الخامس — ما بين أسطر اللواحق فيما بعد «إن شاء الله تعالى» فإنه يكون ما بين كل سطرين من ذلك قدر نصف ما بين السطرين في متن الولاية ، إلا في المستند إذا كان سطرين ، مثل أن يكون برسالة الدوادار ونحوها ، فإن السطرين يكونان متلاصقين .

السادس — ما بعد اللواحق في آخر الكتاب ، وهو قدر يسير يكون قدر إصبعين مطبوقين أو ثلاثة أصابع مطبوقات وما قارب ذلك .

المهيع الثاني

(في ذكر نسخ مما يكتب في متن الولايات من التقاليد والمراسيم المكبرة والتفاويض والتواقيع)

قلت : وقد كنت هممت أن أجعل أبتداآت التقاليد ، والتفاويض ، والمراسيم ، والتواقيع : من الافتتاح «الحمد لله» أو «أما بعد حمد الله» أو «رسم بالأمر الشريف» في فصل مستقل ، ومقاصدها المتعلقة بالوظيفة ... (١) ... الكاتب الذي لا يحسن الإنشاء ما أحب من الأبتداآت المناسبة للاسم أو اللقب ونحوهما ثم يبين القصد المتعلق بالوصف . ثم أضربت عن ذلك وأتيت بالنسخ على صورتها لأمر : منها — أن في تضييع النسخة إفسادا لصورتها وضياح فضيلة المنشئين

(١) بياض بالأصل في غير نسخة ولعله «في فصل على حدة ليختار الكاتب الذي لا يحسن الإنشاء ما أحب الخ» .

وإشاعة ذكركم . ومنها - أن يعرف أن الصورة التى تُورَد مما كُتِب به فى الزمن السابق ، وأنها مصطلح قد أصطلح عليه أهل ذلك الزمان . ومنها - أن يعرف المنشئ ترتيب من تقدّم لينسج على منواله . وإذا أراد من لادُرْبَة له بالإنشاء أخذَ تحميدة من تقليد أو توقيع وغيرهما ونقلها إلى مقصد من مقاصد الولاية لم يُعجزه ذلك .

ثم قسمته على ثلاثة أقسام .

القسم الأول

(ولايات وظائف الديار المصرية ، وهى على نوعين)

النوع الأول

(الولايات بالحضرة ، وهى على ستة أضرب)

الأضرب الأول

(ولايات ارباب السيوف ، وهى على طبقتين)

الطبقة الأولى

(ذوات التقاليد ، وهى ثلاث وظائف)

الوظيفة الأولى

(الكفالة ، وهى نيابة السلطنة بالحضرة)

وقد تقدّم فى الكلام على ترتيب وظائف المملكة فى المقالة الثانية أن الكفالة هى أعلى رُتَب نيابة السلطنة ، وأنَّ النَّائِبَ الكافل يحكم فى كل ما يحكم فيه السلطان ، ويُعلم فى التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك ؛ بخلاف غيره من النواب فإن كل نائب لا يعلم إلا على ما يختص بخاصة نيابته . وقد تقدّم فى مقدمة الولايات أن لقبه «المقرّ الكريم» على ما استقر عليه الحال .

وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة، كُتِبَ بها من إنشاء الشهاب محمود الحلبي
رحمه الله، وهي :

الحمد لله الذى جعل رُكنَ الدولة فى دولتنا القاهرة ثابتَ القواعد، على فَرَقَدِ
الفرَاقِدِ، راقياً فى رُتَبِ العُلُوِّ الآخذة من أُنْفُقِ التأييد بالمطالع ومن نُطْقِ العزِّ بالمعاهد؛
حالياً بعُقُودِ المَهَابَةِ التى لا تَزَالُ لُرُعِيهَا على الأعداء طلائع خيلٍ فى المَرَاقِبِ وورائعِ
خَيَالٍ فى المَرَاقِدِ، حاوياً من أنواعِ المفانحرما لو كاثرت الدَّرَارِيُّ غَدَتْ وهى
لمجموعه فَرَاقِدِ، أو فاخترت الدَّرَرِ ثَقَّبَتِها الأفكارُ النواقد، مقلداً من سُيُوفِ الظَّفَرِ
مالاً تَلْبُو فى نُصْرَةِ الإسلامِ مَضَارِبُهُ وكيف تَلْبُو وأوامرنا لعقود حمائِها على عَوَاقِ
مَجْدِهِ عَوَاقِدِ .

نحمده على نِعَمِهِ التى عَدَقَتْ أُمُورَ دولتنا بمن يَرَفَعُ بِأُسْهِ مَنَارِها، وَعَقَدَتْ قَوَاعِدَ
مَمْلَكَتِنَا بمن يُوَالِي فضله أنوارها، وَعَضَدَتْ هِمَمَ أَوْلِيائِنَا بمن إِذَا تَخَيَّلَتْ أَعْدَاءُ الدِّينِ
مَوَاقِعَ صَوَارِمِهِ كَانَ أَمْنُ صَوْنِهَا إِسَارَها وَأَنْقَعَ سِلَاحُهَا فِرَارَها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُشْرِقُ الهِمَمَ، بِلَوَامِعِها، وتُسْرِفُ
الكَلِمَ، بِجَوَامِعِها، وتركو الأَئِمَّةَ، بما تتقل الأَلْسِنَةُ منها عن القلوب إلى مَسَامِعِها،
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أقامنا الله لنُصْرَ دينه، وألهمنا تفويضَ مصالحِ
أُمَّتِهِ إلى كُلِّ ولى ما رُفِعَتْ رايَةُ نُصْرِهِ إِلا تَلَقَّاهَا عَرَابُهُ بِمَجْدِهِ بِيَمِينِهِ، وَعَضَدَنَا
فى جِهَادِ أَعْدَائِهِ بِأَعَزِّ صَفَى يَنُوبُ بِأُسْهِ للجيش عن طليعته ويقوم رأيه فى الحربِ
مَقَامَ كَمِينِهِ، صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين آخَرَهُم لُصْحَبَتُهُ وَأَرْتَضَاهُمْ،
وَأَرْهَفَهُمْ لِإِقَامَةِ مِلَّتِهِ وَأَنْتَضَاهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ فَازَ بِمَزِيَّتِي سَبْقِهِ وَتَصَدِيقِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ
كَانَ الشَّيْطَانُ يُنَكِّبُ عَنْ طَرِيقِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ آخَرَهُ الشَّهَادَةُ عَلَى الْإِنتِصَارِ بِقَرِيقِهِ

ورَفِيقَه، ومنهم مَنْ أَقامَه بِشَرَفِ الأُخُوَّةِ معه مُقامَ شَقِيقَه، صَلاةً يَبْلُغُه إِخلاصُ مُقِيمِها، وَيُعَرِّضُ عليه إِيمانُ مُدِيمِها، وسلم .

أما بَعْدُ، فَإِنا مِنْ حِينَ أَوْرَثَنا اللهُ مُلْكَ الإسلامِ لَاعَنَ كَلالَه، وأَلَبَسَنا فى مَواقِفِ الذَّبِّ عَن دِينِه حُلَّ العِزِّ المُعَلِّمةَ بِالْجَلالَةِ، وَمَكَّنَ لَنا فى أَرْضِه، وَأَنهَضَنا بِمَسْنُونِ الجِهادِ وَفَرَضَه، وَنَشَرَ دَعوَةَ مُلْكنا فى طُولِ الوُجودِ وَعَرَضَه - لَمْ نَزَلْ نَرْتادُ لِكَفالَةِ المِمالِكِ الإِسلامِيَّةِ مِنْ تَأوى مِنْهُ إلى رُكنٍ شَدِيدٍ، ورَأى سَدِيدٍ؛ وَحَزَمَ يَقَرِّبُ مِنْ مَواهِبِ النِّصْرِ كُلِّ بَعِيدٍ، وَعَزَمَ إِذا أَرهَفَ صِوارِمَه مِنْ أَدنى الصَّعِيدِ، وَجَفَّ لَهْولِ مَواقِعِها بِأَبِّ الحَدِيدِ؛ فَهو المَطوِىّ فى أَثناءِ ضَمائِنا وَإِنْ تَقَلَدَنا قَبْلَه سِواهُ، وَالْمَنوِىّ فى أَحناءِ سَرائِنا وَإِنَّمّا لَأَمْرِيّ ما نَواه؛ قَد حَلَبَ قَدَمُ هِجرتِهِ، الدَّهْرَ أَسطَرَه، وَكُتِبَ حُسْنُ خِبرَتِهِ، مِنْ عُنْوانِ السَّيْرِ أَسطَرَه، وَتَمَثَّلَتْ مِراةُ الزَّمانِ لِفِكرِهِ فَاجتَلَى صُورَ الوَقائِعِ فى صَفائِها، وَتَرَدَّدَتْ تَجارِبُ الأُمَمِ على سَمْعِهِ فَعَلِمَ ما يَأْتى وما يَذَرُ فى تَرْكِها وَأَقْتَفائِها؛ وَأَسْتَقْبَلَ دَولَةَ أَسلافِنا الشَّرِيفَةَ مِنْ فِوائِحِها : فَكانَ لسانَ حَاسِنِها، وَبَنانَ مِيا مِناها؛ وَخِزانَةَ سَرِّها، وَكِكانَةَ نَهْجِها وَأَمْرِها؛ وَطَليعَةَ تَأْيِيدِها، وَذَرِيعَةَ أُولِياها إلى عِوارِفِها وَجُودِها؛ وَعُنوانَ أَخبارِها، وَعِنانَ سَوابِقِها الَّتى لا تُدْرِكُ ما تُرَى مِنْ سَلَفِ شَقِّ غُبارِها؛ وَيَمِينَ قَبْضَتِها المَصْرِفَةَ بَينَ البَاسِ والنَّدى، وَأَمِينَ آرائِها المُؤَيِّدَةَ بِالتَّوْفِيقِ اللّٰدُنِىِّ على العِدا؛ وَرُكنَها المُشَيِّدَ بِالأسَلِّ وَهو ما تُبْنىُّ عليه المِمالِكُ، وَحَصَنَها المَصْفَحَ بِالصَّفاحِ فلا تَسْتَطِيعُ الأَهْواءُ أَنْ نَتَوَقَّلَ إِلَيهِ تِلْكَ المِمالِكُ؛ وَزَعِمَ جِيوشِها الَّتى أَجْتَنَّتْ مِنْ قَصَبِ قَواضِيبِهِ ثَمَرَ النِّصْرِ غَيرَ مَرَّةٍ، وَمَقَدَّمَ عِسا كَرها الَّتى أَجْتَنَّتْ بِهِ وَجُوهَ الظُّفَرِ الحُلَوةِ فى أَيَّامِ الكَرِيبَةِ المُتَرَّةِ .

ولما كان المقرّر الكريم (الفلاّني) هو معنى هذه الصفات المبهمة ، ومبنى هذه القواعد المحكّمة ، وطراز حلّ هذه الأحوال المعلمة ؛ وسرّ المقاصد الظاهرة ، وسلك هذه [النجوم] الزاهية بل فلّك هذه الدراريّ الزاهرة ؛ تُخلّق صَوَادِحُ البراعة ، فتقع دُونَ أوصافه بمراحل ، وتغوصّ سواجِحُ البراعة ، فيلقيها العجز عن استخراج دُرر نُعُوتِهِ بالسّواحل ، فأوصافه تُدكّر على وجه الإجمال لضيق نطاق الفصاحة عن تفصيلها ، ومناقبه تُشكّر بلسان الإجماع لعجز ألسنة الأقلام عن بلوغها إلى غايتها ووصولها ؛ فلذلك آقتضت آراؤنا الشريفة أن نُفَسِّحَ مجال الهدى ، بتفويض إيالة الممالك إليه ، وأن نَقْطَعَ آمال العدا ، بالاعتماد في زعامة الجيوش الإسلامية عليه ، وأن نُقَرِّعِ عِوَنَ الرّعايا بإلقاء مَقَالِيدِ العَدَلِ والإحسان إلى يديه ؛ وأن نُصَوِّنَ عقائل الممالك من مهابة بما يغدو سورا لعواصمها ، وسواراً لمعاصمها ؛ وشنباً تفتّر ثغورها عن بروقه ، أو لها يقطع طريق أمل العدا عن تخيل خيالها في طروقه ؛ ليعتضدّ الدين منه برُكنه ، ويتغلّب [على] الشّرك في حاليّ حربه ووهنه ، ويتقلّب كلّ من رعايانا بين وَهَادٍ يَمْنِيهِ ومِهَادٍ أَمْنِهِ - رُسم بالأمر الشريف - لا زال مُلكه على الأركان ، راقياً من أفق النصر إلى أعلى مكانة وأرفع مكان - أن تُفَوِّضَ إليه نيابة السلطنة الشريفة بالديار المصرية ، والممالك الإسلامية ؛ على أكمل العوائد ، وأجمل القواعد ؛ تفويضاً تَمِيزُ أحكامه في الممالك الإسلامية شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ؛ فلا يخرج منها شيء عن أوامره وأحكامه ، ولا يُعَدَّلَ في سُلْمِها وحربها عن حُكْمِ سيوفه وأقلامه .

فليستقرّ في هذه الرتبة العالية استقرار الأركان الموائم ، والأطواد اللّوالب ؛ والأصول النّوالب ، والنجوم الثّوابت ؛ مؤثلاً قواعدها بأية السديد ورايته ، معوّداً كمالها بسيف النصر وآيته ، مبتدئاً في إعلاء منارها من العدل بأقصاه

ومن الإحسان بغايته ، مكثرًا أعداد الجيوش الإسلامية برأيه السعيد ، مقربًا من مطامح النصر النائية كلَّ بعيد ، مؤكلاً بحركات العدو وسكاته جفناً لا يَأْلَفُ (١) الغرار ، وسيِّفًا لا يعرف الفرار ، وعزمًا لا يرضى من عدوه دونَ أصطلامه الفرار ، فلا تزال جيوش الإسلام بحمِل تعاهده مُزاحة العوائق ، مُزالة العلائق ، لامانع لها عن الركوب ، ولا قاطع عن الوثوب ، قد أعدتها عزائمها ، فكلُّ زمانها بالتأهب للقاء وقت إمكانه ، وأمدت بأسها صوارمه ، فهي لا تسأل عن عدد عدوها بل عن مكانه ، مقيمًا منار العدل الذى هو أساس الملك ودعامته ، ورأس الحكم بأمر الله فى خلقه وهامته ، وتورُّ الحُصْب الكافل بمصالح العباد والبلاد وعامته ، ناشرًا له [فى] أفطار الممالك ، ماحيًا بنور إقامته آية ليل الظلم الحالك ، معاضدًا أحكام الشريعة المطهرة بالانقياد إليها ، والأعتماد فى الحل والعقد عليها ، والاحتفال برفع منارها : فإنَّ ذلك من أفضل ما قدَّمته الدول الصالحة بين يديها ، مقدمًا عمارة البلاد على كلِّ مهمٍّ : فإنها الأصل الذى تنفزع عنه المصالح على أفتراقها ، والمادة التى تستطيل الجيوش الإسلامية على العدا بتوسعها فى إنقادها وإنفاقها ، والأسباب التى تُعين الغيوث على نماء ما بسط الله لعباده من أرزاقها ، وآكد مصالحها الرِّفق الذى ما كان فى شيء إلا زانه ، والعدل الذى ما اتَّصف به مُلكٌ إلا حَفِظَه وصانَه ، فقد جعلنا أمره فى ذلك جميعه من أمرنا المطاع ، وأقتصرنا عن ذكر الوصايا بما فى خصائصه الكريمة من حُسن الإصطلاح وجميل الأطلاق ، وأكتفينا بما فى خلائقه الجميلة من محاسن لو تخير نفسه لم يزدْها على ما فيه من كرم الطباع ، والله تعالى يؤيده وقد فعل ، ويجعل رُكنه من أثبت قواعد الدين وقد جعل ، إن شاء الله تعالى .

(١) الغرار النوم القليل أو القليل من كل شيء . انظر اللسان ج ٦ .

(٢) العامة قبض الحصد إذا اجتمعت بعد حصدها وجمعها عام . كذا يؤخذ من اللسان .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة أيضا ، وهى :

الحمد لله الذى زان دولتنا القاهرة من حُسامِها بتقليده ، وصان حِمى ممالكنا
الشريفة من أوليائنا بمن تغدو مواقع سيوفه من كل عدو قلائد جيده ، وزاد جلالته
الملك بمن إذا ركب فى مواكب نيابته أورد جِداد رُعبه من كل مُتوج من ملوك
العدا مناهل وريده ، وفوض تقدمة جيوشنا المنصورة إلى من تُضاعف مهابته
فى عيون العدا عدد جنوده ، وتغزوه سرايا خيله فى يقظته وتطلع عليه طلائع خياله
فى هجوده ، وإذا صلت سيوفه فى موقف وعى أغرت رأس كل مستكبر لم يعرف الله
قبل ركوعه بسجوده ؛ مشرف أقدار أوليائنا من المراتب بما تشرف به أقدار المراتب
فى نفسها ، ومفضل أيام دولتنا على الدول بما ألفتته من جلاله مُلكا فى أمسها ،
ومجمل سير أصفائنا من المعدلة بما إذا غرسته فى قلوب الرعايا كان الدعاء الصالح
ثمرة غرسها ، ومقلد خواصنا من إيالة الملوك ما إذا خطبت به الأفلام على منابر
الأنامل نقلت البلاغة فى تلك الأوصاف عن قسها ، ومفيض حلل الأنباء المرقومة
بأسنى الرتب على من إذا زانت حبرها اللابس زانها بلبسها ، وإذا أشرقت به هالة
المواكب لوغى سقطت فوارس ملوك العدا عن مراكبها وأضطربت الأسيرة بملوك
فريسها ، وإذا كتمته الأعداء أنباءها نطقَت ألسنة رياحه بأسرار أهل الشرك ولا يرى
أسمع من صمها ولا أفصح من خرسها ، وإذا تطاولت أبطال الوقائع للقائه أفترت
ثغور سيوفه عن شنب النصر لإلفها بمعانقة الأعناق وأنسها .

نحمده على نعمه التى أعادت شرف أسمائنا إلى أسماع المنابر ، وأنطقت بمضاعفة
الأنباء لأوليائنا ألسنة الأفلام فى أفواه المحابر ، وأعادت بسيف النصر حقوق مُلكنا
الذى تلقيناه مع الأولوية والأولوية من أسلافنا الكرام كابرا عن كابر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال سيوفنا بإعلاء منارها
 ناهضة ، وجياد جهادنا لنشر دعوتها فى الآفاق راكضة ، ومواد نعمنا ونقمنا لآمال
 حاملها باسطة ولأرواح جاحديها قابضة ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى
 ايدته الله تعالى بنصره ، وآتاه من معجزاته ما يحول البصر دون حصره ، وجعله أمام
 الأنبياء وإمامهم مع تأخر عصره ، ونصره بالرغب الذى زحزح كل ملك عن سريه
 وأنزل كل متوج من قصره ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هجروا فى نصرته ،
 مأوف الأوطان والأوطار ، وركبوا فى إقامة ملته ، مخوف الأهوال والأخطار ،
 وفتحوا بيمين دعوته ، ما أشتملت عليه المشارق والمغارب من الأرجاء الممتدة والأقطار ؛
 صلاة لا يزال سيف جهادنا لدوامها مقيماً ، وحكم جلا دينا لإقامتها مديماً ؛ وسلم
 تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من سميت التقاليد بأوصافه ، وصرفت أمور الممالك بين رأسه
 وإنصافه ؛ وحلت مواقف الخدمة الشريفة من جواهر مهابته ، بما هو جدير بحلى
 السيف ، وزينت مجالس العدل من إيالته ، بما هو مبرأ من الميل والهوى منزّه عن
 الظلم والحيف ؛ وملئت القلوب من محافته ، بما يمنع ذا القوة فى الباطل من توهم
 البطش وذا الصبوة فى الهوى من استزاره (؟) ويحسن لها الفرار ، ويهون عليها
 فى جنب ما تتوقفه من مواقع سيوفه السبى والإسار ، وعُدق به من مصالح الأقاليم
 ما يصرفه بيمين دأبها أئمن ويسار شأنها اليسار ؛ وفوضت زعامة الجيوش منه إلى همام
 يقوم بأمرها على ما يجب ، وليت لو لم ينهض بألوفها المؤلفة فى الوقائع لكان من
 نفسه وحدها فى بحفل لحب ؛ ومقدام آلاف العدا فى شجاعته آحاد ، وضرب غام
 قسور أهل الكفر بين يدي وثباته وثباته وأسودهم نقاد ؛ من لم نزل نعدّه فى أركان
 البيت الشريف المنصورى بالخصاص ، ونعدّه للمواقف التى ليس للدين فيها غير تأييد

اللهِ وَحَدَّ السَّيْفِ نَاصِرٍ ، وَنَدَّخِرُهُ مِنْ مَعَادِنِ أَوْلِيَانَا الَّذِينَ تَمَسَّكُوا مِنَ الْإِنْتِمَاءِ إِلَيْنَا
بِأَمَكْنِ الْأَسْبَابِ وَأَقْوَى الْأَوَاصِرِ ، وَنَقَلَدَ أَعْطَافَ الْأَوَاصِرِ مِنْهُ سَيْفًا يُرْمَى مِنْهُ يَتُّ
الْعِدَا وَمَعَا قُلُوبَهُمْ بِأَفْتِكَ حَاصِدٍ وَأَفْلَلِ حَاصِرٍ ، فَكَمْ مِنْ مَوَاقِفَ شَفَعَ فِيهَا الشَّجَاعَةُ
بِالْخُضُوعِ لِرَبِّهِ ، وَمَوَاطِنَ لَيْسَ فِيهَا قَلْبُهُ عَلَى الدَّرْعِ إِذَا لَيْسَ غَيْرُهُ الدَّرْعَ عَلَى قَلْبِهِ ،
وَمَسَالِكَ سَلَكَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِنَا وَالسُّيُوفِ تَنْفِرُ مِنْ قُرْبِهَا ، وَمَشَاهِدَ شَهِدَهَا
فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِنَا وَالْقُلُوبِ تَفِرُّ مِنْ حُجْبِهَا ، وَلَيْسَالٍ قَطَعَهَا فِي خِدْمَتِنَا لَمْ يَصْحَبْ
غَيْرَ أَلْسِنَةِ أَسْنَتِهِ وَأَعْيُنِ شُهُبِهَا ، وَمَقَاصِدَ لِلَّذِينَ بَلَغَهَا وَالسَّهَامُ لَا تَجْلِيهَا مِنَ الْفَرَقِ قَوَادِمُ
الشُّوْر ، وَسَرَايَا وَقَفَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعِدَا فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ مِنْ شَجَاعَتِهِ بِسُورٍ ، وَبِحَارِ
حَرْبٍ لَمْ تَجْبَاسِرِ السَّوَابِجُ عَلَى قَطْعِهَا حَتَّى مَدَّ عَلَيْهَا مِنْ مُعَوَّجَاتِ سَيْوُفِهِ قَنَاطِرَ
وَمِنْ مُقَوِّمَاتِ ذَوَابِلِهِ جُسُورٍ ، وَكَمْ أَنَامَ الرِّعَايَا فِي مِهَادِ عَدْلِهِ فَلَمْ يَطْرُقْهُمْ طَيْفُ ظَالِمٍ
فِي الْكِرَا ، وَلَا رَوْعَ سِرْبِهِمْ خِيَالُ مُغِيرٍ أَوْ هَمَّهُمْ الشَّرَى ، بَلْ كَانُوا مُحْفُوظِينَ
بِمَهَابَتِهِ مُحْفُوفِينَ بِمَوَاهِبِهِ ، وَادْعِينَ فِي ظِلِّهِ الَّذِي مَادَجَا عَلَيْهِمْ لَيْلُ خَطْبٍ إِلَّا أَطْلَعَ
لَهُمْ بَدُورَ الْأَمْنِ فِي غِيَاهِهِ .

ولما كان (فلان) هو الذي سار يذكر مهابة المثل ، وصار له في قلوب الأعداء
من الرعب ما تشابه فيه القاتلان الوجل والنجل ، وجمع محاسن الصفات فما أخذ
عنه أو نطق به أو ينظر إليه إلا وجد (ملء المسامع والأفواه والمقل) ، ولا جرد على
العدا سيفاً إلا وودعت أرواحهم الأجساد ، ولا أرهف في مجالس العدل
والإحسان قلماً إلا وضمت له الآجام التي نساها (كرم السيول وسطوة الآساد) ،
ولا طلع في أفق مواكب إلا وهالت العدا هالة بذكره ، ودلت على عظم سلطانتها
رفعة قدره ، وشهدت له بحسن طاعتنا طاعة أمرائنا لأمره ، وأسلف من خدمة
والدنا السلطان الشهيد ما لم تر له به عندنا حقوق مرعيه ، وسوابق مرضيه ،

ورتبةُ تقديمِ سيِّئه ، ومزيةُ تقريبِ جعلته مُشاهداً بالعيان مقدّما فى النية - أقتضتْ
 أراؤنا الشريفةُ أن نرّوع العدا بسيفه ، ونُريهم من تقدّمته على الجيوش يقظةً
 ما كانوا يروّنه حلماً من طيّفه ؛ وليعلّم الأعداء معاجلة أخذهم بالعنف والحيف ،
 وأننا لا تأخذنا فى الله لومة لائم فليس بيننا وبين أعداء الله ورُسوله (صلى الله عليه
 وسلم) إلا السيف .

فلذلك رَسِم بالأمر الشريف - لا زالت ممالك الإسلام به مُقترّة المباسم ، عالية
 مدى المهابة إذا طرقتها عواصف رياح العدا وقفتْ دُونَ بلوغها دامية المناسم -
 أن تُفوّض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية على العادة فى ذلك
 والقاعدة تفويضاً يفيض على الممالك حُلّ المهابة ، ويسلب أعداء الدين رداء
 الأمن فلا ينفعهم الخضوع ولا الإنابة ، ويُضاعف لنا أدعية الرعايا الصالحة بإجرائهم
 على ما ألقوه من العدل والإحسان فمنهم الدعاء الصالح ومن كَرَّمَ الله الإجابة .

فلتقلّد هذه الرتبة الدالة على ارتفاع قدره لدينا ، الشاهدة له باحتفالنا بما أوجبه
 إخلاصه من حقوق الطاعة والولاء علينا ؛ المنبهة على أنه سيفنا الذى نصور الممالك
 بحدّه ، ونصور على العدا بمضائه الذى تهلّل وجوه النصر كلما أسفر من غمده ؛
 وليستقرّ فى ذلك نافذاً فى المصالح الإسلامية أمره ، مُغيراً على جيوش الأعداء
 ذكره ، معمّلة فى حماية الدين بيضه المُرّهفة وسُمره ، مجلّة بإشراق طلعه مطالع
 المواقب ، مسيرة نجوم أسنّته إلى قلوب أعداء الدين مسير الكواكب ، مُحفّقة
 بحقوق رايته مساعى الكفر الصادرة عن آمهلم الكواذب ؛ ليعلم عدوّ الله أنه أشدُّ
 طلباً له من أجله ، وألزم لعنقه من عمله ؛ وأسبق إليه من رجع صوته ، وأنزل عليه
 من مفاجاة موته . وليجمل النظر فى مصالح الجيوش الإسلامية بما يُضاعف عدتها ،

ويبقى على توالى الأحقاب حداثتها وجديتها؛ ويأخذهم بإدامة التمرن فى الحروب، وإطالة عنان التأهب للركوب؛ ويعين كلاً منهم بملاحظة حاله على استدامه قوته وإمكانه؛ ويجعلهم بالآقتباس من شجاعته من القوم الذين لا يسألون عن عدد عدوهم بل عن مكانه. وليكن لكلمة الشريعة الشريفة رافعا، ولشبهه من يمتنع عن الانقياد إلى الأحكام دافعا؛ وعلى يد من يتطرق إلى الخروج عن أحكامه أخذا، ولمن لم يسلك الأدب بين يدي حكمه بما يقتضيه تعظيم الحكيم العزيز مؤاخذا. وليأمر النواب بإقامة منار العدل الذى يوم منه خير للأرض من أن تمطر أربعين يوما، ويصرف إلى مصالح الثغور الإسلامية وحمايتها فكرا لم يحتدعة ونظرا يأنف أن يألف نوما؛ وملاك الوصايا تقوى الله وهى من خصائص نفسه الكريمة، وراحة روجه التى هى للفكر فى مصالح الإسلام مديمة؛ فليجتهد فى المحافظة عليها ما استطاع، ويمض بها فى مصالح الإسلام أمره الذى جعلناه من أمرنا مطاع.



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة أيضا، كتبت به عن السلطان الملك أبى بكر ابن الناصر محمد بن قلاوون للأمير طقزدمر أمير مجلس، فى سنة اثنتين وأربعين وسبعائة، بعد أن بطلت النيابة فى دولة أبيه الملك الناصر عدة سنين، وهى:

الحمد لله الذى أصطفى لسلطاننا المنصور من ينوب عنا فى رعاية الجمهور أحسن مناب، وأضفى على ملكنا المعمور من رياسته أسر سربال ومن حراسته أجل جلباب، وكفى دولتنا الشريفة بسياسته مهمات الأمور فلتأيد بها بقيامه دوام ولتشيدها باهتمامه استصحاب، وشفى الصدور بصدور إشارته المباركة التى لها بأوامرنا العالية اقتراان ومن ضمائرنا الصافية اقتراب، وأوفى له من ربنا العميم بحقه

الذى [له] بعهدہ استحقاقٌ للتقديم وإيجاب ، وسبقہ القديم الذى له من سعيد المصاهرة أكرم أشاج ومن حميد المظاهرة ألزم أنتساب .

نحمدہ على أن بصر آراءنا بطرق الوفاق وسُبل الصواب ، ونشكره على أن نضر راياتنا فى الآفاق : فلقلوب العدا من خوفها إرهاب وإرهاب .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً منزّهة عن الشك والارتياب ، موجهة إلى قبلتها التى ترضاها الألباب ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أظهر عزّمه بالثبات وقهر خصمه بالتباب ، ووفر قسمه من الإنجاد ويسر حربه للإنجاب ، وأظهر اسمه بعد اسمه فخلاً فى الأفواه ذكره وطاب . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا من بعده فى رعاية عهده أحسن الآداب ، صلاةً متصلة الأسباب ، موصلةً إلى خير مآل متكفلةً بنعم باب (؟) لا يزال لسحب جودها فى الوجود أنصباب ، ولما قرب وفودها ورود إلى مظان الرضوان من غير إغباب ، ما جرد انتقامنا على الأعداء سيفاً سطاً يقدر الرقاب ، وأورد إنعامنا الأولياء بحر ندى زاهر العباب ، وجدّد قيامنا بعلم هدى مرت عليه الأعوام وما لمح له أثر ولا فُتح له باب ، وأعتمد مقامنا الشريف ، فى الجمع للقلوب والتأليف ، على أعلى ولى وأعلى جناب ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن أولى من أعتمدنا فى الإنجاب والإنجاح على ديانته ، وأنجبنا فيما أردنا من الاستصحاب للصالح بإعانتة ، وأعتصدنا فى تقطين الممالك وتأمين المسالك بصياليته وصيانيته ، ورعينا عند الدنا الشهيد - سقى الله عهده صوب الرضوان - على علو مكانه ودنو مكانته ، فاكتفينا فى كفالة الأمة وإيالة النعمة بنحشيته من ربه واستكانته - من حُدت سجاياه ، وتعددت مزاياه ، واستندت

إلى ما أمر الله تعالى به من العدل والإحسان في الأحكام قضاياه ، ووجدت منه الزهد والرفق رعاة الإسلام ورعاياه ؛ فهو الممدوح فعله ، من جميع الألسنة ، الممنوح فضله ، في سائر الأزمنة ، الملموح عليه آثار القبول الظاهر من عناية الله لما نواه من الخير لخلق الله وأبطنه ؛ فهو عاضد السلطنة الذي حلّ من العلياء موطنه ، وكافل المملكة ، الذي سبق إلى كل مجد فأدركه ؛ وسيف الدولة ، الحامي الحوزة البادية الصولة ؛ ومن له أشتمال على العلياء ، ومن يقارن التحقيق له رأيا ، ولا يباين التوفيق له سعيًا ، ويعاون الهدى والنهى على طول المدى له أمرا ونهيا ، ويعين الورى لسلطاننا المنصور منه مهديًا يحل لدولتنا حفظا ويحسن لملكنا رعايا .

وكان فلان هو الذي لم يزل متعين المحاسن ، متبين الميامين ، متمكن الرئاسة في كل الأمكان ؛ فحلمه إذا اضطربت الجبال الرواسي ثابت ساكن ، وعلمه الزائد بأوضاع السياسة وأنواع النفاسة للوجود من بهجته زائن ، ورأيه الصائب للبلاد والعباد صائنا ، ورعيه الخلق بالحق : القوي منه خائف والضعيف إليه راكن ، ونشره هادي للرأي وباد للعائن ، وذكره الجميل سائر في الآفاق والأقطار والمدائن ؛ حتى أظهر الله تعالى بإمداد نيرنا الأعظم من إشراق بذره الكامل ما هو في سر الغيب كامن ، وشهر سيفه الذي يغدو الإيمان من مهايته في كنف منيع وحرم آمن .

ولما مضت على منصب النيابة الشريفة في أيام والدنا الشهيد بضع سنين ، وانقضت الأيام والليالي والدهر بموهبتها ضنين ؛ ولا وطيت لها ربوه ، ولا امتطيت لها صهوة ؛ وكانت في سلك ملكه مندرجه ، وبصفو سلطنته ممتزجه ؛ إلى أن قضى عليه الرضوان النخب ، وأفضى من الجنان إلى الحلل الرحب ، رأينا بعده بمن كان يتحقق وده أن نستأنس ، وأمضينا وصيته المباركة في اختيار ثمرة الإخلاص بمن

كان له الاختصاص يَغرس ، وأفضينا إليه بالمتاب عنا لما كان من أنوار والدنا الشهيد فى كل تسديد يقْتَس ، ومن الاستئثار بمجالسته يفوز فيحوز حكم الحكم لأنه كان أمير ذلك المجلس ، وقضينا باعتماد أمره الكريم بعد أمرنا الشريف : لأنه الخبير الذى لا يَنْبهم عليه شىء من خفايا القضايا ولا يلتبس - أقتضى حُسنُ الرأى الشريف إلقاء ما فى أيدينا من مقاليد الممالك إلى يده ، وإبقاءً وديعة هذا الأمر العظيم إلى صونه وعونه وتشدده ، وإيفاء جنابه إلى حميد هذه الغاية التى هى للنسابة مناسبة لسؤدده .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازل يجمع شمل الإسلام بتعيينه وتفترده ، ويرجع أمر الأنام منه إلى مأمون الرأى رشيد سَفَّاح السيف مَهَنده ، منصور العزم مؤيده ؛ ويوسع الخليفة إذا وليهم بالرفقة والرحمة ومن أولى من أبى بكر بأن يخص أصحاب محمد عند الخلافة بإعذاب منهل الجود ومورده - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية - أعلاها الله تعالى - نيابة شاملة مُحِيْطه ، كاملة بَسِيْطه ؛ تعنى كل أمير ومأمور ، وتُدنى أمرها الذى يعامل بالإجلال ويقابل بالسرور ؛ برأً وبحراً ، وسهلاً ووعراً ؛ غوراً ونجداً ، بُعداً وقرباً ، شرقاً وغرباً ؛ وما منحه الله تعالى لوالدنا الناصر من الممالك ويدنر لسلطاننا المنصور ويُنحى : تستوعبُ أمر ما نأى من هذه الأقاليم ودنا ، وتجب طاعته فيها على كل من كان مؤمناً ؛ ويمتثل فى ذلك كله أمره ، وتعمل فيه الروية فيجمل فكره ؛ ويؤمل فيه فتحه ونصره ، وينقل به مدحه وشكره ، ولا ينفصل منحه ويره ؛ ناظراً فى هذه النيابة الشريفة بفكره التام ، سائراً فيها السير الجميل من الدربة والإلهام ؛ ناشراً ظلال المعدلة على من سار أو أقام ، مظاهراً بجنابه منا أجل مقام . ونحن وإن كنا نتحقق من خلاله الحُسنى ، كل وصِف يُسنى ؛ ويتق منه بذى الصدر السليم الذى هو على

المقاصد يُعان وبالحامد يُعنى ، فلسنا نُخلّ بالوصية التي نعلم أنّ له عنها آستغنا ؛
ولكننا لا نترك بها التبرّك ولا ندع ماسنّ الله تعالى منها وشرع ، ولا نُغفل ، مايجب به
أن يحتفل ؛ فقد وصّى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وأمضى أمره
المسموع كلّ ذى رجوع إلى الله تعالى منهم وإنا به ؛ فقد أولاه الله تعالى كلّ جميل
قبل أن ولّاه ، وحلّاه بالسمات والمكرّمات قبل أن رفع علاه ؛ وأعطاه ما أُرهب
العدا من سَطاءه ، وهداه إلى كلّ رُشد تأتمّ به الهداه .

فأهمّ ذلك تقوى الله تعالى وهو عليها مجبول ، وأمرها عنده متلقّ بالقبول .
والعدل فهو منه مأمول ، والاتصاف بالإنصاف فهو دأبه فيما يفعل ويقول ؛
والجهاد : فعزائمه في ميدانه تجول ، وصوارمه بها من قراع فرسانه فلول . والزعماء
والأكابر فلهم من محافظته اعتناءً وبملاحظته شُمول . والعساكر الإسلامية فتباييده
تبطّش أيديهم بالعدا وتضول . وزعماء البلاد فلهم إلى ظلّ رحمته إيواءً وبكنف
نعمته ظلّول . وممالك الإسلام فما منها إلا معمور بما أوتته كفالتة مأهول ؛ وتغوره
فكلّها بسام بفتكاته التي ألقى رُعبها في البحر فهو بين كلّ فاجر وبين البحر يحول ،
وما هو بذلك من حميد المسالك موصول ، ومحلّه المقدم لأنه أهمّ الأصول : من إكرام
الحكّام ، وإبرام الأحكام ؛ وأستيفاء الحدود ، وأقتفاء السنن المعهود : من إنجاز
الوعود ، وإحراز السعود ؛ والإجهاز على كلّ كفور وجحود ، والاحتراز من فظاظة
الناس بإفاضة الجود ؛ فكلّ ذلك على خاطره مشرود ، ولما آثره مورود ؛ وفي ذخائره
موجود ، ومن خبرته معلوم معهود ، وعن فكرته مشهور ومن فطرته مشهود ، فليسع
أمرنا هذا جميع الأمراء والجنود ، وليرجع إليه كلّ من هو من جملة الملة معدود ؛
وليقابل مرسومنا بالسمع والطاعة ، أهل السنة والجماعة ؛ ساعة الوقوف عليه وحالة
الورود ؛ والله تعالى يُصلح ببقائه الوجود ، ويمنح باهتمامه المقصود ، ويفتح المعاقل

باعترامه الذى ليس بمردود عن مراده ولا مصدود ، بل يُصبح الكفر من خوفه محصورا ويُمسَى وهو بسيفه محصود ، والعلامة الشريفة أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لنائب سلطنة ، أوردها فى ” التعريف ” قال :

يُوصى بتقوى الله تعالى وتنفيذ الأحكام الشرعية ، ومعاودة حكامها ، واستخدام السيوف لمساعدة أعلامها ، وتفقد العساكر المنصورة وعرضها ، وإنهاضهم لنوافل الخدمة وفرضها ، والتخير للوظائف ، وإجراء الأوقاف على شرط كل واقف ، والملاحظة الحسنى للبلاد وعمارة أوطانها ، وإطابة قلوب سكانها ، ومعاودة مباشرى الأموال مع عدم الخروج عما ألف من عدل هذه الأيام الشريفة وإحسانها ، وتحسين مآلديه ، وتحسين كل ما أمره إليه ، واستطلاع الأخبار والمطالعة بها ، والعمل بما يرد عليه من المراسيم المطاعة والتمسك بسببها ، وأنه مهما أشكل عليه يستضىء فيه ، بنور آرائنا العالية فهو يكفيه ، ومن قُتل من الجند أو مات وخلف ولدا يصلح لإقطاعه يعين له ليقوم بخلفيه ، ويقال من هذا ما يقوم بتمام الغرض ويوفيه .

الوظيفة الثانية

(الوزارة لصاحب سيف)

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ لِقَبُ الْوِزَارَةِ فِي الْإِسْلَامِ ”أَبُو حَفْصَ الْخَلَّالُ“ وَزِيرُ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ أَوَّلَ خُلَفَائِهِمْ كَمَا ذَكَرَهُ الْقُضَاعِيُّ^(١) فِي ”عَيُونِ الْمَعَارِفِ“ فِي أَخْبَارِ الْخُلَائِفِ ” ثُمَّ صَارَتِ الْوِزَارَةُ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ دَائِرَةً بَيْنَ أَرْبَابِ السُّيُوفِ

(١) أى خلفاء العباسيين .

والأقلام ، تارةً يليها صاحبُ سيف وتارةً يليها صاحبُ قلم ، إلا أنها في أرباب
الأقلام أكثر. وعلى ذلك جرى عُرف الديار المصرية من ابتداء الأمر وإلى الآن.

ومما يَنبَهِ عليه أنَّ الوزير إذا كان صاحبَ سيف ، كان في مجلس السلطان قائماً
في جملة الأمراء القائمين . وإذا كان صاحبَ قلم ، كان جالساً كما يجلس أرباب
الأقلام : من كاتب السر وغيره .

وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كتب به للأمير سيف الدين بُكْتُمُر . وهي :

الحمد لله الذي شدَّ أزرَ دولتنا القاهرة ، من أوليائنا بأمضى سيف ، وعَضَدَ أيماننا
الزاهرة ، من أصفينائنا بأعدل وليٍّ لا يوجَدُ في حكمه حَيْفٌ ، وَعَدَقَ تديرَ أمورِ
ممالكنا الشريفة بمن تَحْجُبُ مهابتُه ذوى الأطماع الطامحة عَمَّا لا يُحِبُّ فلا يُلمُّ بهم فيها
خاطر [ولا] يطرقُهم بها طَيْفٌ ؛ جاعِلِ التأييدَ لآرائنا مصاحباً ، والتوفيقَ موافقاً
لأوامرنا التي لا تُهْمَلُ من مصالح الإسلام مندوباً ولا تدَعُ من مهمات الملك واجباً ؛
والإقبالَ تالياً لمراسميننا في آرتياد من يَغْدُو قلبُ الحَقِّ من حَيْفِهِ سائِغاً وقلبُ المبطلِ
من خَوْفِهِ واجباً ، واليَمينَ تابعا لاستخارتنا في آتخاب من لم يَزَلْ في خدمتنا الشريفة
للأدعية الصالحة جالياً ، وللمنافع الإسلام والمُلْك طالبا ، ولمضارهما حاجباً .

نحمده على نِعَمِهِ التي عَضَدَتْ أيماننا بمن جَمَعَتْ أدواته ، رَتَبَتْ السيف والقلم ،
وَعَدَقَتْ تديرَ ممالكنا بمن أحرزت [صفاته] ، مَزَيَّتِ العِلْمَ والعِلْمَ ، وشَدَّ أزرَ دولتنا
بمن يَبْيِضُ بِمَعْدَلَتِهِ من صحائف أيماننا ما هو أَحَبُّ إليها من حُمْرِ النِّعَمِ .

ونشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له شهادة تُعَدُّها للقاءه ، ونَتَيَمَّنُ بها
في افتقاد من نَعْتِضِدُ به في مصالح أهلها وانتقائه ، ونَقَدِّمُها أمامَ كلِّ أمرٍ نَدَّخِرُه
لأَعْتلاءِ وَلِيَّنا بالتقى وآرتقائه ؛ ونشهدُ أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله إلى الأممِ

طُرًا، وخصّه بالأمة التى جعلَ أمارَة سبقها إلى الخيرات أنْ غَدَتْ مَحْجَلَةً غُرًّا ،
وأَيَّدَه بنصره وبالمؤمنين الذين ما منهم إلا مَنْ أَعْرَضَ عن زُحُوفِ الدنيا وإنْ كان
حُلوًا وقال الحقَّ وإنْ كان مُرًّا ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصَحْبِهِ الذين وَلَوْ أُمَّتَهُ
فَعَدَلُوا، والذين تَمَسَّكُوا بِسُنَنِ سُلَّتِهِ فما حَادُوا عنها ولا عَدَلُوا؛ صلاةً لا تَزَالُ الأَلْسُنُ
لِإِقَامَتِهَا مُدِيمَةً، والقلوبُ لِإِدَامَتِهَا مُقِيمَةً ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعدُ، فإنْ أَوَّلَى مِنْ أَبْرَزِ الضَمَائِرِ، فى الاعتِضادِ به مَكْنُونِ طَوِيَّتِهَا، وَأَعْتَمَدَتْ
الخواطرُ، فى تصرِيحِ عِلَالَتِهَا بأولويَّته لمصالح الإسلام على نِيَّتِهَا، وتَشَوَّفَتْ البلاغةُ
لرَقْمِ مَقَارِحِهِ، وتنافست المعاني فى تخليدِ مآثرِهِ ؛ وهَنَّتِ المَعْدَلَةُ نَفْسَهَا، برافعِ لَوَائِهَا،
وأبَدَتِ الدولةُ أُنْسَهَا، بِنَاشِرِ بَرِّهَا فى الأَقْطَارِ وَالْأَلْيَا ؛ وَأَقَرَّتْ ثَغُورُ الأَقَالِيمِ المحروسةِ
بِمَنْ تَلَهَّجَ بِمِصَالِحِهَا أَلْسِنَةُ أَقْلَامِهِ ، وَأَخْضَرَّتْ رُبَى آمَالِ الأولياءِ بِمَا يُسْفِرُ عنه من
تَهَلُّلِ بهاءِ غُرَرِ أَيْامِهِ ؛ مَنْ هَزَزْنَا مِنْهُ لمصالح الإسلام سيفًا يَصُلُّ ما أَمَرَ اللهُ به أنْ
يُوصَلَ، وَيُفْصَلَ من مهمَّاتِ الممالك ما يقتضى الحقُّ أنْ يُفْصَلَ ؛ وَيُبرِزُ من معادنِ
العَدْلِ والإحسانِ ما هو فى سِرِّ خِلَاقِهِ كَامِنٌ، وَيُنْزِلُ من آسِقَامَتِ سِيرَتِهِ فى الحِمَى
الْمُخْصَبِ والحَرَمِ الآمِنِ ؛ وَيَصُونُ الأموالَ بِمَهَابَتِهِ فلا تَمْتَدُّ إليها هَوَاجِسُ الأَطْطَاعِ ،
ولا تُتَجَسَّرُ أَبْصَارُ غَيْرِ الأَمْنَاءِ أنْ تُقْصَّ نَبَأُ رُؤْيَتِهَا على الأَسْمَاعِ ؛ وَيُضَاعَفُهَا بِخَبْرَتِهِ
التي تَهْدِيهَا الأَمَانَةُ إلى مَعَادِنِهَا ، وتُدْمِكُهَا النِّزَاهَةُ على مَوَاطِنِهَا ، وتُبْدِي لها ظواهرَ
الأَعْمَالِ أَسْرَارَ بَوَاطِنِهَا، وَيُعَمِّرُ بيوتَ الأموالِ بِعِمَارَةِ البلادِ، وَيَثْمُرُ فروعَ الطَّوَارِفِ
من مِصَالِحِهَا بِحِفْظِ أَصُولِ التَّلَادِ ؛ وَيَكُفُّ أَكُفَّ الظُّلْمِ عن الرعايا فلا يَحْشَى مُحِقُّ
على حَقِّهِ ، ولا يَخَافُ مُسْتَقِيمٌ على ما قُسِمَ له من رِزْقِهِ ؛ ولا يَطْمَحُ قَوِيٌّ إلى من
يَسْتَضَعِفُ جَانِبَهُ، ولا يَطْمَعُ باغٌ فى الحيفِ على أَحَدٍ مَخَالِطُهُ فى نَسَبِ كان أو جُنَابَتِهِ .

ولما كان الجَناب العالى (الفلانى) هو الذى أُشِيرَ إلى مَنَاقِبِهِ ، وأَعْتَصِدَ مِنْهُ بمطِيعِ اللَّهِ فى السِّرِّ والْعَلَنِ ومِراقِبِهِ ، وفُؤُضَ تَدْيِيرُ الْمَمَالِكِ مِنْهُ إِلَى مَنْ لَا تَأْخُذُهُ فى الْحَقِّ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَأَعْتَمَدَتْ أَيْامُنَا الزَّاهِرَةُ مِنْهُ عَلَى مَنْ طَالَمَا سَرَى فى مِصَالِحِهَا عَلَى جِيَادِ الْعِزَائِمِ ، وَشَدَّ أَرْزَ الْمَلِكِ مِنْ مَوَازِرَتِهِ بِنِ يَكْسُودَسَتْ الْوِزَارَةُ أَهْبَةً وَجَلَالًا ، وَيُلَيْسُ مِنْصِبُهَا سَنًا لَوْ مَلَكَتْهُ الشَّمْسُ مَارَامَتْ عَنْ بُرُوجِ شَرَفِهَا أَنْتَقَالَ ، وَيَمْدُ عَلَى الرِّعَايَا لَوَاءَ عَدْلٍ لَا يُقْلَصُ لَهُ هَجِيرُ الظُّلْمِ كَمَا تَتَقَلَّصُ الظُّلَالُ ظِلَالًا ، وَتَطْلُعُ بِهِ شَوْسُ الْأَرْزَاقِ عَلَى أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا لَكِنْ لَا تَرْهَبُ كَالشَّمْسِ غُرُوبًا وَلَا زَوَالًا ، مَعَ مَهَابَةِ تُخَيِّفُ الْأُسْدَ فى أَجْحَتِهَا ، وَمَعْدِلَةٌ تُعِينُ الْغِيُوثَ عَلَى رَفْعِ مُحُولِ الْبِلَادِ وَدَفْعِ أَرْمَاتِهَا ، وَدِيَانَةٌ زَانِهَا التُّقَى ، وَخِبْرَةٌ صَانِهَا الْوَرَعَ وَهُمَا أَفْضَلُ مَا بِهِ يُرْتَقَى .

وكانت الوزارة الشريفة نظام المملكة وقوامها ، وذروة الدولة وسنامها ، وتاج المراتب وإكليلها ، وعتاد الخزائن الجامع دقيق المصالح الإسلامية وجليلها - أقتضت آراؤنا الشريفة أن تُرَيَّنَ هذه الرتبة بجوهر فرنده ، وأن يصدر منصبها عن مناقب لا تصدر إلا عن جهته ومفاخر لا ترد إلا من عنده ، وأن يطلق فى مصالحها قلمه ، ويعضى فى قواعد إشاراته وكلمه ، ويُطْلَعُ فى أَفْقِهَا شَمْسَ تَدْيِيرِهِ ، وَيُعَدَّقُ بِهِ مَا يَرَاهُ فى أُمُورِهَا مِنْ صَغِيرِ الْأَمْرِ وَكَبِيرِهِ ، وَأَنْ نَجْعَلَ مَسَامِعَ الْأَقَالِمِ عَلَى سَعَتِهَا إِلَى أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ مُصْغِيهِ ، وَأَنْ نَصُدَّ بِسَمْعَتِهِ عَمَّنْ بَعْدَ عَوَارِضِ الْإِهْمَالِ الْمُلْهِمَةِ وَمَوَاقِعِ الْإِهْمَالِ الْمُطْغِيهِ .

فلذلك رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالَتْ سَحَابُ بَرِّهِ مَسْتَهْلَةً ، وَرَكَابُ الْحَمَامِدِ إِلَى حَرَمِ نِعْمِهِ مُهْلَةً - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ الْوِزَارَةُ الشَّرِيفَةُ بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَكْمَلِ الْقَوَاعِدِ ، وَأَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ، تَفْوِيضًا يُعْلَى مَرَامِهِ ، وَيُخْضَى مِضَاءُ أَلْسِنَةِ أَقْلَامِهِ ،

ويُسْطُ في مصالح الأقاليم المحروسة يده ولسانه ، ويلقى إليه من مهمات كل قُطْر أزمته ليصرف على ما يراه من المصالح عِناهُ .

فليستقر في هذه الرتبة الدنية استقرار الدُرِّ في أسلاكها ، والدَّرارى في أفلاكها ؛ نافذ الأمر في مصالح شَرْقِها وغَرْبِها ، مُطاع القول في بُعد أماكنها منه وقُرْبِها ؛ ناشراً كلمة العدل في أرجائها ، محققاً بالإحسان آمال أُمِّ قَصَرْت على كَرَمنا ممدود رَجائِها ؛ مُعلِّياً منار الشرع الشريف بمعاضة حُكَّامه ، والوقوف عند أوامره المطاعة وأحكامه ؛ حافظاً أقدار الرتب بأَكفائها ، معتمداً على ذوى البيوت المحافظين على اتِّباع سِير أسلافهم وأَقْتِنائها ؛ معولاً على ذوى الحِصْبة التامة مع الديانة ، مُراعياً مع ظُهور المعرفة جانب العِفَّة والزَّاهة والصَّيانه ؛ مُوكِّلاً بمصالح بيوت الأموال والخزائن المعمورة موادَّ الأموال ومَعِينِها ، صارفاً إلى عِمارة البلاد جميل تدبيرٍ تعتضد البحارُ والسَّحْبُ منه بمُساعدِها على رى الأرض ومُعِينِها ؛ ميسراً موادَّ أرزاق خَدَم دولتنا القاهرة وأوليائِها بجميل بَشْره وحُسن رُوائِهِ ، مسَهِّلاً مطالبَ أرباب الرواتب والصَّدقات بطلاقة وَجْهِه لو تأمله أَمْرٌ وصادى الجوانِج لأرتوى من مائه ؛ ليتوفَّر أهل الوظائف على خَدَمهم بقلوب منبَسِطة الآمال ، ويُناضِل عنها الفقراء بِسِهام ^(١) الليل التى لا تَطِيش إذا طاشتِ النَّبال ؛ فقد جعلنا أَمْرَه فى ذلك جميعه من أَمْرنا فليُكْتَب يَمْتَثِل ، وليُقْل فى مصالحنا بما يراه يَسِر كلامه سِرِّى الرياح ويسِر قوله سِرِّ المثل ؛ ولا يُمَضِّ عقد ولا حل ، ولا ولاية ولا عزل ؛ ولا رَفْع ولا خَفْض ، ولا إبرام ولا نَقْض ؛ إلا عن رأيه وإشارته ، وبنَصِّ خَطِّه وعبارته .

وفى سِيرته السَّريَّة ، وديانته التى هى من أسباب الهوى عَريَّة ، ما يُغْنى عن وصايا تُملى على فكره ، وقواعد تُجلى على ذِكْره ؛ ومِلاكها تقوى الله : وهى من أخَصِّ

(١) المراد دعوات السَّحَر كما لا يخفى .

اوصافه ، ونشر العدل والإحسان وهما من نتائج إنصاته لأُمور الرعايا وإنصافه ؛
 لكن على سبيل الذكرى التى تنفع المؤمنين ، وترفع درجات المتقين ؛ فليجعلها نجيّة
 خاطره ، وقبلة ناظره ؛ والله تعالى يُعَلِّي قدره وقد فعل ، ويجعله من عباده المتقين
 وقد جعل ؛ بمنّة وكرمه . والأعتماد [على الخط الشريف أعلاه] إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(الإشارة) ، وهى وظيفة قد حدثت كتابتها ولم يُعهد بها كتابةً فى الزمن القديم
 وهذه نسخةٌ تقليد أنشأته بالإشارة للأمير جمال الدين يوسف البشاسى إستادار
 فى الدولة الناصرية فرج ، حين فُوِّضت إليه الإشارة مضافةً إلى الإستدارية ،
 وكتب له به المقر الشمسى العمرى كاتب الدسّ الشريف ، فى شعبان سنة تسع
 وثمانمئة ، وهى :

الحمد لله الذى جدّد للديار المصرية بالمحاسن اليوسفيّة رَوْقَ جَمَاهَا ، وأعزّ جانبها
 بأجل عزيز ملاّت هيئته الوافرة فسيح مجالها ، وأسعد جدّها بأسعد مشير أدارت
 أراؤه الصائبة متقاعس الأمور ما بين يمينها وشمالها ، وأكرم مآبها بأمثل كاف عاد
 حسن تدبيره بضروب من المصالح أنام الخلق فى ظلالها ، وأجاب سُؤلها بأكمل
 لم تعدل عن خطبتها له وإن أطال فى مطالها .

نحمدّه على أن أغاث الدولة القاهرة بمن أخصب به بعد الإحمال ربُّعها ، وطال
 بطوله بعد القصور فرّعها ، وحسن فى المناظر بحسن تأتية لذى التأمل ينفعها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى شرع المشورة وحثّ عليها ،
 وعدق أمور السيف والقلم بها فردّهما عند اختلاف الرأى إليهما ؛ شهادةً ترفع قائلها إلى
 أسنى المراتب وتُعليه ، وتقرب المخلص فى آتئالها من مقام الاستخلاص وتُذنيه .

ونشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله الذى وردَ وارِدُ الأُمة من مَنهَلِ شِرعته المطهَّرة
ماعدب مشرعه وردا وصَدرا ، وألثقت السَّيَّارةُ أحاديثَ فضله فصيرتْها للرفاق
سَمَرا ؛ صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تَقَيَّلُوا مَساحِبَ أذْياله فى العدل فعدلُوا ،
ولزِمُوا مَنهج سُننه الواضِح فحادُوا عن سِواءِ السبيل ولا عدلُوا ؛ صلاةً تفوق العَد
حَصْرا ، وترَفَع بركاتها عن الأُمة حَصْرا وتبدل العُسْرى سِرا ، فُعِيد عِجاف الزمان
سِمَنا وسُنبلاتِ الوقت بعد اليُس خُصْرا ؛ وسلَّم تسليما كثيرا .

أما بعدُ ، فإنَّ للمملكة قواعدَ تُبنى عليها ، وأركاناً تستند إليها ؛ ودعائمٌ يُشَدُّ
بالاعتِصاد بها بُنائُها ، وعمدًا يعتمِد عليها فى المهمَّاتِ سلطانُها ؛ وهذه المَباني وإن
اتَّسع نطاقُها ، وأمتدَّ بامتدادِ المملكة رُواقُها ؛ فإنَّ بالسيف والقلم قِوامُها ، وبالتعلُّق
بجبالها بقاءُها ودوامُها ؛ إذ كانا قُطبينَ عليهما مدارُ فلَكها ، ونقطتينَ عنهما ينشأ
الخطُّ المستقيمُ فى تدبيرِ مُلكها ؛ وزعيمين يُترَفَع إليهما عند التخاصُّم ، وحَكَمَين يُرجَع
إلى حُكُهما عند التَّحَاكُم ؛ إلا أنهما لا يَسْتَقِلَّانِ بأنفسهما عند التَّحالُف ، ولا يقوم
أحدهما برأسه لدى التَّخالُف ؛ بل لهما إمامٌ يَرجعان إليه ، ويعولانِ عند اضطراب
الأُمُورِ عليه ؛ وهو الرأى الذى لا يُقْطَع أمرٌ دون حُكمه ، ولا يهتدى سارٍ فى مَهامِهِ
المِهْمَّاتِ إلا بَنجْمِهِ ؛ إذ كان على الشجاعة مُقَدِّما ، ودليْلُهُ من المعقول والمنقول
مُسلِّما ، والمُلتسِم به لا يزال عند الملوك مَبجَلًا معظَّمًا ؛ لا يقدِّمون عليه ولدا ولا والدا ،
ولا يُؤثِّرون على مُعاضدته عَصْدا ولا ساعدا ؛ إن أشار برأى تمسك الملكُ منه بالحبل
المتين ، أو مخَضَّه كلامٍ نصيح قال : ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ .

ولما كان الجَناب العالى ، الاميرى ، الكبيرى (إلى آخر ألقابه) يُوسِفُ
الناصرى : ضاعف الله تعالى نعمته ، هو الذى حَنَّكَته التَّجارب و« حَلَبَ الدَّهْرَ

أَشْطَرَهُ»، وَعَرَفَ بِتَقْلِيلِ الْأُمُورِ عَلَى مَمَرِ الزَّمَانِ مُحَبَّرَهُ؛ مَعَ مَا أَشْتَبَلَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْيِ الصَّائِبِ، وَالْفِكْرِ الذِّى إِذَا أَبَدَتْ قَرِيحَتُهُ فِي الْارْتِيَاءِ عَجَبًا أَتَتْ فِطْرَتُهُ السَّليمةُ بِالْعَجَائِبِ.

هَذَا وَقَدْ عَلَا فِي الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ مَقَامُهُ، وَرَشَقَتْ أَغْرَاضُ مَقَاصِدِهَا بِانْقِضَاءِ الْأَجَالِ فِي الْوَقَائِعِ سِهَامُهُ؛ وَسَاسَ الْعَسَاكِرَ فَأَحْسَنَ فِي سِيَاسَتِهَا التَّدْيِيرَ، وَبَذَلَ فِي نَفَقَاتِهَا الْأَمْوَالَ فَالَ فِيهَا إِلَى الْإِسْرَافِ دُونَ التَّقْتِيرِ؛ وَأَسْتَجْلَبَ الْخَوَاطِرَ فَأَخَذَ مِنْهَا بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ، وَأَقْتَادَ النُّفُوسَ الْأَيَّيَّةَ قَهْرًا فَأَطَاعَهُ مَنْ بَيْنَ الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ؛ وَقَامَ مِنَ الْمِهْمَّاتِ الشَّرِيفَةِ بِمَا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ سَابِقٌ، وَأَتَى مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي التَّنْفِيزِ بِمَا لَمْ يَلْحَقْهُ فِيهِ لَاحِقٌ، وَبَادَرَ إِلَى تَرْتِيبِ الْمَصَالِحِ فَرَتَّبَهَا وَلَمْ يَعْقُهِ فِي آتِهَازِ الْفُرْصَةِ عَنْ دَفْعِ الْمَفَاسِدِ عَائِقٍ؛ وَأَخَذَ فِي حِطِّ الْأَسْعَارِ فَوْرَدَ مِنْهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ صَافِيَا، وَأَمَرَ بِإِبْطَالِ الْمُعَامِلِينَ فَكَانَ لَهُ عَمَلًا عَلَى تَوَالِي الْأَزْمَانِ بَاقِيَا؛ وَلاَزَمَ بَعْدَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى رِضَا مَلِكِهِ فَفَازَ بِأَشْرَفِ الْمَآثِرِ فِي الْحَدِيثِ وَالْقَدِيمِ، وَتَأَسَّى فِي تَعْرِيفِهِ بِنَفْسِهِ بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ» - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ تَنْوِيهَنَا بِذِكْرِهِ، وَتَقْدِيمَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ رَامَ هَذِهِ الرِّتَبَةَ فَحُجِبَ دُونَهَا «وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ».

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي، الْمَوْلُوى، السُّلْطَانِى، الْمَلِكِى، النَّاصِرِى، الزَّيْنِى - لَا زَالَ يَجْمَعُ لِأَوْلِيَائِهِ شَمْلَ الْمَعَالَى، وَيُرَقِّقُ أَصْفِيَاءَهُ فِي دَرَجَاتِ الْعِزِّ عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالَى - أَنْ تُفَوَّضَ إِلَى الْمَشَارِإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ الشَّرِيفَةُ الَّتِي هِيَ أَسْنَى الْمَقَامَاتِ وَأَعْلَاهَا، وَأَقْصَى الْمَرَامَاتِ لَدُنَا وَأَغْيَاهَا؛ مَعَ مَا أَنْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ فِي الْوِزَارَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي جَلَّ قَدْرُهَا، وَعَلَا فِي الْمَنَاصِبِ ذِكْرُهَا؛ وَالْخَاصِّ الَّذِى آخِطَصَ بِمِهْمَّتَانَا

الشريفة ، والديوان المفرد الذى غمّر من ممالك السعيدة ذا الوظيفة وغير ذى الوظيفة ، وتعلقات المملكة شرقاً وغرباً ، ولوازمها المفترقة بُعداً وقرباً .

فليتلقّ ما فُوض إليه بيمينه التى طالما رَحت فى الطاعة صَفَقَتْها ، ويقابلْه بالقبول الذى محلّه من القلوب مُهَجَّتْها ، مقدّماً تقوى الله تعالى فيما خَفِيَ من مقاصده وظهّر ، مُؤثِّراً رضاه فى كل ما يأتى ويذرّ ، معتمداً فى المصالح اعتمادَ ذى اليقظة الساهر ، آتياً من غرائب الرغائب بما يحقّق قول القائل : « كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ » .

والوصايا كثيرة ومن بحره تُستخرج دُررها ، ومن سوابق آرائه تُستوضح أوضاعها وغُررُها ، والله تعالى يُديم عليه نعم إقبالنا الباطنة والظاهرة ، ويتولّاه من العناية بما يحقّق له دائم قوله : ﴿ أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ . والاعتمادُ على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية

(من يكتب له من أرباب السيوف ذوات التواقيع ، وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(نظر البيارستان لصاحب سيف)

(١)

الحمد لله رافع قدر من كان فى خِدْمَتِنَا الشريفة كَرِيمَ الْخِلَال ، ومُعَلِّي درجة من أضفى عليه الإخلاص فى طاعتنا العلية مَدِيدَ الظلال ، ومجدّد نعم من لم يُحْصَهِ اعتنائُنا بغاية إلا رَقَّتْهُ هممه فيها إلى أسنى رُتَبِ الكمال ، ومفوض النظر فى قُرب

(١) فى بعض نسخ الأصل بياض ولعله كان متروكا لنسبة القول الى منشئه كما يأتى فى نظيره بعد .

الملوك السالفة إلا مَنْ لم يلاحظ من خواصنا أمرا إلا سرنا ما نشاهد فيه من الأحوال الحوال .

نحمده على نعمه التي لا تزال تسرى إلى الأولياء عوارفها ، ومناهله التي لا تبحر تشتمل على الأصفياء عواطفها ، وآلائه التي تسد آراءنا في تفويض القرب إلى مَنْ إذا باشرها سرّ بسيرته السرية مستحقها وواقفها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رفع الإخلاص لواءها ، وأفاض الإيمان على وجوه حملتها إشراقها وضياءها ، ووالى الايقان إعادة أدائها بمواقف الحق وإبداءها .

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المخصوص بعموم الشفاعة العظمى ، المخصوص في السنة ذكر حوضه الذي من شرب منه شربة فإنه بعدها لا يطمأ ، المنصوص على نبوته في الصحف المنزلة وبشرت به الهواتف نثرا ونظما ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا من طاعته ، بالرتب الفاخرة ، وحازوا بالإخلاص في محبته ، سعادة الدنيا والآخرة ، وأقبلوا على حظوظهم من رضا الله ورضاه فلم يئووا على خدع الدنيا الساحرة ؛ صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس دولتها من الشروب والزوال ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الأمور بالنظر في مصالحها ، وأحقها بتوفير الفكر على اعتبار مناهجها واعتماد مناهجها ، أمر جهات البر التي تقرب بها السلطان الشهيد الملك المنصور (قدس الله روحه) إلى من أفاض نعمه عليه ، وتنوع في إنشائها فأحسن فيها كما أحسن الله إليه ، ورغب بها فيما عند الله : لعلمه أن ذلك من أنفس الذخائر التي أعدها بين يديه ، وحل منها في أكرم بقعة نقله الله بها عن سريرته إلى مقعد صدق عند ربه ،

وعمرها مواطن العبادَةِ في يومِ سَلَمِهِ بعد أن عَفَى بها مَعاقِلَ الكُفْرِ في يومِ حَرْبِهِ ؛ وأقام بها منارَ العلومِ فعَلًا مَنالُها ، وأعدَّ للضُّعفاءِ بها من موادِّ البرِّ والإِطافِ مالو تعاطتْهُ الأغنياءُ قَصُرت عن التَّطاولِ إليه أموالُها ؛ وأن نرتادَ لها مَنْ إذا فُوضنا إليه أمرًا تحقَّقنا صِلَاحَهُ ، وتيقَّننا نَجَاحَهُ ، واعتقدنا تَنَمُّيةَ أمواله ، وأَعتمدنا في مضاعفةِ ارتفاعه وانتفاعه على أقواله وأفعاله ، وعلمنا من ذلك ما لا نحتاجُ فيه إلى آخِبار ولا اعتبار ، ولا يُحتاج في بيانِ الخِيرةِ فيه إلى دليلٍ إلا إذا احتاجَ إليه النَّهار ، لنكونَ في ذلك بِمَثَابَةٍ من ضاعَفَ لهذه القُربِ أسبابَ ثوابها ، أو جَدَّدَ لها وَقْفًا : لكونه أتى بيوتَ الإحسانِ في آرتيادِ أكفاءِ النَّظَرِ لها من أبوابها .

ولما كان فلان هو الذى نهت أوصافه على أنه ماوَلَى أمرًا إلا وكان فوق ذلك قَدْرًا ، ولا أَعتمد عليه فيما تَضيق عنه هِمَمُ الأولياءِ إلا رَحْبَ به صَدْرًا ، ولا طلع في أفقِ رُتَبَةٍ هلالًا إلا وتأمَلتْهُ العيونُ لأَجَلِ رَبِّ الكمالِ بَدْرًا ؛ يدرك ما نأى من مصالح ما يليه بأذنى نَظَرٍ ، ويسبقُ في سَدَادِ ما يباشره على ما يجبُ سَدَادُ الآراءِ ومواقِعُ الفِكرِ . ونحن نزدادُ غِبطَةً بتدبيره ، ونتحقِّقُ أنَّ كل ما عدَقنا به إليه من أمرٍ جليل فقد أسدناه إلى عارفِهِ وفوضناه إلى خبيرِهِ - أقتضتْ آراءُنا الشريفةُ أن نَعِدِّقَ بِجَميلِ نظره هذا المُهمِّ المَقْدَمِ لدينا ، وأن نُفَوِّضَ إليه نظَرَ هذه الأوقافِ التى النَّظَرُ فى مصالحها من أكادِ الأمورِ المتعينةِ علينا .

فَرِسم بالأمرِ الشريفِ - لا زال فضلُهُ عَمِيماً ، وِره يقدِّمُ فى الرُّتبِ من كان من خواصِّ الأولياءِ كَرِيماً - أن يُفَوِّضَ إليه كَيْتَ وكَيْتَ .

فليلِ هذه الرتبةِ التى أريدُ بها وجهُ الله وما كان لله فهو أهمُّ ، وقُصِدَ بها النفعُ المتعدى إلى العلَماءِ والفقراءِ والضُّعفاءِ ومراعاةُ ذلك من أخَصِّ المصالحِ وأعمِّ .

ولينظر في عموم مصالحها وخصوصها نظراً يسد خللها ، ويزيح علةاها ، ويعمر أصولها ، ويثمر محصولها ، ويحفظ في أماكنها أموالها ، ويقم بها معالم العلوم في أرجائها ، ويستزل بها مواد الرحمة لساكنها بالسنه قرائها ، ويستعيد صحة من بها من الضعفاء بإعداد الذخائر لملاطفة أسقامها ومعالجة أدوائها ، ويحافظ على شروط الواقف في إقامة وظائفها ، وأعتبر مصارفها ، وتقديم ما قدمه مع ملاءة تديره باستكمال ذلك على أكل ما يجب ، وتميز حواصلها بما يستدعي إليها من الأصناف التي يعز وجودها ويحتل ، وضبط تلك الحواصل التي لا خرائن لها أوثق ، من أيدي أمنائه وثقاته ، ولا مودع لها أوفق ، من أمانة من يتقي الله حق ثقاته ، فذلك وكلناه في الوصايا إلى حسن معرفته وأطلاعه ، ويؤمن نهوضه بمصالحنا وأضطلاعه ، إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظر الجامع الطولوني)

من إنشاء المقر البدريّ ابن المقر العلّائي بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء الشريف ، في الدولة الظاهرية برقوق ، كتب به المقر الشمسيّ العمريّ كاتب الدست الشريف لأبي يزيد الدّادار ، وهي :

الحمد لله الذي أقام من أوليائنا خير ناظر ، يقتر به كل ناظر ، وأدام بنا بناء المعروف الزاهر وحسنه الباهر ، وأنام الأنام في مهاد الأمن بانتقاء ولي لسان الكون حامد له ومادح وشاكر ، وفتح أبواب السعادة بأصطفاء صفى طاب بسفارته كل خاطر من مقيم وخاطر ، ومنح أسباب السيادة بأوفى وفيّ عمر بوجوده

الوجودَ وعَمَرَ بِجُودِهِ كُلَّ بَادٍ وَحَاضِرٍ ، وَأَبْصَرَ بِالْدينِ الْمُتِينَ وَالْفَضْلِ الْمُبِينِ فَأَقْنَمَاهُ
لِلنَّظَرِ عَلَى بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَوَّلَوِيَّتِهِ بِذَلِكَ : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي ظَهَرَتْ بِالْمَزِيدِ فَسَرَّتِ السَّرَائِرَ ، وَظَهَرَتْ بِنُورِ الرُّشْدِ الْمَدِيدِ
فَأَشْرَقَ بِهَا الْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْعَزِيزُ
الْقَادِرُ ، شَهَادَةً صَدَقَتْ فِي الْإِخْلَاصِ بِهَا الْأَلْسِنَةُ وَالضَّمَائِرُ . وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا
عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ مَعْدِنُ الْأَسْرَارِ ، وَبَحْرُ الْجُودِ الزَّاهِرِ ، وَمَنْبَعُ الْأَنْوَارِ ، صَاحِبُ الْآيَاتِ
الظَّاهِرَةِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْمَفَاحِرِ ، الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَحْمَدُهُ الْأَوَائِلُ
وَالْأَوَاخِرُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ النُّجُومِ الزَّوَاهِرِ ، الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ
حَقَّ جِهَادِهِ فَكَانَ كُلُّ مِنْهُمْ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ أَعْظَمَ مَجْتَهِدٍ وَمُؤَيِّدٍ وَنَاصِرٍ ، وَسَلَّمْ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدَ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ أُلْقِيَتْ إِلَيْهِ مَقَالِيدُ الْأُمُورِ ، وَصَرَّفَنَاهُ فِي جَمِيعِ مَصَالِحِ
الْجُمْهُورِ ، وَفَوَّضْنَا إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى لِيَعْمُرَهَا بِنَظَرِهِ السَّعِيدِ وَتُضَاعَفَ لَهُ
الْأَجُورُ ، وَمَكَّنَّا لَهُ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ حَتَّى صَارَ قُطْبَ فَلَكِهَا عَلَيْهِ تَدْوِيرُ ، وَبَسَطْنَا
يَدَهُ وَلِسَانَهُ فَهُوَ يَنْطِقُ عَنَّا وَيَأْمُرُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ فِي الْوُرُودِ وَالصُّدُورِ ، وَقَيَّدْنَا
الْأَرْزَاقَ بِقَلَمِهِ ، وَالْمِهْمَاتِ بِكَلَمِهِ ، فَلَا فَضْلَ إِلَّا مِنْ فَيْضِهِ الْمُنْشُورِ - مِنْ أَمْتَارِ
عَلَى غَيْرِهِ بِفَضِيلَتَيْ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَتَقَدَّمَ فِي الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ بِأَثْبَتِ قَدَمٍ ، كَانَ بِهَا
مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْقَدَمِ ، وَأَتَّصَفَ بِالشَّجَاعَةِ وَالشَّهَامَةِ وَالْمَعْرِفَةِ النَّاتِمَةِ وَالْحِلْمِ
وَالْعَدْلِ وَالْحِكْمِ ، فَهُوَ التَّرْجُمَانُ عَنَّا النَّاطِقُ بِفَصْلِ الْخَطَابِ فِي السَّرِّ لِلتُّرْكِ وَالْعَرَبِ
وَالْعَجَمِ ، وَعُرِفَ بِالرَّأْيِ السَّعِيدِ ، وَالنَّظَرِ السَّعِيدِ ، وَالتَّيْدِيرِ الْحَمِيدِ ، وَالْقَوْلِ الْمُنْفِيدِ ،

(١) ظَهَرَتْ بِالْمَزِيدِ قُوَّةٌ بِهِ وَظَهَرَتْ بِنُورِ الرُّشْدِ وَضُحَتْ وَبَانَ .

والجود والكرم ، وطُبع على الخير الجزيل ، والدين الجميل ، عُمره في الحق قائم ،
لا تأخذه في الحق لومة لائم ، طالما أحيا بحسن السفارة من العدم .

هو واحد في الفضل والنظر السعيد لأبي سعيد .

فمن الذي يحكيه في الشرف العتيد بطل الوغى أبو يزيد .

قد تفرّد في العفة والديانة ، والثقة والأمانة ، وألتحف بالصفاء ، وتردّى بالوفا ،
وشفى بالخير والخير من كان بالفقر على شفا فحصل له الشفا ، ووفى بالعهود والمواثيق
وذلك أمر ماخفى^(١) ، ولحق في الجود والدين بسميه أبي يزيد البسطامي الولي :

قالوا : الولي أبو يزيد قد مضى * وهو الفريد بفضله والصادق !

قلت : الأمير أبو يزيد مثله * هناك سابقه وهذا اللاحق !

ولما كان فلان هو المشار إليه بهذه الصفات الحسنه ، والمناقب التي تتوعّت
في مدائحها الأليسه ، وعُرف بالجود فلما حُبّه الأئدة فارتفعت الأصوات بالدعاء
له معلنه ، طالما أنال النعم ، وأزال النقم ، وجبر القلوب ، وكشف الكروب ، وجلا
ظلام الخطوب ، ونشر المعروف ، وأغاث الملهوف ، وأنقذ من المهالك ، وعمر
بتدبيره الممالك ، ووصل الأرزاق ، وأجرى الأطلاق على الإطلاق - أقتضت
أراؤنا الشريفة أن نعتد في جميع الأشياء عليه ، ونلقى مقاليد الأمور إليه ، وننوط
به المهمات وغيرها : ليكون العلم بالكليات والجزئيات لديه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازال يتحف بالمزيد من كرمه ، ويسبغ جلايب
نعمه ، ويجرى بحر فضله الواسع ، ويعم بنظره المقربين من أوليائه كل جامع للخير
جامع ، أن يستقر^(٢)

(١) جرى على لغة طي ، نظر السجع فتنه .

(٢) بياض بالأصل والمراد "في نظر الجامع الطولوني" الخ وكثيرا ما يفعل ذلك في مثل هذه المواضع .

فَلْيَتَلَقَّ هَذَا التَّفْوِيزَ الْجَلِيلَ بِقَبُولِهِ ، وَيَبْلُغَ الْجَامِعَ الْمَذْكُورَ مَا يَرْتَقِبُهُ مِنْ عِمَارَتِهِ
الَّتِي هِيَ غَايَةُ مَأْمُولِهِ . وَمِنْهُ تَوَخَّذِ الْوَصَايَا لِأَنَّهُ لِسَانُنَا النَّاطِقُ ، وَسَفِيرُ مَمْلَكَتِنَا الْعَالَمِ
بِالْحَقَائِقِ وَالذَّقَائِقِ ، فَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يُوصَى وَلَا أَنْ نَفْتَحَ مَعَهُ فِي الْوَصِيَّةِ أَبَاً ، وَمَا يَصْلُحُ
أَنْ يُقَالَ لغيره لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ خِطَابًا :

وَمِثْلُكَ لَا يُدَلُّ عَلَى صَوَابٍ * وَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ الصَّوَابَ!

وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيُعِمُّْ بِوُجُودِهِ وَجُودَهُ الْوُجُودَ وَقَدْ فَعَلَ ؛
وَيُبْقِيهِ مَدَى الدَّهْرِ ، وَيَسْتَعِذُّ لِسُعُودِهِ السَّاعَةَ وَالْيَوْمَ وَالْجُمُعَةَ وَالشَّهْرَ ، وَيَجْعَلُ
بَابَهُ الطَّاهِرَ مَفْتُوحًا لِلْقَاصِدِينَ عَلَى الدَّوَامِ ، وَيُقِيمُهُ وَاسِطَةً عَقْدِ الْمُلْكِ فَإِنَّهُ مُبَارَكٌ
أَيْنَمَا كَانَ وَرَحْمَةً لِلْأَنَامِ ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ حِجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الثالثة

(نَقَابَةُ الْأَشْرَافِ)

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ وَظَائِفِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ
مَوْضُوعَهَا التَّحَدُّثُ عَلَى الْأَشْرَافِ ، وَهُمْ أَوْلَادُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قُلْتُ : وَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنَّ الَّذِي يَتَوَلَّى هَذِهِ الْوُظُفَةَ يَكُونُ مِنْ رُءُوسِ
الْأَشْرَافِ ، وَأَنْ يَكُونَ مِنْ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ ، وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُهُ مَعَ أَرْبَابِ السُّيُوفِ
لَأَنَّ الْمُقَرَّرَ الشَّهَابِيَّ بْنَ فَضْلِ اللَّهِ قَدْ ذَكَرَ فِي بَعْضِ دَسَاتِيرِهِ الشَّامِيَّةِ أَنَّهُ يُكْتَبُ
لِنَقِيبِ الْأَشْرَافِ « الْأَمِيرِي » وَلَا يَكْتَبُ لَهُ « الْقَضَائِي » وَلَوْ كَانَ صَاحِبَ قَلَمٍ .

وقد رأيت له عدةً تواقع على ذلك مكتبةً من الأبواب السلطانية وعن نائبي الشام وحلب وغيرهما، معبراً عنه فيها «الأميري» وتوقيعه في قطع الثلث مفتحةً بخطبة مفتحة بـ «الحمد لله» .

(١) وهذه نسخة [توقيع] بتقابة الأشراف، وهي :

الحمد لله مشرف الأنساب، وموفي الأحساب، حقوق ملاحظتهم بغير حساب، وجاعل أيماننا الشريفة تحمد الأكتساب .

نحمده بحامد حسنة الإيجاد والإيجاب . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا شك في مقالها ولا أرتياب . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه الذي أنزل عليه الكتاب، وشرف به الذراري من شجرته المباركة الأعقاب، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تتوارى شمسها بحجاب .

وبعد، فإن خير ما صُرفت الهمم إلى تشييد مبانيه، وتقصيد مهمل رواعيه وملاحظة قاصيه ودانيه، المحافظة على كل ما يرفع قدر الآل ويعليه، ويرد إليهم عنان الاعتناء ويثنيه .

ولما كانت العترة الطاهرة النبوية وراث الوحي الذين آل إليهم ميراثه، وأهل البيت الذين حصل لهم من السؤدد آياته، وقد سأل الله وهو المسئول لهم القربى، وخصهم بمزايا حقيق بمثل متصرفهم أنه بها يُنجى وأنهما لهم نُجى : لما في ذلك من بركات تُرضى سيد المرسلين وتُعجبه، ويُسطر الله [الأجر] لفاعله ويكتبه، وكان لابد لهم من رئيس يُنصّد سلكهم وينظمه، ويعظم نخرهم ويفخمه، ويحفظ أنسابهم،

وَيُصْقَلُ بِمَكَارِمِهِ أَحْسَابُهُمْ ؛ وَيَتَمَيَّ بِتَدْيِيرِهِ رَعِيَعُهُمْ ، وَيُتَابَعُ تَحْتَ ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الزَّيْكِيَّةِ مَا زَكَّى يَنْعَهُمْ ؛ وَيَحْفَظُهُمْ فِي وَدَائِعِ النَّسْلِ ، وَيَصُدُّ عَنْ شَرَفِ أَرْوَمِهِمْ مِنَ الْأَدْعِيَاءِ الْمَدْعِينَ بِكُلِّ بَسَلٍ^(١) ؛ وَيَحْرُسُ نِظَامَهُمْ ، وَيُوَالِي إِكْرَامَهُمْ ؛ وَيَأْخُذُهُمْ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَيَمْدَحُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْإِرْفَادِ وَالْإِرْفَاقِ ؛ وَيَتَوَلَّى رَدْعَ جَانِبِهِمْ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ ، وَيَتَدَبَّرُ فِيهِ قَوْلَهُ : « أَنْفَكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ » .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الْمَشَارُ إِلَى مِنْ بَنِي هَذِهِ السَّلَالَةِ ، وَلَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ مِيرَةٌ بَاطِنَةٌ وَظَاهِرَةٌ وَإِنْ كَانُوا كُلُّهُمْ شَيْئًا وَاحِدًا فِي الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، فَقَدْ تَمَيَّزَتْ مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِلِ السَّبَابَةُ عَلَى الْخِنْصِرِ وَالْبِنْصِرِ وَالْوَسْطَى وَالْإِبْهَامِ ، وَكَمْ تَمَرَّ جَنِيٌّ فَضَّلَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ وَهُوَ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، وَقَدْ آمَتَّازَ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الْمُتَنِيفِ ، أَنْ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا بَرِحَ يَخْتَارُ وَيَنْتَقِي ، وَيَجْتَنِي مِنْ يَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِي - أَنْ تُفَوَّضَ إِلَيْهِ نِقَابَةُ الْأَشْرَافِ الطَّالِبِينَ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ مِنَ الثَّقَبَاءِ السَّادَةِ .

فَلْيَجْمَعْ لَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَنْهَجُ الزَّهْرَاءُ الْبَتُولُ فَعَلُهُ ، وَيَفْعَلْ مَعَ أَهْلِهِ وَقَرَابَتِهِ مِنْهُمْ مَا هُوَ أَهْلُهُ ؛ وَلْيَحْفَظْ مَوَالِيدَهُمْ ، وَيُحَرِّرْ أَسَانِيدَهُمْ ؛ وَيَضْبِطْ أَوْقَافَهُمْ ، وَيَعْتَمِدَ إِنْصَافَهُمْ ؛ وَيَتَمَرَّ مَتَحَصِّلَاتِهِمْ ، وَيَكْثُرَ بِالتَّدْيِيرِ غَلَاتِهِمْ ؛ وَيَأْخُذْ نَفْسَهُ بِمُسَاوَاتِهِمْ ، فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِمْ ؛ وَلْيَأْخُذْهُمْ بِالتَّجْمُعِ عَنْ كُلِّ مَا يَشِينُ ، وَالْعَمَلِ بِمَا يَزِينُ ؛ حَتَّى يُضَيِّفُوا إِلَى السُّودَدِ حُسْنَ الشِّيمِ ، وَإِلَى الْمَفَاحِرِ فَاحِرَ الْقِيمِ ؛ وَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ مِنْهُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ غَيْرِهِ هُوَ لَهُ وَعَلَيْهِ ، وَمِنْهُ وَإِلَيْهِ ، وَاللَّهُ يَحْفَظُهُ مِنْ خَلْفِهِ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .

(١) البسل الشدة كما في اللسان . ووقع في الاصل «نسك» بالنون والكاف وهو تصحيف .



وهذه نسخة وصية لنتيب الأشراف أوردها في "التعريف" فقال :

ونحن نُحِبُّكَ عن الوَصَايا إِلَّا مَا تَتَبَرَّكَ بِذِكْرِهِ ، وَيُسْرَكَ إِذَا أَشْتَمَلْتَ عَلَى سِرِّهِ ؛
فَأَهْلَكَ [أَهْلَكَ ؛ رَاقِبٌ] ^(١) اللَّهُ وَرَسُولُهُ جَدَّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أَنْتَ عَنْهُ مِنْ
أُمُورِهِمْ مَسْئُولٌ ، وَأَرْفُقْ بِهِمْ فَهَمُّ أَوْلَادِ أُمَّكَ وَأَبِيكَ حَيْدَرَةٌ وَابْتُولْ ؛ وَكُفَّ يَدَ مَنْ
عَلِمْتَ أَنَّهُ [قَدْ] ^(١) اسْتَطَالَ بِشَرْفِهِ فَمَدَّ إِلَى الْعِنَادِ يَدًا ، وَأَعْلَمَ أَنَّ الشَّرِيفَ وَالْمَشْرُوفَ
سَوَاءٌ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا مَنْ أَعْتَدَى ؛ وَأَنَّ الْأَعْمَالَ مُحْفُوظَةٌ ثُمَّ مَعْرُوضَةٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ
فَقَدِّمْ فِي الْيَوْمِ مَا تَفَرَّحَ بِهِ غَدًا ؛ وَأَزِلْ الْبِدْعَ الَّتِي يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْغُلُوِّ فِي وَلَائِهِمْ ،
وَالْغُلُوِّ فِيمَا يُوجِبُ الطَّعْنَ عَلَى آبَائِهِمْ ؛ : لِأَنَّهُ يُعْلَمُ أَنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
كَانُوا مَنَزَّهِينَ عَمَّا يَدَّعِيهِ خَلْفُ السَّوِّءِ مِنْ أَفْتِرَاقِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ ، وَيَتَعَرَّضُ مِنْهُمْ أَقْوَامٌ
إِلَى مَا يُحْزَنُ إِلَى مَصَارِعِ حَيْنِهِمْ ؛ فَلِلشَّيْخَةِ عَثَرَاتٌ لَا تُقَالُ ، مِنْ أَقْوَالٍ تُقَالُ ؛ فَسُدَّ
هَذَا الْبَابَ سَدًّا لَيِّبَ ، وَأَعْمَلْ فِي حَسْمِ مَوَادِّهِمْ عَمَلًا أَرِيبَ ؛ وَفُتِّمْ فِي نَهْيِهِمْ وَالسَّيْفُ
فِي يَدِكَ قِيَامَ خَطِيبٍ ، وَخَوْفُهُمْ مِنْ قَوَارِعِكَ [مَوَاقِعُ] ^(١) كُلِّ سَهْمٍ مُصِيبٍ ؛ فَمَا دُعِيَ
« بِحَيٍّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ » إِلَى خَيْرٍ مِنْ الْكُتُبِ وَالسُّنَنِ وَالْإِجْمَاعِ [فَانْظُرْ فِي نَادِي
قَوْمِكَ عَلَيْهَا عُقُودَ الْأَجْتِمَاعِ] ^(١) . وَمَنْ أَعْتَرَى إِلَى اعْتِرَالٍ ، أَوْ مَالَ إِلَى الزَّيْدِيَّةِ فِي زِيَادَةِ
مَقَالٍ ؛ أَوْ أَدْعَى فِي الْأَئِمَّةِ الْمَاضِينَ مَا لَمْ يَدَّعُوهُ ، أَوْ أَقْنَى فِي طُرُقِ الْإِمَامِيَّةِ بَعْضَ
مَا أَبْتَدَعُوهُ ؛ أَوْ كَذَبَ فِي قَوْلٍ عَلَى صَادِقِهِمْ ، أَوْ تَكَلَّمَ بِمَا أَرَادَ عَلَى لِسَانِ نَاطِقِهِمْ ؛
أَوْ قَالَ : إِنَّهُ تَلَقَّى عَنْهُمْ سِرًّا ضَنُّوا عَلَى الْأَئِمَّةِ بِبَلَاغِهِ ، وَذَادُوهُمْ عَنْ لَذَّةِ [مَسَاغِهِ] ^(١) ،
أَوْ رَوَى عَنْ يَوْمِ السَّقِيفَةِ وَالْجَمَلِ غَيْرَ مَا وَرَدَ أَخْبَارًا ، [أَوْ تَمَثَّلَ بِقَوْلٍ مِنْ يَقُولُ :
عَبْدُ شَمْسٍ قَدْ أَوْقَدَتْ لِبْنِي هَاشِمٍ نَارًا] ^(١) أَوْ تَمَسَّكَ مِنْ عَمَائِدِ الْبَاطِنِ بِظَاهِرٍ ، أَوْ قَالَ

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٣٠ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

إِنَّ الذَّاتَ الْقَائِمَةَ بِالْمَعْنَى تَخْتَلِفُ فِي مَظَاهِرٍ ، أَوْ تَعْلَقُ لَهُ بِأُتَمَّةِ السَّتْرِ جَاءَ ، أَوْ أَنْتَظِرَ مُقِيمًا بَرَضَوِيٍّ عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ ، أَوْ رَبَطَ عَلَى السَّرْدَابِ فَرَسَهُ لِمَنْ يَقُودُ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءُ ، أَوْ تَلَفَّتْ بِوَجْهِهِ يُظَنُّ عَلَيْهِ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي الْغَمَامِ ، أَوْ تَفَلَّتْ مِنْ عِقَالِ الْعَقْلِ فِي أَشْرَاطِ الْعِصْمَةِ فِي الْإِمَامِ . فَعَرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ أَنَّ هَذَا مِنْ فُسَادِ أَذْهَانِهِمْ ، وَسُوءِ عَقَائِدِ أَدْيَانِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ عَدَلُوا فِي التَّقَرُّبِ بِأَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ عَنْ مَطْلُوبِهِمْ ، وَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُمْ طَلَبُوا فَقُلْ لَهُ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ .

وَأَنْظُرْ فِي أُمُورِ أَنْسَابِهِمْ نَظْرًا لَا يَدَعُ مَجَالًا لِلرَّيْبِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ مَعَهُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِمْ بِغَيْرِ نَسَبٍ ، وَلَا يَخْرُجَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ سَبَبٍ ، وَسَاوِقِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي أُمُورِهِمْ فِي كُلِّ حِسَابٍ وَأَحْفَظْ لَهُمْ كُلَّ حَسَبٍ . وَأَنْتَ أَوَّلَى مَنْ أَحْسَنَ لِمَنْ طَعَنَ فِي أَسَانِيدِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَوْ تَأَوَّلَ فِيهِ عَلَى غَيْرِ مُرَادٍ قَائِلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأْدِيًّا ، وَأَرَاهُمْ مِمَّا يَوْصَلُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ طَرِيقًا قَرِيبًا . وَنَكَّلَ بَيْنَ عِلْمَتِ أَنَّهُ قَدْ مَالَ عَلَى الْحَقِّ أَوْ مَالَ إِلَى فَرِيقِ الْبَاطِلِ فَرَقًا ، وَطَوَى صَدْرَهُ عَلَى الْغِلِّ وَغَلَبَ مِنْ أَجَلِهِ عَلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تَقْدِيمِ مَنْ تَقَدَّمَ حَقًّا ، [وَجَارَ وَقَدْ] ^(١) أَوْصَحَّتْ لَهُمُ الطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى طُرُقًا ، وَأَرَدَعَهُمْ إِنْ تَعَرَّضُوا فِي الْقَدْحِ إِلَى نُضَالِ نَضَالٍ ، وَأَمْنَعَهُمْ إِنْ فَرَّقَهُمْ كُلُّهَا وَإِنْ كَثُرَتْ خَابِطَةٌ فِي ظِلَامٍ ضَلَالٍ ، وَقَدَّمَ تَقْوَى اللَّهِ فِي كُلِّ عَقْدٍ وَحَلٍّ ، وَأَعْمَلَ بِالشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ فَإِنَّهَا النَّسَبُ الْمَوْصُولُ الْحَبْلُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُقَرَّرَ الشَّهَابِيَّ بْنَ فَضْلِ اللَّهِ قَدْ ذَكَرَ فِي "التعريف" عِدَّةَ وَصَايَا لِمَجْلَعَةِ مَنْ أَرَبَابِ السُّيُوفِ ، لَمْ يُكْتَبْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي زَمَانِنَا ، بَلْ رُفِضَ آسْتَعْمَالُهَا وَأُهْمِلَ . وَنَحْنُ نَذْكُرُهَا حِفْظًا لِدِكْرُهَا ، وَاحْتِيَاطًا أَنْ يَقْتَضِيَ الْحَالُ فِي زَمَنِ كِتَابَةِ شَيْءٍ مِنْهَا .

إحداها - وصية أتابك المجاهدين

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن أصله أطابك بالطاء المهملّة ومعناه الأب الأمير ، وأنّ أول من لقّب بذلك زُنكي أطابك صاحب الموصل ، ثم غلبت فيه التاء المثناة بدل الطاء ، وهى :

وأنت ابنُ ذلك الأب حقيقه ، وولّد ذلك الوالد الذى لم تُعمَلْ له إلا من دماء الأعداء عقيقه ؛ وقد عُرفت مثله بثبات الجنان ، وصُلّت بيدك ووصلت إلى مالم يصل إليه رُح ولا قدر عليه سنان ؛ ولم يُزاحمك عدوّ إلا قال له : أيها البادى المقاتل كيف تُزاحم الحديد ، ولا تُسمى اسمك لجبار إلا قال له : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ . وأنت أولى من قام بهذه الوظيفة ، وألف قلوب هذه الطائفة التى ما حلّم بها حالمٌ إلا وبات يُرعد خيفه ؛ فلْيأخذ هذا الأمر بزمامه ، وليعمل لله ولا مامه ؛ وليرم في حبّ البقاء الدائم بنفسه على المنية ، ولينادى على معاقره الدماء زهور سكاينه الحنيّة ؛ وأطبع منهم زُبرا تطاول السيوف بسكاينها ، وتأخذ بها الأسود فى عيرينها ؛ وتمتد كأنها آمال ، لما تُريد ، وترسل كأنها آجال ، ولهذا هى إلى كلّ عدوّ أقرب من حبل الوريد ؛ وأذك منهم شُعلا إذا دُعيت بأحسابها لا تجد إلا متحاميا ، وأرم منهم سهاما إذا دُعيت (؟) بأنسابها الاسماعيلية فقد جاء أن إسماعيل كان راميا ؛ وفرّج بهم عن الإسلام كلّ مضيق ، وأقلع عن المسلمين من العوانية كلّ حجر فى الطريق ؛ وصرف رجالك الميامين ، وتصيّد بهم فإنهم صُقور ومناسرهم السكاكين ؛ وأخطف بهم الأبصار فبأيّمانهم كلّ سَكينة كأنها البرق الخاطف ، وأقطف الرؤوس فإنها ثمرات أينعت لقاطف ؛ وأعرّف لهم حقهم وضاعف لهم

تكريماً ، وأدّم لهم بنا برّاً عيمياً ، وقدّم أهل النفع منهم فقد قدّمهم الله ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

وَأَعْلَمَ أَنَّهُمْ مِثْلُ الْوُحُوشِ فِزْدٌ فِي تَأْنِيْسِهِمْ ، وَأَشْكُرُ إِقْدَامَهُمْ فَطَالَمَا أَقْتَحَمُوا عَلَى
الْمُلُوكِ وَمَا هَابُوا يَقْظَةَ حَرْسِهِمْ ، وَأَرْفَعَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِ دَرَجَاتٍ فِي نَفَقَاتِ تَسَافِيرِهِمْ
وَقُعُودِ مَجْلِسِهِمْ ، وَلَا تُسَوِّ بَيْنَهُمْ فَهُمْ سَوَاءٌ ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
غَيْرِ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ . وَأَصْلُ هَذِهِ الدَّعْوَةِ
مَا زَالَتْ تَنْقَلِبُ بِالْمَوَارِيثِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَيْنَا حَقْرُقُهَا ، وَأَوْصَيْتُ بِنَا حَيْثُ خَلَعْتَ
هِيََا كُلَّهَا بِجَرْعَاءِ الْحَمَى بُرُوقُهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوَفِّقُهُ وَيُرْشِدُهُ ، وَيُطَوِّلُ بَاعَهُ لِمَا قَصُرَتْ
عَنْهُ سَوَاعِدُ الرِّمَاحِ وَوَصَلَتْ إِلَيْهِ يَدُهُ .



الثانية — وصية أستاذ الدار .

وَلْيَتَفَقَّدْ أَحْوَالَ الْحَاشِيَةِ عَلَى اخْتِلَافِ طَوَائِفِهَا ، وَأَنْوَاعِ وُظَائِفِهَا ، وَلْيَرْتَبِهَا
فِي الْخِدْمَةِ عَلَى مَا يَحِبُّ ، وَيَنْظُرُ فِي أُمُورِهِمْ نَظْرًا لَا يَحْفَى مَعَهُ شَيْءٌ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ
وَلَا يَحْتَجِبُ ، وَلْيَبْدَأْ بِهِمُ السَّاطِ الْمَقْدَمِ الَّذِي يُقَدِّمُ ، وَمَا يَنْتَوِعُ فِيهِ مِنْ كُلِّ مَطْعَمٍ ،
وَمَا يُمَدُّ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ بُكْرَةً وَالْعَصْرَ ، وَمَا يُسْتَدْعَى مَعَهُ مِنَ الطَّوَارِيءِ الَّتِي لَا يَحْجُذُهَا
الْحَسَدُ وَلَا يَحْصُرُهَا الْحَصْرُ ، وَأَحْوَالَ الْمَطْبَخِ الْكَرِيمِ الَّذِي مِنْهُ ظُهُورُ تِلْكَ الْخَفَافِ ،
وَوَفَاءُ ذَلِكَ الْكَرِيمِ الْوَافِي ، وَالتَّقَدُّمُ إِلَى الْأَمْنَاءِ وَالْمَشْرِفِينَ فِيهِ بِأَمَانَةِ الْإِنْفَاقِ ، وَصِيَانَةِ
الْمَالِ كُلِّ مِمَّا يُعَابُ عَلَى الْإِطْلَاقِ . ثُمَّ أَمْرُ الْمَشْرُوبِ وَمَا تُغْلَقُ عَلَيْهِ أَبْوَابُ الشَّرَابِ خَانَاهُ
السَّعِيدَةِ مِنْ لَطَائِفِ مَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ ، وَشَيْءٍ عَزِيزٍ لَا يَوْجَدُ إِلَّا فِيهَا إِذَا

عزَّ المطلوب ؛ ومراجعة الأطباء فيما تجرى عليه قوانينها ، وتُسَبَّطُ لطبخه من حُمُرِ
اليواقيت كواينها ؛ وإفراز ما هو للخاص الشريف منها وما هو للفرقة ، وما لا يصرف
إلا بخط الطبيب ولا يَسَلَّمُ إلا إلى ثقه . ثم الطشت خاناه السعيدة التي هي خزانة
اللباس ، وموضع ما يَبْرُزُ به من الزينة للناس ؛ وما يُحتاجُ إليه من آلات التطيب ،
وما يُعين لها من الصابون وماء الورد والطيب ، وغير ذلك من بقية ما هي مستقره ،
ويؤخذ منها مُستدره ؛ ومن يُستخدَم بها من برئ من الريب ، وعُرف بالعفاف
والأدب ؛ وعُلم أنه من أهل الصيانة ، وعلى ما سَلَّمُ إليه ومن خالطة الأمانه .
ثم الفراش خاناه وما يُنصب فيها من الخيام ، وما يكون فيها من فرش سفر ومقام ،
وشمع يُفضض كأفور كأفوريته آبنوس الظلام . ثم غلمان الإصطبل السعيد والنجابة
وإن كان إلى سواه استخدامهم ، ولدى غيره مستقرهم ومقامهم ، لكنهم ما خرجوا
من عديده ، ولا يروقهم ويروعهم إلا حسن وعده وخشن وعيده . ثم المناجات
السلطانية وما بها من جمال ، وما يَسرح فيها من مال وجمال ؛ ومن يُستخدَم فيها
من سيروان ومهمرد ، وما فيها من قطار مُزدوج وفرد ؛ فيوفر لهذه الجهة نصيباً
من النظر يشاهد أمورها وقد غابت في الأقطار ، وتفرقت كالسحب يلزمها القطار
القطار ؛ وليكونوا على بالله فإنهم يسرقون الذرة ^(١) من العين ومعهم الذهب العين مجللاً
بالقنطار ؛ فليحسن منهم الارتداد ، وليتخير أرقهم أفئدة فإنهم بكثرة ملازمتهم للإبل
مثلها حتى في غاظ الأجداد . وطوائف المعاملين ، والأبقار ومن عليها من العاملين ،
وزرائب الغنم وخولها ورعاها ، وأصناف البيوت الكريمة وما تطلبه في استدعائها ؛
ونفقات الأمراء الممالك السلطانية في إهلال كل هلال ، وما يُصرف في كساهم

(١) في "التعريف" « ذرة الكحل » .

على جارى عاداتهم أو إذا دعت إليه ضرورة الحال ؛ وما يؤخذ عليه خطه من
 وصولات تُكتب ، وأستدعأت تُحسب من لوازمه وهى للكثرة لا تُحسب ؛ فليكن
 لهذا كله مراعىا ، ولأموره وإعيا ، ولما يجب فيه دون ما لا يجب مستدعياً وإليه
 داعياً ؛ وهو كبير البيت وإليه يرجع أمر كل مملوك ومستخدم ، وبأمره يؤخر
 من يؤخر ويقدم من يقدم ، ومثله يتعلم منه ولا يعلم ؛ وعصاه على الكل محمولة
 على الرقاب ، مبسوطة فى العفو والعقاب ، ومكانه بين يدينا حيث نراه ويرانا ولدينا
 قاب قوسين أو أدنى من قاب .

وعليه بتقوى الله فيها تمام الوصايا وكال الشروط ، والأمر بها فعصاه محكمة
 وأمره مبسوط ، وكل ما يئناط بنا : من خاصة أمورنا فى بيتنا - عمره الله ببقائنا وزاد
 تعميره - بتديره منوط .

الثالثة - وصية أمير اخور .

وقد تقدم فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة أنه مرَّ بمرَّ من لفظين :
 عربى وهو أمير ومعناه معروف ، وأخور فارسى ومعناه العلف ، والمعنى ' أمير العلف .
 وكأنه فى الأصل كان هو المتولى لعلوفة الخيل ، ثم ارتفعت وظيفته حتى صار صاحبها
 من أكابر الأمراء المقدمين ، وهو يتحدث فى الإصطبلات السلطانية وما حوته
 من خيل وبغال ودواب وجمال وأثاث ، وغير ذلك .

وهذه نسخة وصيته :

وليكن على أكل ما يكون من إزاحة الأعذار ، والتأهب لحركات الشريعة فى ليل^(١)
 كان أونهار ، مقدماً الأهم فالأهم من الأمور ، والأبدأ فالأبدأ من [تقديم] مراكبنا

(١) الزيادة عن " التعريف " وهى لازمة كما لا يخفى .

السعيدة وتهيئة موكبنا المنصور؛ وترتيب ذلك كله على ما جرت به العوائد، وتحصيل ما تدعو الحاجة إليه على قدر الكفاية والزوائد؛ والنظر في جميع اصطبلاتنا الشريفة، والجشرات السعيدة، وخيل البريد، والركائب المعدة لقطع كل مدى بعيد؛ وما يجتمع في ذلك وينقسم، وما يركب منها ويُنَبَّ مما يسم الأرض بالبدور والأهلة من كل حافر ومنم، وما هو برسم الإطلاق، وما يعد للمالك الطباق، وخيل التلاد، وما يُحَلَّب من قود كل قبيلة من القبائل ويحيى من كل بلد من البلاد، والمشتري مما يباع من الموارث ويُستعرض من الأسواق، وما يعد للواكب والسباق، ولجل رأيه في ترتيب ذلك كله في مراتبه على ما تقتضيه المهمات، والاحتراز في التلاد مما لعله يُبدل ويقال هو هذا أو يؤخذ بحجة أنه مات؛ وليجهد في تحقيق ما نفق، [وليحرره على حكم ما يتحقق عنده لا على ما أتفق^(٢)] وكذلك فليكن خضه ممن يستخدم عنده من الغلمان، ولا يهمل أمورهم مع معاملتهم بالإحسان؛ ولا يستخدم إلا من تُشكر سيرته في أحواله، وتعرف خبرته فيما يراد من أمثاله؛ وكذلك الركابة الذين تملك أيديهم أئنة هذه الكرائم، والتحرز في أمرهم من لعله يأوى إليهم من أرباب الجرائم، والأوشاقيّة الذين هم مثل ممالكهم وهم في الحقيقة إخوانه، وجماعة المباشرين الذين هم في مباشرة الإصطبلات السعيدة ديوانه؛ وكل هؤلاء يلزمهم بما يلزم أمثالهم من السلوك، ويعلمهم بما يجب عليهم أن يتعلموه من خدمة الملوك؛ ولا يسمح لأحد منهم في أمر يُفرض إلى إخلال، ولا يقتضى قرط إدلال، وليقيم أودهم بالأدب فإن الأدب مافيه إدلال؛ وكل هؤلاء الطوائف ممن يتجنب العامة مخالطتهم لما طار في أيام من تقدم عن أمثالهم من سوء السمع،

(١) في اللسان من معاني "القود الخيل" وهو المناسب هنا .

(٢) الزيادة عن "التعريف" (ص ١٠٠) وهي لازمة كما لا يخفى .

وَيُتَخَوَّفُ مِنْهُمْ السُّرْعَةُ ؛ فليَكُنْ لَهمْ مِنْكَ أَعْظَمُ زَاجِرٍ ، وَمَنْ شَكَّى إِلَيْكَ مِنْهُمْ فَسَارِعْ إِلَى التَّنْكِيلِ بِهِ وَبَادِرْ ؛ وَأَشْهَرُ مِنْ فَعْلِكَ بِهِمْ مَا يُوجِبُ مِنْهُمْ الطُّمَأْنِينَةَ ، وَلَا يَعُودُ أَحَدٌ بَعْدَهُ يُكَذِّبُ يَقِينَهُ ؛ وَأَمْرَاءُ أَخَوْرِيَةِ الَّذِينَ هُمْ أَتْبَاعُكَ ، وَبِهِمْ يَمْتَدُّ بِأَعْكَ ، هُمْ بِحَسَبِ مَا تَجْعَلُهُمْ بِصَدَدِهِ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَقْدِرُ [أَنْ] يَتَعَدَّى حَدَّهُ فِي مَقَامِ قَدَمِهِ وَبَسْطِ يَدِهِ ؛ فَاجْعَلْ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَقَامًا مَعْلُومًا ، وَشَيْئًا تَجْعَلُ لَهُ فِيهِ تَحْكِيمًا . وَتَثْبِينِ الْخِيُولِ الْمَشْتَرَاةِ وَالتَّقَادِمِ قَوْمَهَا بِأَهْلِ الْخَبْرَةِ تَقْوِيمَ عَدْلٍ ، وَقُلِ الْحَقَّ وَلَا يَأْخُذْكَ فِيهِ لَوْمٌ وَلَا عَدْلٌ ؛ وَمَا يُصْرَفُ مِنَ الْعَلِيقِ بِرِسْمِ الْخِيُولِ السُّلْطَانِيَّةِ وَمَنْ لَهُ مِنْ صَدَقَاتِنَا الشَّرِيفَةِ عَلَيْكَ ، مَرٌّ بِصَرْفِهِ عِنْدَ الْأَسْتَحْقَاقِ وَأَضْيِطُّهُ بِالتَّعْلِيقِ ؛ وَتَصْرَفْ فِي ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَا تَصْرَفْ إِلَّا تَصْرَفَ شَفِيقٍ ، وَصُنِّهِ بِأَقْلَامِ جَمَاعَةِ الدِّيَّانِ وَلَا تَقْنَعْ فِي غَيْرِ أَوْقَاتِ الضَّرُورَةِ بِرَفِيقٍ عَنِ رَفِيقٍ ؛ وَكَذَلِكَ الْبِرَاسِيمُ السُّلْطَانِيَّةُ أَصْلًا وَزِيَادَةً ، وَلَا تَصْرَفْ إِلَّا مَا نَأْمُرُ بِهِ وَإِلَّا فَلَا تَخْرُجْ فِيهِ عَنِ الْعَادَةِ ؛ وَزُلْزَلُوكَ مِنْ أَمْرَاءِ الْعُرَبَانِ عَامِلُهُمْ بِالْجَمِيلِ ، وَزِدْ فِي أَخْذِ خَوَاطِرِهِمْ وَلَوْ بَسْطَ بِسَاطُ الْأُنْسِ لَهمْ فَمَا هُوَ قَلِيلٌ ، : لَتَتَضَاعَفَ رَغْبَتُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَلَيَسْتَدِلُّوا بِبَشَاشَةِ وَجْهِكَ لَهمْ عَلَى مَا بَعْدَهُ مِنَ الْإِنْعَامِ ؛ وَبِغَالِ الْكُؤُوسَاتِ السَّعِيدَةِ وَالْأَعْلَامِ الْمَنْصُورَةِ ، وَأَثْقَالِ الْخِزَانَةِ الْعَالِيَةِ الْمَعْمُورَةِ ؛ أَجْعَلْهَا مِنْ الْمَهْمَاتِ الْمَقْدَمَةِ ، وَالْمَقَدَّمَاتِ لَتَنَاجِجِ أَيَّامِ النُّصْرِ الْمُعْلَمَةِ ؛ وَرَتَّبْهَا فِي مَوَاقِفِهَا ، وَأَتَمَّهَا أَتَمَّ مَا يَكُونُ مِنْ وُظَائِفِهَا ؛ فِيهَا تَثْبُتُ مَوَاقِفُ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ ، وَإِلَيْهَا يَأْوِي كُلُّ مُسْتَظِلٍّ وَرَحَى الْحَرْبِ تَدُورُ ؛ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ فُشَاشِ الْإِصْطِبَاتِ السَّعِيدَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَرِيرِ ، وَكُلِّ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ ؛ بِأَشْرِهِ مَبَاشَرَةً مِنْ لَا يَتَخَلَّى ، وَأَحْصِيهِ نَحْرًا وَدَخْلًا ؛ وَإِيَّاكَ وَالْأَخْذَ بِالرُّخْصِ ، أَوْ إِهْمَالَ الْقُرْصِ ، أَوْ طَلَبَ فَائِثِ جُرْمِ أَهْمَلَتِهِ حَتَّى نَكْصُ .

الرابعة — وصية مُقدّم الممالك .

وقد تقدّم في الكلام على أرباب الوظائف أنه يتحدّث في أمر الممالك السلطانية والحكم بينهم، ويركب خلفهم إذا ركب السلطان كأنه يحفظهم . والوصية هي :

وليُحَسِّن إليهم، وليُعلَم أنه واحد منهم ولكنه مقدّم عليهم ، وليأخذ بقلوبهم مع إقامة المهابة التي يُخيّل إليهم بها أنه معهم وخلفهم وبين يديهم ، وليُزِم مقدّم كل طبقة بما يلزمه عند تقسيم صدقاتنا الجارية عليهم : من ترتيب الطباق، وإجراء ساقية جارية من إحساننا إليهم ولا ينس السّواق ؛ وليُكن لأحوالهم متعهّداً، ولأموالهم متفقّداً ؛ وليستعلم أخبارهم حتى لا يزال منها على بصيره، وليُعرف ما هم عليه مما لا يخفى عليه فإنهم وإن لم يكونوا له أهلاً فإنهم جيرة ؛ وليأمر كلّاً منهم ومن مقدّميهم والسّواقين لهم بما يلزمهم من الخدمة ، وليرتّبهم على حكم مكاتبتهم منّا فإن تساووا فليقدّم من له قُدْمه ؛ وليُعدّل في كل تفرّقه ، وليُحسن في كل عرض ونفقة ، وليفرّق فيهم ما لهم من الكساوى ويُسبِل عليهم رداء الشّفقه ؛ وليُعدّ منهم لغنايا المحمّيّ سبّاعاً تفترس العاديّه ، وليُجمِل النظر في أمر الصّغار منهم والجار أصحاب الطبقات العاليه ؛ وليأخذهم بالركوب في الأيام المعتاده ، والدّخول إلى مكان الخدمة الشريفة والخروج على العاده ، وليُدِرهم في أوقات البيا كير والأسفار نطاقاً دائراً الدهليز المنصور ، وليأمرهم أمراً عاماً بأن لا يركب أحدٌ منهم إلا بدسّور ولا ينزل إلا بدسّور ؛ وليحتزّز عليهم من طوائف الغلمان ، ولا يستخِدم منهم إلا معروف بالخير ويقيم عليهم الضّمان ؛ وليحرّر على من دخل عليهم وخرج ، ولا يفتح لأحدٍ منهم إلا من علم أنه ليس في مثله حرج ؛ ولا يدع للرّيبة بينهم مجالاً للأضطراب ، وليؤصّ مقدّميهم بتفقّد ما يدخل إليهم فإن الغشّ أكثره من الدّعام والشراب ؛ وليدّم مراجعتنا في أمرهم فإنّ بها يعرف الصواب ، وليعمل بما نأمره به ولا يجِدّ جوى في جواب .

الضرب الثانى

(مَنْ يُكْتَبُ لَهُ بِالْوِلَايَاتِ بِالدِّيارِ المِصرِيةِ أَرْبابُ الوِظائِفِ الدِّينيةِ،
وهو على طَبَقَتَيْنِ)

الطبقة الأولى

(أَصْحَابُ التَّقَالِيدِ مَنْ يُكْتَبُ لَهُ بِالْجَنَابِ العَالِى)

وتشتمل على عدّة وظائف

الوظيفة الأولى

(القضاء)

قد تقدّم فى المقالة الثانية فى الكلام على ترتيب الوظائف أن الديار المصرية كان يليها قاض واحد ، إلى أن كانت الدولة الظاهرية «بيرس» فى أوائل الدولة التركية ، وقاضى القضاة يومئذ القاضى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعزّ الشافعى ، فاضطرب الأمر لاختلاف المذاهب ، فاقضى رأى السلطان تقرير أربعة قضاة من كل مذهب قاض ، وقرّر القاضى تاج الدين ابن بنت الأعزّ فى قضاء قضاة الشافعية على حاله ، وكُتِبَ لكلّ منهم تقليدٌ بذلك ؛ ثم خُصّ قاضى القضاة الشافعية بالتولية فى بلاد الريف دون غيره من القضاة الثلاثة ، واستمرّ الأمر على ذلك إلى الآن . إلا أنه لما حدث بديوان الإنشاء تنويع ما يُكْتَبُ لأرباب الأقاليم إلى تقاليد ، فى قطع الثلثين ، وتفاويز ، وتواقيع ، فى قطع النصف ، تقرّر الحال على أن يُكْتَبَ للقضاة الأربعة تواقيع فى قطع النصف بـ «المجلس العالى» ، ولم يز ، الأمر على ذلك إلى أن وَلّى القاضى عماد الدين أحمد الكرّكى الأزرقى قضاء قضاة

الشافعية في أول سلطنة الظاهر « برقوق » الثانية ، وأخوه القاضي علاء الدين عليّ كاتب السرّ ، فعني بأخيه عماد الدين المذكور ، فكتب له تقليدا في قطع الثلثين « بالحناب العالي » . وبقي الثلاثة على ما كانوا عليه من كتابة التواقيع إلى أن وليّ القاضي جمال الدين محمود ألبليّ القيسريّ المعروف بالعجميّ رحمه الله قضاء قضاء الحنفية في الدولة الظاهرية أيضا ، مضافا إلى نظر الجيش ، فكتب له تقليد في قطع الثلثين بالحناب العالي أيضا ، وبقي المالكي والحنبليّ على ما كانا عليه من كتابة التواقيع في قطع النصف . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن وليّ قاضي القضاة جمال الدين يوسف البساطيّ قضاء قضاء المالكية في الدولة الناصرية « فرج بن الظاهر برقوق » فأنشأت له تفويضا وكتبت له به ، ولم يكن أحد ممن عاصرناه كتب له تفويض غيره . ثم لما وليّ الشيخ جمال الدين عبد الله الأقفهسيّ قضاء المالكية ، كتب له توقيع في قطع النصف ، إلا أنه كتب له « بالحناب العالي » كما يكتب لأصحاب التقاليد ، وجرى الأمر فيمن بعده على ذلك . ولم يبق من هو على النمط الأول سوى قاضي القضاة الحنابلة ، ويوشك أن يكتب لكل من المالكي والحنبليّ أيضا تقليد : لمساواتهم بغيرهم من الأربعة . وقد ذكرت ما يكتب لهم من تقاليد وتواقيع هنا جمعا للفتق وتقريرا للمأخذ .

وهنا أذكر ما يكتب للأربعة على الترتيب .

الأول (قضاء القضاة الشافعية)

وهذه نسخة تقليد بقضاء القضاة الشافعية ، كتب به لقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعزّ رحمه الله ، حين استقرّ أحد القضاة الأربعة بعد انفراده بالوظيفة على ما تقدم ، وهي من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى ، وهي :

الحمد لله مجرد سيف الحق على من أعتدى، وموسع مجاله لمن راح إليه وأعتدى،
وموضح طريقه لمن اقتاد وأقتدى، ومزين سمائه بنجوم تستمد الأنوار من شمس
الهدى، الذى أعذب لشرعة الشريعة المحمدية يتبوعا، وأقامها أصلا مدينا
الرشد فروعا .

نحمده على نعمه التى ألزمتنا لتشييد مبانيها شروعا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة نعمل بها من القلوب والأفواه ربوعا . ونصلى على سيدنا محمد الذى
أرسله الله إلى الخلائق جميعا، وقام بعبد الأمر يصنع حسنا ويحسن صديعا،
صلى الله عليه وعلى آله صلاة لا يبرح برقها ملموعا، ولا ينفك وترها بالتسليم مشقوعا .

وبعد، فإن أحق من جدد له شرف التقرىض، وخلد له إرضاء الأحكام وإمضاء
التفويض، وریش جناحه وإن لم يكن المهيض، وفسح مجاله وإن كان الطويل
العريض، ورفع قدره على الأقدار، وتقسمت من سبحانه الأنواء ومن أشعته
الأنوار، من غزر مده فجرت منه فى رياض الحق الأنهار، وغدا تخشع لتقواه القلوب
وتنصت لقوله الأسماع وترنو لمحياه الأبصار؛ قد أوفد من إرشاده للأمة لطفًا فلطفًا،
وأوقد من علمه جذوة لالتحبو وقبسا بالهوى لا يطفى، وفات النظراء والنظار فلا يرسل
أحد معه طرفا ولا يمد إليه من حياته طرفا، وأحتوى من علوم الشريعة على ماتفرق
فى غيره، وغدا خير دليل إلى الحق فلا يقتدى فى المشكلات إلا برأى أجهاده
ولا يهتدى فى المذاهب إلا بسيره؛ وكان لفلک الشريعة المحمدية قطبا، ولجئها
قلب ليسوارها قلبا، ولدليلها برهانا، ولإنسانها عينا ولعينها إنسانا؛ فكم أرضى بنى
الأنام عن الأيام، وكم أغضى حياء مع قدرته على الانتقام، وكم أمضى لله حكما
لا انفصال لعروته ولا انفصام، وكم قضى بالجور فى ماله وبالعدل فى الأيتام؛

فلو استعداه الليل على النهار لأنصفه من تعديه ، ولم يداجه لما ستره عليه من تعديه في دياحيه ؛ فهو الصادع بما أمر الله به ولو على نفسه ، والمسترد الحقوق الذاهبة من غير محابة حتى انده من يومه وليومه من أمسه .

ولما كان قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ممن هو فى أحسن هذه السمات قد تصور ، وكادت نجوم السماء بأنواره تتكثر ، وتجوهر بالعلوم فأصبح حقيقة هو التاج المجوهر ، وله مزايا السؤدد التى لا يشك فيها ولا يرتاب ، وسجايا الفضل التى إذا دخل [إليه] غيره من باب واحد دخل هو إليه من عدة أبواب ، وهو شجرة الأحكام ، ومصدق كليم الحكام ، ومطلع أنجم شرائع الإسلام ، ومهيّط ونحى المقدمات والإرتسام ، ومجتمع رفاق القضايا فى الحلال والحرام - خرج الأمر الشريف بتجديد هذا التقليد الشريف له بقضاء القضاة بالديار المصرية : فليستصحب من الحق ما هو ملى باستصحابه ، وليستمر على إقامة منار الحق الذى هو موثق عراه ومؤكّد أسبابه ، وليحتلب من أخلاف الإنصاف ما حفله آجتماعه ليد احتلابه ، عالماً بأن كل إضاءة إنارتها من قبسه ، وإن استضاء بها فى دياحى المنى ، وكل ثمرة من مغترسه ، وإن مد إليها يد الاجتناب ، وكل جذوٍ هو من بحرّه وإن بسط إليه راحة الاعتراف ، وكل منهج هو من جادته وإن ثنى إلى سلوكه عنان الانصراف لا الإيخاف ، وهو بحمد الله المجتهد المصيب ، والمادة للعناصر وإن كان نصيبه منها أوفر نصيب ، وسجاياه يتعلم منها ، كيف يوصى ويعلم ، ومزاياه تقوم الأود ، كيف يقوم ، والله الموفق بمنه وكرمه ! .

الثانى - قاضى قضاة الحنفية على ما استقر عليه الحال من لدن القاضى جمال الدين محمود القيسرى وإلى آخر وقت . وموضوعها النظر فى الأحكام

الشرعية على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، ويختص نظره بمصر والقاهرة خاصة .

وهذه نسخة تقليد بقضاء قضاة الحنفية كتب به لمن لقبه شمس الدين ، وهى :

الحمد لله الذى أطلع فى أفق الدين الحنيف شمساً منيرة ، ورفع درجة من جعله من العلم على شريعة ومن الحكم على بصيرة ، وقد أمور الأمة لمن يعلم أن بين يديه كتاباً لا يُعادر صغيرة ولا كبيرة ، ووفق لفصل القضاء من مشى على قدم أقدم الأئمة فسار فى مذهبه المذهب أحسن سيره ، الذى أدخر للحكم فى أيامنا الشريفة من نفائس العلماء أفضل ذخيره ، وقضى بإرجاء أمره لنختار له من تحلى به بعد العطل وكل قضاء خيره ، وأيقظ عنايتنا لمن رقد الدهر عن فضله فباتت عين الاستحقاق باستقرار رتبته قريره .

نحمده حمد من توافقت إليه النعم الغزيرة ، وتوالت عليه المنن الكثيرة فى المدد اليسير ، وأخصبت فى أيامه رياض الفضائل فهى بكل عالم عدم النظير نصيره ، وافتتح دولته برفع منار العدل فأمال أهل الظلم عن تعاطيه قاصرة وأيدى أهل الباطل عن الامتداد إليه قصيره ، وخص المناصب فى ممالكه بالأكفاء فإذا تلبست بها همم غيرهم عادت خاسئة أو امتدت إليها أبصار من دونهم رجعت حسيه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصاح العلى والسريه ، وتصبح بها القلوب موقنة والألسن ناطقة والأصابع مشيرة ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بعث الله به الرسل محبة وأنزل الكتب بمبعثه بشيره ، واجتباؤه فى خير أمة من أكرم أرومة وأشرف عشير ، وأظهر أنوار ملته إلا لمن أعمى النى بصيرته وهل ينفع العمى شمس الظهير ، وخصه بالأئمة الذين وفقهم للاستعانة بالصبر

والصلاة وإنها لكثيره، وجعل علماءهم ورثة الأنبياء فلو أدعيت لأحكامهم العصمة لكانت بذلك جديره ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة نتقرب بدوامها إلى الله فيضاعفها لنا أضعافاً كثيرة، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى الأمور بأن تُشاد قواعده، وتُعهد معاهده ؛ ويعلى مناره ، وتفاض بطلوع شمسه أنواره ؛ ويحلى به بعد العطل جيده ، وينظم في سلك عقود الأمة فريده ؛ وتكلى به قوى الدين تكلمة الأجساد بقوى الطبائع الأربع ، وتُعمّر به ربوع الملة التي ليس بعدها من مصيف لمة ولا مريع ، وتثبت به قوائم الشرع التي ما للباطل في إمالة بعضها من مطمع ؛ وتجلي به عمن ضاق عليه المجال في بعض المذاهب الغمّة ، ويستقرّ به عدد الحكم على عدد الأئمة المستقرّ على عدد الخلفاء الراشدين من خلفاء الأئمة ؛ ويمدّ به على الخلق جناح الرحمة وافر القوائد وارف الظلال ، ويجمع به عليهم ما جمع الله في أقوال أئمتهم من الحق وما ذابعد الحق إلا الضلال ، - أمر القضاء على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله عنه الذى أشقّ الله له من الملة الحنيفة نسبة سرت في الآفاق ، وأفاض عليه من مواد القياس الجلى كنوزاً نمت على الإنفاق ، وعضد أيامه بولي عهد قولهما حجة فيما تفردا به من الخلاف أو اجتمعا عليه من الوفاق ؛ وعدّ من التابعين لقدم عهده ، وسُمى « سراج الأئمة » لإضاءة نوره بهما من بعده .

ولما خلا بانتقال مباشره إلى الله تعالى ، توقّف مدّة على آرتياد الأكفاء ، وآرتيائه من هو أهل الأصطفاء ؛ واختيار من تكلى به رفعة قدره ، ويعيد لدسته بتصدّره على بساط سليمان بهجة صدره ؛ ويغدو لسرّ إمامه بعد إماتة هذه الفترة باعثاً، ويُصبح وإن كان واحد عصره لأبى يوسف ثانياً ولمحمد بن الحسن ثالثاً ؛

وَيُسَبِّهَ بِهِ الْبَلِيحَى زُهْدًا وَعِلْمًا ، وَالطَّحَاوَى تَمَسُّكَاً بِالسُّنَّةِ وَفَهْمًا ، وَبِغْتَرَفِ الْقُدُورَى
 مِنْ بَحْرِهِ ، وَيَعْتَرِفُ الْحَصْرَى بِالْحَصْرِ عَنْ إِحْصَاءِ فَضْلِهِ وَحَصْرِهِ ، وَيَقِفُ مِنْ
 مَذْهَبِ ابْنِ ثَابِتٍ ، عَلَى أَثْبَتِ قَدَمٍ وَيَنْتَمِي مِنْ فِقْهِ النَّعَّانِ إِلَى فَرْعِ زَاكٍ وَأَصْلِ
 ثَابِتٍ ، وَيَنْشُرُ مِنْ أَحْكَامِهِ مَا إِنْ وَافَقَ الْأُئِمَّةَ فَهُوَ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ وَحُجَّةٌ سَاطِعَةٌ ،
 أَوْ خَالِفُهُمْ بِمَذْهَبِهِ فَهُوَ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ ، وَنِعْمَةٌ [و] إِنْ كَانَتْ بَيْنَ الطُّرُقِ فَارَقَةً فَإِنَّهَا عَلَى
 الْحَقِّ جَامِعَةٌ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الْمُنْتَظَرُ لِهَذِهِ الرَّتَبَةِ أَنْتَظَرَ الشَّمْسَ بَعْدَ الْغَسَقِ ، وَالْمُرْتَقَبَ
 لِبُلُوغِ هَذِهِ الْمُنْزَلَةِ الَّتِي تَقْدَمْتُ إِلَيْهَا بِوَادِرٍ اسْتَحْقَاقِهِ فِي السَّبْقِ ، وَالْمَعْطُوفَ عَلَى مَنْ
 وَصِفَ مِنَ الْأُئِمَّةِ وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْ زَمَانِهِ عَطَفَ النَّسَقَ ، وَهُوَ الَّذِي مَادَامَ يَعْدِلُ دَمَ
 الشَّهْدَاءِ مَدَادُ أَقْلَامِهِ ، وَتَضَعُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ مِنْ نَقْلِ خَطَوَاتِهِ
 فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَعَى أَقْدَامِهِ ، وَدَخَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي زُمْرَةِ مَنْ حُصِرَ بِإِيمَانِهِ^(١) ،
 وَهَجَرَ الْمُضَاجِعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَلَوْ عُدَّتْ هَجَعَاتُهُ لَقَلَّمَا ، وَهَجَرَ فِي إِحْرَازِ
 الْفَضَائِلِ فَقَيَّدَ أَوَابِدَهَا ، وَأَحْرَزَ شَوَارِدَهَا ، وَلَحَجَّ فِي بَحَارِ الْمَعَانِي فَقَاصَ عَلَى
 جَوَاهِرِهَا ، وَنَظَرَ نَظْرَةً فِي نُجُومِ الْعُلُومِ فَاحْتَوَى عَلَى زُهْرِهَا وَرَادَ نَحَائِلَ الْفَضَائِلِ
 فَاسْتَوَى عَلَى أَزَاهِيرِهَا ، وَأَنْتَهَى إِلَيْهِ عِلْمُ مَذْهَبِهِ فَبَرَزَ عَلَى مَنْ سَلَفَ ، وَجَارَى عِلْمَاءَ
 عَصْرِهِ فَوَقَفَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْ رُؤْيَا غُبَارِهِ وَمَا وَقَفَ ، وَنَحَا نَحْوَ إِمَامِهِ فَلَوْ قَابَلَهُ
 يَعْقُوبُ مَعَ مَعْرِفَتِهِ فِي بَحْثٍ لَأَنْصَرَفَ ، وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَإِنْ كَانَ فَرَضَ كِفَايَةٍ
 لَا فَرَضَ عَيْنٍ ، وَقَدَّمَ التَّرْجِيحَ الَّذِي جَعَلَ رُتَبَتَهُ هِمزَةً اسْتِفْهَامٍ وَرُتَبَةَ غَيْرِهِ بَيْنَ
 يَيْنٍ - أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفَ اخْتِصَاصَهُ بِهَذَا التَّمْيِيزِ ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ الْبَسِيطِ بِهَذَا
 الْاَلْفِظِ الْوَجِيزِ .

(١) يريد الإشارة إلى قوله تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » .

فلذلك رُسم أن يفوض إليه كيت وكيت . فليتول هذه الرتبة التي أصبح فيها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نائباً وبشرعه قائماً، ويتقلدها تقلد من يعلم أنه
قد أصبح على حكم الله مُقدِّماً وعلى الله قادِماً، ويتثبت تثبت من يعتصم بالله
في حكمه فإن أحد الخصمين قد يكون ألحن بحجته وإن كان ظالمًا، ويلبس لهذا
المنصب حلة تمنع المبطل من الإقدام عليه، وتدفع الظالم عن التطاول إلى أمر تزع
الشرع من يديه، وتؤمن الحق من امتداد يدي الجور والحيثف إليه؛ وليسوين
الخصمين في مجلسه ولحظه، ويعديل بينهما في إنصاته ولفظه؛ ليعلم ذوالجاه أنه
مساوٍ في الحق لخصمه، مكفوف باستماع حجته عن الطمع في ظلمه؛ ولا ينقض
حكماً لم يخالف نصاً ولا سنةً ولا إجماعاً، وليشارك فيما لا يحمله من القضايا غيره من
العلماء ليريد بذلك مع اطلاعه اطلاعا، وليغتنم في ذلك الاستعانة بأرائهم فإن الله
تعالى لا يترع هذا العلم انتزاعاً، وليسد مسالك الهوى عن فكره، ويصرف دواعي
الغضب لغير الله عن المرور بذكره؛ وليجعل العمل لوجه الله نتيجة علمه، وليحكم
بما أراه الله (والله يحكم لا معقب لحكمه)؛ إن شاء الله تعالى .

الثالث - قاضي قضاة المالكية :

وهذه نسخة تقليد بقضاء قضاة المالكية، لقاضي القضاة جمال الدين
يوسف الإساطي المُقدم ذكره، في العشر الأخير من رجب الفرد سنة أربع
وثمانمائة، وهو :

الحمد لله الذي شفع جلال الإسلام بجماله، وناط أحكامه الشرعية بمن أقرن
بجميد مقالته جميل فعّاله، وخص مذهب عالم المدينة بخير حاكم ما جرى حديثه

الحسن يوماً إلا وكان معدوداً من رجاله ، وعدق النظر فى أحكامه بأجل عالم لو طُلب له فى الفضل مثل لعجز الزمان أن يأتى بمثاله .

نحمده على أن أخلف من النبعة الزكية صنواً زاكياً ، وأدال من الأخ الصالح أخاً للعلوم شافياً ، ولمنصبه العلىّ والله الحمد وإيّا . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مجرّد سيف الحق على كلّ مبطل معاند ، ومرهف حدّ القاضى لكلّ ملحد عن سوائ السبيل حائد ؛ وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل نبيّ فاق الأنام بفضله وعم البرية بعدله ، وسدّ باب التوبة على متنقصه فلم تكن لتقبل توبة مثله ، وكان إلى مالك مصيره فلا جرم قضى بإهدار دمه وتحتم قتله ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ذبوا عن حى الدين وذادوا ، وسلكوا سبيل المعدلة إذ حكموا فما ضلّوا عن سنن الطريق ولا حادوا ؛ صلاة تبقى بقاء الدهور ، ولا تزول بهجة جالها بتوالى الأعوام والشهور ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإنّ أولى ما قصر عليه النظر ، وأسُغرت فيه الفكر وعرا العيون فيه السهر ؛ وصُرفت إليه الهمم ، ورغبت فى البراءة من تخلفه الدّم - النظر فى أمر منصب الشرع الشريف الذى يأوى الملهوف إلى ظله ، ويلجأ المستجير إلى عدله ، ويتعلّق العفاة بوثيق عروته ومتين حبله ؛ وبرهبتة يكف الظالم عن ظلمه ، وينتصف الخضم من خصمه ، ويذعن العاصى إلى طاعته وينقاد الآئى إلى حكمه ، ويأتم به الحائر فى دجى الجهل فيستضيء بنوره ويهتدى بنجمه ؛ لاسيما مذهب مالك الذى لم يزل للدين من أهل الإلحاد مثيراً ، وللقصاص من أهل العناد مبتدراً ، وبسلّ سيف الحق على الطغاة المتمردين مشتهراً ؛ ففاز من سطوات الإرهاب بأرفع المراتب ، وعلا رقاب الملحدين بأرهم القواضب ، وخص من

سَفَكَ دِمَاءَ الْمُبْطِلِينَ عَلَى الْبَتِّ بِمَا لَمْ يَشَارِكْهُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الْمَذَاهِبِ ؛ فَوَجَبَ أَنْ يُخْتَارَ لَهُ مَنْ يُنْصُ الْأَخْتِبَارُ عَلَى أَنَّهُ أَهْلٌ لِلَاخْتِيَارِ ، وَيَقْطَعُ الْمُنَافِسُ أَنَّهُ الرَّاجِحُ وَزَنَا عِنْدَ الْأَعْتِبَارِ ، وَتَأْخُذُ مَنَاقِبُهُ الْبَسِيطَةُ فِي الْبَسْطِ فَلَا تَنْقُذُ إِذَا نَفَدَتْ مَنَاقِبُ غَيْرِهِ الْمَرْكَبَةُ عِنْدَ الْأَخْتِصَارِ ؛ وَيَشْهَدُ لَهُ ضِدُّهُ بِالتَّقَدُّمِ فِي الْفَضْلِ وَإِنْ لَمْ تَتَقَدَّمْ مِنْهُ دَعْوَى ، وَيَعْتَرِفُ لَهُ بِالْأَسْتِحْقَاقِ خَصْمُهُ فَيَتَمَسَّكَ مِنْ عَدَمِ الدَّافِعِ فِيهِ بِالسَّبَبِ الْأَقْوَى ، وَيُحْكَمُ لَهُ بَعْلَوُ الرُّتْبَةِ مُنَاوِيَهُ فَيَرْتَفِعُ الْخِلَافُ وَتَقْطَعُ التَّجْوَى ، وَيَسْجَلُ لَهُ حَاسِدُهُ بِبُيُوتِ الْمَفَاحِرِ الْمَحْكُومِ بِصِحَّتِهَا فَلَا يَنْقُضُهَا حَاكِمٌ وَإِنْ بَلَغَ مِنْ تَدْقِيقِ النَّظَرِ الْغَايَةَ الْقُصْوَى ؛ وَتَنْفُذُ أَحْكَامِهِ فِي الْبَرِيَّةِ فَلَا يُوجَدُ لَهَا مُخَالَفٌ ، وَتَحْذَرُ شِيعَةُ الْبَاطِلِ سَطَوْتَهُ فَلَا يَرَى لِبَاطِلٍ مُخَالَفٌ ، وَيَشْتَهَرُ عَنْهُ مِنْ نُصْرَةِ الْحَقِّ مَا يَأْمَنُ مَعَهُ الْمُسْتَضْعَفُ الْخَائِفُ ، وَيَتَحَقَّقُ فِيهِ مِنْ قِيَامِ الْعَدْلِ مَا يَرْتَدِعُ بِهِ الظَّالِمُ الْخَائِفُ ؛ وَيَسْتَوِي عِنْدَهُ فِي لُزُومِ الْحَقِّ الْقَوَى وَالضَّعِيفُ ؛ وَلَا يُفَرِّقُ فِي لَازِمِهِ بَيْنَ الْمَشْرُوفِ وَالشَّرِيفِ ؛ وَلَا يُمَيِّزُ فِي حَمْلِ الْأَعْبَاءِ الشَّرِيعَةِ بَيْنَ الشَّاقِّ وَغَيْرِهِ وَلَا بَيْنَ الثَّقِيلِ وَالْخَفِيفِ ؛ وَلَا يُجَاهِي قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ ، وَلَا جَلِيلًا لْجَلَالَتِهِ ، وَلَا ظَالِمًا خَوْفَ ظَلَمِهِ وَلَا إِذَا أَسْتَطَالَتْ لَأَسْطَالَتِهِ ، وَلَا يَسْتَرِلُهُ ذُولَسَنَ لِّلْسِنَةِ وَلَا بَلِغٌ لِّبَلَاغَتِهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بَيْنَ الصَّدِيقِ الْمَلَاطِفِ وَغَيْرِهِ إِلَّا فِي مَنَعِ قَبُولِ شَهَادَتِهِ .

وَمَا كَانَ الْمَجْلِسَ الْعَالِي الْقَاضِيَّ ، الْكَبِيرِيَّ ، الْإِمَامِيَّ ، الْعَالِمِيَّ ، الصَّدْرِيَّ ، الرَّئِيسِيَّ ، الْأَوْحَدِيَّ ، الْعَلَامِيَّ ، الْكَامِلِيَّ ، الْفَاضِلِيَّ ، الْمُفِيدِيَّ ، الْفَرِيدِيَّ ، الْمُجْتَبَى ، الْقُدْوَى ، الْخَاشِعِيَّ النَّاسِكِيَّ ، الْحَاكِمِيَّ ، الْجَمَالِيَّ ؛ جَمَالَ الْإِسْلَامِ ، شَرَفَ الْأَنْامِ ، حَاكِمَ الْحُكَّامِ ؛ أَوْحَدُ الْأَئِمَّةِ ، مُفِيدُ الْأُمَمَةِ ، مُؤَيِّدُ الْمِلَّةِ ، مُعِزُّ السَّنَةِ ؛ شَمْسُ الشَّرِيعَةِ . سَيْفُ الْمُنَاطَرِينَ ، لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، حَكَمُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، خَالِصَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،

أبو المحاسن «يوسف البساطي» المالكي - أدام الله تعالى نعمته - هو المراد من هذه الصفات ، التي وقعت من محله الكريم موقعها ، والمقصود من هذه السمات ، التي ألقت من سيرته الفاضلة موضعها ، وقارع صفة هذه الذروة التي ما كان ينبغي لغيره أن يقرعها ؛ وشمس الفضل الحقيقي بمثلها أن لا يتوارى جلالها بحجاب الغروب ، وفاصل مشكلات القضايا إذا اشتد إشكالها وعظمت في فصلها الخطوب ، ومتعين الولاية التي إذا كانت في حق غيره على الإباحة كانت في حقه على الوجوب ؛ وقد درب الأحكام وخبرها ، وعرف على التحقيق حالها وخبرها ، وورد من مشاربها الرائقة أصفى المناهل فأحسن ورضاها وصدرها ؛ ونفست جواهر فوائده ففاقت جواهر المعادن ، وغطت محاسن فضله فضائل غيره ولا تُذكر المحاسن «يوسف» وهو «أبو المحاسن» ، فعلموه المدونة بالبيان والتحصيل كإفله ، ومقدمات تنبيهاته بنتائج النواذر الحسنة متواصله ؛ وتمهيد ألفاظه المنقحة تؤذن بالتحجير ، وعيون مسائله المتواردة لا تدخل تحت حصر ولا تقدير ؛ فلوراه «مالك» لقال : ما أعظم هذه الهمة ، وأدركه «أبن القاسم» لوفر من الشاء عليه قسمه ، أو عاصره «أبن عبدالحكم» لحكم له بأن سهمه قد أصاب الغرض وغيره أطاش الريح سهمه ؛ أو عاينه «أشهب» لقال قد ركب هذا الشهاب أثى يلحق ، أو سمع «أبن وهب» كلامه لقطع بأنه هبة ربانية وبمثل لم يسبق ؛ أو بلغ «أبن حبيب» خبره لأحب لقاءه ، أو بصر به «سُخْنُون» لتحقيق أنه عالم المذهب ما وراءه ؛ أو استشعر بقدمه «أبن سيرين» لبشر به ، أو جاوره «أبن عوف» لعاف مجاورة غيره أو مجاوزة طنبه ؛ أو جالسه «أبن يونس» لتأنس بجمالته ، أو حاضره «أبو الحسن بن القصار» لأشجى قلبه بحسن محاضرتيه ؛ أو جاوره «القاضي عبد الوهاب» لقضى بعلو مكانته ، أو اتصل ذكره «بالمازري» لزرى على «مازرا» لبُعدها عن دار إقامته ؛ أو أطلع

«القاضي عياض» على تحقیقاته لاستحسن تلك المدارك، أوناظره «أبن عبد السلام»
لسلم أنه ليس له في المناظرة نظير ولا في تدقيق البحث مُشارك، أو مر به
«أبن الجلاب» لجلب فوائده إلى بلاده، أو حضره «أبن الحاجب» لتحقيق أنه
جامع الأمّهات على آنفراد .

هذا وقد حُفَّ بجلال لا عهد لأحد بمثله ، ولا طاقة لفاضل بمقاومة فضله ،
ولا يَسْمَح الزمان بنظيره من بعده كما لم يَسْمَح به من قبله ، فاجتمع من جمال الجلال،
وجلال الجمال، ما لم يكن ليدخل تحت الإمكان، وعُزِّز عددُهما من أعلام الأئمة
بثالثٍ ورابع فقام بناء الدين من المذاهب الأربعة على أربعة أركان ، ولا عبرة
بما يذهب إليه الذاهبون من كراهة التربع تبعاً للنجمين في اعتقادهم الفاسد ، فقد
ورد أن زوايا الحوض على التربع وذلك فيه أعظم دليل وأقوم شاهد .

وكان مذهب مالك رحمه الله هو المراد من هذه الولاية بالتخصيص ،
والمجلس الجمالی المشار اليه هو المقصود بهذا التفويض بالتخصيص - أقتضى حسنُ
الرأى الشريف أن نُوفِّي مرتبته السنية حقها ، ونُبَوِّى النعم مستحقها ، ونملك رقاب
المعالى مسترقها ، ونقدّم على طائفة المالكية من أضخى لهم جمالا ، ونُخَفِّهم بمن
أمسى لعزهم كالا ، ونفوّض قضاء مذهبهم إلى من إذا جرى في ميدان حكمه قالت
محاسن قضاياه : (هكذا هكذا وإلا فلا) . ونُسند الأحكام الشرعية إلى من هو
بها أعرف ، ونَقِفْها على من عُرف أنه على الحقائق ماض وعند السنة يتوقف ،
ونُعِدِّق أمرها بمن أَلِفَ التزاوة فنكرة المطامع عنده لا نَعْرِف ، ونِكل النظر فيها
إلى من أمسى لشروط الاستيجاب جامعاً ، ونقدّم في ولاية هذا المنصب من شفع
له استحقاقه وكفى بالاستحقاق شافعا .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لازل يَنْسُطُ لأوليائه من بساط الأُنس ما كان مَطْوِيًّا ، ويُئِيلُهُم من رَغَائِبِ الآمال ما كان عَنْهُمْ في سَالِفِ الْأَزْمَانِ مَرْوِيًّا - أن يُفَوِّضَ إِلَيْهِ قَضَاءُ قُضَاةِ مَذْهَبِ عَالَمِ الْمَدِينَةِ ، وإِمَامِ دَارِ الْمِجْرَةِ ، مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ الْأَصْبَحِيِّ : قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهُ . فليَتَلَقَّ مَا فُوضَ إِلَيْهِ بِأَفْضَلِ تَلَقٍّ يَلِيقُ بِمِثْلِهِ ، ويتَقَبَّلَهُ تَقَبُّلاً يَنْسَبُ رِفْعَةً مَحَلَّهُ ، ويتَبَرَّجُ بِأَجَلِّ تَفْوِيضٍ لم يُسَمَحْ بِتَمَنِّيهِ لِآخِرِ مَنْ قَبْلَهُ .

ومن أَهَمِّ مَانُوصِيهِ بِهِ ، ونَوَجَّهَ الْقَوْلَ إِلَيْهِ بِسَيِّدِهِ ، تَقَوَّى اللَّهُ تَعَالَى الَّتِي هِيَ مِلَاكُ الْأَمْرِ كُلِّهِ ، وَقِيَامُ الدِّينِ مِنْ أَصْلِهِ ، وَالْإِشْتِمَالُ عَلَيْهَا فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ وَالْعَمَلُ بِهَا فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، ثُمَّ بَرُّ الْخَلْقِ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ ، وَالتَّجَاوُزُ عَنْهُمْ إِلَّا فِيمَا أَوْجَبَهُ الشَّرْعُ مِنَ الْحَقُوقِ عَلَيْهِمْ ، فَفِي التَّقْوَى رِضَا اللَّهِ وَفِي الْبَرِّ رِضَا الْخَلْقِ وَنَاهِيكَ بِجَمْعِهِمَا مِنْ رُتْبَةٍ فَانَحِرْ ، إِذْ لَا شَكَّ أَنَّ مَنْ حَصَلَ رِضَا اللَّهِ وَرِضَا الْخَلْقِ فَقَدْ حَصَلَ عَلَى خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ قَاعِدَةٌ فِي الْوَصَايَا جَامِعَةٌ ، وَتَذَكُّرَةٌ لَذَوَى الذِّكْرِ نَافِعَةٌ ، وَهِيَ أَنْ يَتَأَمَّلَ أَحْوَالَ غَيْرِهِ تَأَمُّلٌ مِنْ جَعْلِهَا لِنَفْسِهِ مِثَالًا ، وَلِنَسْجَةِ مِثْوَالًا ، فَمَا اسْتَحْسَنَهُ مِنْهَا أَتَى مِثْلَهُ ، وَمَا اسْتَقْبَحَهُ تَجَنَّبَ فِعْلَهُ ، وَاقْفَا فِي ذَلِكَ عِنْدَ مَا وَرَدَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ الْمُطَهَّرَةُ بِنَصِّ صَرِيحٍ أَوْ تَأْوِيلِ صَحِيحٍ ، مُعْرِضًا عَنِ الْعُقُلِيَّاتِ الْمُخْضَةِ فَلَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِي تَحْسِينٍ وَلَا تَقْيِيحٍ .

وَأَمَّا آدَبُ الْقَضَاءِ الْجَارِي ذِكْرُ مِثْلِهِ فِي الْعُهُودِ ، وَالنَّظَرُ فِي أَمْرِ الثُّوَابِ وَكُتَّابِ الْحُكْمِ وَالشُّهُودِ ، فَهُوَ بِهِ أَدْرَبُ وَأَدْرَى ، وَبِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ أَجَقُّ وَأَحْرَى ، غَيْرَ أَنَّا نُوصِيهِ بِالتَّثَبُّتِ فِي أَمْرِ الدِّمَاءِ وَعَلَاقَتِهَا ، وَتَحَقُّقِ حُكْمِهَا قَبْلَ الْحُكْمِ بِإِرَائَتِهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ لِمَادَّةِ الْقَلْقِ فِيهَا أَحْسَمَ ، وَمِنْ تَبَعَاتِهَا فِي الدَّارَيْنِ أَسْلَمَ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ

ولكنها منه تُستفاد، وعنه تؤخذ وإليه تُعاد؛ والله تعالى يتولاه، ويحوطه فيما
ولاه، ويُديم عليه هذه النعمة فما فوق منصبه منصبٌ يتمناه ؛ والاعتمادُ ... (١) ...
إن شاء الله تعالى .

وكتبَ لستَ إن بَقينَ من شهر رجب الفردِ عامَ أربعٍ وثمانِمائة، حسبَ
المرسومِ الشريفِ، بمقتضى الخطِ الشريفِ .



وهذه نسخة توقيع بقضاء القضاة الحنفية بدمشق، من إنشاء القاضي ناصر الدين
آبن النشائي، وهى :

الحمد لله الذى جعل منارَ الشرع الشريف مستمرا على الدوام، وشملَ منصب
الحكم العزيز للعالم بعد العالم على ممر الأيام؛ وأجلَّ انتخاب من يقوم بأعباء القضايا،
ومن تدوم به مزايا السجيا، فيتخير لذلك الإمام بعد الإمام؛ وأقبل بوجه أجتباؤه
على ولىّ نتأكد بإنصاته وإنصافه إحكام الأحكام، وعدل بأعتنائه إلى تعيين من
ترتفع به فى العلوم أعلاهم الإعلام، ومن يتأيّد به الحق فى كل نقض وإبرام .

نحمده على نعمه الوافرة الأقسام، السافرة [الشام] عن وجوه الزيادة الوسام،
ونشكره على مننه الحسام، ومواهيه التى لا تَبْرُحُ تُغورُ إحسانها لذوى الاستحقاق
واضحة الإيتسام .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كفيلاً بالمرام، مُبيلة للإكرام،
جميلة للتلفظ والإلتئام، جزيلة الكنف والإعتصام؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله
الذى أقام الله به شعائر الإسلام، وأظهر شرائع الدين الحنيف بحسام نصره الحسام،

(١) أى إلى آخر ما يكتب فى مثله، وحذفه من باب الاختصار .

وأورث مَنْ أَهْلَهُ مِنْ أُمَّتِهِ كُنُوزَ الْعُلُومِ الَّتِي لَا تَفْسَدُ فَوَيْدُهَا مَعَ كَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مَدَى السِّنِينَ وَالْأَعْوَامِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هَدَوْا الْمُؤْمِنِينَ بِإِلْهَامِ الْكَلَامِ، وَعَدَوْا عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِسِمَامِ الْكَلَامِ، وَأَبَدُوا مِنْ إِرْشَادِهِمْ إِلَى خَفَايَا الْقَضَايَا مَا يَظْهَرُ بِتَهْذِيبِهِمْ ظُهُورَ بَذْرِ النَّمَامِ، صَلَاةً دَائِمَةً بَاقِيَةً تُجْزَلُ لِقَائِهَا الْأَجْرُ النَّامِ، وَتُرْسَلُ إِلَيْهِ سَحَابُ الْمَوَاهِبِ هَاطِلَةً الْغَمَامِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ تَذَهَّبَ بِهِ مَذْهَبُهُ، وَتَحَلَّى بِهِ مَحَلَّ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَمَنْصِبُهُ، وَأَنَارَ بُنُورَ إِرْشَادِهِ لَيْلَ الشُّكِّ وَغَيْبِهِ، وَسَمَّهَلَ بِتَقْرِيبِهِ عَلَى فَهْمِ الطَّالِبِ مَطْلَبُهُ، وَهَمَّى بِهِ وَابِلَ الْعِلْمِ وَصِدْيَهُ، وَأَتَيْحَ بِهِ لِّلْمُسْتَفِيدِ كُنُوزَ الْفَوَائِدِ الَّتِي يَدْنُو بِهَا أَرْبَهُ، وَشِيمَ مِنْ بَرَقِ شِيمِهِ بِالشَّامِ مَا وَجَدَ فِي الْجُودِ صَادِقُهُ وَقَدْ خُذَّه - مَنْ عَلَا فِي الْعُلُومِ نَسَبُهُ، وَتَأَكَّدَ فِي الدِّينِ سَبَبُهُ، وَشَيْدَ مَبْنَى الْمَعَالَى مَعْرَبُهُ، وَصَقَلَ مَرَايَا الْأَنْهَامِ مُهَدَّبُهُ، وَزَاحَمَ مِنْكَبَ الْجُوزَاءِ فِي آرْتِفَاعِ الْقَدْرِ مِنْكَبُهُ، وَجَمَلَ مَوَازِيِبَ الْمُبَاحِثِ فِي الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ مَوْزَكَبُهُ، وَسَحَّتْ بِدَقَائِقِ الْحَقَائِقِ سُحْبُهُ، وَأَشْتَاقَ إِلَى قُرْبِهِ مَوْطِنُ الْحُكْمِ الْعَزِيزِ فَمَا زَالَ يَرْتَقِبُهُ، وَآرْتَاخَ الزَّمَانُ إِلَى عَقَافِهِ وَإِنْصَافِهِ فَأَرْشَدَ حَيْثُ نَخْتَارُهُ لَذَلِكَ وَنَتَخِجُهُ .

(١)

ولما كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي أَيْدِ اللَّهِ أَحْكَامَهُ هُوَ الَّذِي أَرْشَدَ الطَّالِبِينَ (٢) فِي الْإِسْدَايَةِ ، وَأَفَادَ الْمُنْتَرِينَ دَرَجَاتِ النَّهَايَةِ ، وَأَفْهَمَ الْمُسْتَفِيدِينَ صَوَابَ الْهِدَايَةِ ، وَغَدَا سَابِقًا [فِي] حَلْبَةِ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَحْصَى غَايَةِ . كَمْ قَرَّبَ إِلَى الْأَذْهَانِ ذَامِضَ الْمُشْكِلِ وَأَوْضَحَ مَفْهُومَهُ ، وَكَمْ أَشَاعَ فَرَائِدَ فَوَائِدِهِ الَّتِي طَبَّقَ الْأَرْضَ بِهَا عُلُومَهُ ، وَكَمْ أَبَاحَ لَقَطَ الْأَفَاطَةِ الْمَشْجُونَةِ بِالْحِكْمِ فَتَحَلَّى النَّاسُ بِدُرَرِهَا الْمُنْتَرَةِ وَالْمَنْظُومَةِ ، مَعَ مَالِهِ مِنْ دِينِ

(١) بياض بالأصل مترك لتلكه الألتاب المعلومة كالأميرى الكبيرى الخ .

(٢) فى المصباح مانصه : "والبداية بالياء مكان الهمز غامى نص عليه ابن برى وجامعة " .

متين ، وأستحقاق للتقدم مئين ، وصلايح بلغ به درجات المتقين المرتقين ، وأتباع
لسنن الحق في الحكم بين الخلق عن يقين - أقتضى حسن الرأي الشريف أن يقرن
منصب القضاء بحاله ، وأن يعوّض عن إمامه المنقود بإمامه الموجود ليستمر
الأمر على حاله .

فلذلك رسيم ... - لا زالت أئمة العلم الشريف في أيامه يخلف بعضهم بعضا ،
وأقدارهم تدوم رفعها مدى المد فلا تجد نقصا ولا نقضا - أن يفوض ...
فليأشرك ذلك بعلمه المأثور، وحكمه المشهور، وإنصافه الذي يعدل فيه ، وأنصافه
بالحق الذي ما برح يوفيه ، قاضيا بين الخصوم بما أمر الله عز وجل ، مراقبا
لخشية الله على عادته ، مديعا لليلة الخفيفة أنواع إفادته ، قاطعا بنصل نصه مشكلا
الإلباس ، جامعاً في أحكامه المسددة بمقتضى مذهبه بين الكتاب والسنة والقياس .
والوصايا كثيرة وملا كلها التقوى وهي مادته ، وطريقه المستقيم وجادته ، وما زالت
عمدته التي يعتمد عليها ، وعدته التي يستند في إسناد أمره إليها ، والله تعالى يجعل
الأيام بأحكامه ، ويبلغه من خير الدنيا والآخرة غاية مراده ومرامه ، إن شاء الله
تعالى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة المالكية أيضا ، أنشأته لقاضي القضاة جمال الدين
البساطي المذكور عند عوده إلى الوظيفة ، لأربع بقين من ذى القعدة سنة
سبع وثمانمائة . وقد وافق عوده عود شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن البلقيني
إلى قضاء قضاة الشافعية أيضا ، وهي :

الحمد لله الذى أعاد لرتبة القضاء رونق « جلالها » وأسعد جدّها بأسعد قرآنٍ
 ظهرت آثارُ يمنه بما آثرته من ظهور « جلالها » ، وأجاب سؤالها بأجل حاكمٍ
 لم تعدل عنه يوما فى سؤالها ، وأسعد طلبتها بكل كفى لم تنفك عن خطبته وإن
 أطل فى مطالها ، وأكرم مآبها بأكرم كافٍ ما فاتها منال ماضٍ إلا أدركته به
 فى مآلها .

نحمده على أن أعطيت القوس باريها ، وأعيدت مياه الاستحقاق إلى مجاريها ،
 وردت الشاردة إلى مالكٍ ألفت منه بالآخرة ما ألفت من خيره فى مباديها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يحق بالإخلاص منأطها ،
 ويزداد مع طول الأمد نشاطها ، ولا ينطوى على ممر الأيام - إن شاء الله تعالى -
 بساطها . ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل نبي رفع قواعد الدين وشاد ،
 وقام فى الله حق القيام فسم بسيف الشرع مادة الفساد ، وأحكم بسد الذرائع
 سدّ الأمور فجرت أحكام شريعته المطهرة على السداد ، صلى الله عليه وعلى آله
 وصحبه الذين استنشق من معدلتهم أطيب عرف ، وخصوا من صفات الكمال بأحسن
 حلية وأكمل وصف ، صلاة توهى عرا الإلحاد ، وتقصمها ، وتبك أعناق أهل
 العناد ، وتقصمها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فلا خفاء فى أن الأبصار تتشوف لرؤية الهلال مع قرب الغيبة للأخذ منه
 بنصيبها ، والشمس يترقب طلوعها فى كل يوم وإن قرب زمان مغيبها ، والمسافر
 يسرّ يابابه وإن تكرر قدومه من بعيد المسافة وقريبتها ، والسهران يتطلع من ليلته
 الطويلة إلى طلوع فجرها ، والمناصب السنية تأرز إلى مستحقها كما تأرز الحياة
 إلى مجرّها .

ولما كان المجلس العالى، القاضى، (إلى آخر ألقابه) أعز الله تعالى أحكامه هو الذى حُمدت فى القضاء آثاره، وسارت بحسن السيرة فى الآفاق أخباره، وحسن بحسن تأتية فى الورد والصدور إرادته وإصداره، وتنافس فى جميل وصفه الطرس والقلم، وظهرت فضائله (ظهور نار القرى ليلاً على علم)؛ ونشرت الأيام من علومه ما تطوى إليه المراحل، وجادت مواطر فكره بما يُحصب به جناب المريع الساحل؛ وعمرت من منصب القضاء بولايته معاهدته، وجرت بقضايا الخير فى البدء والعود عوائده؛ ونفذت بنفاد أوامره فى الوجود أحكامه، ورقم فى صحائف الأيام على توالى الدهور نقضه وإبرامه؛ وسجل بثبوت أحقيته فانقطعت دون بلوغ شأوه الأطماع، وحكم بموجب فضله فانعقد على صحة تقدمه الإجماع؛ ففرائد فوائده المدونة تؤذن بالبيان والتحصيل، ومقدمات تنبيهاته المحققة، تكفى نتائج إفضاها عن الإجمال والتفصيل؛ وجواهر ألفاظه الرائقة، نعم الذخيرة التى تُقنى، ومدارك معانيه الفائقة، حسبك من ثمرة فكر تُجتنى؛ وتهذيب إراداته الواضحة تُغنى فى إدراكها عن الوسائل، وتحقيق مسائله الدقيقة يُحقق فيها أنها عيون المسائل - وكانت وظيفة قضاء قضاة المالكية بالديار المصرية فى رفيع رتبته، ووافر حرمتها، قد ألفت إليه مقاليدها، ورفعت بالانتماء إلى مجلسه العالى أسانيدها، وعمرت محله الرفيع فتعلقت منه بأعز منال، وحظيت بجماله اليوسفى المرة بعد الأخرى فقالت: لا براح لى عن هذا الجمال؛ وعجمت بتكرار العود عوده فأعرضت عن السوى، وقرت بالإياب إليه عينا «فألفت عصاها وأستقر بها النوى» - أقتضى حسن الرأى الشريف أن نعيد الوظيفة المذكورة إليه، ونعول فى استكشاف مشكلات الأحكام على ما لديه، إقراراً للأمر فى نصابه، ورداً له بعد الشراء إلى مثابه، وإسعافاً لمنصب بطليته وإن أعب غيره نفسه فى طلايه .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لا زال يُبدى المعروف ويُعيدُه ، ويُوفَّر نصيب الأولياء ويزيدهُ - أن يفوض إلى المجلس العالى المشار إليه قضاء القضاة بمذهب عالم المدينة وإمام دار الهجرة «مَالِك بن أَنَسٍ الأصبَحِيّ» رضى الله عنه ، على جارى عادته المتقدمة فى ذلك . وأن يُضاف إليه تدريس قُبَّة الصالح والأنظار الشاهد بها توقُّعه الشريف ، وأن لا يقرَّر أحدٌ فى دروس المالكية من مدرِّس ومُعِيد إلا بتعيينه ، على أتم العوائد وأجملها ، وأعمِّ القواعد وأكملها .

فليُمدَّ إلى رُتبته السنية برفع قدره وعلى هِمَّتِه ، ويقابل إحساننا بالشكر نُحْفَه بمزيد الإقبال إذ لا زيادة فى العلو على رُتبته . ثم أول ما نُوصيه به ، ونؤكد القول عليه بسببه ، تقوى الله التى هى ملاك الأمور كلها ، وأولى المفترضات فى عقد الأمور وحلِّها ، فهى العِصمة التى من لجأ إليها نجأ ، والوقاية التى ليس لمن حاد عنها من لحاق قوارع الله مُلتجأ . ونُتبِّع ذلك بالتلويح إلى الاحتياط فى المسائل التى تفترد بها مذهبُه الشريف ضيقاً وسعةً ، واختصَّ بها إمامُه الأصبَحِيّ دون غيره من الأئمة الأربعة ، وهى مسائل قليلة ، آثارتها فى الورى كثيرة جليله ، منها سَفَكُ دم المتقيِّ والسابِّ ، وتَحَمُّ قتلِه على البتِّ وإن تاب ، فعليه أن يأخذ فى ذلك بالاهتمام ، ولا يُعطى رُخصة فى حقِّ أحدٍ من الأنبياء والملائكة عليهم السلام ، ليكون ذلك وسيلةً إلى الخلوص عن القذى ، وذريعةً إلى سلامة الشرف الرفيع من الأذى ؛ إلا أنا نُوصيه بالثبُّت فى الثبوت ، وأن لا يعجلَ بالحكم بإراقة الدم فإنه لا يُمكِنُ تداركُه بعد أن يفوت . ومنها : الشهادة على الخط وإحياء مامات من كُتِبَ الأوقاف والأُملاك ، وتقريبُ ماشطٍ فلا يقبل فيه إلا اليقظ الواقف مع تحقُّقه دونَ حدسه ، ولا يطلق عنان الشهود فإنَّ الكاتب ربما آتَبَه عليه خطُّ

نَفْسِهِ - ومنها : ثُبُوتُ الولاية للأوصياء، فيُجَرِّبُهَا عَلَى اعتقاده، ولكن إذا ظَهَرَتِ المصلحةُ في ذلك عَلَى وَفْقِ مُرَادِهِ - ومنها : إسقاطُ غَلَّةِ الوقف إذا أَسْتُرِدَّ بعد بيعه مدَّةَ بَقَائِهِ في يَدِ المشتري ، تحذيرا من الإقدام عَلَى بَيْعِ الوقف وعقوبةً رادعةً لبائِعِهِ المجترى . إلى غير ذلك من مسائل الانفراد، وما شاركه فيه غيره من المذاهب لمُوافَقةِ الاعتقاد، فيَمْضِي الحُكْمُ فيه بأقوى العزائم، وَيُكْزِمُ فيها بما استبانَ لَهُ من الحَقِّ ولا تَأْخُذْهُ في الله لَوْمَةُ لَائِمٍ .

وأما غير ذلك من الوصايا الراجعةِ إلى أدب القضاء فلَدَيْهِ منها الخُبْرُ والخَبَرُ، ومنهُ تُسْتَمَلَى فَوْصِيَّتُهُ بها كَنَقْلِ الثَّمَرِ إلى هَجَرٍ؛ والله تعالى يَعَالِمُهُ بِلُطْفِهِ الجميل، وَيُخَفِّهُ بالعناية الشاملةِ في المَقَامِ وَالرَّحِيلِ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تعالى؛ وَالْإِعْتِمَادُ



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الحنابلة ، وهى :

الحمد لله الذى أطلع فى أَفْقِ الدِّينِ القِيمَ شَمْسًا مُنِيرَةً ، ورفع درجةً مَنْ جعله من العلم على شريعةٍ ومن الحُكْمِ عَلَى بَصِيرَةٍ ، وَقَلَّدَ أُمُورَ الأُمَّةِ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ كِتَابًا لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ، وَوَفَّقَ لِفَصْلِ القضاء مَنْ مَشَى عَلَى قَدَمِ إِمَامِهِ الذى أَدَّخَرَ مِنْهُ لِلْحُكْمِ فى أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ مِنْ نَفَائِسِ العلماء أَفْضَلَ ذَخِيرَةٍ ، وَقَضَى بِإِرْجَاءِ أَمْرِهِ لِنُخْتَارَ لَهُ مَنْ تَحَلَّى بِهِ بَعْدَ الْعَطَلِ وَكُلُّ قَضَاءٍ خَيْرُهُ ، وَأَيُّقِظُ عَايَتَنَا لِمَنْ رَقَدَ الدَّهْرُ عَنْ فَضْلِهِ فَبَاتَتْ عَيْنُ الأَسْتَحْقَاقِ بِاسْتِقْرَارِ رُتْبَتِهِ قَرِيرَةٍ .

نحمده حمدًا من تَوَافَقَتْ إِلَيْهِ النِّعَمُ الغزيرة ، وتَوَالَتْ عَلَيْهِ المِنَّنُ الكثيرة فى المَدَدِ اليسير ، وَأَخْصَبَتْ فى أَيَّامِهِ رِياضُ الفضائل فهى بِكُلِّ عَالِمٍ عَدِمَ النُّظَيْرَ نَضِيرَهُ ،

(١) تقدّمت فى تقليد حنفى بأطول من هذا ويبيض تغيير .

وَأَفْتَحَ دَوْلَتَهُ بِرَفْعِ مَنَارِ الْعَدْلِ فَأَمَالَ أَهْلَ الظُّلْمِ عَنْ تَعَاطِيهِ قَاصِرَةً وَأَيْدَى أَهْلِ الْبَاطِلِ
عَنِ الْإِمْتِدَادِ إِلَيْهِ قَصِيرَةً ، وَخَصَّ الْمَنَاصِبَ فِي مَمَالِكِهِ بِالْأَكْفَاءِ فَإِذَا تَلَبَّسَتْ بِهَا
هِمَمٌ غَيْرُهُمْ عَادَتْ خَاسِئَةً أَوْ أَمْتَدَّتْ إِلَيْهَا أَبْصَارُ مَنْ دُونَهُمْ رَجَعَتْ حَسِيرَةً .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُصْلِحُ الْعَلَنَ وَالسِّرِيَةَ ،
وَتُصْلِحُ بِهَا الْقُلُوبُ مُوقِنَةً وَالْأَلْسُنُ نَاطِقَةً وَالْأَصَابِعُ مُشِيرَةً . وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرِّسْلَ مَخِيرَةً وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ بِمَبْنَعِهِ بَشِيرَةً ، وَاجْتَبَاهُ فِي خَيْرِ
أُمَّةٍ مِنْ أَكْرَمِ أَرْوَمةٍ وَأَشْرَفِ عَشِيرَةٍ ، وَأَظْهَرَ أَنْوَارَ مِلَّتِهِ إِلَّا مَنْ أَعْمَى الْغَيُّ بَصِيرَتَهُ
وَهَلْ تَنْفَعُ الْعُمَى شَمْسُ الظَّهِيرَةِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً نَتَقَرَّبُ
بِدَوَامِهَا إِلَى اللَّهِ فَيَضَاعِفُهَا لَنَا أَضْعَافًا كَثِيرَةً ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى الْأُمُورِ بِأَنْ تُشَادَّ قَوَاعِدُهُ ، وَتُعْتَهَدَ مَعَاهِدُهُ ، وَيُعْلَى مَنَارُهُ ،
وَتُقَاضَ بَطْلُوعُ شَمْسِهِ أَنْوَارُهُ ، وَتُكَمَّلَ بِهِ قُوَى الدِّينِ تَكْمَلَةَ الْأَجْسَادِ بِقُوَى الطَّبَائِعِ
الْأَرْبَعِ ، وَتُعَمَّرَ بِهِ رُبُوعُ الْمِلَّةِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا مِنْ مَصِيفٍ لِمِلَّةٍ وَلَا مَرْجِعَ ، وَتُثَبَّتَ
بِهِ قَوَائِمُ الشَّرْعِ الَّتِي مَا لِلْبَاطِلِ فِي إِمَالَةِ بَعْضِهَا مِنْ مَطْمَعٍ ، أَمْرُ الْقَضَاءِ عَلَى مَذْهَبِ
الْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ « أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ قَدْ خَلَا بِانْتِقَالِ مَبَاشَرِهِ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَوَقَّفَ مَدَّةً عَلَى آرْتِيَادِ الْأَكْفَاءِ ، وَالْإِرْشَادِ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُ
الْأَصْطِفَاءِ ، وَأَخْتِيَارِ مَنْ تَكَمَّلَ بِهِ رِفْعَةُ قَدْرِهِ ، وَيُعِيدُ لِدَسْتِهِ عَلَى لِسَانِ سُلَيْمَانِهِ
بِهَجَةٍ صَدْرِهِ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الْمُنْتَظَرُ لِهَذِهِ الرَّثْبَةِ أَنْتَظَرَ الشَّمْسُ بَعْدَ الْغَسَقِ ، وَالْمُرْتَقَبُ
لِبُلُوغِ هَذِهِ الْمُنْزِلَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ إِلَيْهَا بِوَادِرٍ أَسْتَحْقَاقِهِ فِي السَّبْقِ ، وَالْمَعْطُوفَ عَلَى
الْأُئِمَّةِ مِنْ أَصْحَابِ إِمَامِهِ - وَإِنْ تَأَخَّرَ زَمَانُهُ - عَطَفَ النَّسَقِ ، وَهُوَ الَّذِي مَا زَالَ

يَعْدِلُ دَمَ الشَّهَدَاءِ مِدَادَ أَقْلَامِهِ ، وَتَضَعُ الْمَلَائِكَةُ أُجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ مِنْ تَقَلُّ
خُطَوَاتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَعَى أَقْدَامِهِ ، وَدَخَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي زُمْرَةِ مَنْ
حُصِرَ بِإِتْمَا ، وَهَجَرَ الْمُضَاجِعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَلَوْ عُدَّتْ هَجَعَاتُهُ لَقَلَّمَا ؛
وَهَجَّرَ فِي إِحْرَازِ الْفَضَائِلِ فَقَيَّدَ أَوَائِدَهَا ، وَأَحْرَزَ شَوَارِدَهَا ؛ وَلَجَّ فِي بَحَارِ الْمَعَانِي
فَغَاصَ عَلَى جَوَاهِرِهَا ، وَنَظَرَ نَظْرَةً فِي نُجُومِ الْعُلُومِ فَاحْتَوَى عَلَى زُهْرِهَا وَزَارَ نَحَائِلَ
الْفَضَائِلِ [فَاسْتَوَى] عَلَى أَزَاهِرِهَا ؛ وَاتَّهَى إِلَيْهِ عِلْمُ مَذْهَبِهِ فَبَرَزَ عَلَى مَنْ سَلَفَ ،
وَجَارَى عِلْمَاءَ عَصْرِهِ فَوَقَفَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْ رُؤْيَا غُبَارِهِ وَمَا وَقَفَ ؛ وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ
الْقَضَاءُ وَإِنْ كَانَ فَرْضَ كِفَايَةٍ لَا فَرْضَ عَيْنَ ، وَقَدَّمَهُ التَّرْجِيحُ الَّذِي جَعَلَ رُتْبَتَهُ هِمَزَةً
أَسْتَفْهَامَ وَرُتْبَةَ غَيْرِهِ بَيْنَ بَيْنَ - أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفَ اخْتِصَاصَهُ بِهَذَا التَّمْيِيزِ ،
وَالْتَنْبِيَةِ عَلَى فَضْلِهِ الْبَسِيطِ بِهَذَا اللَّفْظِ الْوَجِيزِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . فَلْيَتَوَلَّ هَذِهِ الرُّتْبَةَ الَّتِي أَصْبَحَ فِيهَا
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَائِبًا وَبَشْرَةً قَائِمًا ، وَيَتَقَلَّدُهَا تَقَلُّدًا مَنْ يَعْلَمُ
أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى مُقَدِّمًا وَعَلَى اللَّهِ قَادِمًا ، وَيَتَثَبَّتُ تَثَبُّتًا مِنْ يَعْنِصُ
بِحُكْمِ اللَّهِ فِي حُكْمِهِ فَإِنَّ أَحَدَ الْخَصْمَيْنِ قَدْ يَكُونُ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا ،
وَيَلْبَسُ لِهَذَا الْمَنْصِبِ حُلَةً تَمْنَعُ الْمُبْطِلَ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، وَتُدْفَعُ الظَّالِمَ عَنِ التَّطَاوُلِ
إِلَى أَمْرِ نَزْعِهِ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ مِنْ يَدَيْهِ ، وَيُؤَمِّنُ الْحَقَّ مِنْ أَمْتِدَادِ يَدِ الْجَوْرِ وَالْحَيْفِ
إِلَيْهِ ؛ وَلْيُسَوِّبِ الْخَصْمَيْنِ فِي مَجْلِسِهِ وَلَحِظِهِ ، وَيَعْدِلْ بَيْنَهُمَا فِي إِنْصَاتِهِ وَلَفْظِهِ :
لِيَعْلَمَ ذُو الْجَاهِ أَنَّهُ مُسَاوٍ فِي الْحَقِّ لَخَصْمِهِ ، مَكْفُوفٌ بِاسْتِمَاعِ حُجَّتِهِ عَنْ الطَّمَعِ
فِي ظُلْمِهِ ؛ وَلَا يَنْقُصُ حُكْمًا لَمْ يَخْلَفْ نَصًّا وَلَا سُنَّةً وَلَا إِجْمَاعًا ، وَلِيُشَارِكَ فِيمَا لَا يَجْهَلُهُ
مِنَ الْقَضَايَا غَيْرَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِيَتَرَيَدَ بِذَلِكَ مَعَ أَطْلَاعِهِ أَطْلَاعًا ، وَلِيُغْتَمَّ فِي ذَلِكَ الْإِسْتِعَانَةُ

بآرائهم : فإن الله تعالى لا يَنْتَرِعَ هذا العلم انتزاعاً ، وليسُدَّ مسالك الهوى عن فكره ،
ويصْرِف دواعى الغَضَب لغير الله عن المُرور بذكره ؛ وليجعل العمل لوجه الله
نتيجة علمه ، وليحكم بما أراه الله (والله يُحْكُمُ لَمْعَقَبِ الْحُكْمِ) .



وهذه نسخة وصية أوردتها في " التعريف " تشمل القضاة الأربعة ، قال :
وصية جامعة [لقاض] ^(١) من أى مذهب كان ، وهى :

وهذه الرتبة التى جعل الله إليها منتهى القضايا ، وإنهاء الشكايا ، ولا يكون
صاحبها إلا من العلماء ، الذين هم ورثة الأنبياء ، ومتولى الأحكام الشرعية بها
كما ورث عن نبي الله صلى الله عليه وسلم علمه ، كذلك ورث حكمه ؛ وقد أصبح بيده
زمام الأحكام ، وفُضِّل القضاء الذى يُعرض [بعضه] ^(١) بعده على غيره من الحكماء ؛
وما منهم إلا من يُنْقَدُ نقد الصيرفي ، وينفد حكمه نفاذ المشرفي ؛ فليتروا فى أحكامه
[قبل إمضاءها ، وفى المحاكمات إليه] ^(١) قبل فصل قضائها ؛ وليراجع الأمر مرة بعد
مرة حتى يزول عنه الإلتباس ، ويُعاود فيه بعد التأمل كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم والإجماع والقياس ؛ وما أشكل عليه بعد ذلك فليجَلْ ظلمه
بالاستخاره ، وليجَلْ مُشْكِلَه بالاستِشارة ، ولا يرتقضا عليه إذا استشار فقد أمر الله
رسوله صلى الله عليه وسلم بالشورى ، ومرّ من أول السلف من جعلها بينه وبين
خطأ الاجتهاد سورا ؛ فقد يَسْنَح للراء ما أعيأ غيره وقد أكثر فيه الدأب ، ويتفطن
الصغير لما لم يفطن إليه الكبير كما فطن ابن عمر رضى الله عنهما للنخلة [و] ما منعه
أن يتكلم إلا صغر سنه ولزوما مع من هو أكبر منه للأدب ؛ ثم إذا وُضِع له الحق

قضى به لمستحقته ، وسجل له به وأشهد على نفسه بثبوت حقه ؛ وحكم له به حكما
يسره يوم القيامة أن يراه ، وإذا كتب له به ، ذكر بخير إذا بلى وبقى الدهر ما كتبت
يداه . وليسو بين الخصوم حتى في تقسيم النظر ، وليجعل كل عمله على الحق فيما
أباح وما حظر ؛ وليجد النظر في أمر الشهود حتى لا يدخل عليه زيف ، وليتحرر
في استيداء الشهادات فرب قاض ذبح بغير سكين وشاهد قتل بغير سيف ؛ ولا يقبل
منهم إلا من عرف بالعدالة ، وألف منه أن يرى أوامر النفس أشد العدا له - وغير
هؤلاء ممن لم تجر له بالشهادة عاده ، ولا تصدئ للارتزاق بسخطها ومات وهو حي
على الشهادة ، فليقبل منهم من لا يكون في قبول مثله ملامه ، فرب عدل بين منطقتي
وسيف وفاسق في فرجة وعمامة - ولينقب على ما يصدر من العقود التي يؤسس
أكثرها على شفا جرف هار ، ويوقع في مثل السفاح إلا أن الحدود تدرا بالشبهات
ويبقى العار - وشهود القيمة الذين يقطع بقولهم في حق كل مستحق ومال كل يتيم ،
ويقلد شهادتهم على كل أمر عظيم ؛ فلا يعول منهم إلا على كل رب مال عارف
لاتخفى عليه القيم ، ولا يخاف معه خطأ الحدس وقد صقل التجريب مرآة فهمه
على طول القدم . ولينان في ذلك كله أناة لا تقضى بإضاعة الحق ، ولا إلى المطاولة
التي تقضى إلى ملل من استحق . وليمهد لرأسه ، ولا يتعلل بأن القاضى أسير الشهود
وهو كذلك وإنما يسعى للخلاص نفسه - والوكلاء هم البلاء المبرم ، والسياطين
المسؤولون لمن توكؤوا له الباطل ليقتضى لهم به وإنما تقطع لهم قطعة من جهنم ،
فليكف بمهابة وساوس أفكارهم ، ومساوى جفائرهم ؛ ولا يدع لجنى أحد منهم
ثمرة إلا ممنوعه ، ولا يد اعتداء تمتد إلا مغلولة إلى عنقه أو مقطوعة . وليطهر بابه
من دنس الرسل الذين يشون على غير الطريق ، وإذا رأى واحد منهم درهما ودّ لو
حصل في يده ووقع في نار الحريق ؛ وغير هذا مما لا يحتاج به مثله أن يوصى ،

ولا أن يُحصى عليه منه أفراد عمله وهو لا يُحصى ، ومنها النظر فى أمور أوقاف أهل مذهبه نظر العموم ، فليعمرها بحيل نظره فرب نظرة أنفع من مواقع الغيوم ؛ وليأخذ بقلوب طائفته الذين خُص من بينهم بالتقديم ، وتفاوت بُعد ما بينه وبينهم حتى صار يُزيل عارض الرجل منهم النظرة [منه] ويأسو حراحه منه التكليم . وهذه الوصايا إنما ذكرت على سبيل الذكرى ، وفيه - بحمد الله - أضعافها ولهذا وليناه والحمد لله شكراً ؛ وقد جعلنا له أن يستنيب من يكون بمثل أوصافه أو قريباً من هذه المثابة ، ومن يرضى له أن يحمل عنه الكل ويتأسمه ثوابه ؛ وتقوى الله تعالى هى جماع الخير ولا سيما لصاحب هذه الوظيفة ، ولمن وليها أصلاً وفرعاً لا يستغنى عنها رب حكم مطلق التصرف ولا خليفه .

ويزاد الشافعى :

وليعلم أنه صدر المجلس ، وأنه أدنى القوم وإن كانوا أشباهه منا حيث نجلس ، وأنه ذو الطيلسان الذى يخضع له رب كل سيف ويؤبس ؛ وليتحقق أنه إنما رفعه علمه وتقاه ، وأن سبب دينه لادنياه هو الذى رقاها ؛ فليقدر حق هذه النعم ، وليقف عند حد منصبه الذى يؤد لو اشترى سواد مداده بجزر النعم .

ويقال فى وصيته : وأمر دعاوى بيت المال المعمور ، ومحاكماته التى فيها حق كل فرد فرد من الجمهور ؛ فليحترز فى قضاياها غاية الاحتراز ، وليعمل بما يقتضيه لها الحق من الصيانة والإحراز ؛ ولا يقبل فيها كل بينة للوكيل عن المسلمين فيها مدفع ، ولا يعمل فيها بمسألة ضعيفة يظن أنها ما تضر عند الله فإنها ما تنفع ؛ وله حقوق فلا يجحد من يسعى فى تملك شيء منها بالباطل منه إلا الياس ، ولا يلتفت إلى من رخص لنفسه وقال : (هو مال السلطان) فإنه مالنا فيه إلا ما لواحد من الناس .

(١) ذكر فى "القاموس" أن لام الطيلسان مثناة .

وأموال الأيتام الذين حذر الله من أكل مالهم إلا بالمعروف لا بالشبهات ، وقد مات
 أبائهم ومنهم صغار لا يمتدنون إلى غير الندى للرضاع ومنهم حمل في بطون الأمهات ؛
 فليأمر المتحدثين لهم بالإحسان إليهم ، وليعرفهم بأنهم سيُجزون في بينهم بمثل
 ما يعملون معهم إذا ماتوا وتركوا ما في أيديهم ، وليحذر منهم من لا ولد له :
 ﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ . وليقص عليهم
 في مثل ذلك أنباء من سلف تدكيرا ، ولينل عليهم القرآن ويذكّرهم بقوله تعالى :
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .
 والصدقات الموكولة إلى تصريف قلمه ، المأكولة بعدم أمانة المباشرين وهي
 في ذمّه ، يتيقظ لإجرائها على السداد في صرفها في وجوه استحقاقها ، والعمل بما
 لا يجب سواه في أخذها وإنفاقها . والمسائل التي تفرد بها مذهبها وترجح عندها
 العمل ، وأعدّ عنها الجواب لله إذا سأل ، لا يعمل فيها بمرجوح إلا إذا كان نص
 مذهب إمامه أو عليه أكثر الأصحاب ، وراه قد حكم به أهل العلم ممن تقدمه لرُجحانه
 عنده وللاستصحاب . ونواب البر لا يقلد منهم إلا من تحقق استحقاقه ، فإنه إنما
 يوليه على مسلمين لا علم لأكثرهم فهم إلى ذى العلم أشدّ فاقه ؛ هذا إلى ما يتعرف
 من ديانتهم ومن عقافتهم الذى يتجرع المرء منهم به مرارة الصبر من الفاقة وهو به
 يتحلّى ، ثم لا يزال له عين عليهم فإن الرجال كالصناديق المقلّلة لا يعرف الرجل ما هو
 حتى يتولى .

وزاد الحنفى :

وليعلم أن إمامه أول من دون الفقه وجمعه ، وتقدم وأسبق العلماء من تبعه ؛
 وفي مذهبه ومذاهب أصحابه أقوال في المذهب ، ومسائل مالّقه فيها مالك وهو أول

مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ وَمَنْ يُعَدُّ مِنْ سَوَابِقِهِ أَشْهَبُ ؛ وَمِنْ أَهْمِهَا تَرْوِيجُ الصَّغَائِرِ ، وَتَحْصِينُهُنَّ بِالْأَكْفَاءِ مِنَ الْأَزْوَاجِ خَوْفًا عَلَيْهِنَ مِنَ الْكِبَائِرِ ؛ وَشُفْعَةُ الْحَوَارِ الثِّى لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ رَأْيِهِمْ لَمَّا أُمِنَ جَارُ السُّوءِ عَلَى رَغْمِ الْأَنْوَفِ ، وَلَأَقَامَ الرَّجُلُ الدَّهْرَ سَاكِنًا فِي دَارِهِ بَيْنَ أَهْلِهِ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْخَوْفَ ؛ وَكَذَلِكَ نَفَقَةُ الْمَعْتَدَةِ الَّتِى هِىَ فِي أَسْرِ مَنْ طَلَّقَهَا وَإِنْ بَتَّتْ مِنْ حِبَالِهِ ، وَبَقِيَتْ لَا هُوَ بِالَّذِى يُنْفِقُ عَلَيْهَا وَلَا هِىَ بِالَّتِى تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَزَوَّجَ مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَيْهَا مِنْ مَالِهِ ؛ وَمَنْ أَسْتَدَانَ مَالًا فَأَكَلَهُ وَأَدَّعَى الْإِعْسَارَ ، وَلَفَّقَ لَهُ بَيْنَةً أَرَادَ أَنْ تُسْمَعَ لَهُ وَلَمْ يَدْخُلِ الْحَبْسَ وَلَا أَرْهَقَ مِنْ أَمْرِهِ الْأَعْسَارَ ، وَأَهْلَ مَذْهَبِهِ عَلَى أَنَّهُ يُسَجَنُ وَيَمُكُّ مَدَّةً ، ثُمَّ إِذَا ادَّعَى أَنَّهُ بَيْنَةٌ أَحْضَرَتْ ثُمَّ هَلْ تُقْبَلُ أَوَّلًا . فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا فِيهِ عَمُومُ صِلَاحٍ ، وَعَظِيمُ نَفْعٍ مَا فِيهِ جُنَاحٌ ؛ فَلْيَقْضَ فِي هَذَا كُلَّهُ إِذَا رَأَاهُ بِمَقْتَضَى مَذْهَبِهِ ، وَلِيَهْتَدِ فِي هَذِهِ الْأَرْاءِ وَسَوَاهَا بِقَمَرِ إِمَامِهِ الطَّالِعِ أَبُو حَنِيفَةَ وَشُيْبَةَ ؛ وَلِيُحْسِنَ إِلَى فَتَاهِ أَهْلِ مَذْهَبِهِ الَّذِينَ أَدْنَى إِلَيْهِ أَكْثَرُهُمُ الْإِعْتِرَابَ ، وَحَلَّقَ بِهِمْ إِلَيْهِ طَائِرَ النَّهَارِ حَيْثُ لَا يَحِلُّقُ الْبَازِىُ وَجَنَاحُ اللَّيْلِ حَيْثُ لَا يَطِيرُ الْغُرَابُ ؛ وَقَدْ تَرَكُوا وَرَاءَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ الشَّاسِعَةِ ، وَالْأُمْدَادِ الْوَاسِعَةِ ؛ مَا يُرَاعَى لَهُمْ حَقُّهُ إِذَا عُدَّتْ الْحَقُوقُ ، وَيَجْمَعُهُ وَإِيَّاهُمْ بِهِ أَبُوهُ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَا مِثْلُهُ مِنْ يُنْسَبُ إِلَى الْعُقُوقِ .

ويزاد المالكي :

ومذهبه له السيف المصلت على من كفر، والمذهب بدم من طل دمه وحصل به الظفر؛ ومن عدا قدره الوضع ، وتعرض إلى أنبياء الله صلوات الله عليهم بالقول الشنيع ؛ فإنه إنما يقتل بسيفه المجرد ، ويراق دمه تعزيرا بقوله الذى به تفرد ؛ ولم يزل سيف مذهبهم لهم بارز الصفحه ، مسلما لهم إلى مالك خازن النار من مذهب مالك الذى ما فيه فسحة ؛ وفى هذا ما يصرح غدر الدين من القذى ، وما لم تطل دماء

هؤلاء (لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى)؛ وإنما نوصيه بالتحري في الثبوت ،
 [والبينة التي لا يستدرك بها ما يفوت،] ^(١) وإنما هو رجل يحيا أو يموت ، فليتمهل
 قبل بتّ القضاء ، وليعذر إليهم لاحتمال ثبوت تفسيق الشهود أو بغضاء ؛ حتى
 لا يعجل تلافاء ، ولا يعجل بما لا يتلافى ، فكما أننا نوصيه أن لا ينقض في شدّ الوثاق
 عليهم أبراما ، فهكذا نوصيه أن لا يصب بغير حقه دما حراما ؛ وكذلك قبول الشهادة
 على الخط ، وإحياء مامات من الكتب وإدناء ما شط ، فهذا مما فيه فسحة للناس ،
 وراحة ما فيها باس ؛ إلا أنه يكون الثبوت بهذه البينة للاتصال ، لا للزعم يد ولا إلزام
 بمجردا بمال ؛ وهكذا . ايراه من ولاية الأوصياء وهو مما تفرّد به هو دون البقية ، وفيه
 مصلحة وإلا فما معنى الوصية ؛ وهو زيادة احتراز ما تضر مراعاة مثلها في الأمور
 الشرعية ؛ وسوى هذا مثل إسقاط الرّيع في وقف آسرد وقد بيع ، وعطل المشتري
 من التكبّ بذلك المال مدة لا يشتري ولا يبيع ؛ وهذا مما يبتّ قضاءه في مثله ،
 ويجعل عقاب من أقدم على بيع الوقف إحرامه مدة البيع من مغلّة ؛ وسوى ذلك
 مما عليه العمل ، ومما إذا قال فيه قال بحق وإذا حكم عدل . وفقهاء مذهبه في هذه
 البلاد قليل ما هم ، وهم غرباء فليحسن مأواهم ، وليكرم بكرمه مثواهم ؛ وليستقر بهم
 النوى في كنفه فقد ملأوا طول الدرب ، ومعاناة السفر الذي هو أشدّ الحرب ،
 ولينسهم أوطانهم يرّه ولا يدع في مآقيهم دما يفيض على الغرب .
 ويزاد الحنبلى :

والمهمّ المقدم - وهو يعلم ما حدث على أهل مذهبه من الشناعة ، وما رموا به
 من الأقوال التي نتركها لما فيها من البشاعة ؛ ونكتفى به في تعفية آثارها ، وإمالة

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٢١ .

أَذَاهَا عَنْ طَرِيقِ مَذْهَبِهِ لِتَأْمَنِ السَّالِكَةُ عَلَيْهِ مِنْ عَثَارِهَا ؛ فَتَعَالَى اللَّهُ أَنْ يُعْرِفَ
بَكَيْفٍ ، أَوْ يُجَاوِبَ السَّائِلُ عَنْهُ بِهَذَا إِلَّا بِالسَّيْفِ ؛ وَالْإِنْصَافُ إِلَى الْجَمَاعَةِ وَالْحَذَرُ مِنَ
الْأَنْفِرَادِ ، وَإِقْرَارُ آيَاتِ الصُّفَاتِ عَلَى مَا جَاءَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْتِقَادِ ، وَأَنَّ الظَّاهِرَ غَيْرُ
الْمُرَادِ ، وَالْخُرُوجُ بِهِمْ إِلَى النُّورِ مِنَ الظُّلُمَاءِ ، وَتَأْوِيلُ مَا لَا بُدَّ مِنْ تَأْوِيلِهِ مِثْلُ حَدِيثِ
الْأَمَةِ الَّتِي سُئِلَتْ عَنْ رَبِّهَا : أَيْنَ هُوَ فَقَالَتْ فِي السَّمَاءِ ؛ وَإِلَّا فَقِي الْبَلِيَّةُ بِإِثْبَاتِ الْجَهَةِ
مَا فِيهَا مِنَ الْكَوَارِثِ ، وَيُلْزَمُ مِنْهَا الْحَدُوثُ وَاللَّهُ سَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى قَدِيمٌ لَيْسَ بِجَادِثٍ
وَلَا مُحَلًّا لِلْحَوَادِثِ ؛ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْقِرَاءَانِ وَنَحْنُ نُحَذِّرُ مَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ بِصَوْتٍ
أَوْ حَرْفٍ ، فَمَا جَزَاءُ مَنْ قَالَ بِالصَّوْتِ إِلَّا سَوْطٌ وَبِالحَرْفِ إِلَّا حَتْفٌ ؛ ثُمَّ بَعْدَ هَذَا
الَّذِي يَزْعُ بِهِ الْجُهَّالُ ، وَيُرَدُّ دُونَ غَايَتِهِ الْفِكْرُ الْجَوَالُ ، يَنْظُرُ فِي أُمُورِ مَذْهَبِهِ وَيَعْمَلُ
بِكُلِّ مَا صَحَّ نَقْلُهُ عَنْ إِمَامِهِ وَأَصْحَابِهِ : مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي زَمَانِهِ وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْ أَيَّامِهِ ؛
فَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِمَامَ حَقٍّ نَهَضَ وَقَدْ قَعَدَ النَّاسُ تِلْكَ الْمُدَّةَ ، وَقَامَ نَوْبَةُ الْحِجَّةِ مَقَامَ
سَيِّدِ تَيْمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - نَوْبَةُ الرَّدِّ ؛ وَلَمْ تَهَبَّ بِهِ زُعَارِعُ الْمُرَيْسِيِّ وَقَدْ هَبَّتْ
مَرِيَسَا ، وَلَا أَبْنُ أَبِي دُوَادٍ وَقَدْ جَمَعَ لَهُ كُلُّ ذَوْدٍ وَسَاقَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ عَيْسَا ؛
وَلَا نَكَّتْ عُهْدَةً مَا قَدَّمَ لَهُ الْمَأْمُونُ فِي وَصِيَّةِ أَخِيهِ مِنَ الْمَوَاتِقِ . [وَلَا رَوْعَهُ سَوْطُ
الْمُعْتَصِمِ وَقَدْ صَبَّ عَلَيْهِ عَذَابُهُ وَلَا سَيْفُ الْوَائِقِ] ^(١) .

فَلْيَقِفْ عَلَى أَثَرِهِ ، وَلْيَقِفْ بِمُسْنَدِهِ [عَلَى مَذْهَبِهِ] كُلَّهُ أَوْ أَكْثَرِهِ ، وَلْيَقِضْ بِمُفْرَدَاتِهِ
وَمَا آخَرَهُ أَصْحَابُهُ الْأَخْيَارُ ، وَلْيَقْلُدْهُمْ إِذَا لَمْ تَخْتَلِفْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ ؛ وَلْيَحْتَرِزْ لِدِينِهِ
فِي بَيْعِ مَا دَثَرَ مِنَ الْأَوْقَافِ وَصَرَفِ ثَمَنِهِ فِي مِثْلِهِ ، وَالْإِسْتِبْدَالِ بِمَا فِيهِ الْمَصَالِحَةُ
لِأَهْلِهِ ؛ وَالْفَسْخَ عَلَى مَنْ غَابَ مَدَّةً يُسُوغُ فِي مِثْلِهَا الْفَسْخُ ، وَتَرَكَ زَوْجَةً لَمْ يَتْرَكْ لَهَا

نفقة وخلّاهما وهى مع بقائها فى زوجيته كالمعلّقة ؛ وإطلاق سراحها لتتزوج بعد
ثبوت الفسخ بشروطه التى يبقّى حكمها به حكم المطلقه ؛ وفيما يمنع مضارة الجار ،
وما يتفرّع على قوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » ، وأمر وقف الإنسان
على نفسه وإن رآه سوى أهل مذهبه ، وطلعت به أهلة علماء لولاهم لما جلا
الزمان جُنَحَ غِيَبِهِ ؛ وكذلك الجوائح التى يخفف بها عن الضّعفاء وإن كان لا يرى
بها الإلزام ، ولا تجرى لديه إلا تجرى المصلحة بدليل الالتزام ؛ وكذلك المعاملة التى
لولا الرخصة عندهم فيها لما أكل أكثر الناس إلا الحرام المحض ، ولا أخذ قسم
الغلال والمعامل هو الذى يزرع البدور ويحرث الأرض ؛ وغير ذلك مما هو من
مفرداته التى هى للرفق جامعته ، وللرعايا فى أكثر معاشهم وأسبابهم نافعته ؛ فإذا
استقرت الفروع كانت الأصول لها جامعته . وفقهاء مذهبه هم الفقهاء لقلة الحصول
وضّعف الأوقاف ، وهم على الرقة كالرماح المعدة للثقاف ؛ نخذ بخواطيرهم ، ومد
آمالهم فى غائب وقتهم وحاضرهم ؛ وأشملهم بالإحسان الذى يرغبهم ، ويقل به طلبهم
لوجوه الغنى ويكثر طلبهم .

(١) عبارة "التعريف" « وإذا استقرت الأصول كانت الفروع لها تابعه » .

الطبقة الثانية

(من أرباب الوظائف الدينية أصحاب التواقيع ، وتشتمل على مراتب)

المرتبة الأولى

(ما كان يكتب فى النصف بـ «المجلس العالى» كما كان يكتب
للقضاة الأربعة أولاً ، وقد تقدم)

المرتبة الثانية

(ما يكتب فى قطع الثالث بـ «السامى» بالياء)

وأعلم أن الأصل فيما يكتب من التواقيع أن يفتح بـ «أما بعد» إلا أن الكتاب تسامحوا فيه فافتتحوا لمن علت رتبته حيث أقتضى الحال الكتابة له فى الثالث بـ الحمد لله ، وأبقوا من انحطت رتبته عن ذلك على ما كان عليه من الافتتاح بـ «أما بعد» وهأنا أورد ماسنح من ذلك مما أنشأه الكتاب فى ذلك من الافتتاحين جميعاً . ويشتمل على وظائف .

الوظيفة الأولى

(قضاء العسكر)

وقد تقدم فى المقالة الثانية أن موضوعها التحدث فى الأحكام فى الأسفار السلطانية وأن له مجلساً يحضره بدار العدل فى الحضر . وقد جرت العادة أن يكون قضاء العسكر أربعة : من كل مذهب قاض .

وهذه نسخة توقيع شريف بقضاء العسكر المنصور بالحضرة السلطانية ، وهى :

الحمد الذى رفع للعالم الشريف فى أيامنا الزاهرة منارا ، وزاد بإعلاء رتب أهله
دولتنا القاهرة رفعة ونخارا، وزان أحكامه الشريفة بحكامه الذين صلحوا فى غياهب
مشكلاته بدورا وتدققوا فى إفاضته فى الأحكام الشرعية بحارا .

نحمده على نعمه التى حلت فحلت ، ومينته التى أهلت الجود فاستهلت .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لقائلها ذخرا ، وتعل
لتمسك بها فى الملأ الأعلى ذكرا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى هو أسبق
الأنبياء رتبة وإن كان آخرهم عصرا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أضحوا
للمقتدين بهم شموسا منيرة وللمهتدين بعلمهم نجوما زهرا ، صلاة لا تزال الألسن
تقيمها ، والأسماع تستدعيها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من نوهنا بذكره ، ونهنا على رفعة قدره ، وأطلعنا ألسنة الأفلام
فى وصف مفاخره وشكره ، وأثنا قواعد مجده التى لو رام بنان البيان أسقيصاءها حال
الحصر دون حصره ، ونقدنا كلهم حكمه ورفعنا فى أندية الفضائل ألوية فنونه وأعلام
نصره ؛ من لم يزل دم الشهداء يعدل مداد أعلامه ، وتقيم منار الهدى أدلة فضائله
وشواهد أحكامه ، وتوضح الحق حتى يكاد المتأمل يلحظ الحكم لوضوحه ويصيره ،
وينصر الشرع بأمداد علمه وينصرون الله من ينصره ؛ وشيّد مذهب إمامه الإمام
الفلانى فأصبح فسيح الأرجاء وإن لم يكن فيه فسحة ، وجدّد قواعد العدل فى قضايا
عسا كرنا المنصورة فهو مشاهد من كلمه ومن نظره فى لمحه ملحه .

ولما كان فلان هو الذى نعنا بما تقدّم من الخطاب خلائقه الحسنى ، وأثنينا
على ما هو عليه من الإقبال على جوهر العلم دون التعرض إلى العرض الأدنى ؛ مع
ما حواه من مواد فضائل تركوا على كثرة الإنفاق ، وفرائد فوائد تجلب على أيدي

الطَّلَبَةُ إِلَى الْآفَاقِ ، وَقُوَّةٌ فِي الْحَقِّ ، الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ فِيهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَعَدْلٌ أَحْكَامٌ فِي الْخَلْقِ ، أَلَدَّ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى فِي جَفَنٍ نَائِمٍ - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُوَطَّدَ فِي عَسَاكِرِنَا الْمَنْصُورَةِ قَوَاعِدَ أَحْكَامِهِ ، وَنُوَطَّنَ كَلَّا مِنْهُمْ عَلَى أَنَّهُ تَحْتَ مَا يُمِضِيهِ فِي أَقْضِيَّتِهِ النَّافِذَةِ مِنْ نَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ قَضَاءُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ الشَّرِيفَةِ : عَلَى أَجَلِ الْعَوَائِدِ ، وَأَكْمَلِ الْقَوَاعِدِ ، وَأَنْ تُبَسِّطَ كَلِمَتُهُ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ . فَلِيَحْكُمُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ مِنْ عِلْمِهِ ، وَآتَاهُ مِنْ حِكْمِهِ وَحُكْمِهِ ، وَيَبَيِّنَ لَهُ مِنْ سُبُلِ الْهُدَى ، وَعَيْنَهُ لِبَصِيرَتِهِ مِنْ سُنَنِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي مِنْ حَادٍ عَنْهَا فَقَدْ جَارَ وَأَعْتَدَى ، وَلِيَقِفَ مِنَ الْأَحْكَامِ عِنْدَ مَاقَرَّرَتِهِ الشَّرِيعَةُ الْمَطْهُورَةُ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ، وَيَأْمُرُ كَلَّا مِنْ الْمُتَقَاضِينَ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ مَا حُدِّدَ لَهُ : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . وَالْوَصَايَا وَإِنْ كَثُرَتْ فَمِنْ مِثْلِهِ تَقَادُ ، وَإِنْ جَلَّتْ فَسَمْعُهُ فِي غَنَى عَمَّا يُبْدَأُ لَهُ مِنْهَا وَيُعَادُ ، وَمِمَّا كُنْهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ شِعَارُ أَنْبِيَائِهِ ، وَحِلْيَةُ يَوْمِهِ وَأَمْسِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسُدُّهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيُوقِّعُهُ لِمَا يَرْضَاهُ وَيُصَوِّتُهُ مِنَ الْخَطَا وَالْخَطَلِ .



وهذه وصية لقاضى العسكر، أوردتها في "التعريف" وهي أن يقال :

وهو الحاكم حيث لا تتفد إلا أقضية السيوف ، ولا تزدهم الغرماء إلا في مواقف الصُّفُوفِ ، وَالْمَاضَى قَلْبُهُ وَكُلُّ خَطِيٍّ يُمَدُّ بِالْدماءِ ، وَالْمَاضَى سَجِلُهُ وَقَدْ طَوَى الْعَجَاجُ كَالْكِتَابِ سَجِلَ السَّمَاءِ ، وَأَكْثَرُ مَا يُنْجَاكُم إِلَيْهِ فِي الْغَنَائِمِ الَّتِي لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَفِي الشَّرْكَةِ وَمَا تُطْلَبُ فِيهِ الْقِسْمَةُ ، وَفِي الْمِيعَاتِ وَمَا يُرَدُّ مِنْهَا بَعِيبٌ ،

وفي الديون المؤجلة وما يُحْكَم فيها بغيّب ، وكلُّ هذا مما لا يَحْتَمِل طُول الأناة في القضاء ،
وأشتغال الجند المنصور عن مواقف الجهاد بالتردد إليه بالإمضاء ، فليكن مستحضرا
لهذه المسائل ليُبَيِّن الحكم في وقته ، ويُسارع السيف المُصَلَّت في ذلك الموقف بِنَتِّه ،
وليُعلم أن العسكر المنصور هم في ذلك الموطن أهل الشهادة ، وفيهم من يكون جُرحه
تعديلاً له وزياده ، فليقبل منهم من لا تخفى عليه سيما القبول ، ولا يردّ منهم من
لا يضره أن يردّه هو وهو عند الله مقبول ، وليجعل له مستقراً معروفاً في المعسكر يُقصد
فيه إذا نُصِبَت الخيام ، وموضعاً يمشى فيه ليقضى فيه وهو سائر وأشهر ما كان
على يمين الأعلام ، وليلزم ذلك طُول سفره وفي مُدد المقام ، ولا يخالفه ليُبهم على
ذوى الحوائج فإِ هو بالصالحية بمصر ولا بالعادلية بالشام ، وليتخذ معه كتاباً تكتب
للناس وإلا فن أين يوجد مركز الشهود ، وليسجل لذي الحق بحقه وإلا فما آنسد
باب الجحود ، وتقوى الله هي التي بها تُنصر الجنود ، وما لم تكن أعلى ما يكون على
أعلام الحرب وإلا فما الحاجة إلى نشر البنود .

الوظيفة الثانية

(إفتاء دار العدل)

وموضوعها الجلوس بدار العدل حيث يجلس السلطان لفصل الحكومات ،
والإفتاء فيما لعله يطرأ من الأحكام بدار العدل . وهي وظيفة جليلة ، لصاحبها
مجلس بدار العدل يجلسه مع القضاة الأربعة ومن في معناهم .

وهذه نسخة توقيع لمن لقبه « جمال الدين » يُنسخ على منوالها ، وهي :

الحمد لله جعل العلم للدين جمالاً ، وللدنيا عصمةً وثملاً ، ولأسباب النجاة
والنجاح شارةً إذا تحلى بها ذو التميز كان أحسن ذوى المراتب حالاً ، وأجلهم

فى الدارين مَبْدَأُ وَمَآلَا ، وَأَحَقَّهُمْ بِرَبَّةِ التَّفْضِيلِ الَّتِى ضَرَبَتْ لَهَا السَّنَةُ الْمُطَهَّرَةُ
فَضْلَ الْبَدْرِ عَلَى الْكَوَاكِبِ مِثَالًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِى خَصَّتْ دَارَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِأَكْفَائِهَا ، وَأَصْطَفَتْ
لَنَا قُرْبَ مِنْ مَجْلِسِنَا الْمَعْظَمِ مَنْ دَلَّ عَلَى أَنَّ التَّأْيِيدَ قَرِينُ أَصْطَفَائِهَا .

وَنُشْهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَفْتَرُّ عَنْ شَنْبِ الصَّوَابِ ،
تَغْرِهَا ، وَيَتَفَتَّحُ عَنْ فَضْلِ الْخُطَابِ ، زَهْرُهَا ؛ وَنُشْهِدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الْمَخْصُوصُ بِحُكْمِ التَّنْزِيلِ ، الْمَنْصُوصُ فِي الصُّحُفِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى ذِكْرِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ
عَامِلُوهُمْ كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَءِيلَ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هُمْ كَالْجُجُومِ
الْمُشْرِقَةِ ، مِنْ اقْتَدَى بِهِمْ أَهْتَدَى ، وَكَالْجُجُومِ الْمَحْرِقَةِ ، مِنْ أَعْتَدَى وَجَدَ مِنْهَا شَهَابًا
رَصَدًا ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا أَرْتَدُّنَا لَهُ مِنْ رِيَاضِ الْعِلْمِ مَنْ سَمَّا فِيهِ فَرْعُهُ ، وَرَحَّبَ بِتَلَقَّى أَنْوَاعِ
الْعُلُومِ ذَرْعُهُ ؛ وَبَسَقَتْ فِي فُنُونِ الْفَضَائِلِ أَفْنَانُهُ ، وَنَسَقَتْ فَرَائِدَ الْفَوَائِدِ فِي سَلَكِ
الطُّرُوسِ بَنَانُهُ - فُتِيَا دَارَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ الَّتِى أَحْكَمْنَا لَهَا تَابِعَهُ ، وَأَعْصَانُ الْعَدْلِ
بِمَارِ فَتَاوِيهَا مُورِقَةٌ يَابِعُهُ ، وَأَعْيُنُنَا إِلَى أَفْوَاهِ مُفْتِيهَا رَامِقَةٌ وَأَذَانُنَا لِمَقَالَاتِهِمْ سَامِعَةٌ .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ ثَمَرَةُ هَذَا الْإِرْتِيَادِ ، وَخُبَّةُ هَذَا الْإِتْقَادِ ؛ الْمَعْقُودُ عَلَيْهِ فِي اخْتِيَارِ
الْعُلَمَاءِ بِالْخَنَاصِرِ ، وَالْعَرِيقُ فِي أَصَالَةِ الْعُلُومِ بِأَصَالَةٍ ثَابِتَةِ الْأَوَاصِرِ ؛ وَالَّذِى إِذَا أَجَابَ
تَدَفَّقَتْ أَنْوَاءُ الْفَوَائِدِ ، وَتَأَلَّقَتْ أَضْوَاءُ الْفَرَائِدِ ، وَأَتَّخَذَتْ مَسَائِلَ فِقْهِهِ قَوَاعِدَ
تَتَرَبَّعَ الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ عَلَيْهَا وَمَصَادِرُ وَحْيِهِ مَوَارِدَ - اقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ
أَنْ نُزَيِّنَ بِهِجَةَ هَذِهِ الْوُضُفَةِ بِجَمَالِهِ ، وَنُنَزِّهَ إِشْرَاقَهَا بِنُورِ فَضَائِلِهِ الَّتِى لَوْ قَابَلَهَا بِدُرِّ الْإِفْقِ
نَازَعَتْهُ حُلَّةُ كَمَالِهِ .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لا زالت أحكامه مع أوامر الشرع الشريف واقفه ، ومعِدته الشريفة باقتفاء آثار الحق لمُشْتِكَات الظلم كاشفه - أن يفوض إليه كذا : فليُباشِر هذه الوظيفة السنية مَفَجِّراً يَنابِيع العلوم في أرجائها ، محققاً للفتاوى بتسهيل مواردها وتقريب أوحائها ، موضحاً طُرُقها بإقامة براهينه وأدلتها ، مُبْدِياً دقائقها التي يُشْرِق بها أفق الفكر إشراق السماء بنجومها والأفق بأهليته ، مُظْهِراً من غوامضها ما يُقَرِّب على الأفهام مناله ، ويُفَسِّح لحياد القرائح بحاله ، وينقِّح لكل ذي ترويةٍ ولكل مرتجل بديهةٍ وأرتجاله ؛ فإنه الكامل الذي قطع إلى بلوغ الغاية مسالك اللبالي ، والإمام الذي غاص فكره من كل بحر لجج المعاني فاستخرج منها مكنون الآلى ؛ مع أن علمه المهذب غنى عن تنبيه الوصايا ، مليٌّ بما يلزم هذه الوظيفة من الخصائص والمزايا ؛ فإن البحر يابى إلا تدققاً ، والبدر إلا تألقاً ؛ والله تعالى يزيد من فضله ، ويزين به أفق العلم ويزيد منادئنا قرب محله .

الوظيفة الثالثة

(الحسبة)

وقد تقدم أن موضوعها التحدث على أرباب المعاش والصنائع ، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته . وحاضرة الديار المصرية تشتمل على حسبتين :

(١) الأولى - حسبة القاهرة : وهى أعلاهما قدراً ، وأخفهما رتبةً ؛ ولصاحبها مجلس بدار العدل مع القضاة الأربعة وقضاة العسكر ومفتي دار العدل وغيرهم . وهو يتحدث في الوجه البحري من الديار المصرية في ولاية الثواب وعزلهم .

(١) أى والثانية حسبة الفسطاط التى سيأتى لها توقيع بعد صفحات .

قلت : ولم تزل الحِسْبَةُ تُؤَلَّى للتعممين وأرباب الأقاليم إلى الدولة المؤيَّدية شيخ ،
فولَّاهَا للأمير سيف الدين منكلى بغا الفقيه أمير حاجب مضافة إلى الجُوبِيَّة . على
أنَّ فى سِجَلَات الفاطميين ما يشهد لها فى الزمن المتقدم . وربما أُسْنِدَتْ حِسْبَةُ
القاهرة إلى والى القاهرة ، وحِسْبَةُ مصر إلى والى مصر .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهى :

الحمد لله مجدِّد عوائد الإحسان ، ومُجْرِى أولياء دولتنا القاهرة ، فى أيامنا الزاهرة ،
على ما أَلْفَوْه من الرُّبِّ الحِسان ، ومضاعِفِ نِعْمنا على من آجَتْنى لنا بحُسن سِيرته
الدعاء الصالح من كل لسان .

نحمده على نِعْمه التى لا تُحصى بِعَدِّها ، ولا تُحْصَر بِحَدِّها ؛ ولا تُسْتَرَادُّ بِغَيْرِ شُكْرِ آلَاءِ
المنعم وَحَمْدِهَا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نُقِيمُها فى كُلِّ حُكْم ، وتحاولُ
سيوفنا جاحديها فنَهْضُ فنَنْطِقُ بالحجة عليهم وهم بكم ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
أشرف من أُنْتَمَر بالعدل والإحسان ، وأعدل أمير أُمته بالوزن بالقسط وأن لا يُخْسِرُوا
الميزان ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أَحْتَسِبُوا فى سبيل الله جُلَّ عَنَادِهِمْ ،
وَأَحْتَسِبُوا أَنْفُسَهُمْ فى مقاطعة أهل الكُفْرِ وَجِهَادِهِمْ ؛ فلا تُتَهَبَّ جَنَائِبُها فى الوجود ،
وتَسْرَى نَجَائِبُها فى التَّهَانِمِ والتَّجُود ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنَّ أَوَّلَى مَنْ دعاه إحساننا لرفع قدره ، وإنارة بَدْرِهِ ؛ وإِعْلَاءِ رُتْبَتِهِ ،
وإِدْناء منزلته ؛ وإِعْلَامِ مُحْلِصِ الأولياء بمضاعفة الإحسان إليه أن الله لا يُضِيعُ أَجْرَ
مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ، وأنَّ كَرَمنا لا يُحِبُّ لِمَنْ أسلف سَوَاقِ طَاعَتِهِ فى أيامنا الشريفة
أَمَلًا ؛ مَنْ لم تَزَلْ خِدْمَتُهُ السَّابِقَةُ إلى الله مَقَرَّبَهُ ، وعن طُرُقِ الهوى مُنَكَّبَهُ ، وبالله

مُدَّكَرُهُ ، وعلى الباقيات الصالحات من الأعمال موقَّره ؛ مع ما أضافه إلى ذلك من أمرٍ
بمعروف ، وإغاثة ملهوف ؛ ونهي عن منكر ، واحتساب في الحق أتى فيه بكل ما تُحمد
خلائقه وتُشكر ، واجتناب لأعراض الدنيا الدنيَّة ، واجتهاد لما يُرضى الله ويرضينا
من أتباع سِيرَتِنا السَّريَّة ؛ وشِدَّة في الحق حتَّى يُقال به ويقام ، ورفق بالخلق
إلا في بدع تنتهك بها حرمة الإسلام ، أو غش إن لم يُخص ضرره الخاص فإن ذلك
يُعمُّ العام .

ولما كان فلان هو الذي اختص من خدمتنا ، بما رفعه لدينا ، وأسلف من
طاعتنا ، ما آقضى تربيته منا واستدعاه إلينا ، ونهض فيما عدَّناه به من مصالح
الرايا وكان مشكور المساعي في كل ماعرض من أعماله في ذلك علينا - آقضى رأينا
الشريف أن يفوض إليه كذا ، فليستقر في ذلك مجتهدا في كل ما يعم البرايا نفعه ،
ويجمل لديهم وقعه ؛ ويمنع من يتعرض باليسار ، إلى ما لهم بغير حق ، أو يضيق
بالاحتكار ، على ضعفائهم ما بسط الله لهم من رزق ؛ ويدب عنهم بإقامة الحدود شبه
تعطيلها ، ويعرفهم بالمحافظة على الحق في المعاملات قواعد تحريمها وتحليلها ؛ ويريمهم
بالإنصاف منار القسطاس المستقيم لعلهم يُصرون ، ويؤدَّب من يجد فيهم من
المطففين : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَكَّالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾
ويأمر أهل الاسواق بإقامة الجماعات والجمع ، ويقابل من تخلف عن ذلك بالتأديب
الذي يردع من أصر فيه على المخالفة ويزع ؛ ويلزم ذوي الهيئات بالصيانة التي تُناسب
مناصبهم ، وتوافق مراتبهم ، وتنزه عن الأدناس مكاسبهم ، وتصون عن الشوائب
شاهدتهم وغائبهم ؛ ولا يمكن ذوي البيوع أن يغبنوا ضعفاء الرايا وأغبياءهم ،
ولا يفسح لهم أن يرفعوا على الحق أسعارهم ويخسوا الناس أشياءهم .

وليحمل كلاً منهم على المعاملات الصحيحة ، والعقود التى غدت لها الشريعةُ
 الشريفةُ مُبيحةً ، ويحجّبهم العقودُ الفاسدةُ ، والحيلُ التى تُغترّبتد ليس السِّلَعُ الكاسدةُ ؛
 وهو أخبر بالبيع المنصوص على فسادها فى الشرع الشريف ، وأدرك بما فى عدم
 تحريرهم المكاييلَ والموازينَ من الإخسار والتطفيف ؛ فليُفعل ذلك فى كل
 ما يجب ، ويحتسب فيه ما يدّخره عند الله ويحتسب ؛ ولتكن كلمته فى ذلك مبسوطه ،
 ويدّ تصرفه فى جميع ذلك مُحيطه وبما يستند إليه من أوامره مُحوطة ؛ ولْيُوص نُوابه
 بمثل ذلك ، ويوضح لهم بإشارة طريقته كلّ حالٍ حالٍ ؛ ويقدم تقوى الله على كلّ
 أمر ، ويتّبع فيه رضا الله تعالى لارضا زيد وعمرو ، والخطُ الشريفُ أعلاه .



وهذه نسخة توقيع من ذلك بحسبة القُسطاط المعبر عنه الآن بمصر عوداً
 إليها ، وهى :

الحمد لله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، الشاهد بالعدل الذى تقوى به كلمةُ
 الإيمان وتُتصرّ ، والغامر بالجوّد الذى لا يُحصى والفضل الذى لا يُحصّر ، العامر
 ربوع ذوى البيوت بتقديم من أُنعت الخناصر على فضله الذى لا يُجحد ولا ينكر .
 نحمده على نعمه التى لا تزال السنةُ الأقالام تُرقم لها فى صُحف الإنعام ذكراً ،
 وتجدد لها بإصابة مواقع الإحسان العامُّ شكراً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تصدّع بنورها ليل الشرك
 فيُؤل فجراً ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى قمع الله به من أغتر بالمعاصى
 وغرّر ، وأقام بشريعته لواء الحق الأظهر ومَنار العدل الأظهر ، وعلى آله وصحبه

الذين سلكوا من الهداية بإرشاده مَنَحَ الحق الأنور ، وأَحَبَّسُوا نفوسهم في نُصْرته
فَفَازُوا من رضاه بالخط الأوفى والنصيب الأوفر .

وبعد ، فإن الله تعالى لما جعل كلمتنا المبسوطة على العدل والإحسان مقصورة ،
وأوامرنا الشريفة بإقامة منار المعروف مؤيدة منصورة ، وأحكامنا المشهورة
بالإنصاف في صحائف الدهر بالمحاسن مسطوره ، وألهمنا من اتباع الشرع الشريف
ما غدت به قلوب الرعايا آمنة مسروره - قصدنا أن نختار لمراتب الديانة والعفاف
من لم يزل بيته بالصدارة عليا ، ووصفه بأنواع المحامد والمآدح مليا .

ولما كان فلان هو الذي ورث السيادة ، عن سلف طاهر ، وتلقى السعادة ،
عن بيت فروعه التقوى فأزرت بالروض الزاهي الزاهر ، وسرت سريره بحسن سيرته
وسيره ، وأبطن من الديانة ما أظهرته أدلة خيره ، ونقل في المراتب الدينية فأرْبَى
في حسن السلوك على غيره ؛ وسلك من الأمانة الطريق المثلى ، وأَعْتَمَدَ ما عَدِمَ به
مُضَاهِيَا وَمِثْلَا ؛ وجنى ما نطق بإنصافه فضّل الكيل والميزان ، ورجاه من أهل
الخير كل ذي إحسان وخشية أهل الزينج والبهتان ؛ وكانت الحسبة المباركة بمصر
المحروسة قد ألفت قضاياه وأحكامه ، وعرفت بالخبر معروفه وشكرت نقضه
وإبرامه ؛ وفارقها على رِغْمِهَا منه اختيارا ، وعادت له خاطبة عقيمة نزاhtm التي
لا تُجَارَى .

فلذلك رَسِمَ بالأمر الشريف العالى أن يفوض إليه كذا . فليقدم خيرة الله
في مباشرة هذه الوظيفة ، وليقيم منارها بإقامة حدودها الشريفة ؛ ولينظر في الكيل
والميزان اللذين هما لسان الحق الناطق ، ولينشر لواء العدل الذي طالما خفقت
بنوده في أيامنا حتى غدا قلب المجرم وهو خافق ؛ وليحسن النظر في المطاعم

والمشارب ، وَلَيَرَدَّعَ أَهْلَ الْبَدْعِ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ فِيهِ - بحمد الله تعالى - من حُسْنِ الْأُمْعِيَّةِ مَا يُغْنِي عَنْ الْإِسْهَابِ فِي الْوَصَايَا ، وَيُعِينُ عَلَى السَّدَادِ فِي نَفَازِ الْأَحْكَامِ وَفَصْلِ الْقَضَايَا ؛ وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الْحَسِيرُ بِمَا يَأْتِي وَيَذَرُ ، وَالصَّدْرُ الَّذِي لَا يَعْدُو الصَّوَابَ إِنْ وَرَدَ أَوْ صَدَرَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْمُرُ بِهِ لِلْعَدْلِ مَعْلَمًا ، وَيَكْسُوهُ بِالْإِقْبَالِ فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ ثَوْبًا بِالثَّوَابِ مُعْلَمًا ، وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ .



وهذه وصية محتسب أوردها في "التعريف" وهى :

وَقَدْ وَلَّى أَمْرَ هَذِهِ الرُّتْبَةِ ، وَوَكَّلَ بَعَيْنَهُ النَّظْرُ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُ حِسْبُهُ ؛ فَلْيَنْظُرْ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ ، وَالكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ ؛ وَمَا يُخَصَّرُ بِالْمَقَادِيرِ وَمَا لَا يُخَصَّرُ ، وَمَا يُؤَمَّرُ فِيهِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ يُنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ ؛ وَمَا يُشْتَرَى وَيُبَاعَ ، وَمَا يُقَرَّبُ بِتَحْرِيرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبْعَدُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا قَدْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ ؛ وَكُلَّ مَا يُعْمَلُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي نَهَارٍ أَوْ لَيْلٍ ، وَمَا لَا يُعْرَفُ قَدْرُهُ إِلَّا إِذَا نَطَقَ لِسَانُ الْمِيزَانِ أَوْ تَكَلَّمَ فَمُ الْكِيلِ . وَلِيُعْمَلَ لَهُ مَعْدَلًا لِكُلِّ عَمَلٍ ، وَعِيَارًا إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْمَعَايِيرُ يُعْرَفُ مَنْ جَارٍ وَمَنْ عَدْلٍ ؛ وَلِيَتَفَقَّدَ أَكْثَرُ هَذِهِ الْأَسْبَابِ ، وَيَحْذَرُ مِنَ الْغَشِّ فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُهُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ ؛ وَلِيَتَعَرَّفَ الْأَسْعَارَ وَيَسْتَعْلِمَ الْأَخْبَارَ ، فِي كُلِّ سَوْقٍ مِنْ غَيْرِ إِعْلَامٍ لِأَهْلِهِ وَلَا إِشْعَارٍ ، وَلِيُقِيمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأُمْنَاءِ مَنْ يَنْوِبُ عَنْهُ فِي النَّظَرِ ، وَيَطْمَئِنُّ بِهِ وَإِنْ غَابَ إِذَا حَضَرَ ؛ وَيَأْمُرْهُ بِإِعْلَامِهِ بِمَا أَعْضَلَ ، وَمَرَاஜَعَتِهِ مِمَّا أَمَكَّنَ فَإِنَّ رَأْيَ مُثْلِهِ أَفْضَلُ . وَدَارُ الضَّرْبِ وَالتَّقْوُدِ الَّتِي مِنْهَا تَنْبُثُ ، وَقَدْ يَكُونُ فِيهَا مِنَ الزَّيْفِ مَا لَا يَظْهَرُ إِلَّا بَعْدَ طَوْلِ اللَّبْثِ ؛ فَلْيَتَصَدَّ لِمَهْمَّاتِهَا بِصَدْرِهِ الَّذِي لَا يَخْرُجُ ،

وَلْيَعْرِضْ مِنْهَا عَلَى الْحَكِّ مِنْ رَأْيِهِ مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ بَهْرَجٌ ، وَمَا يُعَلِّقُ مِنَ الذَّهَبِ
 الْمَكْسُورِ وَيُرَوِّصُ مِنَ الْفِضَّةِ وَيُخْرِجُ ، وَمَا أَكَلَتِ النَّارُ كُلَّ لِحَامِهِ أَوْ بَعْضُهُ فَلْيُقِمِ
 عَلَيْهِ مِنْ جِهَتِهِ الرِّقْبَاءَ ، وَلْيُقِمِ عَلَى شَمْسِ ذَهَبِهِ مَنْ يَرْقُبُ مِنْهُ مَا تَرْقُبُ مِنَ الشَّمْسِ
 الْحَرْبَاءَ ، وَلْيُقِمِ الضُّمَانَ عَلَى الْعَطَّارِينَ وَالطُّرُقِيَّةَ مِنْ بَيْعِ غَرَائِبِ الْعَقَاقِيرِ إِلَّا مَنْ
 لَا يَسْتَرَابُ فِيهِ وَهُوَ مَعْرُوفٌ ، وَبَحْطُ مَتَطَبِّبٍ مَاهِرٍ لِمَرِيضٍ مَعِينٍ فِي دَوَاءٍ مَوْصُوفٍ .
 وَالطُّرُقِيَّةُ وَأَهْلُ النِّجَامَةِ وَسَائِرُ الطَّوَائِفِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى سَاسَانٍ ، وَمَنْ يَأْخُذُ أَمْوَالَ
 الرِّجَالِ بِالْحِيلَةِ وَيَأْكُلُهُمُ بِاللِّسَانِ ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ سَوْءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ
 شَيْطَانٌ لَا إِنْسَانٌ ، أَمْنَعُهُمْ كُلِّ الْمَنْعِ ، وَأَصْدَعُهُمْ مِثْلَ الزُّجَاجِ حَتَّى لَا يُجْبِرَ لَهُمْ
 صَدْعٌ ، وَصُبَّ عَلَيْهِمُ النَّكَالُ وَإِلَّا فَمَا يُجِدِي فِي تَأْدِيبِهِمْ ذَاتُ التَّأْدِيبِ وَالصَّفْعِ ،
 وَأَحْسِمُ كُلَّ هَذِهِ الْمَوَادِّ الْخَبِيثَةِ ، وَأَقْطَعُ مَا يُجَدِّدُ ضَعْفَاءُ النَّاسِ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ
 الرَّثِيثَةِ ، وَمَنْ وَجَدَتْهُ قَدْ غَشَّ مَسَامًا ، أَوْ أكلَ بِيَاطِلٍ دِرْهَمًا ، أَوْ أَخْبَرَ مَشْتَرِيًّا
 بَزَائِدٍ ، أَوْ خَرَجَ عَنْ مَعْهُودِ الْعَوَائِدِ ، أَشْهَرُهُ فِي الْبَلَدِ ، وَأَرْكَبُ تِلْكَ الْآلَةَ قَفَاهُ حَتَّى
 يَضْعُفَ مِنْهُ الْجَسَدُ ، وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَكَاتِبِ وَعَالِمَاتِ النِّسَاءِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ
 الْأَنْوَاعِ مِمَّنْ يُخَافُ مِنْ ذَنْبِهِ الْعَائِثِ فِي سِرْبِ الظُّبَاءِ وَالْجَاذِرِ ، وَمَنْ يُقَدِّمُ عَلَى ذَلِكَ
 وَمِثْلِهِ وَمَا يُحَاذِرُ ، أَرْشَقَهُمْ بِسَهَامِكَ ، وَزَلَزِلْ أَقْدَامَهُمْ بِإِقْدَامِكَ ، وَلَا تَدْعُ مِنْهُمْ
 إِلَّا مَنْ أَخْتَبَرْتَ أَمَانَتَهُ ، وَأَخْتَرْتَ صِيَانَتَهُ . وَالنُّوَابُ لَا تَرْضَى مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يُحْسِنُ
 نَفَادًا ، وَيُحْسِبُ لَكَ أَجْرَ اسْتِنَائِهِ إِذَا قِيلَ لَكَ مَنْ أَسْتَنْبَتَ فَقُلْتَ هَذَا ، وَتَقَوَّى
 اللَّهُ هِيَ نَعْمُ الْمَسَالِكِ ، وَمَا لَكَ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْنَاهُ بَلْ أَكْثَرُهُ إِلَّا إِذَا عَمِلْتَ فِيهِ
 بِمِزْجٍ مَالِكٍ .

الوظيفة الرابعة

(وَكَالَةُ بَيْتِ الْمَالِ)

وهى وظيفة عظيمة الشأن رفيعة المقدار ، وقد تقدّم أن موضوعها التحدّث فيما يتعلّق بمبيعات بيت المال ومشترواته^(١) : من أرض وأدر وغير ذلك مما يجرى هذا الجرى ، وأنّ متولّيها لا يكون إلا من أهل العلم والديانة ، وأنّ له مجلساً بدار العدل : تارة يكون دون مجلس المحتسب ، وتارة فوق مجلسه ، بحسب رفعة قدر كل منهما فى نفسه . وقد أضيف إليها فى المباشرة نظركسوة الكعبة الشريفة وصاروا كالوظيفة الواحدة .

وهذه نسخة توقيع بوكالة بيت المال :

الحمد لله جامع المناصب الدينية ، لمن خطبته لها رتبتان : العلم والعمل ، ومكمل الرتب السنية ، لمن وجدت فيه أهبتان : الورع والتقوى وعُدّت منه خلتان : الحرص والأمل ، جاعل اختصاص الرتب بكفائها حلية الدول ، والنظر فى مصالحها الخاصة والعامة زينة أيامنا التى نلتفت إلى محاسنها أجياد الأيام الأول .

نحمده على نعمه التى عصمت آراءنا من اعتراض الخلل ، وأمضت أوامرنا من مصالح الأمة بما تسرى به المحامد سرى النجوم ويسير به الشكر سير المثل .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لم نزل نستنطق بها فى الجهاد ، السنة الأسفل ، ونوقظ لإقامتها عيون جلاد ، لها الغمود جفون والسهام أهداب ، والسيوف مقل ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أظهر الله دينه على الأديان وشرف ملته على الملل ، وأسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى سدره

(١) جرى على اللغة العامة والافصواب العربية مشترياته بالياء .

المنتهى وعاد ولم يكمل الليل بين السير والقفل ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هجروا في المهاجر إليه الأحياء والحلل ، وشفوا بأسنة سنته العلال والغلال ، وتفردوا بكمال المفاحر فإذا خلعت الأقلام على أوصافهم حلا غدت منها في أبهى من الحلل ، صلاة تتوالى بالعشى والإبكار وتتواتر في الإشراق والطفل ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الرتب بإنعام النظر في آرتياد أكفائها ، وانتقاد فرائد الأعيان لها وانتقائهما ، واستخارة الله تعالى في اختيار من يكون أمر دينه هو المهم المقدم لديه ، واستنارة التوفيق في اصطفاء من يكون مهم آخرته هو المرئى المصور بين عينيه ، مع ما أتصف به من محاسن سجايا جليت عليها طباعه ، وخُصَّ به من سوابق مزايا رُحِبَ بها في تلقى المصالح الدينية صدره وباعه ، رتبتان يعم نفعهما ويخص ، ويحسن وقعهما بما يُبْديه من أوصافه ويقص ، ويتعلق كل منهما بجماعة الأمة فردا فردا ، ويشتملان على منافعه على اختلافها بدءا وإعادة وعكسا وطردا ، ويكون المتصدى لهما مناقشا على حقوقهم وهم ساهون ، ومفتشا عن مصالحهم وهم عنها لاهون ، ومناضلا عنهم وهم غافلون ، ومشمررا للسعى في مصالحهم وهم في حبر الدعة رافلون ، ومتكلفا لاستماع الدعوى عنهم جوب فلوات الجواب ، ومتكفلا بالتحزى في المحاورة عنهم وإصابة شكلة الصواب ، ومؤديا في نصيحهم جهده تقربا إلى مرآضينا وله عندنا الرضا وابتغاء ثواب الله : (والله عنده حسن الثواب) وهما وكالة بيت المال المعمور والحسبة الشريفة بالقاهرة المحروسة : فإن منافع وكالة بيت مال المسلمين عائدة عليهم ، آتلة بأحكام الشريعة المطهرة إليهم ؛ راجعة إلى ما يعمهم مساره ، معدة لما تدفع به عنهم من حيث لا يشعرون مضاره ؛ صائنة حقوقهم من تعدي الأيدي الغاصبه ، حافظة بيوت أموالهم من اعتراض الآمال

العاملة الناصبه ؛ وكذلك نظر الحسبة : فإنه من أخص مصالح الخلق وأعمها ،
 وأكد الوظائف العامة وأكملها استقصائية لإصلاح الدينية والدينية وأتمها ، يحفظ
 على ذوى الهيئات أقدارهم ؛ ويمن بتجنب الهنات فى الصدر مقدارهم ، ويصون
 بتوقى الشبهات إيرادهم وإصدارهم ؛ وينزه معاملاتهم عن فساد يعارضها ، أو شبه
 تنافى كمال الصحة وتناقضها ؛ ويحفظ أوقاتهم من غش متلف ، أو غلو مجحف ؛
 إلى غير ذلك من أدوية لا بد من الوقوف على صحة ترتيبها وتركيبتها ، وتتبع الأقوال
 التى تجرى بها الثقة إلى غاية تجريبها ؛ ولذلك لا تجمعان إلا لمن أوقفه علمه على جادة
 العمل ، واقتصر به ورعه على مادة الحق فليس له فى التعرض إلى غيره أمل ؛
 وسمت به أوصافه إلى معالم الأمور فوجد التقي أفضل ما يرتقى ، وعرضت عليه
 أدواته جوهر الذخائر فوجد العمل الصالح أكمل ما ينتقد منها وما ينتقى ؛ وتحلى
 بالأمانة ، فصارت له خلقا وسجية ، وأنس بالنزاهة ، فكانت له فى سائر الأحوال للنجاة
 نجيته ؛ وأرته فضائله الحق حيث هو فتمسك بأسبابه ، وتشبث بأهدائه ، وأنصف
 به فى سائر أحواله فإن أخذ أخذ بحكمه وإن أعطى أعطى به ؛ وأحترز لدينه
 فهو به ضنين ، وأستوثق لأمانته وإن لم يكن فيها بحمد الله متهم ولا عليها بظنين ،
 واجتنى ثمار المحامد الحلوة من كيام الأمانة المره ، وعلم أن رضا الله تعالى فى الوقوف
 مع الحق فوقف معه فى كل ماساءه للخلق وسره .

ولما كان فلان هو الذى أمسكت الفضائل بما كملها من آداب نفسه ونفاسه
 آدابه ، وتجاذبته الرتب للتحلى بمكانته فلم تكن هذه الرتبة بأحق به من مجالس العلم
 ولا أولى به ؛ وشهدت له فضائله معنى بما شهدت له به الأئمة الأعلام لفظا ،
 ونوهت بذكره العلوم الدينية التى أتقنها بحثا وأكملها دراية وأثبتها حفظا ؛ فأوصافه
 كالأعلام المشتقة من طباعه ، الدالة بدوامها على انحصار سبب الاستحقاق فيه

وَأَجْتَمَاعِهِ ؛ الْمُنْبَهَةِ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِهَذِهِ الْإِشَارَاتِ الَّتِي وَرَاءَهَا كُلُّ مَا يَجْمَدُ مِنْ
أَصْطِلَاعِهِ بِقَوَاعِدِ هَذِهِ الرُّتَبِ وَأَطْلَاعِهِ ؛ فَهُوَ سِرٌّ مَا ذُكِرَ مِنْ نَعَوَاتٍ وَأَوْصَافٍ ،
وَمَعْنَى مَا شَهَرَ مِنْ مَعْدَلَةٍ وَإِنْصَافٍ ، وَرُقُومٍ مَاحِبٍّ مِنْ حُلَلٍ أَفِيضَتْ مِنْهُ عَلَى أَجْمَلِ
أَعْطَافٍ - رُسَمٍ ^(١) أَنْ يَفُوزَ ^(١) تَفْوِيضًا يَقَعُ بِهِ الْأَمْرُ فِي أَحْسَنِ
مَوَاقِعِهِ ، وَنَضَعَ بِهِ الْحُكْمَ فِي أَحْمَدِ مَوَاضِعِهِ ؛ وَيَحُلُّ مِنْ أَجْيَادِ هَذِهِ الْمَنَاصِبِ مَحَلَّ
الْفَرَائِدِ مِنَ الْقَلَائِدِ ، وَيَقَعُ مِنْ رِيَاضِ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ وَقُوعَ الْحَيَا الَّذِي سَعِدَ بِهِ
رَأَى الرَّائِدَ .

فَلْيَبْشُرْهُمَا تَيْنِ الْوُظُفِيَّتَيْنِ مُرْهَفًا فِي مَصَالِحِهِمَا هِمَّةً غَيْرَ هِمَّةٍ ، مُجْتَهِدًا مِنْ قَوَاعِدِهِمَا ^(٢)
فِيمَا تَبَرَّأَ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ مِنَّا وَمِنْهُ الذَّمُّ ، مُحَاقِقًا عَلَى حُقُوقِ بَيْتِ الْمَالِ حَيْثُ كَانَتْ
مُحَاقَقَةً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَطْلُوبٌ بِذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ ؛ مُتَحَرِّيًا لِلْحَقِّ فَلَا يَغْدُو لِمَا يَجِبُ
لَهُ مُهْمَلًا ، وَلَا لِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مُمَاطِلًا ، وَاقِفًا مَعَ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى الْجَلِيلِيِّ فِي الْأَخْذِ
وَالْعَطَاءِ فَإِنَّهُ سَيَّانٍ مَنْ تَرَكَ حَقًّا أَوْ أَخَذَ بَاطِلًا ؛ مُجَرِّيًا عَوَائِدَ الْحِسْبَةِ عَلَى مَا أَلْفَ مِنْ
تَدْيِيرِهِ ، وَعُرِفَ مِنْ إِتْقَانِهِ وَتَحْرِيرِهِ ، وَشَهَرَ مِنْ أَعْتِمَادِهِ لِلوَاجِبِ فِي سَائِرِ أُمُورِهِ ؛
مُكْتَفِيًا بِمَا أَطَّلَعَ عَلَيْهِ قَدِيمًا مِنْ مَصَالِحِهَا ، مُنْتَهِيًا إِلَى مَا سَبَقَتْ مَعْرِفَتُهُ بِهِ مِنْ
أَسْبَابِهَا وَمَنَاجِحِهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّقُهُ فِي أَجْتِهَادِهِ ، وَيُعِينُهُ عَلَى مَا يَدَّخِرُهُ لِمَعَادِهِ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصية وكيل بيت المال أوردتها في "التعريف" :

وهو الوكيل في جميع حقوق المسلمين وماله معهم إلاحق رجل واحد ، والمكلف
بالمخاصمة عنهم حتى يُقَرَّ الجاحد ؛ وهو القائم للدعوى لهم وعليهم ، والمطلوب من الله

(١) بياض في الموضوعين والغرض منه الاختصار والمبيض له مفهوم مما تقدم مرارا . (٢) أى غير ضعيقة .

ومناً بما يُؤخذ لهم أو يُؤخذ من يديهم ؛ والمُعَدُّ لتصحيح العقود ، وترجيح جهة بيت المال فى العقار المبيع والتمن المنقود ؛ والمتكلم بكتاب الوكالة الشرعية الثابتة ، والثابت القدم والأقدام غير ثابتة ؛ والمفسوح المجال فى مجالس الحكم ، والمجادل بلسان الحق فى الأحكام ؛ والموقوفة كل دعوى لم تُسمع فى وجهه أو فى وجه من أذن له فى سماعها ، والمرجوع إليه فى إمامة كل مخاصمة حصل الضجر من طول نزاعها ؛ وإبداء الدوافع ، ما لم يجد بداً من الإشهاد عليه بعدم الدافع ، والانتهاى إلى الحق كان له أو عليه ولا يقف عند تثقيل مثقل ولا شفاعة شافع ، وبوقوفه تُحدد الحدود [وتمتحن الشهود] ^(١) ويمشى على الطرق المستقيمة ، وتُحفظ لأصحابها الحقوق القديمة ؛ وبه يتم عقد كل بيع وإيجار إذا كانت المصلحة فيها لعامة المسلمين ظاهره ، ولهم فيما يوكل عنهم فيه الحظ والغبطة بحسب الأوقات الحاضرة .

ونحن نوصيه فى ذلك كله بالعمل بما علم ، والانتهاى فى مقتضى قولنا إلى ما فهم ؛ وتقديم تقوى الله فإنه متى قدمها بين يديه سلم ، والوقوف مع رضا الله تعالى فإنه متى وقف معه غنم ؛ والعمل بالشرع الشريف كيفما توجهت به أحكامه ، والحد من الوقوف فى طريقه إذا نفذت سهامه ؛ ومن مات وله ورثة معروفة تستكمل بحققها ميراثه ، وتحوز بحظها ثرائه ؛ لا يكلفهم ثبوتاً يكون من باب العنت ، والمدافعة بحق لا يحتاج ^(١) [مستحقه] إلى زيادة ثبت ؛ وإنما أنت ومن كانت قضيته منكروه ، والمعروف من مستحق ميراثه نكره ؛ فأولئك شدد فى أمرهم ، وأوط شهداءهم فى الاستيفار منهم على جرمهم ؛ ونتبع باطن الحال لعله عنك لا يتستر ، ولا يمشى عليك فيه الباطل ويمشى شاهد الزور بكيمه ويتبخر ؛ فإن تحققت صحة شهاداتهم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٣٢ .

وإلا فأشهرهم في الدنيا ودعهم في الآخرة لا يخفف عنهم العذاب ولا يفتّر؛ وكل ما يباع أو يؤجر أرجع فيه إلى العوائد، وتقلّد أمر الصغير، وجدّد لك أمراً منّا في الكبير، وذلك بعد مراعاة ما تجب مراعاته، والثاني كلّ الثأني حتى يثبت ما ينبغي إثباته؛ وشهود القيمة عليهم المدار، وبشهادتهم يُقدّر المقدار؛ وما لم يكونوا من ذوى الأقدار، ومن أهل الخبرة بالبرّ والجدار، ومن أشتري العقار وأستغله وبني الدار؛ وإلا فاعلم أنّ مثله لا يرجع إليه، ولا يعول ولا سيما في حق بيت المال عليه؛ فاتفق^(١) مع ولاية الأمور من أهل الأحكام، على تعيين من تعين لتقليد مثل هذه الشهادة، وتعرف منهم من له كلّ الخبرة حتى تعرف أنه من أهل الزهادة؛ ولك أن تدعى بحق المسلمين حيث شئت ممن ترى أن حقه عنده يترجّح، وأن بيتهم تكون عنده أوضح؛ فأما الدعوى عليك فمن عاداتها أن لا تُسمع إلا في مجلس الحكم العزيز الشافعي - أجلّه الله تعالى - ونحن لا نغيّر العوائد، ولا ننقض ما بنت الدول السالفة عليه القواعد؛ فليكن في ذلك المجلس سماعها إذا تعيّن، وإقامة البيّنات عليها إذا تبيّن؛ والله الله في حق بيت المال، ثم الله الله في الوقت الحاضر والمآل؛ ومن تستنيبهم عنك بالأعمال لا تقرّ منهم إلا من تقرّ به عينك، ويوفى به عند الله لا بما تحصّله من الدنيا دينك؛ ومن كان لعمله مصلحا، ولأمله منجحا، لا تغبرّ عليه فيما هو فيه، ودعه حتى يتبين لك خفيه؛ ولتستقص في كلّ وقت عنهم الأخبار، ولتستعلم حقائق ما هم عليه بمن تستصحبه من الأخيار، ولا تزال منهم على يقين، وعمل بما فيه خلاص دينا ودين.

(١) كذا في التعريف أيضا والمراد أن المقومين يشترط فيهم أن يكونوا بتلك الصفات والا فلا يؤخذ

بتقويمهم ولا يعول على كلامهم.

الوظيفة الخامسة

(الخطابة)

وهى من أجل الوظائف وأعلاها رتبةً فى نفس الأمر . وموضوعها معروف .
وتختص هذه الطبقة من التواقيع بخطابة الجوامع .

وهذه نسخة توقيع بخطابة الجامع بقلعة الجبل المحروسة ، حيث مُصَلَّى السلطان ،
من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبيّ :

الحمد لله الذى أنار بالذِّكْر قُلُوبَ أوليائه ، وكشَفَ بالذِّكْرِ بصائرَ أَصْفِيائه ،
وأنال أهلَ العلم بالإبلاغ عنه إلى خَلْقِهِ وراثَةَ أنبيائه ، وأختار لإدْكَارِنَا بآلاءِ الله
من فُرسانِ المنابر مَنْ يُجَاهِدُ الأعداءَ بُدْعَائِهِ ، وَيُجَاهِرُ الأودَاءَ من مواعِظِهِ بما يعلم
كُلُّ منهم أَنَّ فى مُؤَلِّمِ صَوَادِعِهِ دواءَ دَائِهِ ، فإذا أَفْتَتَحَ بحمدِ الله أثني عليه بهوَادِ علمه
حقَّ ثَنَائِهِ ، ونَزَّهه بما ينبغى لُسُبُحاتِ وجهِهِ وجلالِ قُدْسِهِ وتَقْدُّسِ أسمائِهِ ، وأثني
كما يجبُ على نبيِّهِ صَلَّى الله عليه وسلم الذى آدمَ وَمَنْ بعده من الرُّسُلِ تحتَ لِوائِهِ ،
وإذا تَلَيْتْ على خيلِ الله خُطْبَتَهُ تشَوَّقْتُ بقاءِ أعداءِ الله إلى لِقَائِهِ ، وَخَطَبَتِ الحِنَانَ
من بذلِ نفوسِها ونفائسِها بما أَقْنَتَهُ فى سبيلِ الله لَأَتْقَانِهِ .

نَحْمَدُهُ على أن جعلنا لِدِكرِهِ مُسْتَمِعينَ ، ولأمرِهِ وَهْيَهُ مَتَّبِعينَ ، وعلى حَمْدِهِ فى كلِّ
مَلٍّ من الأولياءِ مُجْتَمِعينَ .

ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له شهادةً لا تزالُ تختالُ بذكرِها أعطافُ
المنابرِ ، وتتَعَطَّرُ ألسِنَةُ الأَقلامِ بما تُثْقَلُ منها عن أفواهِ المحابرِ ؛ ونشهدُ أنَّ محمداً
عبدَهُ ورسولَهُ الذى هدى اللهُ مَنْ تقدَّم من الأُمَّةِ بخبرِهِ ومن تأخَّرَ بخبرِهِ ، وجعل
روضَةً من رياضِ الجنةِ بين قَبْرِهِ ومِنْبَرِهِ ؛ صلى اللهُ عليه وعلى آله وصَحْبِهِ الذين هم

أَوَّلُ مَنْ عَقِدَتْ بِهِمُ مِنَ الْجُمُعِ صَلَوَاتُهَا، وَأَكْرَمُ مَنْ زُهِيتَ بِهِ مِنَ الْجِهَادِ وَالْمَنَابِرِ صَهَوَاتُهَا؛ صَلَاةً لَا نَزَالَ تَقِيمُهَا عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ، وَنُدِيمُهَا فِي كُلِّ مُتَمِّمٍ فِي الْآفَاقِ وَمُنْجِدٍ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعد، فَإِنَّ أَوَّلِي الْمَنَابِرِ أَنْ يُرْتَادَ لَهُ مِنْ أُمَّةِ الْعُلَمَاءِ عَلَامَةُ عَصْرِهِ، وَرُحْلَةُ مِصْرِهِ؛ وَإِمَامٌ وَقْتُهُ الَّذِي يَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَإِنْ صَدَعَ، وَعَالَمٌ زَمَانُهُ الَّذِي يَقُومُ فِي كُلِّ مَقَامٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ مِمَّا يَأْخُذُ فِي الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَمَا يَدَعُ، مِنْبَرٌ تَذَكَّرَ بِآلَاءِ اللَّهِ عَلَى أَعْوَادِهِ وَإِنْ لَمْ نَزَلْ لَهَا مِنَ الذَّاكِرِينَ، وَنُبَّهَ فِيهِ عَلَى شُكْرِ اللَّهِ بِالرَّأْفَةِ عَلَى خَلْقِهِ وَإِنْ لَمْ نَبْرَحْ لَهَا بِذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَنُسَوِّقُ عَلَيْهِ إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ النُّصْرَةِ وَالْأَجْرِ وَإِنْ كُنَّا عَلَى الْأَبَدِ إِلَيْهِ مُبَادِرِينَ، وَإِلَى إِقَامَةِ دَعْوَةِ الْحَقِّ بِهِ مُبَاكِرِينَ .

ولما كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي تَعَيَّنَ لِرُقِيِّ هَذِهِ الرِّبَةِ نَحْطِبَ لِحَطَابَتِهَا، وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ كُفُوُهَا الَّذِي تَتَشَوَّقُ النُّفُوسُ إِلَى مَوَاعِظِهِ فَتَرْغَبُ فِي إِطَالَتِهَا لِإِطَالَتِهَا - أَقْتَضَتْ أَرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ نَحْلِيَ بِفَضَائِلِهِ أَعْطَافَ هَذَا الْمَنْبَرِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ نَخْتَصَّ نَحْنُ وَأَوْلِيَائُنَا بِسَمَاعِ مَوَاعِظِهِ الَّتِي تُرْغَبُ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ بِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ .

فلذلك رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يُطْلَعُ فِي أَفْقِ الْمَنَابِرِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ شَمْسًا مُنِيرَةً، وَيُقِيمُ شُعَائِرَ الدِّينِ مِنَ الْأُئِمَّةِ الْأَعْلَامِ بِكُلِّ مُشْرِقِ الْعَلَانِيَةِ طَاهِرِ السَّرِيرَةِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا: فَلْيَحْلَلْ هَذِهِ الرِّبَةَ الَّتِي لَمْ تُقَرَّبْ لغيرِهِ جَيَادُهَا، وَيَحْلُلْ هَذِهِ الْعَقِيلَةَ الَّتِي لَا تُزَانُ بِسِوَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ أَجْيَادُهَا، وَيَرِقَّ هَذِهِ الْهَضْبَةَ الَّتِي يَطُولُ إِلَّا عَلَى مِثْلِهِ صُعُودُهَا، وَيَلْقَى تِلْكَ الْعَصْبَةَ الَّتِي تَجْتَمِعُ لِلأَوْلِيَاءِ بِهِ (؟) حُشُودُهَا. وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ فِي مَوْقِفِ الْإِبْلَاحِ عَنِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَالْإِعْلَامِ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ لِمَنْ

جاهد فى الله حقَّ جهاده ، والإنذار لمن قَصَّرَ فى إعدادِ الأُهبَةِ ليومِ معادِهِ ، وهو
 مُحَضَّرٌ من حُماةِ الإسلامِ ، ومَشْهَدٌ من قَلْدَنَاهُ أَمْرَ أُمَّةٍ سَيَدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ
 وَالسَّلَامِ ؛ فَلْيَقْصُرْ خُطْبُهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِحُضُّ عَلَيْهَا ، وَعَزْمَةٍ فى سَبِيلِ اللَّهِ يُشَوِّقُ
 إِلَيْهَا ، وَمَعْدَلَةٌ يَصِفُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَوْلَاةِ أَمْرِ قَدَمَتِهَا بَيْنَ يَدَيْهَا ؛ وَتَوْبَةٍ يَبْعَثُ الِهِمَمَ ، عَلَى
 تَعَجِيلِهَا ، وَأَوْقَاتٍ مَكْرُومَةٍ يَنْبَغُ الْأُمَمُ ، عَلَى أَحْتِرَامِهَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَتَجِيلِهَا ؛ وَدُنْيَا يُنْذِرُ مِنْ
 خِدَاعِهَا ، وَيَبَيِّنُ لِلْمُغْتَرِّبِهَا مَا عَرِفَ مِنْ خِلَاقِهَا الْمَذْمُومَةِ وَأَلْفَ مِنْ طِبَاعِهَا ؛ وَأُخْرَى
 يُوَضِّحُ لِلْعُرِضِ عَنْهَا وَشَكَّ قُدُومَهَا ، وَيَحْذَرُ الْمُقْصِرَ فى طَلَابِهَا مِنْ عَذَابِهَا وَيُبَشِّرُ الْمُشْمِرَ
 لَهَا بِنَعِيمِهَا . وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْمَوْعِظَةَ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْأَلْسِنَةِ لَمْ تَعُدْ الْأَسْمَاعَ ، وَلَمْ
 يُحْصَلْ مِنْهَا عَلَى غَيْرِ تَعَقُّلِ الْقَرَائِنِ وَالْأَشْجَاعِ ؛ وَإِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْقُلُوبِ وَقَعَتْ
 فى مِثْلِهَا ، وَأَثْمَرَتْ فى الْحَالِ بِالمَحَافِظَةِ عَلَى فَرَضِ الطَّاعَةِ وَنَفْلِهَا ؛ وَسَكَنَتْ فى السَّرَائِرِ
 طِبَاعَ طَاعَةٍ تَأْتِى عَلَى مُحَاوَلِ نَقْلِهَا ، وَقَدَحَتْ فى الْبَصَائِرِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَعْرِفَةِ مَا لَمْ يُعْهَدِ
 مِنْ قَبْلِهَا . وَلْيَجْعَلْ خُطْبُهُ فى كُلِّ وَقْتٍ مَنَاسِبَةً لِأَحْوَالِ مَسْتَمِعِهَا ، مَنَاسِبَةً
 فى وَضُوحِ الْمَقَاصِدِ بَيْنَ إدْرَاكِ مَنْ يَبِى غَوَامِضَ الْكَلَامِ وَمَنْ لَا يَبِىهَا ؛ خَيْرُ الْكَلَامِ
 مَا قَلَّ وَدَلَّ ، وَإِذَا كَانَ قِصْرُ خُطْبَةِ الرَّجُلِ وَطُولُ صَلَاتِهِ مُنْبِئِينَ عَنْ فَقْهِهِ فَمَا قَصَّرَ
 مَنْ حَافِظٌ عَلَى ذَلِكَ وَلَا أَخْلَّ ؛ وَلْيُوشِّحْ خُطْبُهُ مِنَ الدَّعَاءِ لَنَا وَلِلْمُسْلِمِينَ بِمَا يُرْجَى
 أَنْ يُوَافِقَ سَاعَةَ الْإِجَابَةِ ، وَإِذَا تَوَخَّى الْغَرَضَ بِدَعَائِهِ لِعُمُومِ الْأُمَّةِ فَقَدْ تَعَيَّنَتْ
 - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - الْإِصَابَةُ ؛ وَهَذِهِ الْوَصَايَا عَلَى سَبِيلِ الذِّكْرِ الَّتِي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ،
 وَتَرْفَعُ الْمُحْسِنِينَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ - وَقَدْ فَعَلَ - مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! ،
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصية خطيب أوردتها في "التعريف" :

وَلْيُرَقَّ هَذِهِ الرُّتَبَةُ الَّتِي رُفِعَتْ لَهُ دُرَا أَعْوَادِهَا ، وَقُدِّمَتْ لَهُ مِنَ الْمَنَابِرِ مُقَرَّبَاتُ جِيَادِهَا ، وَلِيَصْعَدْ مِنْهَا عَلَى أَعْلَى دَرَجَةٍ ، وَلِيَسْعُدَ مِنْهَا بِصَهْوَةٍ كَأَنَّمَا كَانَتْ لَهُ مِنْ بُكْرَةِ يَوْمِهِ الْمَشْرِقِ مُسَرَّجَةً ، وَلِيَرَعَ حَقَّ هَذِهِ الرُّتَبَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَالذَّرْوَةِ الَّتِي مَا أَعَدَّتْ إِلَّا لِلْإِمَامِ فَرْدٍ مِثْلِهِ أَوْ خَلِيفَةٍ ، وَلِيَقِفَ حَيْثُ تَحَقُّقُ عَلَى رَأْسِهِ الْأَعْلَامُ ، وَتَتَكَلَّمَ فَتَخْرُسَ الْأَلْسِنَةُ وَتَحْجَفُ فِي فَمِ الذَّرَا الْأَقْلَامِ ، وَلِيَقْرَعَ الْمَسَامِعَ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَيَذْكُرَ بِأَيَّامِ اللَّهِ مَنْ (كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) . وَلِيَلِيَنَّ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ وَإِنْ كَانَ مِنْهَا مَا هُوَ أَشَدُّ قَسْوَةً مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْحَدِيدِ ، وَلِيَكُنْ قَدْ قَدَّمَ لِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَقَدَّمَ ، وَلِيُسَيِّلَ عَلَيْهِ دِرْعَ التَّوْبَةِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَلِيَجْعَلَ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا يَقُومُ بِهِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَيَفُوقُ مِنْهُ سَهْمَا لَا يُحِطُّ بِمَوْقِعِهِ كُلِّ فَوَادٍ ، وَلِيَقُمْ فِي الْحَرَابِ مَقَامَ مَنْ يَخْشَى رَبَّهُ ، وَيَخَافُ أَنْ يَخْطَفَ الْوَجَلَ قَلْبَهُ ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ صَدْفَةَ ذَلِكَ الْحَرَابِ مَا أَفْطَلَتْ عَنْ مِثْلِ دُرَّتِهِ الْمَكْنُونَةِ ، وَصَنَادِيقِ الصُّدُورِ مَا أَطْبَقَتْ عَلَى مِثْلِ جَوْهَرَتِهِ الْمَخْزُونَةِ ، وَلِيُؤَمَّ بِذَلِكَ الْجَمِّ الْغَفِيرِ ، وَلِيَتَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّهُ السَّافِرُ ، وَلِيُؤَدِّ هَذِهِ الْفَرِيضَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَرْكَانِ ، وَأَوَّلِ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ ، وَأَقْرَبِ الْقُرْبِ الَّتِي يَجْمَعُ إِلَيْهَا دَاعِيَ كُلِّ أَذَانٍ ، وَلِيَقُمْ بِالصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِهَا ، وَلِيُرِخَ بِهَا النَّاسَ فِي أَوَّلِ مِيقَاتِهَا ، وَلِيَخَفَّفَ مَعَ الْإِتْمَامِ ، وَلِيَتَحَمَّلَ عَمَّنْ وَرَاءَهُ فَإِنَّهُ هُوَ الْإِمَامُ ، وَعَلَيْهِ بِالتَّقْوَى فِي عَقْدِ كُلِّ نِيَّةٍ ، وَأَمَامَ كُلِّ قَضِيَّةٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ مَنْ يَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مُسْرُورٌ ، وَيُنْصَبُ لَهُ مَعَ الْأَئِمَّةِ الْمُقْسِطِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

الوظيفة السادسة

(الإمامة بالجوامع ، والمساجد ، والمدارس الجكار التى تصدر التولية
عن السلطان فى مثلها)

وهذه نسخة توقيع بالإمامة :

أما بعد حمد الله على نعمه التى جعلت أيماننا الشريفة تزيد أهل الفضائل إكراما ،
وتخص بالسيادة والتقديم من أنشأه الله تعالى قوة أعين وجعله للتقنين إماما ، وقدمه
على أهل الطاعة الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما .

والشهادة له بالوحدانية التى تكسو محاسنها جلالا وساما ، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد الذى أم الناس وعلمهم الصلاة وأظهر فى إقامة الدين مقالا محمودا
ومقاما ، وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بسنته وثقوا واعتصاما - فإن خير الرتب
فى هذا العصر وفيما تقدم ، رتبة الإمامة حيث تقدم سيد البشر فى محرابها على الأمة
وأم ، فاختارها من أتبع الطريق المحمدية وشرعها ، وعلم سناها ورفعها ، فزاد بذلك
سموا إلى سموه ، وحصل على تضاعف الأجر ومؤد ، وهو فلان .

رسم - لا زالت أيامه الشريفة تشمل ذوى الأصلة والصدارة بجزيل فضيلها ،
وعوائد إنعامه تجرى بإتمام المعروف فتبقى الرتب الدينية بيد مستحقها وتسارع
إلى تخليد النعم عند أهلها - أن يستمر فلان فى كذا جاريا فيه على أجمل العادات ،
إعانة له على اكتساب الأجور بما يعتمد منه من تأهيل معاهد العبادات ، ورعاية
لتكثير المآثر ، وترجيحا لما أشتمل عليه من حسن النظر فى كل إيراد وإصدار ،
وتوفيرا للمناجح التى عرفت من بيته الذى كم ألف منه فعل جميل وعمل بار ، ووثوقا

بأنه يعتَمِد في عمارة مساجد الله سبحانه وتعالى أنه تشهد به الملائكة المتعاقبون بالليل والنهار، والله تعالى يجعل النعم عنده مؤبدة الاستقرار؛ إن شاء الله تعالى .

الوظيفة السابعة

(التدريس ، وموضوعه إلقاء المسائل العلمية للطلبة)

وهذه نسخة توقيع بتدريس كُتِب به للقاضي عز الدين ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، عوضاً عن والده ، في جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبعائة ، وهي :

الحمد لله متم فضله على كل أحد ، ومقر النعمة على كل والد وولد ؛ الذي خص أوليائنا ببلوغ الغايات في أقرب المدد ، وأستصحب المعروف فما ينزع منهم خاتم من يد إلا ليد .

نحمده بأفضل ما يحمده به من حمد ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة باقية على الأبد ؛ ونصلي على سيدنا محمد نبيه الذي جعل شريعته واضحة الجدد ، قائمة بأعلام العلماء قيام الأمد ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين شبههم في الهدى بالنجوم وهم مثلها في كثرة العدد ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن نعمنا الشريفة لا تتحول ، ومواهبنا الجزيلة ... (١) ... تتحول ، وكرمنا يمهّد منازل السعود لكل بذر يتنقل ؛ وشيئنا الشريفة ترعى الذم لكل من أنفق عمره في ولائها ، وتحفظ ماها من المآثر القديمة بإبقائها في نجباء أبنائها ؛ مع ما نلاحظه في استحقاق التقديم ، وانتخاب من ترقى منهم بين العلم والتعليم ؛ وحصل

(١) بياض بالأصل ولعله لا تزال لأوليائنا تتحول . وفي اللسان "التحول التمهّد وحسن الرعاية" .

فى الزمن القليل العلم الكثير ، واستمد من نور والده وهو البدر المنير ، وعلم بأنه فى الفضائل سر أبيه الذى شاع ، وخليفته الذى لو لم ينص عليه لما انعقد [إلا] عليه الإجماع ، والواحد الذى ساد فى رتبة أبيه وما خلت من مثله - لا أخلى الله منه اليقاع ! .

وكان المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، هو المراد بما قدمنا من صفاته الجميله ، وتوسمنا أنه لمعة البدر وهى لا تخفى لأنها لا ترد العيون كليه ، ورأى والده المشار إليه من استحقاقه ما اقتضى أن ينوه بذكره ، وينبه على المعرفة بحق قدره ، فآثر التزول له عما باسمه من تدريس الزاوية بجامع مصر المحروسة ليقوم مقامه ، ويقرر فوائده وينشر أعلامه ، ويعلم أنه قد حلق فى العلياء حتى لحق البدر وبلغ تمامه ، فعلمنا أن البركة فيما اشار ، وأن اليمين بحمد الله فيما رجحه من الاختيار .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - زاد الله فى شرفه ، وجعل أقطار الأرض فى تصرفه - أن يرتب فى هذا التدريس عوضاً عن والده ، أطال الله بقاءه على عادته وقاعدته إلى آخر وقت لأنه أحق من استحق قدره الرفيع التميز ، وأولى بمصر من سواه لما عرفت به مصر من العزيز ثم من عبد العزيز .

ونحن نوصيك أيها العالم - وفقك الله - بالمداومة على ما أنت بصدده ، والمذاكرة للعلم فإنك لا تكاثر العلماء إلا بمدده ، والعمل بتقوى الله تعالى فى كل قصد وتصدير ، وتقريب وتقريب ، وتأثيل وتأثير ، وتقليل وتكثير ، ونص وتأويل ، وترتيب وترتيب ، وفى كل ما تزداد به رفعتك ، وتطير به سمعتك ، ويحسن به الشناء على دينك المتين ، ويقوم به الدليل على ما وضع من فضلك المبين .

وأعلم بأنك قد أدركت بحمد الله تعالى وبكرمنا وبأييك وباستحقاقك ما آرتد به كثير عن مقامك ، ووصلت في البداية إلى المشيخة في زاوية إمامك ، فاعمل في إفادة الطلبة بما يرفع الرافعي لك به الراية ، ويأتم بك إمام الحرمين في النهاية ، فقد أُمسيت جَارَ البحر فاستخرج جمانه ، واجتهد لتصيب في فتاويك فإن أوليك سهام رُميها من كَنَانِه ، وسبيل كل واقف عليه العمل بمقتضاه والاعتدال^(١) .



وهذه نسخة توقيع بتدريس زاوية الشافعي بالجامع العتيق أيضا ، من إنشاء المولى زين الدين بن الخضر موقع الدست ، كُتب به لتاج الدين محمد الإخنائي شاهد خزانة الخاص ، بالنيابة عن عمه قاضي القضاة تقي الدين المالكي في أيام حياته ، مستقلاً بعد وفاته ، وهي :

أما بعد حمد الله على أن زان مجالس المدارس في أيامنا الشريفة بتاجها ، وأقربها من ذوى الإنابة من يستحق النيابة عن تقي قوى الأحكام بإحكامها وإنتاجها ، ورفع قدر بيت مبارك طالما أشتهر علم علمه وصدر عن صدره فكان مادة مسرة النفس وأبتهاجها ، وجعل عوارفنا ترعى الدريرة الصالحة في عقبها وتولى كل رتبة من أضحى لأهلها بوجاهته مواجها ، والشهادة له بالوحدانية التي تنفى شرك الطائفة الكافرة ومعلول احتجاجها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي استقامت به أمور هذه الأمة بعد أعوجاجها ، وتشرفت به علمائها حتى صارت كأنبياء بنى إسرائيل بحسن استنباطها للجمل وجميل استخراجها ، وعلى آله وصحبه الذين علموا وعملوا وأوضحوا لهذه الملة قويم منهاجها - فإن أولى الأولياء ببلوغ الأمل ، وتعاهد

(١) أى الى آخر ما يقال فى مثله .

مدارس العلم بصالح العمل ؛ وإظهار سرِّ الفوائد للطالبيين ، وحلَّ عقود مُشكِها
بجميل الأطلاع وحسن اليقين ، من حوى معرفة الفروع والأصول ، وحاز من
مذهبه المذهب خيرَ محصول ؛ ونشأ في حَجَر الفضائل ، وأقْدَى بِحُكَّام بيته الذين لهم
في العلوم بمصر والشام أَوْضَح البراهين وأقوى الدلائل ؛ وله في الآباء والأبوة ،
الديانةُ التي بلغ بها من الإقبال مَرَجُوه ؛ طالما سارت أحكامُ عمه - أجله الله -
في الأقطار، وحكم فأبدى الحكم بين أيدينا أوفى الأمصار، وله العفاف والتقى والمناثر
الجميلة وجميل الآثار ؛ والفتاوى التي أَوْضَح بها مُشكِلا ، وفتح مُقَفِّلا ، والفصل بين
الخصوم بالحقُّ المُجْتَلَى ؛ والبركةُ التي لدولتنا الشريفة منها نصيبٌ وافر ، والتصميمُ
الذي أَقْتَرَنَ بَغَرارة العلم والوقار الظاهر ؛ فهو - أعز الله أحكامه - من العلماء
العاملين ، وله البُشْرَى بما قاله أصدق القائلين ؛ في النبأ الذي تَمُّ به الزيادة والنماء :
(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) .

ولما كان المجلس السامى هو الذى أَسْتَوْجَبَ التصديرَ لإلقاء الدروس ، وأُخِىَ
مالِكًا مالِكًا أَرْمَتْ الفضائل حائراً من أثوابها أنْفَرَ مَلْبُوس ؛ وله بِخِزَانَةِ خَاصِنَا
الشريف وإصْطِلَاتِهِ السعيدة الشهادةُ البَيِّنَةُ ، والكَتَابَةُ التي هي العِزُّ الحَاضِرُ
فلا يُحْتَاجُ معها إلى إقامة بَيِّنَةٍ ، والكِفَالَةُ التي نَطَقَتْ بها الأفواه مُسِرَّةً ومُعَلِّنةً ،
والأمانةُ التي حَدَا فيها حَدُؤُ أَبِيهِ وَاتَّبَعَ سَنَنَهُ .

فلذلك رُسِمَ - لا زال يُدِيمُ النِّعَمَ لِأَهْلِهَا ، وَيُنْقِي المراتبَ الدِّينِيَّةَ لِمَنْ أُخِىَ محَلُّهُ
مناسباً لمَحَلَّتِهَا ، أن يستقر فليُنْبِ عن عمه في هذا التدريس ،
وليَقْفُ ما يَسِرُّ النفوس من أثره النفيس ؛ وليُقَدِّمِ الطَّلَبَةَ على عادته ، وليُبدِ لهم من

القول ما يظهر غزير مادته ، وليستنبط المسائل ، وليجب بالأدلة المسائل ، وليبرح المباحث ، وليكن لوالده - رحمه الله - أحق وارث ، وليستقل بهذه الوظيفة المباركة بعد وفاة عمه أبقاه الله تعالى ، ولتزيد من العلوم ليبلغ من صدقاتنا الشريفة آمالاً ، والله تعالى يسدّد له بالتقوى أقوالاً وأفعالاً ، بمنه وكرمه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الصلاحية المجاورة لثربة الإمام الشافعي رضي الله عنه ، كتب به لقاضي القضاة تقي الدين ، ابن قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز . من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ، وهي :

الحمد لله شافي عي البعث بخير إمام شافعي ، والآتي منه في الزمن الأخير بمن لو كان في الصدر الأول لأثنى على ورعه ودينه كل صحابي وتابعي ، ومفيد الأسماع من وجيز قوله المحرر ما لولا السبق ما عدل إلى شرح وجيز سواء الرافعي .

نحمده على نعم ألهمت وضع الأشياء في محلها ، وأستيداعها عند أهلها ، وتأتيها بما يزيل الإشكال بانجذاب من شكله مناسب لشكلها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يتزين بها المقال ، ويتبين بها الحق من الضلال ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيّه موصح الطرق إلى الحق المبين ، ونأجها إلى حيث مجتمع الهدى ومرتبّع الدين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تهدي إلى صراط الذين ، ورضى الله عن أصحابه الذين منهم من جاء بالصدق وصدق به فقوى سبب الدين المتين ، ومنهم من فرق بين الحق والباطل وكان إمام المتقين وسمى أمير المؤمنين ، ومنهم من جهّز جيش العسرة فنبت جأش المسلمين ،

ومنهم من أعطاه صلى الله عليه وسلم الراية فأخذها منه باليمين ، ورضى الله عن بقية الصحابة أجمعين .

وبعد ، فلما كان مذهب الإمام الشافعى « محمد بن إدريس » رضى الله عنه هو شهدة المتلفظ ، وكفاية المتحفظ ، وبهجة المتلحظ ، وطراز ملبس الهدى ، وميدان الاجتهاد الذى لا تقف أعنة جواده عن إدراك المدى ، وقد تجملت ديار مصر من بركة صاحبه بمن تشدد إليه الرجال ، وتفخر جبانة هو فيها حال ، وجيد هو بجواهر علومه حال ، ومن يحسن إلى ضريحه المنيف الاستناد ، وإذا قرئت كتبه لديه قيل ما أبعد هذا المرعى الأسنى ! وما أقرب هذا الإسناد ! وما أسعد حلقة تجمع بين يدى جدته يتصدر فيها أجل خبر ، ويتصدى لنشر العلوم بها من عرف بحسن السيرة عند السبر ، ومن لولا خرق العوائد لأجاب بالشكر والثناء عليه صاحب ذلك القبر كما قال : « قال صاحب هذا القبر » - حسن بهذه المناسبة أن لا ينتصب فى هذا المنصب إلا من يحمده هذا السيد الإمام جواره ، ومن يرضيه منه - رضى الله عنه - حسن العبارة ، ومن يستحق أن يتصدر بين نجوم العلماء بدارة تلك الخططة فيقال قد حمل الله به دارة هذا البدر وعمره من هذا المدرس داره ، الذى يفتقر إلى تويل نعمه ، وتوويه قلمه ، من الأئمة كل غنى ، ويعجب ببلاغة خطبه ، وصياغة كتبه ، من يحتلى ومن يحتنى ، ومن يهنا المستفيدون من عدو به ألقاظه وصفاء معانيه بالموارد الهني ، ومن إذا سح سحابة الهطال اعترف له بالهمم والهمول المزنى ، والذى لسعد جده من أبيه ليث أكرم به من ليث وأكرم بينه من أشبال ! ، وأعزز به من فاتح أبواب إشكالات عجز عن فتحها القفال ! ، ومن إذا قال سكت الناس ، ومن إذا قام قعد كل ذى شماس ، وإذا أخذ بالنص ذهب الأقياس ، وإذا قاس قيل هذا بحر المذهب المشار إليه بالأصابع فى مضره جلالة ولا ينكر لبحر المضر الإشارة

بالأصابع ولا القياس؛ ومن يزهو بتقى قلبه ورقى جوابه لسان التعويل ولسان التعويد، كما يَمِيس بإحاطته وحياطته قلم الفتوى وقلم التنفيذ، ومن يَفْخَر [به] كلُّ عالم مفيد إذا قال : أنا بين يديه طالبٌ وأنا له تلميذٌ ؛ ومن حيناً أَلْقَتْ وجدت له سُودداً جماً ، وكيفما نظرت رأيت له من هنا وزارةً ، ومن هنا خطابهً ، ومن هنا مشيخةً ، ومن هنا تدريسا ، ومن هنا حُكماً !!! ؛ فهو الأصل ومن سواه فروع ، وهم الأئمة وهو الينبوع ؛ وهو مجموع السيادة ، المختار منه الإفاده ، فما أحسنه من اختيار وما أتمه من مجموع ، وكان قاضى القضاة ، سيد العلماء ، رئيس الأصحاب ، مقتدى الفرق ، قُدوة الطوائف ، الصاحب تقي الدين «عبد الرحمن» ولد الصاحب قاضى القضاة تاج الدين بن [بنت] الأعز أدام الله شرفه ، ورحم سلفه ، هو منتهى رغبة الراغب ، ومُستهى مُنية الطالب ؛ ومن إذا أضاءت ليالى النقوس بأقمار فتاويه قيل (بياض العطايا فى سواد المطالب) ، ومن تَتَفَقَّ الآراء على أنه ليس الكهولة شيخ المذاهب ؛ ومن عليه يحسن الاتفاق ، وبه يجمل الوفاق ، وإذا ولي هذا المنصب أبتهج بولايته إياه مالك فى المدينة وأبو حنيفة وأحمد رضى الله عنهم فى العراق ؛ وأهترت به ومجاورة فوائده من ضريح إمامه جوانب ذلك القبر طرباً ، وقالت " الأم " لقد أبهجت - رحم الله سلفك - بجذك وإبائك جدًا وأبا ، ولقد استحققت أن يقول لك منصب سلفك رضى الله عنهم : أهلاً وسهلاً ومرحباً ، وهذه تسمات صبا ، كانت الإفادة هنالك تعرفها منك من الصبا .

فالحمد لله على أن أعطى قوس ذلك المحراب بارئها ، وخص بشق سهامها من لا يزال سعدة مبارئها ، وجمل مطلع تلك السماء بيدركم باتت [عليه] الدرر تحسد دراريها ؛ وألهم حسن الاختيار أن يجرى القلم بما يحسن بالتوقيع الشريف موقعه ، ويجمل فى أثناء الطروس وضعه وموضعه .

فُرِسم بالأمر الشريف العالى المولوى ، السلطانى : - أجزأه الله بالصواب ،
وكشف بآرتيائه كل آرتياب ، ولا زال يختار وينتقى للنصاب الدنية كل عالم
بأحكام السنة والكتاب - أن يفوض إليه تدريس المدرسة الصلاحية الناصرية
المجاورة لضريح الإمام الشافعى بالقرافة رضى الله عنه . فليخول ولينول كل
ذى استفاده ، وليجمل منه بذلك العقد الثمين من علماء الدين بأنعم واسطة تفخر بها
تلك القلادة ؛ وليذكر من الدروس ما يهيج الأسماع ، ويرضى الانتجاع ، ويجد به
الانتفاع ، ويحتلبه من أخلاف الفوائد آرتضاء الارتضاع ، ويتناقل الرواة
فوائده إلى علماء كل أفق من البقاع ؛ وليقل فإن الأسماع لفوائده منصفته ،
والأصوات لمباحثه خاشعة والقلوب لمهابته محمته ؛ ولينهض قوى المسائل بما
يحصل لها أعظم اتعاش ، وليمت ما أماته إمامه من البدع فيقال به له : هذا محمد
أبن إدريس مدقمت أنت عاش ؛ وليسمع بعلمه من به من الجهل صم ، وليستنطق
من به من الفهاهة بكم ، وليحقق عند الناس بتعصبه لهذا الإمام أنه قد قام بالتنويه
به الآن الحاكم أبن الحاكم أخو الحاكم كما قام به فيما سلف بنو عبد الحكم .

وأما غير ذلك من الوصايا فهو بحمد الله صاحب إلهامها ، وجالب أقسامها ؛
وجهينة أخبارها ، ومطلع أنوارها ؛ فلا يعاد ، عليه ما منه يستفاد ، ولا ينثر عليه دُر
هو منظّمه في الأجياد ؛ والله تعالى يعمر بسيادته معالم الدين وأكافه ، ويزين بفضله
المتين أوساط كل مصر وأطرافه ، ويضيف إليه من المستفيدين من بإرفاقه
وإشفاقه يكون عيشه خفضا بتلك الإضافة ، ويعمله لا يخصص حنوه بمعهد دون
معهد ولا بمسافة دون مسافة ، ويؤقيه ومنفعته إلى سارية سارية الإطافة واللطافة ،
والطافة بهذه الولاية تقول لكل طالب في القرافة القى رافه .

قلت : ولما توفّي قاضى القضاة بدر الدين بن أبى البقاء - تغمده الله تعالى برحمته - وكان من جملة وظائفه تدريس هذه المدرسة ، كان السلطان قد سافر إلى الشام فى بعض الحركات ، فسافر أبْنُه أفضى القضاة جلال الدين حتّى ادرك السلطان بالطريق ، على القرب من غزّة ، فولّاه الوظيفة المذكورة مكان أبيه ، وكان القاضى نور الدين بن هلال الدولة الدمشقىّ حاضراً هناك ، فأشار إليه القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السر الشريف - عامله الله باطفه الخفى - بإنشاء صدر لتوقيعه ، يسطر به للعلامة الشريفة السلطانية ، فأنشأ له سجعيتين ، هما :

الحمد لله الذى أظهر جلال العلماء الشافعية بحضرة إمامهم ، وأقام سادات الأبناء مقام آبائهم فى بثّ علومهم وصلاتهم وصيامهم . ولم يجاوز ذلك إلى غيره ، فسُطر التوقيع بهاتين السجعتين ، وعُلم عليه العلامة السلطانية .

وكان من قول نور الدين بن هلال الدولة للقاضى جلال الدين المذكور :
إنّ هذا التوقيع يبقّى أبْيَضَ : فإنه ليس بالديار المصرية من ينهض بتكميته على هذا الأسلوب . فسمع القاضى كاتب السر كلامه ، فكتب لي بتكميته على ظهره ، وعاد به القاضى جلال الدين فأعطانيه ، وأخبرني بكلام ابن هلال الدولة وما كان من قوله ، فتدكّأت عن ذلك ، ثم لم أجِدْ بداً من إكمالهِ وإن لم أكن من فرسان هذا الميدان ، فأنشأت له على تينك السجعتين ما أكلمته به ، بخاء منه يَلَوُ السجعتين السابقتين اللتين أنشأهما ابن هلال الدولة :

وخصّ برياسة العلم أهل بيتٍ رأَتْ كُهوْلُهم فى اليمّة ما يمتنّى شيوخ العلماء أن لورأوه فى منامهم .

وجاء من وسطه :

أَقْضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُتَوَّهَ بِذِكْرِهِ، وَتَقَدَّمَ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ رَامَ هَذَا الْمَقَامَ فَحُجِبَ دُونَهُ (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) .

وجاء فى آخره :

وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْقِيهِ إِلَى أَرْفَعِ الدَّرَجَاتِ، وَهَذِهِ الرِّبَّةُ وَإِنْ كَانَتْ بِدَايَتِهِ فَهِيَ نِهَائِيَّةٌ غَيْرُهُ (وَأَنَا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا) .

وَقَدْ أَعَوَزَنِ وَجِدَانُ النُّسخَةِ عِنْدَ إِثْبَاتِهَا فِي هَذَا التَّأْلِيفِ لَضَيَاعِ مُسَوِّدَتِهَا وَلَمْ يَحْضُرْنِي مِنْهَا غَيْرُ مَا ذَكَرْتُهُ . وَفِيَا تَقَدَّمَ مِنْ إِنْشَاءِ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ مِنْ تَوْقِيعِ الْقَاضِي تَقَى الدِّينِ ابْنِ بَنْتِ الْأَعْرَزِ مَا لَا يَنْظُرُ مَعَ وُجُودِهِ إِلَى غَيْرِهِ .



وَهَذِهِ نُسْخَةُ تَوْقِيعِ بَتَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ الصَّلَاحِيَّةِ بِمِصْرَ، الْمُخْتَصَّةِ بِالْمَالِكِيَّةِ، الْمَعْرُوفَةِ بِالْقَمَحِيَّةِ، بِمِصْرِ الْحَرْوسَةِ، أَنْشَأَتْهُ لِقَاضِي الْقَضَاةِ جَمَالِ الدِّينِ الْأَقْفَهْسِيِّ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي زَيَّنَ مَعَالِمَ الْمَدَارِسِ مِنْ أَعْلَامِ الْعُلَمَاءِ بِجَمَالِهَا، وَمَيَّزَ مَرَاتِبَ الْحِكْمَةِ بِإِجْرَاءِ سَوَائِقِ الْأَفْكَارِ فِي مَيَادِينِ الدُّرُوسِ وَفَسَّحَ بِجَمَالِهَا، وَعَمَّرَ مَعَاهِدَ الْعِلْمِ بِأَجَلِّ عَالَمٍ إِذَا ذُكِرَتْ وَقَائِعُ الْمُنَاطَرَةِ كَانَ رَأْسُ فُرْسَانِهَا وَرِيسَ رِجَالِهَا، وَنَاطَ مَقَاصِدَ صَلَاحِ الدِّينِ بِأَكْلِ حَبْرٍ إِذَا أُورِدَتْ مُنَاقِبُهُ الْمَأْثُورَةُ تَمَسَّكَ أَهْلُ الدِّيَانَةِ مِنْهَا بِوَثِيقِ جِبَالِهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى اخْتِيَارِ الْجَوْهَرِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْعَرَضِ ، وَالتَّوْفِيقِ لِإِدْرَاكِ الْمَرَامِ وَإِصَابَةِ الْغَرَضِ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى خصَّ أهل العلم بكريمِ حَبَائِهِ ،
وشَرَّفَ مقامَهُمْ فى الخَلِيقَةِ فجَعَلَهُمْ فى حَمْلِ الشريعة ورثَةِ أنبيائِهِ ؛ شهادةً تُعَذِّبُ
لقائلها بحُسْنِ الإيرادِ وَرَدَا ، وتُجَدِّدُ لِمَتَحِلِّهَا بمواظِنِ الذِّكْرِ عَهْدًا فَيَتَّخِذُهَا عِنْدَ
الرَّحْمَنِ عَهْدًا ؛ ونشهدُ أَنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله أَفْضَلُ نَبِيٍّ عَلمَ وَعَلمَ ، وأَكْرَمُ
رَسُولٍ فَصَّلَ الأحكامَ إِذْ شَرَعَ وَنَدَبَ وَأَوْجَبَ وَحَلَّلَ وَحَرَّمَ ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عُنُوا بِتفسيرِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى فَأَدْرَكُوا دَقِيقَ مَعَانِيهِ ، وَأَهْتَمُّوا
بِالحديثِ رِوَايَةً وَدِرَايَةً فَفَازُوا بِتأسيسِ فِقْهِ الدِّينِ وإقامةِ مَبَانِيهِ ؛ صَلَاةً تُحِيطُ مِنْ
بِحَارِ الْعِلْمِ بِزَانِحِيهَا ، وتأخُذُ مِنَ الدُّرُوسِ بِطَرَفِيهَا فَتَقَارِنُ الْحَمْدَ فى أَوَّلِهَا وَتُصَحِّبُ
الدُّعَاءَ فى آخِرِهَا ؛ مَا تُتَّبَعُ بِالْمُنْقُولِ مَوَاقِعَ الْأَثَرِ ، وَعُقُولُ فى الْمُعْقُولِ عَلَى إِجَالَةِ الْفِكْرِ
وإِجَادَةِ النَّظَرِ ، وَسَلَّمُ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا صَرَفَتِ النُّفُوسُ إِلَيْهِ هِمَمَهَا ، وَأَخْلَصَتْ فِيهِ نِيَّتَهَا وَخَلَّصَتْ
مِنْ تَبَعَاتِهِ ذِمَمَهَا ؛ وَتَبِعَتْ فِيهِ آثَارَ مَنْ سَلَفَ مِنَ الْمُلُوكِ الْكِرَامِ ، وَأَعَارَتْهُ كُلِّ نَظَرِيهَا
وَقَامَتْ بِوِاجِبِهِ حَقَّ الْقِيَامِ - أَمْرُ الْمَدَارِسِ الَّتِي هِيَ مَسْقَطُ حَجَرِ الْإِشْتَغَالِ بِالْعِلْمِ
وَمُسْتَقَرُّ قَاعِدَتِهِ ، وَقُطْبُ فَلَكِ تَطْلَابِهِ وَمُحِيطُ دَائِرَتِهِ ؛ وَمِيدَانُ فُرْسَانِ الْمَشَايِخِ وَمَدَارِ
رَجَالِهَا ، وَمَوْرِدُ ظُمَاءِ الطَّلَبَةِ وَمَحْطُّ رِحَالِهَا ؛ لَا سِيَّمَا الْمَدَارِسُ الْأَيُّوبِيَّةُ الَّتِي أُسِّسَ
عَلَى الْخَيْرِ بِنَاؤُهَا ، وَكَانَ عَنْ صَلَاحِ الدِّينِ مَنْشُؤُهَا فَتَأَلَّقَ بِرُقْعَتِهَا وَأَسْتَطَارَ ضِيَاؤُهَا .

وَمِنْ أَثْبَتِهَا وَثِيقَةٍ ، وَأَمَثَلِهَا فى التَّرْتِيبِ طَرِيقُهُ ؛ الْمَدْرَسَةُ الْقَمَحِيَّةُ بِالْقُسْطَاطِ
الْآخِذَةُ مِنْ وَجْهِهِ الْخَيْرِ بِنَاطِقِهَا ، وَالْمَخْصُوصُ بِالسَّادَةِ الْمَالِكِيَّةِ أَمْتِدَادُ رُؤُوقِهَا ؛
إِنْ أَعْتَبِرْتُ رِعَايَةَ الْمَذَاهِبِ قَالَتْ : مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ ، وَإِنْ عُمِلَتْ حِسْبَةُ الْمَدَارِسِ
فِي الْبُرَى كَانَتْ لَهَا فَذَالِكُ ؛ قَدْ رَتَّبَ بِهَا أَرْبَعَةَ دُرُوسٍ فَكَانَتْ لَهَا كَالْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ ،
وَجُعِلَتْ صِدْقَتُهَا الْجَارِيَةُ بُرًّا فَكَانَتْ أَعْظَمُ بُرًّا وَأَعَمُّ مَنْفَعَةٍ .

ولما كان المجلس العالى، القاضى، الشيخى، الكبيرى، العالمى، العالمى،
الأفضلى، الاكلى، الأوحدى، البلىغى، الفرىدى، المفيدى، النجيدى، القدوى،
الحجى، المحققى، الإمامى، الحالى: جمال الإسلام والمسلمين، شرف العلماء
العالمين، أوجد الفضلاء المفيدين؛ قدوة البلغاء زين الأمة، أوجد الأئمة؛
رحلة الطالبين، نحر المدرسين؛ مفتى الفرق لسان المتكلمين، حجة المناظرين؛
خالصة الملوك والسلطين، ولي أمير المؤمنين؛ أبو محمد «عبد الله الآقفهسى»
المالكى - ضاعف الله تعالى نعمته - هو عين أعيان الزمان، والمحدث بفضل
فى الآفاق وليس الخبر كالعيان؛ ماولى منصباً من المناصب إلا كان له أهلاً، ولا أراد
الانصراف من مجلس علم إلا قال له مهلاً؛ ولا رمى إلى غاية إلا أدركها، ولا أحاط
به منطقة طلبة إلا هزها بدقيق نظره للبحث وحركها؛ إن أطل فى مجلسه أطاب،
وإن أوجز قصر محاوره عن الإطالة وأناب؛ وإن أورد سؤالاً تجز مناهيه عن
جوابه، أفتح باباً فى المناظرة أحجم مناظره عن سدّ بابيه؛ وإن ألمّ ببحث أربى
فيه وأناب، وإن أفتى بحكم آندفع عنه المعارض وأرتفع فيه الخلاف؛ فتوادره
المدونة فيها البيان والتحصيل؛ ومقدماته المبسوطة إجمالاً يغنى عن التفصيل؛
ومشاركه النيرة لا يأفل طالعيها، ومداركة الحسنة لا يسأم سامعها؛ وتهذيبه المهدب
جامع الأمهات، وجواهره الثينة لا تقاوم فى القيمة ولا تضاهى فى الصفات -
أقتضى حسن الراى الشريف أن نتوه بذكره، ونقدمه على غيره، ممن حاول ذلك
فامتنع عليه ((والله غالب على أمره)) .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى، المولى، السلطانى، الملكى، الناصرى،
الزىنى - لا زالت مقاصده الشريفة فى مذاهب السداد ذاهبه، ولا غراض الحق
والاستحقاق صائبه - أن يستقر المجلس العالى المشار إليه فى تدريس المدرسة

الصَّلاحِيَّة بِمَصْر المحروسة المعروفة بالقَمَحِيَّة عِوَضًا عن فلان الفلاني ، على عادة مَنْ تقدّمه .

فلينلقَ ذلكَ بالقَبُول ، وَيَسْطُ في مجالس العلم لسانه فمن كانَ بِمَثَابَتِهِ في الفضل حَقٌّ له أن يَقُول وَيَطُول ؛ وَمِلَّاكُ الأمر تقوى الله تعالى فهي خيرُ زاد ، والوصايا كثيرة وعنه تُؤخَذُ ومنه تُستفاد ؛ والله تعالى يبلغه من مقاصده الجميلة غاية الأمل ، ويرقيه من هَضَابِ المعالي إلى أعلى مراتب الكمال وقد فَعَلَ ؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجةً بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع أيضا بتدريس المدرسة الصلاحية المذكورة، أنشأته للقاضي شمس الدين محمد آبن المرحوم شهاب الدين أحمد الدفري المالكي، في شعبان سنة خمس وثمانمائة، وهو :

الحمد لله مُطْلِع شمس الفضائل في سماء معاليها، ومبَلِّغ دَرَارِي الدَّرَارِي النبية الذكر بسعادة الجَدِّ غاية غيرها في مبادئها، وجاعِلِ صلاح الدين أفضل قصيد فوق العناية سهامها بإصابة غرضه في مراميها ، ومجدِّدِ معالم المدارس الدارسة بخير نظر يقضى بتشيد قواعدها وإحكام مبانيها .

نَحْمَدُه على أن صَرَف إلى القيام بنشر العلم الشريف اهتمامنا، وجعل بخيرته العائدة إلى التوفيق في حُسْن الاختيار اعتصامنا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مُفِيضُ نتائج الأفكار من وافر إمداده ، ومَخَصَّصُ أهل التحقيق بدقيق النظر تخصيص العام بقصره على بعض أفرادهِ ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أوفَرُ البرية في الفضل سَمَها ، والقائل

تنوياً بفضيلة العلم : « لا بُورِكَ لى فى صَبِيحَةِ يَوْمٍ لا أزدادُ فيه علماً » صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حلُّوا من الفضل جواهره الثمينه ، والتابعين وتابعى التابعين الذين ضربت أباط الإبل منهم إلى عالم المدينه .

وبعد ، فإنَّ أولى ما صُرفت إليه الهمم ، وبرئت بتأدية حقه الذمم ، وغدت النفوس بالنظر فى مصالحه مشغله ، والفكر لشرف محله منه إلى غيره منتقله ، النظر فى أمر المدارس التى جعلت للاستغلال بالعلم سبباً موصولاً ، ولطَّبت رُبعا لا يزال يجالس الذكر مأهولاً ؛ لاسيَّما المدارس التى قد قدَّم فى الإسلام عهدُها ، وعذب باستمرار المعروف على توالى الأيام ورُدُّها .

ولما كانت المدرسة الصَّلاحية بفسطاط مصر المحروسة قد أسَّس على التقوى بنيانها ، ومهدت على الخير قواعدها وأركانها ، واختصت طائفة المالكية منها بالخصيصة التى أغنى عن باطن الأمر عنوانها ؛ وكان المجلس السامى هو الذى خطبته الرتب الجليلة لنفسها ، وعيَّنته لهذه الوظيفة فضائله التى قد آن ولله الحمد بزوغ شمسها ، وعهدت منه المعاهد الجليلة حسنَ النظر فتأقت فى يومها إلى ما ألفت منه فى أمسها - أقتضى حسنُ الرأى الشريف أن تُفرد به هذه الوظيفة التى يقوم إفرادها فيها مقام الجمع ، ونجح له من طرفيها ما يتفق على حسنه البصر ويقضى بطيب خبره السَّمع .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف ، العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى ، الزينى : - لا زال يُقيم للدين شعارا ، ويرفع لأهل العلم الشريف مقدارا - أن يستقر فى الوظيفة المذكورة لما أشتهر من علمه وديانته ، وبأن من عفته المشهورة وزاهيته ؛ واتَّصف به من الإفاده ، وعُرف [عنه] من نشر العلوم فى الإبداء

والإعاده ؛ وشاع من طريقته المعروفة في إيضاحه وبيانه ، وذاع من فوائده التي قدّمته على أبناء زمانه ، ورفّعتّه إلى هذه المرتبة باستحقاقه على أقرانه .

فليُباشِرْ تدريسها مُظهرًا من فوائده الجليلة ما هو في طيّ ضميره ، مضمرا من حُسن بيانه ما يُستغنى بقليله عن كثيره ؛ مقربا إلى أذهان الطلبة بتهديب ألفاظه الرائقة ما يُفِيد ، مُوردا من علومه المدوّنة ما يجمع له بين نَوادر المقدمات ومدارك التمهيد ؛ مُوقّفا نظرها بحسن التدبير حقّ النظر ، موفّرا رزقها بما يُصدّق الخبر فيه الخبر ، قاصداً بذلك وجه الله الذي لا يُخَيِّب لراجّ أملا ، معاملا فيه الله معاملة من يعلم أنه لا يُضَيِّعُ أجرَ مَنْ أحسنَ عملا . وملاك الوصايا تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويتخيّلها في كل الأحوال أمامه ؛ والله تعالى يستدّه في قوله وعمله ، ويبلغه من رضاه نهاية سؤله وغاية أمليه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بالتدريس بقبة الصالح ، أنشأته لقاضى القضاة جمال الدين «يوسف البساطي» بعد أن كُتِبَ له بها مع قضاء القضاة المالكية ، في العشر الأخير من شعبان سنة أربع وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذى جعل للعلم جمالا تنهأت على دركه محاسن الفضائل ، وتوارد على ثبوت محامده المتواردة قواطع الدلائل ، وتُحقّق شواهد الحال من فضله ما يتلّح فيه من لوائح الخايل .

نحمده على نعمه التي ما استهلّت على وليّ فأقلّع عنه غمأمها ، ولا استقرّت بيد صفيّ فأنزعت من يده حيث تصرف زمامها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُزهِر بمعالم الدين غروسها ، وتنبّع بثمار الفوائد المتتابعة دروسها ؛

وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدراً ، وأولهم فى دلو المرتبة مكاناً وإن كان آخرهم فى الوجود عصراً ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الخائزين بقربه أنخر المناقب ، والفائزين من درجة الفضل بأرفع المراتب ؛ صلاة تكون لحلق الذكر نظاماً ، ولأولها أفتاحاً ولآخرها ختاماً ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن من شيمنا الشريفة ، وسجايانا الزاكية المنيفة ؛ أنا إذا منحنا منحة لا نستعيده ، وإذا أعطينا عطاءً لا ننقصه بل نزيده ؛ وإذا قربنا ولياً لا نقصيه ، وإذا أنعمنا على صفيٍّ إنعاماً لا نعدده عليه ولا نحصيه .

ولما كان تدریس المدرسة المالكية بقبة الصالح من أعلى دروسهم قدراً ، وأرفعها لدى التحقيق ذكراً ، وأعظمها إذا ذكرت الدروس فخراً ؛ إذ يحال جداله تنفطر المرائر ، وبميدان مباحثه تشتهر البلق من مضمرات الضمائر ؛ ويسوق مناظرته يميز النضار عن الشبه ، وبحك مطارحته تبيين الحقائق من الشبه ؛ وبمظان مجلسه يعرف العالى والسافل ، وبمعرفة قُرسانه يعرف من المفضول والفاضل ؛ ومن ثم لا يليه من علمائهم إلا الفحول ، ولا يتصدى لتدريسه إلا من أمسى بحسام لسانه على الأقران يصول ؛ ولم يزل فى جملة الوظائف المضافة لقضاء القضاة فى الأول والآخر ، تابعاً لمنصب الحكم فى الولاية كل زمن إلا فى القليل النادر ؛ وكان المجلس العالى ، القاضوى ، الكبيرى (إلى آخر القابه) أدام الله تعالى نعمته قد آسملت ولايته عليه لابتداء الأمر استحقاقاً ، وحفظه كرمنا عليه فلم يجد الغير إليه استطرأ - آقتضى حسن رأى الشريف أن تتبع ذلك بولاية ثانية تؤكد حكم الولاية الأولى ، وزد نفسه بتوقيع يجمع له شرف القدمة والجمع ولو بوجه أولى .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى ، الزينى - لا زال يعتمد فى مشاهد الملوك أتم المصالح ، ويخص الصالح منهم بمزيد النظر حتى يقال ما أحسنَ نظرَ الناصر فى مصالح الصالح ! - أن يستمر المجلس العالى المشار إليه على ما بيده من الولاية الشريفة بالتدريس بقبة الصالح المذكورة ، ومنع المعارض وإبطال ما كُتِبَ به وما سُيِّكَتَبَ مادام ذلك فى يده ؛ على أتم العوائد وأكملها ، وأحسن القواعد وأجملها .

فلينلق ما فُوض إليه بكتنا يديه ، ويشكر إحساننا الشريف على هذه المنحة فإنها نعمةٌ جديدةٌ توجب مزيدَ الشكر عليه ؛ ولتصدر بهذا الدرس الذى لم تزل القلوب نتقطع على إدراكه حشرات ، ويتصدد لإلقاء فوائده التى إذا سمعها السامع قال : هنا تُسَكَّبُ العبرات ، ويبرز لفرسان الطلبة من ... (١) ... صدره من كمينه ، ويُفَضُّ على جدأولهم الحافّة ماسحاً به فكره من ينابيع معينه ؛ مستخرجاً لهم من قاموس قريحته دُرر ذلك البحر الزاخر ، مُظهِراً من مكنون علمه ما لا يعلم لِمَدّه أوّل ولا يُدرك لِمَدّاه آخر ؛ ويُنفق من ذخائر فضله ما هو بإنفاقه ملىّ ، متفقداً بفضل غنائه من هو عن فرائده المُرِحة غير غنى ؛ مقررّاً للبحث تقريراً يزول معه الإلتباس ، مسنداً فروعه النامية إلى أثبت الأصول من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ؛ معتمداً لما عليه جادة مذهبهِ فى الترجيح ، جارياً على ما ذهب إليه جهابذة محققيه من التصحيح ؛ مُقبِلاً بطلاقة وجهه فى دُرسه على جماعته ، باذلاً فى آسمااتهم طاقة جهده محسناً إليهم جهده طاقته ، مربياً لهم كما يُربى الوالد الولد ، مُوفياً من حقوقهم [فى] التعليم ما يبقّى له ذِكْرُه على الأبد ؛ ممّياً ناشئتهم بالتدريب الحَسَن تنمية الغروس ، جاهداً فى ترفيعهم بالتدريج حتى يؤهل من لم يكن تُظنّ فيه أهلية الطلب لأن يتصدى

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

للفَتَاوَى وإلقاء الدُّروس ؛ سالكا من مناهج التقوى أحسن المسالك ، مُوردا من تحقيقات مذهبه ما إذا لمحَ اللاحُ لم يُشكَّ أنه لِزِمَامِ المذهب مالِك ؛ والله تعالى يُجْريه على ما ألقه من مَوارد إنعامه ، ويمتّع [هذه الرتبة] السَّنيّة : تارةً بمجالس درُوسه وتارةً بمجالس أحكامه ؛ والاعتماد



وهذه نسخة توقيع بتدريس الحديث بالجامع الحاكِمى ، من إنشاء الشَّهاب «محمود الحاكِمى» للشيخ قُطب الدين «عبد الكريم» وهى :

الحمدُ لله الذى أطلع فى أفق السَّنة الشريفة من أعلام علمائها قُطباً ، وأظهر فى مطالعها من أعيان أئمتِّها نُجوما أضاء بهم الوجودُ شرقاً وغرباً ؛ وأقام لحفظها من أئمة أعلامها أعلاماً أحسنوا عن سندها دفاعاً وأجملوا عن مُتونها ذباً ، وشرف بها أهلها فكلماً بعدت راحلتهم فى طلبها أزدادوا من الله قُرباً ؛ وأختار لجمالها أمانة شغفت محاسنهم قلوب أهل الفرق على اختلافها حباً ، وسلكوا باتباعها سنن السنن فأمِنُوا أن تُروّع لهم الشُّبه سرباً ؛ وألهمنا من تعظيم هذه الطائفة ما مهد لهم فى ظل تقربنا إليه مقاماً كريماً ومُتزيلاً رَحباً ، وعصم آراءنا فى الآريادِ له من الخلل فلا نخار له إلا من تُسرُّ باختياره طلبة وتُغبط بتعيينه أئمةٌ ونُرضى بآرياده ربّاً .

نحمده على نعمه التى صانت هذه الرتبة السَّنيّة بكفائها ، وزانت هذه المرتبة الشريفة بمن لم تَمِل عينه فى تأثيل قواعدها إلى إغفائها ، وجعلت هذه الدرجة العلية فلِكَا تُشرق فيه لأئمة الحديث أنوار علوم تَفنى الدهور دُونَ إطفائها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُجادل عن سُنَّته الشريفة بالسَّنة أسنَّته ، مجالِدٍ عن كلمتها العالية بقَبْض مَعاقِد سيوفه وإطلاق أَعنته ، باعث

بالجهاد دعوته إلى كل قلب كان عن قبورها في حجب أكتته . ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله الذي أوتي جوامع الكلم ، ولوامع السنة التي من اعتصم بها عصم ومن سلم
بها سلم ؛ فهي مع كتاب الله أصل شرعه القويم ، وحبل حكمه الذي لا يتمكن يد
الباطل من [حل] عقده النظيم ، وكنوز دينه التي لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ؛ صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عَضُّوا على سنته بالنواجذ ، وذَبُّوا عن شريعته بسيوف
الجلاد القواطع وسهام الجدال النوافذ ؛ صلاة لا يزال يُقام فرضها ، ويملأ بها طول
البسيطة وعرضها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما توجهت إليه إلى آرياد أمته ، وتوفرت الدواعي على
التقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفويض مناصبه إلى البررة الكرام من
أمته - علم الحديث النبوي صلوات الله وسلامه على قائله ، وحفظه بدروسه التي
جعلت أواخر زمنه في صحة نقله ومعرفة أسرار كآوائله ؛ وأن نختار لذلك من نشأ
في طلبه حتى آكتل ، وسرى في تحصيله سرى الأهلّة حتى آكتمل ؛ وغدّى بلبان
التبحر فيه حتى آمترج بأديمه ، وجدّ في تحصيله واجتهد حتى ساوى [في] الطلب بين
حديث عمره وقديمه ؛ وحفظ من متونه ، ما بمثله يستحق أن يدعى حافظا ، وغلب
على فنونه ، حتى قل أن يرى [بغير] علومه والنظر في أحكامه لا فظا ؛ فإنه بعد كتاب
الله العزيز مادة هذا الدين الذي يُحكّم بنصوصه ، وتفاوت رتب العلماء في حسن
العمل بمطلقه ومقيّده وعمومه وخصوصه ؛ وعنهما تفرعت أحكام الملة فملأت
علومها جميع الآفاق ، وزكت أحكامها الشرعية على كثرة الإنفاق ؛ وسرى الناس منها
على المحجة التي آستوى في الإشراق ليّلها ونهارها ، وعلا على الملل بالبراهين القاطعة
نورها ومنارها ؛ وكفى أهلها شرفا أنهم يدبّون عن سنة نبهم ذبّ اللئوث ، ويؤدون

(١) لم يتقدّم ما يعطف عليه ولعل الأصل «فوجب أن نهتم به أجل اهتمام ، وأن نختار الخ» .

على الأسماع بما ينفع الناس في أمر دينهم ودنياهم منها جود الغيوث ، ويحافظون على ألفاظها محافظة من سمعها منه صلى الله وسلم عليه ، ويعظمون مجالس إيرادها ونقلها حتى كأنهم لحسن الأدب جلوس بين يديه ، ويُغالبون في العلو طلبا للقرب منه وذلك من أسنى المطالب ، ويرحلون لضم شوارده من الآفاق فيأقرب المشارق عندهم من المغارب ! .

ولما كان المجلس السامى الفلانى : هو الذى عني بكل ما ذكر من وصف كريم ، وحديث ورع قديم ، وقدم هجرة في علم الحديث اقتضت له حسن أولوية ووجوب تقديم ، وتلقى هذا العلم كما وصف عن أئمة حتى صار من أعيانهم ، ولقي منهم علماء أضحى باقتنائهم كما كانوا رحلة زمانهم ؛ ونظر في علومه فائقها فكانه ينطق فيها بلسان ابن الصلاح ، وأحرز غايات الكمال ، في أسماء الرجال ، فإلى اطلاعه يرجع في تجريح المجرح وتعديل الصحاح ؛ وكان منصب تدريس الحديث الشريف النبوى الذى أنشأناه بالجامع الحاكى تكثيراً لنشر أحاديث من لا ينطق عن الهوى ، ونويناه لأرتواء الرواة من بحر هذا العلم الشريف بالإعانة على ذلك وإتمام لكل أمرى ما نوى ، قد استغرقت أوقات مباشرة بتفويضنا الحكم العزيز على مذهبه (١) إليه ، وتوفير زمانه على

قلت : وتختلف أحوال التواقيع التى تكتب بالتدريس باختلاف موضوعاتها : من تدريس التفسير ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، والنحو ، وغير ذلك ، فى براعة الاستهلال والوصايا ، وهو فى الوصايا أكد .

(١) ترك هنا بياضاً للبقية ولمه لم يكمله اتكالا على ما هو معروف ومشهور فى مثله .

وهذه نُسخ وصايا أوردتها في التعريف :

وصية مدرّس — وَلْيَطَّلِعْ فِي مَحْرَابِهِ كَالْبَدْرِ وَحَوْلَهُ هَالَةً تَمْلِكُ الْحَلَقَةَ^(١) ،
وقد وَقَّتْ أَهْدَابُ ذَلِكَ السَّوَادِ مِنْهُ أَعْظَمَ آسُودَادًا مِنْ الْحَدَقَةِ ؛ وَلْيَرَقِّ سَجَادَتَهُ الَّتِي
هِيَ لِبَدَةِ جَوَادِهِ إِذَا أَسْتَنَّ الْحِدَالَ فِي الْمَضَامِرِ ، وَلْيُخَفِّ [أَضْوَاءَ] أَوْلَئِكَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ
هُمْ كَالنُّجُومِ كَمَا تَنْتَضَأُ الْكَوَاكِبُ فِي مَطَالِعِ الْأَقْمَارِ ؛ وَلْيُرِزْ لَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْمِحْرَابِ
كَمِينَهُ ، وَلْيُقِضْ عَلَى جَدَاوِلِهِمُ الْحَافَّةُ مَعِينَهُ ؛ وَلْيَقْدَفْ لَهُمْ مِنْ جَنَابَاتِ مَا بَيْنَ جَنْبَيْهِ
دُرَرُ ذَلِكَ الْبَحْرِ الْعَجَّاجِ ، وَلْيُرِهِمْ مِنْ غُرَرِ جِيَادِهِ مَا يُعَلِّمُ بِهِ أَنَّ سَوَائِقَهُ لَا يَهْوُلُهَا قَطْعُ
الْفَجَاجِ ؛ وَلْيُظْهِرْ لَهُمْ مِنْ مَكُونِ عِلْمِهِ مَا كَانَ يُخْفِيهِ الْوَقَارُ ، وَلْيَهَبْ مِنْ مَمْنُونِ فَضْلِهِ
مَا يَهَبُ مِنْهُ عَنْ ظَهْرِ غِيٍّ أَهْلَ الْإِفْتِقَارِ ؛ وَلْيَقَرِّرْ تِلْكَ الْبُحُوثَ وَيَبَيِّنْ مَا يَرُدُّ عَلَيْهَا ،
وَمَا يَرُدُّ بِهِ مِنْ مَنَعِهَا وَتَطَرَّقَ بِالنَّقْضِ إِلَيْهَا ؛ حَتَّى لَا تَنْفَصِلَ الْجَمَاعَةُ إِلَّا بَعْدَ ظُهُورِ
الترجيحِ ، وَالْإِجْمَاعِ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الصَّحِيحِ ؛ وَلْيُقْبَلْ فِي الدَّرُوسِ طَلَقُ
الْوَجْهِ عَلَى جَمَاعَتِهِ ، وَلْيَسْتَمِلْهُمْ إِلَيْهِ بِجُحْدِ اسْتِطَاعَتِهِ ؛ وَلْيُرَبِّهِمْ كَمَا يُرَبِّي الْوَالِدُ الْوَلَدَ ،
وَلْيَسْتَحْسِنْ مَا تَجِبُ بِهِ أَفْكَارُهُمْ وَإِلَّا فَكَمْ رَجُلٌ بِالْجَبْهِ لَبِنَتْ فِكْرًا وَآدَبٌ هَذَا
إِلَى أَخِيهِمُ بِالْإِسْتِغْنَالِ ، وَقَدْحَ أَذْهَانِهِمْ لِلْإِسْتِعْجَالِ ؛ وَلْيُنَشِّئِ الطَّلَبَةَ حَتَّى يَتِمَّ مِنْهُمْ
الْغُرُوسُ ، وَيُؤَهَّلَ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ لَا يُظَنُّ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَعَلَّمُ لِأَنَّهُ يُعَلِّمُ وَيُلْقِي الدَّرُوسَ .

وصية مقرئ :

وَلْيَدِّمْ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ تَلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ مُصْبِحُ قَلْبِهِ ، وَصَلَاحُ قُرْبِهِ ، وَصَبَاحُ
الْقَبُولِ الْمُؤَذِّنِ لَهُ بِرِضَا رَبِّهِ ؛ وَلْيَجْعَلْ سُورَةَ لَهُ أَسْوَارًا ، وَأَيَّاتِهِ تُظْهِرُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ

(١) جرى في تحريك لام الحلقة على ما رواه يونس عن أبي عمرو بن العلاء من كونه لغة في السكون

أنظر "المصباح" .

أنواراً ؛ ولتُتلَّ القرآن بحُرُوفِهِ وإذا قرأ استعاذ ، وليجمع طُرُقَهُ وهى التى عليها الجمهور ويترك الشَّوَادَ ؛ ولا يرتدَّ دونَ غَايَةٍ لإِقْصَارِ ، ولا يقفُ فبعد أن أتمَّ لم يبقَ بحمد الله إحصار ، وليتوسَّعَ فى مَذاهِبِهِ ولا يخرجُ عن قِراءة القُرَّاء السبعة أُمَّةِ الأمصار ؛ وليبدلُ للطلَّبة الرِّغَابَ ، وليشبع فإنَّ ذَوَى النِّهْمَةِ سَغَابَ ، وليُرِ الناسَ ما وهبه الله من الإِقْتِدَارِ فإنه آحتَضَنَ السَّبْعَ ودخل الغاب ؛ وليتمَّ مَبَانِي ما أتمَّ «أَبْنُ عامر» و«أبو عمرو» له التَّعْمِيرُ ، وَلَقَّه «الكِسَائِي» فى كِسَائِهِ ولم يقل جدِّى «أَبْنُ كَثِير» ؛ وَحُمَّ بِهِ «لَحْمَزَةُ» أن يعودَ ذَاهِبُ الزَّمانِ ، وعُلِمَ أَنَّهُ لا «عَاصِمَ» من أمر الله يُلْجَأُ معه إليه وهو الطُّوفَانُ ؛ وَطَفِقَ يتفجَّرُ علماً وقد وقفت السُّيُولُ الدَّوَاعِ ، وَضُرَّأَ كَثْرُ قُرَّاءِ الزَّمانِ لعدم تفهيمهم وهو «نافع» ؛ وليُقْبَلِ على ذَوَى الإقبالِ على الطَّلَبِ ، وليأخذهم بالتَّربِيةِ فما منهم إلا من هو إليه قد أنْتَسَبَ ؛ وهو يعلم ما مَنَّ الله عليه بحفظ كتابه العزيز من النِّعْماءِ ، ووصل سببَهُ منه بحبل الله المتمدِّد من الأرض إلى السماء ؛ فليَقْدُرْ حقَّ هذه النعمة بحسن إقباله على التعليم ، والإنصاف إذا سُئِلَ فعِلَّمُ الله ما يَتَنَاهَى «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَالِمٌ» .

وصية محدث :

وقد أصبح بالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ مُضْطَلِعاً ، وعلى ما جمَعته طُرُقُ أهل الحديث مُطَّلِعاً ؛ وَصَحَّ [فى] الصَّحِيحِ أَنَّ حَدِيثَهُ الْحَسَنَ ، وَأَنَّ الْمُرْسَلَ مِنْهُ فى الطَّلَبِ مَقْطُوعٌ عَنْهُ كُلُّ ذِي لَسَنِ ؛ وَأَنَّ سَنَدَهُ هُوَ الْمَأْخُودُ عَنِ الْعَوَالَى ، وَسَمَاعُهُ هُوَ الْمَرْقُوصُ مِنْهُ طُولُ اللَّيَالِ ؛ وَأَنَّ مِثْلَهُ لا يُوجَدُ فى نَسَبِهِ الْمُعْرِقُ ، ولا يُعَرَفُ مِثْلُهُ لِلْحَافِظِينَ «أَبْنِ عَبْدِ الْبَرِّ» بِالْمَغْرِبِ و «خَطِيبِ بَغْدَادَ» بِالْمَشْرِقِ ؛ وهو يعلم مِقْدَارَ طَلَبِ الطَّالِبِ فإنه طالماً شَدَّ لَهُ النِّطَاقَ ، وَسَعَى لَهُ سَعْيُهُ وَتَجَشَّمَ الْمَشَاقَّ ؛ وَارْتَحَلَ لَهُ يَشْتَدُّ بِهِ حِرْصُهُ وَالْمَطَايَا

مُرِّمِه ، وَيَنْبِهْ لَهُ طَلَبَه وَالْجُفُونُ مُقْفَلَةٌ وَالْعُيُونُ مُهَوَّمَةٌ ، وَوَقَفَ عَلَى الْأَبْوَابِ لَا يُضْجِرُهُ طَوْلُ الْوُقُوفِ حَتَّى يُؤَدِّنَ لَهُ فِي وُلُوجِهَا ، وَقَعَدَ الْقُرْفُصَاءَ فِي الْمَجَالِسِ لَا تَضِيقُ بِهِ عَلَى قِصَرِ فُرُوجِهَا .

فَلْيُعَامِلِ الطَّلِبَةَ إِذَا أَتَوْهُ لِلْفَائِدَةِ مُعَامِلَةً مِنْ جَرَبٍ ، وَلْيَنْشِطِ الْأَقْرَبَاءَ مِنْهُمْ وَيُؤْنِسِ الْغُرَبَاءَ فَمَا هُوَ إِلَّا مَنْ طَلَبَ آوَنَةً مِنْ قَرِيبٍ وَآوَنَةً تَغْرَبُ ، وَلْيُسْفِرْ لَهُمْ صَبَاحُ قِصْدِهِ عَنِ النَّجَاحِ ، وَلْيَتَّقِ لَهُمْ مِنْ عُقُودِهِ الصَّحَاحَ ، وَلْيُوضِّحْ لَهُمُ الْحَدِيثَ ، وَلْيُرِّحْ خَوَاطِرَهُمْ بِتَقْرِيبِهِ مَا كَانَ يُسَارُّ إِلَيْهِ السَّيْرَ الْحَثِيثَ ، وَلْيُؤْتِهِمْ مِمَّا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيهِ الْمَجَالَ ، وَيُعَلِّمَهُمْ مَا يَجِبُ تَعْلِيمُهُ مِنَ الْمُتُونِ وَالرِّجَالِ ، وَيُصَيِّرُهُمْ بِمَوَاقِعِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ ، وَالتَّوْجِيهِ وَالتَّعْلِيلِ ، وَالصَّحِيحِ وَالْمَعْتَلِّ الَّذِي تُتَنَاضَرُ أَعْضَاؤُهُ سُقْمًا كَالْعَلِيلِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لِرِجَالِ هَذَا الشَّانِ بِهِ عِنَايَهُ ، وَمَا يُنْقَبُ فِيهِ عَنْ دَرَايَةِ أَوْ يُقَنَّعَ فِيهِ بِمَجْرَدِ رَوَايَةٍ ، وَمِثْلُهُ مَا يُزَادُ حُلُمًا ، وَلَا يُعْرَفُ بِنِ رَخَّصَ فِي حَدِيثٍ مُضَوِّعٍ أَوْ كَتَمَ عِلْمًا .

وصية نحوي :

وهو زيد الزمان ، الذي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ ، وَعَمَرُوا الْأَوَانَ ، وَقَدْ كَثُرَ مِنْ سَيِّئِيهِ الْمَلَلُ ، وَمَا زِنَى الْوَقْتُ وَلَكِنَّهُ الَّذِي لَمْ تُسْتَبَحْ مِنْهُ الْإِبِلُ ، وَكَسَائِي الدَّهْرِ الَّذِي لَوْ تَقَدَّمَ لَمَا اخْتَارَ غَيْرَهُ الرَّشِيدُ لِلْأَمُونِ ، وَذُو السُّودَدِ ، لَا أَبُو الْأَسْوَدِ ، مَعَ أَنَّهُ ذُو السَّابِقَةِ وَالْأَجْرُ الْمُنُونُ ، وَهُوَ ذُو الْبَرِّ الْمَأْتُورِ ، وَالتَّقْدِرُ الْمَرْفُوعِ وَلَوَاؤُهُ الْمَنْصُوبُ وَذَيْلُ خِفَارِهِ الْمَجْرُورُ ، وَالْمَعْرُوفُ بِمَا لَا يُنْكَرُ لِمِثْلِهِ مِنَ الْحَزْمِ ، وَالذَّاهِبُ عَمَلُهُ الصَّالِحُ بِكُلِّ الْعَوَامِلِ الَّتِي لَمْ يُبْقِ مِنْهَا لِحُسُودِهِ إِلَّا الْحَزْمُ ، وَهُوَ ذُو الْأَبْيَةِ الَّتِي لَا يُفْصَحُ عَنْ مِثْلِهَا الْإِعْرَابُ ، وَلَا يُعْرَفُ أَفْصَحُ مِنْهَا فِيمَا أَخَذَ عَنْ الْأَعْرَابِ ،

والذى أصبحت أهدأه فوق عمام الغائم ثلاث ، ولم يزل طول الدهر يشكر منه
 أمسه ويومه وعده وإنما الكلمات ثلاث . فليتصد للإفاده ، وليعلمهم مثل
 ما ذكر فيه من علم النحو نحو هذا وزيادة ؛ وليكن للطلبة نبحا به يهتدى ، ويرفع
 بتعليمه قدّر كل خبر يكون خبرا له وهو المبتدا ؛ وليقدم منهم كل من صلح
 للتبريز ، وأستحق أن ينصب إماما بالتميز ؛ وليرد من موارد أعذب النطاف ،
 وليجرّ إليه كل مضاف إليه ومضاف ؛ وليوقفهم على حقائق الأسماء ، ويعرفهم
 دقائق البحوث حتى اشتقاق الأسم هل هو من السمو أو من السياء ؛ وليبين لهم
 الأسماء الأعجمية المنقولة والعربية الخالصة ، وليدّهم على أحسن الأفعال لا ما يشبه
 فيه بصفات كان وأخواتها من الأفعال الناقصة ؛ وليحفظهم المثل وكلمات
 الشعراء ، ولينصب نفسه لحدّ أذهان بعضهم ببعض نصب الإغراء ؛ وليعامل
 جماعة المستفيدين منه بالعطف ، ومع هذا كله فليرقّبهم فما بلغ أحد علما بقوة
 ولا غاية بعسف .



وهذه وصية لغوى^(١) أوردتها فى التعريف .

(١) بياض بأصله ، ولم تذكر هذه الوصية فى نسخة "التعريف" التى بيدنا .

الوظيفة الثامنة

(التصدير)

وموضوعة الجلوس بصدر المجلس بجامع أونحوه . ويجلس متكلم أمامه على كُرسى كأنه يقرأ عليه ، يفتح بالتفسير ثم بالرقائق والوعظيات ، فإذا انتهى كلامه وسكت ، أخذ المتصدر في الكلام على ما هو في معنى تفسير الآية التي يقع الكلام عليها ، ويستدرج من ذلك إلى ما سنع له من الكلام . وربما أفرد التصدير عن المتكلم على الكرسي .

وهذه نسخة توقيع بتصدير أنشأته للشيخ شهاب الدين « أحمد الأنصاري » الشهير بـ « الشاب التائب » بالجامع الأزهر ، وهي :

رسم ... لا زالت صدقائه الشريفة تحض المجالس بمن إذا جلس صدر مجلس (١)
كان لرتبه أجهل صدر يجتبي من علماء التفسير، ومن إذا دقق لم يفهم ... عنه (٢)
وإذا سلك سبيل الإيضاح كان كلامه في الحقيقة تفسير تفسير، وتصطفي من سرارة
الأماثل من دار نعمته بين « الشاب التائب » و « الشيخ الصالح » فكان له أكرم
نعت على كل تقدير - أن يستمر المجلس السامي أدام - الله تعالى رفعتة - في كذا
وكذا ، لأنه الإمام الذي لأسمائ علومه ولا تُسام، والعلامة الذي لأندرك مداركه
ولا تُرام ، والخبر الذي تنعقد على فضله الخناصر، وفارس الحلبة الذي يعترف
بالقصور عن مجارة جباهه المناظر، وآية التفسير التي لا تُنسخ، وعقد حقيقته الذي
لا يُفسخ ، والماهر الذي أستحق بمهارته التصدير، والجامع لفنونه المتنوعة

(١) أى بالامر الشريف الخ .

(٢) بياض بالأصل ولعله « لم يفهم شرحه إلا عنه » أونحو ذلك .

جمع سلامةٍ لاجمع تكسير ؛ وترجمانٌ معانيه الآتى من غرائب تأويله بالعجب العجائب ، والعارف بهدى طريقه الذى إذا قال قال الذى عنده علمٌ من الكتاب ؛ وزاهدٌ الوقت الذى زين بالعلم العمل ، وناسكٌ الدهر الذى قصر عن مبلّغ مداه الأمل .

فليتلق ما ألقى إليه بالقبول ، وليستند إلى صدر مجلس يقول فيه ويطول ؛ وليبين من معانى كتاب الله ما أجمل ، ويوضح من خفى مقاصده ما أشكل ، ويسلك فى تفسيره أقوم سنن ، ويعان بأسراره الخفية فسر كتاب الله أجدر أن يكون عن علن ، وليجر فيه على ما ألف من تحقیقاته فإنه إذا لم يحقق المناظرة فمن ؟ ، وليأخذ مشايخ أهل مجلسه بالإحسان ، كما أحسن الله إليه فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، ويخص شبابهم على التوبة ليحبهم الله فيتصل فى المحبة سندهم فإن « الشاب التائب » حبيب الرحمن ؛ والله تعالى يرقيه إلى أرفع الذرا ، ويرفع مجلسه السامى على محل الثريا (وإنا لرجو فوق ذلك مظهرا) . إن شاء الله تعالى .

الوظيفة التاسعة

(النظر)

وموضوعه التحدث فى أمورٍ خاصة بإباحة ضروراتها ، وعمل مصالحها ، واستخراج متحصّل جهاتها ، وصرفه على الوجه المعتبر ، وما يجرى مجرى ذلك .
وتشتمل على عدّة أنظار :

منها - نظر الأحباس : جمع حبس^(١) وهو الوقف : فقد تقدّم فى المقالة الثانية أنه كان أصل وضعه أراضى اشتراها (الإمام الليث بن سعد رضى الله عنه)

(١) فى المختار « والحبس كالفعل ما وقف » وهو المراد هنا .

وَوَقَفَهَا عَلَى جِهَاتٍ بَرٍّ، ثُمَّ تَبِعَهُ النَّاسُ فِي إِضَافَةِ الْأَوْقَافِ إِلَى ذَلِكَ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ
وِزَارَةُ الصَّاحِبِ بَهَاءِ الدِّينِ ابْنِ حَنَّا فِي سُلْطَنَةِ الظَّاهِرِ بَيْرَسِ الْبُنْدُقَادَرِيِّ ، فَأَفْرَدَ
لِلْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ وَالرُّبُطِ وَالزَّوَايَا وَنَحْوِ ذَلِكَ رِزْقًا، وَقَصَّرَ تَحَدُّثَ نَاضِرِ الْأَحْبَاسِ
وَمُبَاشَرِيهِ عَلَيْهَا ، وَأَفْرَدَتْ الْأَوْقَافُ بِنَاضِرٍ وَمُبَاشِرِينَ كَمَا سَيَأْتِي :

(١)
وهذه نسخة توقيع بتدريس الطب بالبيمارستان المنصوري ، كُتِبَ بِهَا «لِمَهْدَبِ
الدِّينِ» وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي دَبَّرَ بِحِكْمَتِهِ الْوُجُودَ ، وَعَمَّ بِرَحْمَتِهِ كُلَّ مَوْجُودٍ ، وَحَالَ بِنَفْعِ الدَّوَاءِ
بَيْنَ ضَرِّ الدَّاءِ كَمَا حَالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الْوُعُودِ ؛ نَحْمَدُهُ وَنُشْكِرُهُ وَهُوَ الْمَشْكُورُ الْمَحْمُودُ ،
وَنُثْنِي عَلَيْهِ خَيْرَ الثَّنَاءِ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى الْجَنُوبِ وَفِي السُّجُودِ ، وَنُسْتَرِيدُهُ مِنْ فَضْلِهِ
فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْجُودِ .

وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً اللَّهُ بِهَا وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُو الْعِلْمِ
شُهُودٌ ؛ وَنُشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُبَشِّرُ لِأُمَّتِهِ بِالْجَنَّاتِ وَالْخُلُودِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً دَائِمَةً إِلَى يَوْمِ الْوُعُودِ .

وبعد ، فَإِنَّا لَمَّا أَقَامَ اللَّهُ بِنَا شَعَائِرَ الْإِيمَانِ ، وَأَصْبَحَ دِينُهُ بِحَمْدِ اللَّهِ مَنْصُورًا بِنَا
عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ ، وَجَاهِدْنَا فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهَادِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ ، وَشَيْدْنَا لِعُلُومِهِ
وَشَرَائِعِهِ كُلِّ بَدِيعِ الْإِتْقَانِ ، وَرَتَّبْنَا فِيهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْيَانِ كُلِّ رَفِيعِ الشَّانِ ، وَأَخْتَرْنَا
لَهُ الْأَخْيَارَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالطَّبِّ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ ؛ وَرَأَيْنَا كُلَّ مَنْ تَقَدَّمَ
مِنَ الْمُلُوكِ ، وَإِنْ سَلَكَ فِي سِيَاسَةِ الرِّعْيَةِ أَحْسَنَ سُلُوكٍ ، قَدْ أَهْتَمَّ بِعِلْمِ الْأَدْيَانِ وَأَهْمَلَ

(١) حق هذا التوقيع أن يذكر في مواقع الوظيفة السابعة الخاصة بالتدريس .

علم الأبدان؛ وأنشأ كل منهم مدرسة ولم يحفل ببيمارستان، وغفل عن قوله صلى الله عليه وسلم: «العلم علمان»؛ ولم يأخذ أحدا من رعيته بالأشتغال بعلم الطب المضطر إليه، ولا وقف وقفا على طلبة هذا العلم المنصوص عليه، ولا أعد له مكانا يحضر من يشتغل بهذا الفن فيه، ولا نصب له شخصا يمثل هذا المشتغل لديه - علمنا نحن بحمد الله تعالى من ذلك ما جهلوه، وذكرنا من هذه القرية ما أهملوه، ووصلنا من هذه الأسباب الدينية والدنيوية ما فصلوه؛ وأنشأنا بيمارستانا يبهر العيون بهجه، ويفوق الأبنية بالدليل والحجة، ويحفظ الصحة والعافية على كل مهجه؛ لوحه من أشفى العوجل بالشفا، أو جاءه من أكمده السقم لاشتفى، أو أشرف عليه العمر بلا شفاء لعاد عنه بشفا؛ ووقفنا عليه من الأوقاف المبرورة ما يملأ العينين، ويطريف سماع جملته الأذنين، ويعيد عنه من أمه مملوء اليدين؛ وأبجنا التداوى فيه لكل شريف ومشروف ومأمور وأمير، وساويننا في الانتفاع به بين كل صغير وكبير، وعلمنا أن لانظير لنا في ملكنا ولا نظير له في إبقائه فلم نجعل لوقفه وشرطه من نظير؛ وجعلنا فيه مكانا للأشتغال بعلم الطب الذى كاد أن يجهل، وشرعنا للناس إلى ورد بحره أعذب منهل، وسهلنا عليهم من أمره ما كان الحلم به من اليقظة أسهل؛ وأرتدنا له من علماء الطب من يصلح لإلقاء الدروس، وينتفع به الرئيس من أهل الصناعة والمرءوس، ويؤمن على صحة الأبدان وحفظ النفوس؛ فلم نجد غير رئيس هذه الطائفة أهلا لهذه المرتبة، ولم نرض لها من لم تكن له هذه المنقبه، وعلمنا أنه متى وليها أمسى بها معجبا وأصحت به معجبه.

ولما كان المجلس السامى «مهذب الدين» هو الرئيس المشار إليه، والوحيد الذى تُعقد الخناصر عليه؛ وكان هو الحكيم «بقراط»، بل الجليل «سقراط»؛ بل الفاضل «جالينوس»، بل الأفضل «ديسقوريدوس» - أقنضت الآراء

الشريفة أن تزداد جلالته بتولية هذا المنصب الجليل جلاله ، وأن تُزَفَّ إليه تجرُّ أذياله ، وأن يقال : (لم يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا هَا وَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ) .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال للدين ناصرا ، ولأعلام العلوم ناشرا - أن يفوض إليه تدريس الطب بالبيارستان المبارك المنصوري ، المستجدة الإنشاء بالقاهرة المحروسة ، علما بأنه المتمهر في هذا الفن ، وأنه عند الفِرَاسة فيه والظن ، وأنه سقراط الإقليم إذا كان غيره سقراط الدن ، وثقة بأنا للجوهر قد ألتقطنا ، وبالحير قد آغبتنا ، وعلى الخبير قد سقطنا .

فلتلق هذه النعمة بالشكر الجليل ، والحمد الجزيل ، والثناء الذي هو بالتمام والزيادة كفيلا ، وليتصب لهذا العلم المبارك انتصاب من يقوم بالفرض منه والسنة ، ويعرف له فيه الفضل ويتقلد له فيه المنه ، ويثني على آثاره الجميلة فيه ويثني إليه الأعنة ، وليسطل بتقويمه الصحة ما ألفه ابن « بطلان » ، وليرنا بتدبيره جملة البر فإنه « جالينوس » الزمان ، وليبذل النجاة من الأمراض والشفاء من الأسقام فإنه « ابن سينا » الأوان ، وليجمع عنده شمل الطلبة ، وليعط كل طالب منهم ما طلبه ، وليبلغ كل متمر من الاشتغال أربه ، وليشرح لهم صدره ، وليبذل لهم من عمره شطره ، وليكشف لهم من هذا العلم المكنون سره ، وليرهم ما خفي عنهم منه جهوه ، وليجعل منهم جماعة طبائعيه ، وطائفة كحّالين وجراحية ، وقوما مجربين ، وبالحديد عاملين ، وأخرى بأسماء الحشائش وقوى الأدوية وأوصافها عاملين ، وليأمر كلاً منهم بحفظ ما يجب حفظه ، ومعرفة ما يزيد به خطه ، وليأخذ بما يصلح به لسانه ولفظه ، ولا يفتّر عنهم في الاشتغال لحظه ، وليفرد لكل علم من العلوم طائفة ، ولكل فن من فنونه جماعة بحاسنه عارفة ، وليصرف إليهم من وجوه فضائله كل عارفه ،

وَلْيَكْشِفْ لَهُمْ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ غَوَامِضِهِ فَلَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ إِيضَاحِهِ كَاشِفَةٌ ؛
لِيُنْشَرَفَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمُبَارَكِ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الْعُلُومِ قَوْمٌ بَعْدَ قَوْمٍ ، وَيُظْهَرَ مِنْهُمْ
فِي الْغَدِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - أَضْعَافُ مَا هُوَ ظَاهِرٌ مِنْهُمْ الْيَوْمَ ؛ وَلَيُقَالُ لِكُلِّ مَنْ طَلَبَتْهُ
إِذَا شُرِعَ فِي إِجَارَتِهِ وَتَرْكِتِهِ : لَقَدْ أَحْسَنَ شَيْخُهُ الَّذِي عَلَيْهِ تَأْدَبٌ ، وَإِنَّ مَنْ خَرَجَ
هَذَا « الْمَهْدَّبِ » ؛ عَامِلًا فِي ذَلِكَ بِشُرُوطِ الْوَاقِفِ أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ ، وَاقِفًا عِنْدَ أَمْرِهِ
أَمْضَى اللَّهُ أَمْرَهُ ؛ وَالْخَيْرُ يَكُونُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الأحياس مفتحة بـ «أما بعد» وهي :

أما بعد حمد الله الذى أذن أن تُرفع بيوته ويذكر فيها أسمه ، ويكثر فيها قسم
ثوابه ويُنزل قسمه ، والصلاة على سيدنا محمد الذى عظم به قطع دابر الكفر وكثر
حسمه - فإن خير من عول عليه فى تأسيس بيوت الله وعمارة ربوعها ، ولم شعثها
وشعب صدوعها ، والقيام بوظائفها ، وتسهيل لطائفها ، وتأهيل نواحيها ، لهُبُوطِ
الملائكة لتلقى المصلين فيها ، مَنْ كَانَ ذَا عَزْمٍ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَحَرَمٌ لَا يُلْمُ
بِأَفْعَالِهِ لَمَمَ الْمَآثِمِ ، وَنَظِيرِ ثَاقِبٍ ، وَرَغْبَةٍ فِي اخْتِيَارِ جَمِيلِ الْمَآثِرِ وَالْمَنَاقِبِ ، وَمُبَاشَرَةٍ
تَرْغَى قَوَانِينَ الْأُمُورِ وَتَكْتِنُفُهَا أَكْتِنَافُ مُرَاقِبٍ .

ولما كان فلان ممن هذه الأوصاف شعأره ، وإلى هذه الأمور بدأره ؛ وكم كتب
الله به للدولة أحراراً كيع وساجد ، وكم شكرته وذكرته ألسنة أعلام الجوامع وأفواه
محاريب المساجد - أقتضى مُنِيفِ الْمَلاحِظَةِ وَالْمَحَافِظَةِ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ مِنْ بِيُوتِ
الله وشاهد ، أن خرج الأمر الشريف - لا يرح يكشف الأوجال ، ويدعوله
فى الغدو والآصال رجال - أن يفوض لفلان نظردىوان الأحياس والجوامع
والمساجد المعمورة بذكر الله تعالى .

فليباشرها مباشرة من يُراقب الله [إن] وقع أو توقع ، وإن أطاع أو تطوع ؛
وإن عزل أو ولى ، وإن أدب من نهى عبدا إذا صلى ؛ وليجتهد كل الاجتهاد
في [صرف] ريع المساجد والجوامع في مصارفها الشرعية ، وجهاتها المرعية ؛ وليأخذ
أهلها بالملازمة في أحيائها وأوقاتها ، وعمارتها بمصاييحها وآلاتها ؛ وحفظ ما يحفظون
به لأجلها ، ومعاملتهم بالكرامة التي ينبغي أن يعامل مثلهم بمثلها ؛ وليحترز في إخراج
الحالات إذا خرجت وأخرجت ، وفي مستحقات الأجائر إذا استحققت وإذا
عُجِّلَتْ ؛ وفي التواقيع إذا أنزلت وإذا نُزِلَتْ ، وفي الاستثمارات التي أُهْمِلَتْ وكان
ينبغي لو أُهْلَتْ ؛ وإذا باشر [و] ظهر له بالمباشرة خفايا هذا الديوان ، وفهم
ما تحتويه جرائد الإحسان ، فليكن إلى مصالحه أول مُبَادِر ، ويكفيه تدبر قوله
تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

قلت : وقد كنت أنشأت توقيعا بنظر الأحباس ، للقاضي « بدر الدين حسن »
الشهير بابن الداية ، مفتحا بالحمد لله ، جاء فردا في بابه . إلا أن مسودته غيبت
عني ، فلم أجدها لأنيبتها هاهنا كما أثبت غيرها مما أنشأته : من البيعات والعهود
والتواقيع والرسائل وغير ذلك .

ومنها - نظر الأوقاف بمصر والقاهرة المحروستين ، ويدخل فيه أوقاف الحرمين
وغيرهما .

وهذه نسخة توقيع بنظرها ، وهي :

الحمد لله الذي حفظ معالم البر من الدثور ، وأحيا آثار المعروف والأجور ، وصان
الأوقاف المحبسة من تبديل الشروط على توالي الأيام والشهور .

نحمده على فضله الموفور ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لها في القلوب نور على نور ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المؤيد المنصور ، الطالع البدور ، المبعوث بالفرقان والنور ، المنعوت في التوراة والإنجيل والزبور ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما كرت الدهور ، وطلعت كواكب ثم تغور .

وبعد ، فإن أهل الخير من المؤمنين تقربوا إلى الله سبحانه وتعالى من طيبات أموالهم بأوقاف وقفوها على وجوه البر وعرفوها ، وجعلوا لها شروطا ووصفوها ، فتقبل الله لهم ذلك ، ثم ماتوا فما أنقطع عملهم بها وهم في برزخ المهالك ، وليها بعدهم الأبناء من النظار ، فقاموا بحقوقها وحفظ الآثار ، وأجروا برها الدار في كل دار ، وصانوا معالمها من الأغيار ، وشاركوا واقفيها في الصدقة لأنهم خزان أمانه أخيار .

ولما كان فلان هو الذى لا يتدنس عرضه بشائبه ، ولا تسمى المصالح وهى عن فكره غائبه ، ولا تبرح نجوم السعود طالعة عليه غير ذائبه ، وهو أهل أن يناط به التحدث في جهات البر الموقوفة ، وأموال الخير المصروفة ، لأنه نزه نفسه عما ليس له فلو كانت أموال غيره غنما ما اختص منها بصوفه ، فلذلك رسم ... (١) .

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة حسنة التأثير ، جميلة التثمين ، مأمونة التغيير ، مخصوصة بالتعبير ، ولينظر في هذه الأوقاف على اختلافها من ربوع ومباني ، ومساكن ومغانى ، وخانات مسبله ، وحوانيت مكلمه ، ومسقفات معموره ، وساحات مأجورة غير مهجورة . وليبدأ بالعمارة فإنها تحفظ العين وتكفى البناء دئوره ، وليتبع شروط الواقفين ولا يعدل عنها فإن في ذلك سروره ، ويندرج في هذه

(١) بيض له في الأصل لعله من أمثاله السابقة .

الأوقاف ما هو على المساجد ومواطن الذكر : فليقيم شعارها ، وليحفظ آثارها ، ويرفع منارها ، والوصايا كثيرة والتقوى ظلها المخطوب ، ومراقبة الله أصلها المطلوب ووصلها المحبوب ، والله تعالى يجمع على محبته القلوب ، بمنه وكرمه ! .

ومنها - نظر البيارستان المنصوري بين القصرين لأرباب الأقلام ، وهو من أجل الأنظار وأرفعها قدرا ، ما زال يتولاه الوزراء وكُتب السرّ ومن في معناهم .
[وهذه نسخة توقيع] من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهى :
(١)

الحمد لله رافع قدر من كان في خدمتنا الشريفة كريم الخلال ، ومعلي درجة من أضفى عليه الإخلاص في طاعتنا العلية مديد الظلال ، ومجدد نعم من لم يخصه اعتناؤنا بغاية إلا ورقته همته فيها إلى أسنى رتب الكمال ، ومفوض النظر في قرب سلفنا الطاهر إلى من لم يلاحظ من خواصنا امرا إلا سرنا ما نُشهد فيه من الأحوال الحوال .

نحمده على نعمه التي لا تزال تسرى إلى الأولياء عوارفها ، ومننه التي لا تبحر تشمل الأصفياء عواطفها ، وآلائه التي تُسدّد آراءنا في تفويض قربنا إلى من إذا باشرها [سر] بسيرته السرية مستحقها وواقفها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رفع الإخلاص لواءها ، وأفاض الإيمان على وجوه حملتها إشراقها وضيائها ، ووالى الإيقان إعادة أدائها بمواقف الحق وإبداءها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المخصوص بعموم الشفاعة العظمى ، المقصود في السنة ذكر حوضه الذي من شرب منه شربة فإنه بعدها لا يظما ، المنصوص على نبوته في الصحف المنزلة وبشّرت به الهوائف نثرا ونظما ؛ صلى الله

(١) تقدمت في وظائف الطبقة الثانية من ذوات التواقيع ببعض تغيير واختصار .

عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا من طاعته ، بالرَّتب الفاعره ، وحازوا بالإخلاص
فى محبَّته ، سعادة الدنيا والآخرة ، وأقبلوا على حظهم من رضا الله ورضاه فلم يُلُوا
على خَدَع الدنيا الساعره ؛ صلاةً دائمةً الاتِّصال ، أمانةً شمس دَوْلَتِها من الغروب
والزَّوال ؛ وسلَّم تسليمًا كثيرًا .

وبعد ، فإنَّ أولى الأمور بأنعام النَّظر فى مصالحها ، وأحقَّها بتوفير الفكر على
اعتبار مناهجها وأعتاد مناجحها - أمرُ جهات البر التى تقرب والدُّنا السلطان الشهيد -
قدس الله روحه - بها إلى مَنْ أفاض نِعَمه عليه ، وتتَّوَعَّع فى إنشائها فأحسن فيها
كما أحسن الله إليه ، ورغب بها فيما عند الله لعلَّه أنَّ ذلك من أنفُس الذخائر التى
أعدَّها بين يديه ؛ وحلَّ منها فى أكرم بقعة نقله الله بها عن سريريه إلى مقعد صدق
عند ربِّه ، وعمرَّ بها مواطن العبادة فى يومٍ سلَّمه بعد أن عفى على معاقل الكفر
فى يوم حرَّيه ؛ وأقام بها منار العلوم فعلا مناهُها ، وأعدَّ للضعفاء بها من مواد البر
والإلطاف مالو تعاطته الأغنياء قُصرت عن التطاول إليه أموالها ؛ وأن نرَّاد لها
مَنْ إذا فوضنا إليه أمرًا تحقَّقنا صلاحه ، وتيقَّننا نجاحه ؛ واعتقدنا تيمية أمواله ،
واعتمدنا فى مضاعفة ارتفاعه وانتفاعه على أقواله وأفعاله ؛ وعلمنا مَنْ ذلك
ملا نحتاج فيه إلى إخبار ولا اختيار ، ولا يحتاج فى بيان الحيرة فيه إلى دليل إلَّا إذا
احتاج إليه النَّهار ؛ لتكون فى هذا بمثابة مَنْ ضاعف لهذه القُرب أسباب ثوابها ،
أوجدَد لها وقفًا لكونه أتى بيوت الإحسان فى آرتياد الأُكفاء لها من أبوابها .

ولذلك لما كان فلانٌ هو الذى صانَ أموالَ خواصِّنا ، وأبانَ عن يَمْن الآراء
فى استِثْنا رنا به لمصالحنا الخاصَّة واختصاصنا ؛ واعتدَدنا بحِجَل نظره فى أسباب التدبير
التي تملأ الخزائن ، وتُدلُّ على أنَّ من الأولياء من هو أوقع على المقاصد من سهام

الكائن ، وتُحقَّق أنه كما في العناصر الأربعة معادن فكذا في الرجال معادن ؛ ونهت أوصافه على أنه ما ولي أمراً إلا وكان فوق ذلك قدراً ، ولا أعتد عليه فيما تضيق عنه همم الأولياء إلا رُحِب به صدراً ، ولا طلع في أفق رتبة هلالا إلا وتأملت العيون في أجل درج الكمال بدراً ؛ يدرك ما نأى من مصالح ما يليه بأدنى نظر ، ويسبق في سداد ما يباشره على ما يجب سداد الآراء ومواقع الفكر ؛ فنحن نزداد كل يوم غبطة بتدبيره ، ونحقق أن كل ما عدقنا به إليه : من أمرٍ جليل فقد أسندناه إلى عارفه وفوضناه إلى خبيره - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نعدق بجميل نظره أمر هذا المهمّ المقدم لدينا ، وأن نفوض إليه نظر هذه الأوقاف التي النظر في مصالحها من آكد الأمور المتعينة علينا .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال فضله عيماً ، وبرّه يقدم في الرتب من كان من الأولياء كريماً - أن يفوض إليه كيّس وكيّس .

فليل هذه الرتبة التي أريد بها وجه الله وما كان لله فهو أهم ، وقصد بها النفع المتعدّي إلى العلماء ، والفقراء ، والضعفاء ومراعاة ذلك من أخصّ المصالح وأعم ؛ لينظر في عموم مصالحها وخصوصها نظراً يسدّ خلأها ، ويزيح عللها ، ويعمر أصولها ، ويثمر محصولها ، ويحفظ في أماكنها أموالها ؛ ويقم معالم العلوم في أرجائها ، ويستترل بها مواد الرحمة لساكنيها بالسنة قرائها ؛ ويستعيد صحة من بها من الضعفاء بإعداد الدخائر لملاطفة أسقامها ومعالجة أدوائها ؛ ويحافظ على شروط الواقف - قدس الله روحه - في إقامة وظائفها ، وأعتبر مصارفها ؛ وتقديم ما قدمه مع ملاءة تدبيره باستكمال ذلك على أكمل ما يجب ، وتمييز حواصلها بما يستدعي إليها من الأصناف التي يعزّ وجودها ويحتلّب ، وضبط تلك الحواصل التي لا خزائن لها أوثق من أيدي

أمنائه وثِقَاتِهِ ، وَلَا مُودَعَ لَهَا أَوْفَقُ مِنْ أَمَانَةٍ مِنْ يَتَّقِ اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؛ وَلِيَفْعَلْ فِي ذَلِكَ جَمِيعَهُ مَا عَرَفْنَاهُ مِنْ تَدْيِيرِهِ الْجَمِيلِ خُبْرًا وَخَبْرًا ، وَحَمْدِنَاهُ فِي كُلِّ مَا يَلِيهِ وَرَدًا فِي الْمَصَالِحِ وَصَدْرًا ؛ فَإِنَّهُ - بِحَمْدِ اللَّهِ - الْمَيْمُونُ نَظْرًا وَتَصَرُّفًا ، الْمَأْمُونُ نَزَاهَةً وَتَعَقُّفًا ؛ الْكَرِيمُ سَجِيَّةً وَطِبَاعًا ، الرَّحِيبُ فِي تَلَقُّي الْمَهْمَاتِ الْجَلِيلَةِ صَدْرًا وَبَاعًا ؛ فَلِذَلِكَ وَكَلَّنَاهُ فِي الْوَصَايَا إِلَى حُسْنِ مَعْرِفَتِهِ وَأَطْلَاعِهِ ، وَيُثْنِ نُهُوضِهِ بِمَصَالِحِنَا وَأَضْطِلَاعِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَدِّدُهُ فِي قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ ، وَيَحَقِّقُ بِالْوُقُوفِ مَعَ مَرَاضِي اللَّهِ تَعَالَى وَمَرَاضِينَا غَايَةَ أَمَلِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



ومنها - نظر الجامع الناصري بقلعة الجبل .

وهذه نسخة توقيع بنظره ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي جَلَالِ الدِّينِ الْقَزْوِينِيِّ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ قَاضِي قُضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ بِالْأَمَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي زَادَنَا الدِّينَ رِفْعَةً وَجَلَالًا ، وَجَعَلَ لَنَا عَلَى إِعْلَاءِ مَنَارِ الْإِسْلَامِ إِقْبِلًا ، وَأَحْسَنَ لِنَظَرِنَا الشَّرِيفِ فِي كُلِّ آخْتِيَارٍ مَالًا ، وَوَفَّقَ مَرَامِي مَرَامِنَا لِمَنْ أَخْلَصْنَا عَلَيْهِ أَتَّكَلًا .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَتَوَاتَرُ وَيَتَوَالِي ، وَيُقَرِّبُ مِنَ الْمُنَى مَنَالًا ، وَتُثِيرُ بِهِ مَعَاهِدُ نِعَمِهِ عِنْدَنَا وَتَتَلَالَا ، وَتُدِيمُهُ إِدَامَةً لَا تَنْبَغِي عَنْهَا حَوْلًا وَلَا أَتَتْقَلَا .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَصَدَّقَهَا نِيَّةً وَمَقَالًا ، وَنَرْجُو بِالْتَّغَالَى فِيهَا الْقَبُولَ مِنْهُ تَعَالَى ، وَيَتَرَأَّسُ عَلَيْهَا الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ فَلَا يَعْتَرِي ذَاكَ سَهْوٌ وَلَا يَخَافُ هَذَا كَلَالًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي كَرَّمَ صَحَابَةً وَآلًا ، وَدَهَّمْ عَلَى الرُّشْدِ فَوَرَّثُوهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ رَجَالًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ صَلَاةً تَسْتَرْعِي عَلَيْهِمَا

من الحَفَظَةِ أَكْفَاءً أَكْفَالًا ، ونَسْتَمِدُّ لِرُقْمِهَا الْمَذْهَبَاتِ بُكْرًا وَأَصَالًا ، وتَسْمُو إِلَيْهِ
الْأَنْفَاسُ سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا فَحَالًا ، مَا مَدَّتِ اللَّيَالِي عَلَى أَيَّامِهَا ظِلَالًا ، وَمَا بَلَغَ
سَوَادُ شَبَابِهَا مِنْ بَيَاضِ صُبْحِ اكْتِهَالَا ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ مِنْ بَنَى حَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يُشِيدَ ، وَمَنْ أَرَادَ [أَنْ] سَلَّتْهُ الْحُسْنَى تَبْقَى فليَتَّخِذْ
مُعِينًا عَلَى مَا يُرِيدُ ، وَمَنْ أَنْشَأَ رَأً فَلَا بُدَّ مِنْ مَبَاشِيرٍ عَنْهُ يَضْمَنُ لَهُ التَّجْدِيدَ ، وَيُظَنُّ
بِهِ مَعَ تَأْيِيرِهِ التَّخْلِيدَ ، وَمَنْ تَاجَرَ لِلَّهِ بِمَعْرُوفٍ فَمَا يَسْخُو بِالمُشَارَكَةِ فِيهِ إِلَّا مَنْ يَقُومُ
مَقَامَ نَفْسِهِ أَوْ يَزِيدُ ، وَمَنْ بَدَأَ جَمِيلًا فَشَرُطَ صِلَاحَهُ أَنْ يُسَيِّدَهُ إِلَى مَنْ لَهُ بِالمُرَاقَبَةِ
تَقْيِيدٌ ، فَيَا يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ، وَأَيُّ إِشَادَةٍ أَقْوَى ، مِنَ التَّاسِيسِ عَلَى التَّقْوَى ؛ أَوْ مَعِينِ
أَجَلٌ مِنْ حَاكِمِ اسْتِخْلَاصِنَاهُ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ مَبَاشِرِ أَنْفَعُ ، مِنْ سَيِّدِ آرْتَدَى
بِالْحُجْدِ وَتَلَفَّعَ ، وَتَرَوَّى بِالْعُلُومِ وَتَضَلَّعَ ؛ أَوْ مُشَارِكٍ فِي الْخَيْرِ أَوَّلَى مِنْ وَلِيِّ قَلْدَنَاهُ دِينَنَا
قَبْلَ الدُّنْيَا ، وَأَعْلَيْنَاهُ بِالْمُنَصِّبِينَ : الْحُكْمُ وَالْخَطَابَةُ فَتَصَرَّفَ مِنْهُمَا بَيْنَ الْكَلِمَةِ الْعَالِيَةِ
وَالدَّرَجَةِ الْعُلْيَا ؛ أَوْ أَحْسَنُ مِرَاقَبَةٍ مِنْ حَبْرٍ يَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ ، وَإِمَامٌ يَدْعُو إِلَيْهِ
دُعَاءَ أَوَابٍ أَوْاهَ ؛ قَدْ آنَفَرَدَ بِمَجْمُوعِ الْمَحَاسَنِ يَقِينًا ، وَأَصْبَحَ قَدْرُهُ الْجَلِّيَّ الْجَلِيلَ يَعْنِينَا
وَعَنِ الْمَدَائِحِ يُعْنِينَا ؛ فَحَسْبُنَا الْوَصْفُ إِضَاحًا وَتَبْيِينًا ، وَلَكِنْ نَصَّرَحَ بِاسْمِهِ تَنْوِيهَا
وَتَعْيِينًا ، وَتَحْسِينًا لِسِيرَةِ أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ بِعَالِمِ زَمَانِهَا وَتَزْيِينًا ، لَا عُذْرَ لِفِكْرٍ لَمْ يُنْصَدِّ
مِنَاقِبِهِ وَقَدْ تَمَثَّلَتْ مَعَالِيهِ جَوَاهِرُ ، وَقَلَمٌ لَمْ يُوشَّ الطُّرُوسَ بِمَعَانِيهِ بَعْدَ مَا زَانَ مِنْ فُنُونِهَا
أَنْوَاعَ الْأَزَاهِرِ ، هُوَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الْقَضَائِيَّ ، الْإِمَامِيُّ ، الْعَالِمِيُّ ، الْعَامِلِيُّ ، الْعَلَامِيُّ ،
الْكَامِلِيُّ ، الْفَاضِلِيُّ ، الْقُدُّوِيُّ ، الْمُفِيدِيُّ ، الْخَاشِعِيُّ ، النَّاسِكِيُّ ، الْوَرَعِيُّ ، الْحَاكِمِيُّ ،
الْجَلَالِيُّ : حُجَّةُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، قُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ فِي الْعَالَمِينَ ؛ بَرَكَةُ الْأُمَمِ ،

(١) مأخوذ من أشاد بنيانه اذا طوله . أنظر اللسان في مادة ش و د — ج ٤ — .

عَلَامَةُ الْإِئِمَّةِ ، عِزُّ السَّنَةِ ، مَوْيِدُ الدَّوْلَةِ ، سَيْفُ الشَّرِيعَةِ ، شَمْسُ النُّظَرِ ، مُفْتَى
 الْغُرَرِ ، خَطِيبُ الْخُطَبَاءِ ، إِمَامُ الْبُلْغَاءِ ، لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، حَكَمُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ،
 وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبُو الْمَعَالَى مُحَمَّدُ بْنُ قَاضِي الْقَضَاةِ سَعِيدِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْقَزْوِينِي قَاضِي الْقَضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ : أَدَامَ اللَّهُ عِزَّةَ الشَّرْعِ
 الشَّرِيفِ بِأَحْكَامِهِ ، وَتَرْفِيهِ سَيُوفِ الْجِلَادِ وَأَسْلِهِ بِلِسَانِ جِدَالِهِ وَأَقْلَامِهِ ؛ قَاضٍ
 يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُهْتَرِجِينَ بِرَأْيٍ لَا يَطِيشُ حُلُمَهُ وَلَا يَزِلُّ حُكْمَهُ ، وَيَتَّقِي الشُّبُهَاتِ بِوَرَعٍ
 يَتَّبِعُهُ عَمَلُهُ وَيَهْدِيهِ عِلْمُهُ ؛ مَا لَحَظَ جِهَةً إِلَّا حَظَّتْ بِرُكَّةٍ دَارَةً مِنْهَا ، سَارِيَةٍ
 مَنَاجِحُهَا سَارِيَتُهَا ؛ وَلَا أَقْبَلَ عَلَى بَيْتٍ مِنْ بِيُوتِ اللَّهِ إِلَّا حَقَّ مِنْهُ إِلَى سُبُحَاتِ
 الْجَلَالِ ، وَلَا تَكَلَّمَ فِي وَقْفٍ إِلَّا أَجْرَاهُ فِي صَالِحِ الْأَعْمَالِ عَلَى أَقْوَمِ مِثَالٍ ؛ وَنَحْنُ لِهَذِهِ
 الْمَزَايَا نَزَدُ إِلَى نَظَرِهِ الْكَرِيمِ مَا أَهَمَّنَا مِنْ عِمَارَةِ مَسْجِدٍ وَجَامِعٍ ، وَتُقَلِّدُهُ مِنْ أَوْقَافِنَا
 مَا يَخْلُقُنَا فِيهِ خَيْرًا فَإِنَّ الْأَوْقَافَ وَدَائِعَ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي الْمَوْلَوِيِّ ، السُّلْطَانِيِّ ، الْمَلِكِيِّ ، النَّاصِرِيِّ -
 لَا زَالَ يُصِيبُ الصَّوَابَ ، وَلَا يَعْدُو أُولَى الْأَلْبَابِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظْرُ الْجَامِعِ
 النَّاصِرِيِّ الْمَعْمُورِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَوْقَافِهِ ، وَالنَّظَرُ عَلَى التَّرْبَةِ
 وَالْمَدْرَسَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ وَأَوْقَافِهَا .



ومنها - نَظَرُ مَشْهَدِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى خِطِّ الْقَاهِرَةِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ الصَّالِحَ طَلَائِعَ
 ابْنَ رُزَيْكَ حِينَ قَصَدَ نَقْلَ رَأْسِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، بَنَى لَذَلِكَ جَامِعَهُ

(١) يريد المتخصصين ولكننا لم نذكر على هذا البناء فيما بأيدينا من كتب اللغة .

خارج بابى زويلة^(١)، فبلغ ذلك الخليفة فأفرد لها هذه القاعة من قاعات القصر وأمر بنقلها إليها .

وهذه نسخة توقيع بنظره ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله الذى جعل مواطن الشرف فى أيامنا الزاهرة ، محصورة فى أكفائها ، ومشاهد السيادة فى دولتنا القاهرة ، مقصورة على من حَبَّته أوامِرنا باعتنائها ، وخصَّته آلاؤنا باصطفائها ، الذى أجرى حُسن النظر فى مَظان الآباء الطاهرة على يد من طلع فى أفق العلياء من أبنائها ، وعمر معاهد القربات بتدبير من بدأ بقواعد دينه وأجاد إحكام تشييدها وإتقان بنائها .

نحمده على ماخصَّته به أيامنا من رفع أقدار ذوى السيادة والشرف ، وأتَّصف به إنعامنا من مزيد برِّعلم بحُسن ظهوره على الأولياء أن الخير فى السرف .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يُعرَف بها من اعترف ، ويُشرف قدر من له بالمحافظة عليها شَغَف ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى طهر الله بضَعته الزهراءَ وبَيْنها ، وخصَّهم بمزية القربى التى نَزَّهه أن يسأل على الهداية أجراً إلا المودة فيها ، صلى الله عليه وعلى آله الذين هم أجدر بالكرم ، وأحقَّ بمحاسن الشِّيم ، ومامنهم إلا مَنْ (تعرِف البطحاء وطأته * والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرم) ، وعلى آله وأصحابه الذين أنعم الله به عليهم ، وأتبعوه فى ساعة العسرة فمنهم الذين أُخْرِجُوا من ديارهم والذين يُحِبُّون مَنْ هاجر إليهم ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ أولى مَنْ زُيِّنَتْ به مواطنُ الشرف ، وعُدِّقَتْ به العنايةُ بخدمة من درَج من بيت النبوة وسلف ، وعُجِرَتْ به مشاهد آثارهم التى هى فى الحقيقة لهم عُرف ،

(١) بكهينة وسفينة . انظر شرح القاموس فى مادة زول .

[ونالت الدولة] من تديره الجميل بعض حظها ، وخصت ببقته المباركة من نظره بما ينوب فى خدمة محله الشريف عن مواقع لحظها ؛ وجعلت به لابن رسول الله من خدمة أبيه معها نصيبا ، وفعلت ذلك إذ خبرت خدمته أجنبيّا علما أنها تتضاعف له إذا كان نسيبا ، وحكت بما قام عندها مقام الثبوت ، وأمرته أن يبدأ بخدمة أهل البيت [فإن] لازمها لديها مقدّم على البيوت - من طلع شهاب فضله من الشرف السنّى فى أكرم أفق ، وأحاطت به أسباب السؤدد من سائر الوجوه إحاطة الطوق بالعنق ؛ وزان الشرف بالسؤدد والعلم بالعمل ، والرياسة باللطف فاخترته المناصب وأختالت به الدول ، وتقدّم بنفسه ونفاسه أصله فكان شوط من تقدمه وراء خطوه وهو يمشى على مهل ؛ وأصطفته الدولة القاهرة لنفسها فتمسك من الموالاة بأوثق أسبابها ؛ واعتمدت عليه فى بث نعمها ، وبعث كرمها ، فعرف فى ذلك الأمور من وجهها وأتى البيوت من أبوابها ؛ وحديث وفود أبوابنا العالية لحسن سيرته فى إكرامهم السرى ، وأكتفت [حتى] مع ترك الكرامة إليهم ببشاشة وجهه التى هى خير من القرى ؛ وصان البيوت عن الإقواء بتديره الذى هو من موادّ الأرزاق ، وزاد الحواصل بتنميته مع كثرة الكلف التى لو حاكمتها الغنائم لأمسكت حشية الإنفاق .

ولما كان فلان هو الذى تليت مناقب بيته الطاهر ، وجليت مفارصه الزاهر ، وتجلت بشرف خلاله خلال الشرف التى تركها الأول للآخر ؛ وكان مشهد الإمام السيد الحسين ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام بالقاهرة المحروسة بقعة هى متجعّ الرحمة ، ومظنة إجابة الأئمة ، وروضة من شرفت بانتقاله إليها ، وتربة شهيد الزهراء صلوات الله على أبيها وعليها ؛ وبه الآن [من] رواتب القربات ووظائف العلوم وجهات الخير ما يحتاج إلى اختيار من يجمل النظر فيه ،

وليسلك نهج سلفه في الإعراض عن عَرْض الدنيا وَيَقْتَفِيهِ - رأينا أن نختار لذلك من اخترناه لأنفسنا فكان الكُفء الكريم ، وأختبرناه لمصالحنا فخيرنا منه الحفيظ العليم ، وأن نُقدِّم مُهِمَّ ذلك البيت على مُهِمَّ بيوتنا فإنَّ حقوق آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحقُّ بالتعظيم .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت مكارمه بتقريب ذوى القربى جديره ، ومراسمه على إقدار ذوى الرتب على مايجب قديره ، - أن يفوض إليه النظر على مشهد الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام بالقاهرة المحروسة ، على قاعدة من تقدّمه في ذلك ، بالمعلوم الشاهد به ديوان الوقف : لما قدّمناه من أسباب رجّحه لذلك ، وبيناه من أمور أوضحت في اختيارنا له المسالك ، ومن أولى منه بهذه الرتبة التي شهدت له باستحقاقها مناصبه ومناسبه ، أو أقدر منه على أمثال هذه الوظيفة وقد أقرت بكمالها وكرم خلالها مراتب الباب الشريف ورواتبه .

فليُمنع النظر في مباشرة أوقاف هذه البقعة المباركة مظهرها ثمرة تفويضها إليه ، مبيناً نتيجة تعرضها له وعرضها عليه ، منبهاً على سرّ التوفيق فيما وضع أمرنا من مقاليد أمرها في يديه ، مجتهداً في تمييز أموال الوقف من كل كاتب [حديث] ، موضحاً من شفقة الولد [على] ماُنسب إلى الوالد ما شهدت به في حقها الأحاديث ، سالكا من خدمة ذلك المشهد ما يشهد له به غدا عند جدّه ، ناشرا من ... (١) ... لواء فضل رفعة في الحقيقة رفع مجده ، وليلاحظ تلك المصالح بنظره الذي يزيد أموالها تمثيراً ، ورِباعها تعميراً ، وحواصلها تمييزاً وتوفيراً ، وأرج أيها السيد الشريف

(١) بياض بالأصل ولعله "من عنايته به لواء الخ" .

عند الله تعالى بذلك عن كل حسنةٍ عشرًا إن ذلك [كان] على الله يسيرًا . وصن ما بيدك عن شوائب الأدناس : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ . وقد خبرنا من سيرتك وسريتك ما لا نحتاج أن نزيد به خبرًا ، ولا أن نبلوه بعد ماسلف مرةً أخرى ؛ ولكن نذكرك بتقوى الله التى أنت بها متّصف ، وبوجودها فيك معروف وبوجودها عليك تعترف ؛ فقدّمها بين يديك ، وأجعلها العمدة فيما اعتمدنا فيه عليك ؛ إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثالثة

(من الوظائف الدينية ما يكتب فى قطع العادة الصغير ، مفتوحا

بـ«رسم بالأمر الشريف»)

وهو لمن كانت رتبته مجلس القاضى ، ورُبما كُتب فيه بالسامى بغيرياء لمن قُصد تعظيمه وهو قليل ، وبه يكتب لأرباب الوظائف الصغار من الخطباء ، والمدرّسين ، ونظار الأوقاف ، وغيرهم ممن لا ينحصر كثرة .

وهذه نسخة توقيع بنظر البيارستان العتيق الذى رتبته السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» فى بعض قاعات قصر الفاطميين ، وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه تُفيد علاء ، وتستخدم أكفاء ، وتُضفى ملايس النعماء على كلّ على فتكسوه بهجة وبهاء - أن يستقرّ فلان فى نظر البيارستان الصّلاحيّ بالقاهرة المحروسة ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت ، لكفاءته التى أشهر ذكرها ، وأمانته التى صدّق خبرها خبرها ؛ ونزاهته التى أضحى بها

على النفس فعدا بكل ثناء ملياً ، ورياسته التي أحلت قدره أسمى رتبة فلا غرو أن يكون «علياً» .

فليباشر نظر البيارستان المذكور مباشرة يظهر بها انتفاعه ، وتميزها أوضاعه ؛ ويضحى عامر الأرجاء والنواحي ، ويقول لسان حاله عند حسن نظره وجميل تصرفه : الآن كما بدأ صلاحى ؛ وليجعل همته مصروفة إلى ضبط مقبوضه ومصروفه ، ويظهر نهضته المعروفة بتشمير ريعه حتى تتضاعف مواد معرفه ؛ ويلاحظ أحوال من فيه ملاحظة تذهب عنهم الباس ، ويراع مصالح حاله في تنميته وتركته حتى لا يزال منه شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ؛ وليتناول المعلوم الشاهد به الديوان المعمور من استقبال تاريخه بعد الخط الشريف أعلاه .

وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنْ تَوَاقِعِ أَرْبَابِ الْوُظَائِفِ الدِّينِيَةِ مَا يَكْتُبُ فِي هَيْئَةِ أَوْرَاقِ الطَّرِيقِ ، أَوْ عَلَى ظُهُورِ الْقَصَصِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ .

وهذه نسخة توقيع بالتحدث في وقف :

رَسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي الْمَوْلَوِيِّ السُّلْطَانِيِّ الْمَلِكِيِّ الْفُلَانِيِّ - أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَشَرَفَهُ ، وَأَنْفَذَهُ وَصَرَفَهُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْقَاضِي فُلَانُ الدِّينِ فُلَانُ فِي التَّحَدُّثِ فِي الْوَقْفِ الْفُلَانِيِّ ، بِمَا لَدُنْكَ مِنَ الْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ كِتَابُ الْوَقْفِ . فَلْيَعْتَمِدْ هَذَا الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ كُلُّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ ، وَيَعْمَلْ بِحَسْبِهِ وَبِمَقْتَضَاهُ ، بَعْدَ الْخَطِ الشَّرِيفِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثالث

(من الولايات بالحضرة السلطانية بالديار المصرية — الوظائف الديوانية)

وهى على طبقتين :

الطبقة الأولى

(أربابُ التقاليد، فى قطع الثلثين ممن يكتب له «الجنابُ العالى»
وفىها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(الوزارة، إذا كان متولياً من أرباب الأقلام، كما هو الغالب)

وقد تقدّم فى الكلام على ترتب وظائف الديار المصرية نقلاً عن «مسالك
الأبصار» أن ربّها ثانى السلطان لو أنصف وعُرف حقّه، إلا أنها لما حدثت عليها
النيابة، تأخّرت وقعد بها مكانها حتى صار المتحدث فيها كخاطر المال، لا يتعدّى
الحديث فيه ولا يتّسع له فى التصرف بحال، ولا تمتدّ يده فى الولاية والعزل لتطلّع
السلطان إلى الإحاطة بجرّيان الأحوال فى الولاية والعزل. وقد تقدّم ذكر ألقابه
مستوفاةً فى الكلام على مقدّمة الولايات فى الطّرف الأوّل من هذا الفصل، والكلام
على طّرة تقليده فى الكلام على التقاليد.

وهذه نسخة تقليدٍ بالوزارة، كُتب بها للصاحب «بهاء الدين بن حنّا». من
إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، وهى :

الحمد لله الذى وهبَ لهذه الدولة القاهرة من لدنه وليّاً، وجعل مكانَ سرّها
وشدّ أزرها عليّاً، ورضى لها من لم يزل عند ربّه مرّضياً.

نَحْمَدُهُ عَلَى لُطْفِهِ الَّذِي أَمْسَى بِنَا حَفِيًّا ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ جَعَلَ دَوْلَتَنَا جَنَّةً أَوْرَثَ تَدْيِيرَهَا مِنْ عِبَادِهِ مَنْ كَانَ تَقِيًّا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُسَبِّحُ بِهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، وَنُصَلِّي عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَجَعَلَهُ نَبِيًّا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً نَتَّبِعُ بِهَا صِرَاطًا سَوِيًّا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا تَنَعَّمْتُ أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ بِتِلَاوَةِ سُورِهِ ، وَتَنَعَّمْتُ أَفْوَاهُ الْحَاوِرِ بِالِاسْتِمْدَادِ لِتَسْطِيرِ سِيرِهِ ؛ وَتَنَاجَتِ الْكَرَامُ الْكَاتِبُونَ بِشُكْرِ مَجْمَلِهِ وَمَفْصَلِهِ ، وَتَنَاشَدَتْ الرُّوَاةُ بِحُسْنِ لَسَانِهِ وَتَرَنَّمَتْ الْحُدَاةُ بِطَيْبِ غَزَلِهِ ؛ وَتَهَادَتِ الْأَقَالِمُ تُخَفِّ مَعْجَلَهُ وَمَوْجَلَهُ ، وَعَنَّتْ وَجُوهُ الْمَهَارِقِ لَصُغُودِ كَلِمَةِ الطَّيِّبِ وَرَفَعُ صَالِحِ عَمَلِهِ - مَا كَانَ فِيهِ شُكْرٌ لِنِعْمَةٍ تَمُنُّهَا عَلَى الدَّوْلَةِ سَعَادَةُ جُدُودِهَا وَحُظُوظِهَا ، وَإِفَادَةُ مَصُونِهَا وَمَحْفُوظِهَا ، وَإِرَادَةُ مَرُوقِهَا بِحُسْنِ الْاِسْتِيدَاعِ وَمَلْحُوظِهَا ؛ وَحَمْدٌ لِمُنْحَةِ أَفَاءَتِهَا بِرَكَاتٍ أَحْسَنَتْ لِلْمَمْلُوكَةِ الشَّرِيفَةِ مَا لَا ، وَقَرَّبَتْ لَهَا مَنَآلًا ، وَأَصْلَحَتْ لَهَا أَحْوَالًا ، وَكَارَتْ مَدَدَ الْبَحْرِ فَكَلَّمَا أَجْرَى ذَاكَ مَاءٌ أَجَرَتْ هِيَ مَا لَا ؛ وَإِنْ صَنَّتِ الشُّحُبُ أَنْشَاءً هِيَ سُحُبًا ، وَإِنْ قِيلَ - بُشَحَّ سَيْحُنَا - : رَوْنَقُ الْأَرْضِ ذَهَبٌ ، عَوْضَتْ عَنْهُ ذَهَبًا ، كَمْ لَهَا فِي الْوُجُودِ مِنْ كَرَمٍ وَكَرَامَةٍ ، وَفِي الْوُجُوهِ مِنْ وُسُومٍ وَوَسَامَةٍ ؛ كَمْ أَحْيَتْ مُهَجًا ، وَكَمْ جَعَلَتْ لِلدَّوْلَةِ مِنْ أَمْرِهَا مَخْرَجًا ؛ وَكَمْ وَسَّعَتْ أَمْلًا ، وَكَمْ تَرَكَتْ صَدْرَ الْحَزَنِ سَهْلًا ، وَكَمْ تَرَكَتْ صَدْرَ الْخِزَائِنِ ضَيْقًا حَرَجًا ؛ كَمْ اسْتَعْدَمَتْ جَيْشَ تَهْجِدٍ فِي بَطْنِ اللَّيْلِ ، وَجَيْشَ جِهَادٍ عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ ؛ وَكَمْ أَنْفَقَتْ فِي وَاقِفٍ فِي قَلْبٍ بَيْنَ صُفُوفِ الْحُرُوبِ ، وَفِي وَاقِفٍ فِي صُفُوفِ الْمَسَاجِدِ مِنْ أَصْحَابِ الْقُلُوبِ ؛ كَمْ سَيَّلَ يَسَّرَتْ ، وَسُعُودٍ كَثُرَتْ ؛ وَكَمْ خَافَوْفٍ أَدْبَرَتْ حِينَ دَرَّتْ ، وَكَمْ أَنْارٍ فِي الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ آثَرَتْ وَأَثَرَتْ ، وَكَمْ وَافَتْ وَوَفَّتْ ؛ وَكَمْ كَفَّتْ وَكَفَّتْ ، وَكَمْ أَعْفَتْ وَعَفَّتْ وَعَفَّتْ ، وَكَمْ بِهَا مَوَازِينُ لِلْأَوْلِيَاءِ ثَقُلَتْ وَمَوَازِينُ لِلْأَعْدَاءِ خَفَّتْ ؛ كَمْ أَجَرَتْ مِنْ وَقُوفٍ ،

وكم عُرِفَتْ بمعروف ؛ كم بيوت عبادةٍ صاحبُ هذه البركات هو محرابها ، وسماءُ جُودٍ هو سحابها ومدينة علم هو بابها ؛ تُثْنى الليالى على تغليسه إلى المساجد فى الحَنَادِس ، والأيام على تهجيرهِ لعيادة الفقراء وحضور الجنائز وزيارة القبور والدَّوَارِس ؛ يَكْتَنُّ تحت جناح عدله الظاعن والمقيم ، وتَشْكُرُ مَبَارَهُ يثرب وزمزم ومكة والحطيم ؛ كم عَمَّتْ سُنَنُ تَفَقُّدَاتِهِ ونوافله ، وكم مَرَّتْ صَدَقَاتُهُ بالوادى - فَسَّحَ اللهُ فى مُدَّتِهِ - فَأَثْنَتْ عَلَيْهِ رِمَالُهُ وبالنَّادى فَأَثْنَتْ عَلَيْهِ أَرَامِلُهُ ؛ ما زار الشَّامَ إلا أغناه عن مِنَّةِ المطر ، ولا صَحِبَ سُلْطَانَهُ فى سفرٍ إلا قال : نِعَمَ الصَّاحِبُ فى السَّفَرِ والحَضَرِ .

ولما كان المنفردُ بهذه البركات هو واحدُ الوجود ، وَمَنْ لَا يُشَارِكُهُ فى المَزَايَا شريكٌ وَإِنَّ اللَّيَالَى بِإِيحَادِ مِثْلِهِ غَيْرُ وَلُودٍ ؛ وهو الذى لو لم تُسَمِّهِ قال سامع هذه المناقب : هذا الموصوف ، عِنْدَ اللهِ وعند خلقه معروف ؛ وهذا الممدوح ، بأكثر من هذه الممدوح والمحمد من ربه ممدوح وممنوح ؛ وهذا المنعوتُ بذلك ، قد نَعَتَهُ بأكثر من هذه النعوت الملائك ؛ وَإِنَّمَا نَذَكُرُ نَعَوْتَهُ آلِئِذَاذَا ، فلا يعتقد خَاطِبٌ ولا كاتب أنه وفى جلالته بعضُ حقها فإنه أشرف من هذا ؛ وإذا كان ولا بدَّ للممدوح أن تجول ، وللقلم أن يقول ؛ فتملك بركاتُ المجلس العالى ، الصَّاحِبِ ، السَّيِّدِ ، الْوَرَعِ ، الزَاهِدِ ، الْعَابِدِ ، الْوَالِدِ ، الذَّخْرِ ، الْكَفِيلِ ، الْمُتَهِّدِ ، الْمَشِيدِ ، الْعَوْنِ ، الْقَوَامِ ، النَّظَامِ ، الْأَفْضَلِ ، الْأَشْرَفِ ، الْعَالِمِ ، الْعَادِلِ ، الْبَهَائِ ؛ سيدُ الوُزَرَاءِ فى العالمين ، كهفُ العابدين ، مابجأ الصالحين ؛ شَرَفِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ ؛ مَدَبَرُ الدُّوَلِ ، سَدَادُ الثُّغُورِ ، صَلاَحُ الْمَمَالِكِ ؛ قُدُوةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، يَمِينُ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ : أَدَامَ اللهُ جَلَالَهُ . من تَشَرَّفَ الْأَقَالِيمُ بِحِيطَةِ قَلَمِهِ الْمُبَارَكِ ، وَالتَّقَالِيدُ بِتَجْدِيدِ تَنْفِيذِهِ الذى لَا يُسَاهِمُ فِيهِ وَلَا يُشَارِكُ ؛ فَمَا جُدَّ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ بِمَثَابَةِ آيَاتِ

فتردد، أو بمنزلة سجلات في كل حين بها يُحكم وفيها يُشهد ، حتى تتناقل ثبوته الأيام والليالي ، ولا يخلو جيد دولة من أنه يكون الحالى بما له من فخر اللالى .

فلذلك خرج الأمر العالى - لا برح يُكسب بهاء الدين المحمدى أتم الأنوار ، ولا برحت مراسمه تزهو من قلم منقذه بذى الفقر وذى الفقار - أن يضمّن هذا التقليد الشريف بالوزارة التامة ، العامة ، الشاملة ، الكاملة : من المآثر الشريفة الصحابية ، البهائية ، أحسن التضمين ، وأن يُنشر منها ما يتلقى رايته كل رب سيف وقلم باليمن ، وأن يعلم كافة الناس ومن تضمه طاعة هذه الدولة وملكها وسلطانها من ملك وأمير ، وكل مدينة ذات منبر وسرير ، وكل من جمعت الأقاليم من نواب سلطانه ، وذى طاعة مدعنه ، وأصحاب عقد وحل ، وظعن وحل ، وذى جنود وحشود ، ورافعى أعلام وبنود ، وكل راج ورعيه ، وكل من ينظر فى الأمور الشرعية ، وكل صاحب علم وتدريس ، وتهليل وتقديس ، وكل من يدخل فى حكم هذه الدولة الغالبة من شموسها المضيئة ، وبدورها المنيرة وشهبها الثاقبة ، فى الممالك المصرية ، والنوبية ، والساحلية ، والكركية ، والشوبكية ، والشامية ، والحلبية ، وما يتداخل بين ذلك ، من ثغور وحصون وممالك - أن القلم المبارك الصاحي البهائي فى جميع هذه الممالك مبسوط ، وأمر تدبيرها به منوط ، ورعاية شفقتة لها تحوط ، وله النظر فى أحوالها ، وأموالها ، وإليه أمر قوانينها ، ودواوينها ، وكتابها ، وحسابها ، ومراتبها ، ورواتبها ، وتصريفها ، ومصرفها ، وإليه التولية والصرف ، وإلى تقدمه البدل والنعت والتوكيد والعطف ، فهو صاحب الرتبة التى لا يحلها سواه وسوى من هو مرتضيه ، من السادة الوزراء بنيه ، وما سمينا غيره وغيرهم

(١) بالصُّحُوبِيَّةِ فليحذر من يُحَاطِبُ غَيْرَهُ [و] غيرهم بها أو يُسَمِّيهِ ؛ فكما كان والدنا الشهيد رحمه الله يخاطبه بالوالد قد خاطبناه بذلك وخطبناه ، وما عدلنا عن ذلك بل عدلنا لأنه ما ظلم من أشبه أباه ؛ فنزلته لائسأى ولا ئسام ، ومكانته لا تُرامى ولا تُرام ؛ فن قدح فى سيادته من حُسَّاده زنادَ قَدِجٍ أُحْرِقَ بِشَرِّ شَرِّهِ ، ومن ركب إلى جلالته ، تَبَجَّ سَوْءُ أُغْرِقَ فى بَحْرِهِ ، ومن قتل لسعادته ، حَبْلٌ كَيْدٍ فَإِنَّمَا فَتَلَهُ مُبْرِمُهُ لَنَحْرِهِ ؛ فلتلزم الألسنة والأفلام والأقدام فى خِدْمَتِهِ أحسن الآداب ، وإيقُل المترددون : حِطَّةٌ إِذَا دَخَلُوا الباب ؛ ولا يغترهم فرط تواضعه لدينه وتقواه ، فن تأدب معه تأدب معناه ومن تأدب معناه تأدب مع الله . وليتل هذا التقليد على رؤوس الأشهاد ، وتُنسخ نُسخته حتى تتناقلها الأمصار والبلاد ؛ فهو حجتنا على من سَمَّيناه خصوصاً ومن يدخل فى ذلك بطريق العموم ، فليعملوا فيه بالنص والقياس والاستنباط والمفهوم ؛ والله يزيد المجلس الصاحبى الوزيرى البهائى سيد الوزراء من فضله ، ويُبقيهِ لغاب هذه الدولة يَصُونُهُ لِسِبْلِهِ كما صانه لأسده من قبله ، ويمتّع بنيتِه الصالحة التى يحسنُ بها - إن شاء الله - نَماءُ الفرع كما حَسُنَ نَماءُ أصله ، بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كُتِبَ به للصاحب تاج الدين محمد بن نحر الدين ابن الصاحب بهاء الدين على بن حنا ، فى ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وِسْمَاءَةً ، من إنشاء المولى شهاب الدين محمود الحلبي ، 'تعمده الله برحمته ، وهى :

الحمد لله مَكَّلَ شَرَفَ الْوِزَارَةِ بَطْلَعَةَ تَاجِهَا ، وَمَشَرَّفَ قَدْرِهَا بِمَنْ تُشْرِقُ عَلَيْهَا
أَشِعَّةُ سَعْدِهِ إِشْرَاقَ الْكَوَاكِبِ عَلَى أَجْرَاجِهَا ، وَرَافِعَ لَوَائِجِهَا بِمَنْ تَلَقَّتْهُ بَعْدَ الْحَفَاءِ
فِي حُلِّ سُرُورِهَا وَحُلِيِّ آبَتِهَا ؛ وَتَحَلَّتْ بَعْدَ الْعَطَلِ مِنْ جَوَاهِرِ مَفَاحِرِهِ بِمَا تَتَرَتَّبُ
عُقُودُ السُّعُودِ بَازِدِوِاجِهَا ، وَتَرْفُلُ مِنْ أَنْتِسَابِهَا إِلَى أُهْبَةِ بَهَائِهِ بِمَا يَوَدُّ ذَهَبُ الْأَصِيلِ
لَوْ أَمْتَرَجَ بِسُلُوكِ أَنْتِسَاجِهَا ؛ الَّذِي شَيَّدَ قَوَاعِدَ هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ السَّنِيَّةِ فِي أَيَّامِنَا وَجَدَّدَهَا ،
وَبَعَثَ لَهَا عَلَى قَتَرَةٍ مِنَ الْأَكْفَاءِ مَنْ حَسَمَ الْأَدْوَاءَ فَكَانَ مَسِيحُهَا وَشَرَعَ الْمَعْدَلَةَ
فَكَانَ مَجْدُهَا ؛ وَرَدَّهَا بِحُكْمِ الْأَسْتَحْقَاقِ إِلَى مَنْ لَا يُخْتَلَفُ فِي أَنَّهُ صَاحِبُهَا ، وَرَجَعَهَا
إِلَى مَنْ خَطَبَتْهُ لِنَفْسِهَا بَعْدَ أَنْ أَحْجَمَ لَشَرَفِ قَدْرِهَا خَاطِبُهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ شَدَّ أَرْزَ مُلْكًا بِأَكْرَمِ وَزِيرٍ ، وَأَيَّمَنَ مَشِيرَ ؛ وَأَجَلَ مَنْ يَتِمُّ إِلَى
بَيْتِ كَرِيمٍ ، وَحَسَبِ صَمِيمٍ ، وَمَنْ إِذَا قَالَ لِسَانُ مُلْكَا : « أَتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ
لِنَفْسِي » قَالَتْ كَفَايَتُهُ : « أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنْ حَفِظْتُ عَالِمِي » .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَقَرَتْ بِهَا سِرًّا وَعَلَنًا ، وَنُقِرَتْ بِهَا
هَذِهِ الْعَقِيلَةُ الْجَلِيلَةُ عِنْدَ مَنْ يَكْسُوهَا بِمَجْدِهِ رِفْعَةً وَسَنًا ، وَيُلْبِسُ جَفْنَ الدَّهْرِ عَنْهَا
وَسَنًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْخَصُوصُ بِكُلِّ صَاحِبٍ شَهِدَ الْكِتَابُ وَالسَّنَةُ
بِفَضْلِهِ ، وَقَامَ بَعْضُهُمْ بِحُسْنِ مُؤَازَرَتِهِ مَقَامَ مَنْ شَدَّ اللَّهُ [بِهِ] عِصْدَ مَنْ سَأَلَهُ وَزِيرًا مِنْ
أَهْلِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً لَا تَغْرُبُ شَمْسُهَا ، وَلَا يَغْرُبُ أَنْفُسُهَا ،
وَلَا يَتَفَاوَتْ فِي الْمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا غَدُّهَا وَأَمْسُهَا ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ خَطَبَتْ بِمَجْدِهِ الْأَقْلَامُ ، وَأَنْتَحَتْ بِهِ الدُّوَلَةُ الَّتِي ابْتَسَمَتْ
بِنَسِيمِهَا تُغَوِّرُ الْأَيَّامَ ؛ وَوَدَّتْ مَسَكَةَ اللَّيْلِ لَوْ مَازَجَتْ أَنْفَاسَهُ ، وَأَمَلَتْ بَيَاضَ النَّهَارِ
لَوْ أَخَذَتْ مِنْ غَيْرِ سِمَةٍ عَوْضَ وَرَقِ الْوَرَقِ قِرْطَاسَهُ ؛ وَتَحَاشَدَتْ النُّجُومُ لَتَنْتَسِقَ فِي سَلَكِ

معانيه وطارت بذكره فى الآفاق أنباء السُّعود، وحكمت الجُدود بأنه فى آقبال
إقباله نهاية الآباء وغاية الجُدود؛ وأفترت به تُغور الممالك عن أحسن الدرّ النّضيد،
وسرت بذكره رفاق الآفاق فى كلّ نادٍ مُنادٍ وفى كلّ برّ بريد، وأختالت به أعطاف
الدولة القاهرة فأوت من رأى السّديد إلى كلّ ركنٍ شديد، ونطق به العدل والحق
نخرس الظلم وما يُبدى الباطل وما يُعيد، وجرّت به أقدار ذوى الرّتب على أجمال
مناهجها فأما أهل العدل فيُقرّبون نجيّاً وأما أهل الظلم فأولئك ينادون من مكانٍ
بعيد، وبدت به وجوه المصالح سافرة بعد الحجاب، بارزة بعد طول الانتقال إلى
الانتقاب، داخلّة بوفود المحامد من كلّ باب، إلا الظلم فإنه بحمد الله قد سدّ ذلك
الباب. وأقرّ منصب الوزارة الشريفة أنا أعدنا به الحق إلى نصابه، وردّدناه إلى من
هو أولى به بعد اعتصامه، وألبسناه من بهجة أيامنا تاجاً ردّ عليه عزّاً لا تطمع
يد الذهب فى اتّزاعه عنه ولا استلابه؛ وتقليده لمن يودّ الفرقد لو عُقد به إكليله،
ويتمّى الطرف لو أدرك غاية مجده وإن رجع وهو حسيّر البصر كليله؛ وتفويض
ذلك إلى من كان له وهو فى يد غيره، ومن به وببيته تمهّدت قواعده فما كان فيه
من خير فهو من سيرتهم وما كان من شرّ فن قبل المقصّر من عثارهم فى سيره؛
وما أحدث فيه من ظلم فهو منه براء إذ إثم ذلك على من أجتراً عليه، وما أجرى
به من معروف فىلى طريقهم منسوب وإن تلبّس منه بما لم يُعط من نُسب إليه؛
وما خلا منهم هذا الدّست الكريم إلا وهم بالأولوية فى صدره الجلوس، ولا تصدّى
غيرهم لتعاطيه إلا وأقبلت عليه فى أيامه الجُسوم وعلية النفوس.

ولذلك لما كانت هذه الدولة القاهرة مفتّحة بالبركات أيامها، ماضية بكفّ
الظلم ونشر العدل سيوفها وأقلامها، مستبلة بالأرزاق سُحب فضلها التى لا يُقلع

غماؤها - أقتضت الآراء الشريفة اختيار خير صاحب يعين على الحق بآرائه، ويجلّ الدست بهجته وروائه، ويجرى الأرزاق بوجه لو تأمله أمرؤ ظامئ الجوانح لأرتوى من مائه؛ وكان المجلس العالى، الصاحي، الوزيري، التاجي: أدام الله تعالى نعمته، ورحم سلفه، هو المخطوب لفضله، والمطلوب لهذا الدست الذي تعين له دون الأكفاء وإن لم يكن غير أهله من أهله؛ وما زال يتشوف إليه تشوف البروج إلى نجوم السعود، ويتطلع إلى محياه الذي هو كنور الشمس في الدنوّ وكحلاها في الصعود؛ وما زالت الأدعية الصالحة ترتفع في أيامه لمالك عصره، والآراء تقام منها جنود لتأييده وحشود لنصره، والأموال تُجمل منها إلى خزائنه بأشبه بهج البحر في الحضر دون حضره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - ضاعف الله مواهبه العميمة، وكمل جلال دولته بتفويض أمورها إلى ذوى الأصول العريقة والبيوت القديمة - أن تُجلى منه هذه الرتبة العلية بما حلّ به الدين، وتُعقد له رايه فضلها المتين؛ ليتلقاها شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً؛ وبراً وبحراً، وشاماً ومضراً، ويُحلى حلاه علم وعلم، وسيف وقلم؛ ومنبر وسرير، ومأمور وأمير .

فليتلق أمره بالطاعة كل مؤتمر بأمرنا الشريف، جارٍ في طاعتنا المفروضة بين بيان التقليد وعنان التصريف؛ وليبادر إلى تدبير أمور الأقاليم بأقلامه المباركة، ويمض القواعد على ما تراه آراؤه المنزهة عن المنازعة في الأمر والمشاركة؛ وليشتر كلمة العدل التي أمر الله بإضافة الإحسان إليها، ويُميت بدع الظلم فإن الله يشكره على تلك الإمامة ويحمده عليها؛ ويسهل رزق الصدقات، ووظائف القربات، فإن ذلك من أجل ما قدمته [الطائفة] الصالحة بين يديها؛ وليكثر بذلك جنود الليل فإنها لا تطيش سهاؤها، ويتوق من محاربتها بظلم فإنه لا يداوى بالرقى سهاؤها، وليعوذ بتائم التيسير

مواهبنا فإنَّ تمام النعمة تَمَامُهَا ، وليطلق قلمه فى البَسْطِ والقَبْضِ وليُعِدْ بتدبيره على هذا المنصب الشريف بهجته ، ويتدارك بآرائه ذَمَّاهُ وبدوائه مُهْجَتَهُ ؛ وَيَصْنُ عن شوائب الظلم حرمتَه ، ويخلص ذمتنا من المآثم وذمتَه ؛ وليعلم أنَّ أمور المملكة الشريفة منوطة بآرائه وأحكامه ، مضبوطة بأقواله وأقلامه ؛ فليجعل فكره مرآة تجلُو عليه صُورَها ، ويقيم آراءه صُخُفاً تتلو لديه سُورَها ؛ ويأمرِ التَّوَابِ بما يراه من مصالحنا لِيُلبَّوه سامعين ، ويُسهر جَفَنَه فى مصالح البلاد والعِبَادِ لترقُد الرعايا فى مَهَاد الأَمْنِ وا عَيْن ؛ ويعضد الشريعة المطهرة بتنفيذ أحكامها ، وإعلاء أعلامها ؛ وإظهار أنوارها ، وإقامة مآرفعه الله من منارها ؛ ولا يَعْدِلْ فى أمور مباشرتها بالممالك الشريفة عن آرائه ، ولا يُمِضْ فيها عَزْلاً ولا ولايةً إلا بعد تَبْعُهُ الواجب فى ذلك وأستقرائِهِ ، وهو أعلم بما يجب لهذه الرتبة من قواعدٍ إليه يُرجَع فى أوضاعها ، وعليه يُعَوَّل فى اصطلاحها لِانفرادها فيه واجتماعها ؛ فليفعل فى ذلك ما هو عليه بِحُسْنِ الشَّاءِ جدير ، وليعتصم بالله فى أموره فإنه نِعَمُ المولى ونِعَمُ النصير ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كُتِبَ به للصاحب ضياء الدين بالاستقرار على الوزارة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

الحمد لله الذى شَدَّ أَرْزَ مُلْكِنَا الشريف ، بمن أضاء فى أفق الدين علمه ، وشيَّد قواعد عدلنا المُنيِف ، بمن أعلت منار الحق آياته فى أحكام الممالك وحِلْمُه ، ووطد أركان دولتنا القاهرة بمن يفعل فى نكاية أعداء الله فِعْلَ الحربِ العَوَانِ سِلْمُه ،

وأجرى الأرزاق في أيامنا الزاهرة على يد من كفت أقلامه كفت الحوادث
فلا عدوان تغشى ظلمه ولا عاد يحشى ظلمه ، وصان ممالكنا المحروسة بآراء من إن
صرف إلى نكاية أعداء الله حد يراعه لم ينب موقعه ولم يعف كتمه ، وإن صرفه
في حماية ثغر لم يشم برقه ولم يدق بالوهم ظلمه ، وإن حمى جانب إقليم عز على
الأيام ثل عروش ما حماه وشمه ، وإن أرهقه لذب عن دين الله راعت عدو الدين
منه يفظته وسله عليه حلمه .

نحمده على نعمه التي زانت أسنى مناصب الدنيا في أيامنا الزاهرة بضياء الدين ،
وأعلت أقدار الرتب العليا بتصرفها بآراء من أصبح علمه علما للتقنين وعمله سنا
للمقتدين ، وبجرت ينابيع الأرزاق في دولتنا القاهرة بيد من أغنى بيدنا المعتفين
وقمع بمهايتنا المعتدين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعاد يمينها على سمع المنابر من
نوعتنا ما فقد ، وأطفا إعلانها عن حمايتها لخب العناد وقد وقد ، وفوض آعتناؤنا
بمصالح أهلها أمورهم إلى أكل من آتقى لنا التأييد من ذخائر العلماء وأفضل
من آتقد ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أقامنا الله للدب عن أمته ، وجلا
بنور جهادنا لأعدائه عن قلب كل مؤمن ما أظله من غمه وران عليه من غمته ،
وعضدنا من أئمة ملته بمن أردنا مصالح العباد والبلاد في إلقاء كل أمر إليه
بأزمته ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من فاز بسبقه ، وحاز بتصديقه
قدم صدقه ، واختصه الله بمؤازرة نبيه دون من آجته من خلقه ، ومنهم من
كان الشيطان يئكب عن طرقة ، ونطق من الصواب بما نزل الذكر الحكيم على
وفقه ، وسمى الفاروق لتمييزه بين الحق والباطل وفرقه ، ومنهم من قابل المعتدين

بِرَفْقِهِ وَقَتْلَ شَهِيدًا عَلَى حَقِّهِ ، وَكَانَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ تَسْتَحْيِي مِنْ خُلُقِهِ الْكَرِيمِ وَكَرَمِ خُلُقِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ طَلَعَ [لَا] مَعَ نُورِ الْإِيمَانِ مِنْ أَفْقِهِ ، وَكَانَ سَيْفُهُ مِنْ كُلِّ مُلْحَدٍ فِي دِينِ اللَّهِ بِمِثَابَةِ قِلَادَةِ عُنُقِهِ ، وَطَلَّقَ الدُّنْيَا تَوْرَعًا عَنْهَا وَبِيَدِهِ مِفَاتِيحُ مَا بَسَطَ اللَّهُ لِلْأُمَّةِ مِنْ رِزْقِهِ ، صَلَاةً يُقِيمُ الْإِيمَانُ ، فَرَضَهَا ، وَيَمْلَأُهَا الْإِيقَانُ ، طَوْلَ الْبَسِيطَةِ وَعَرَضَهَا ، وَتَزَيْنَ كَوَاكِبُ ذِكْرِهَا وَمَوَاقِبُ نَصْرِهَا سَمَاءَ الدُّنْيَا وَأَرْضَهَا ، وَسَلَّمَتْ سَلَامًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ رُقِيتْ لِأَعْطَافِ فَضْلِهِ حُلَلُ الْكَلَامِ ، وَنُظِمَتْ لِأَجْيَادِ ذِكْرِهِ فَرَائِدُ الْمَعَانِي الْمُسْتَخْرَجَةُ مِنْ بَحَارِ الْفِكْرِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَقْلَامِ ، وَوُشِّحَتْ التَّقَالِيدُ مِنْ مَنَاقِبِهِ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ أَلْسَاقِ الدَّرَارِيِّ عَلَى هَالَاتِ الْبُدُورِ ، وَجُلِّيَ عَلَى الْمَسَامِعِ مَفَاخِرُهُ بِمَا هُوَ أَمْهَى مِنَ النُّورِ فِي الْعَيُونِ ! وَأَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ فِي الْقُلُوبِ ! وَأَوْفَعُ مِنَ الشِّفَاءِ فِي الصُّدُورِ ، وَأُطْلِعَ فِي أَفْقِ الطُّرُوسِ مِنْ أَوْصَافِهِ شَمْسُ أَسْفَرِ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ ضِيَاؤُهَا ، وَأُنْشِئَتْ فِي أَثْنَاءِ السُّطُورِ مِنْ نَعْتِ مَا ثَرَهُ سُحُبٌ إِذَا قَابَلَتْهَا وَجُوهَ الْحَيَا سَتَرَهَا بِجُمُورَةِ الْبَرْقِ حَيَاؤُهَا ، وَأَوْدَعَتْ الْمَهَارِقُ مِنْ ذِكْرِ خِلَالِهِ لُطْفًا يَوَدُّ ذَهَبُ الْأَصِيلِ لَوْ نَابَ عَنْ أَنْفَاسِهَا ، وَمُنِحَتْ صُدُورُ الْمَعَانِي مِنْ مَعَالِيهِ طُرْفًا نَتَمَّى الرِّيَاضُ الْعَوَاطِرُ لَوْ تَلَقَّتْ عَنْ أَنْفَاسِهَا - مِنْ سَمَتِ الْوِزَارَةِ بِاسْتِقْرَارِهَا مِنْهُ فِي مَعْدِنِ الْفَضَائِلِ ، وَاتَّسَمَتْ مِنْهُ بِالصَّاحِبِ الَّذِي أَعَادَتْ أَيَّامُهُ مَا قُفِدَ مِنْ مَحَاسِنِ السَّيْرِ الْأَوَائِلِ ، وَابْتَسَمَتْ مِنْ عُلُومِهِ بِالْعَلَامَةِ الَّذِي نَتَفَرَّعُ مِنْ أَحْكَامِهِ أَحْكَامُ الْفُرُوعِ وَنَتَفَجَّرُ مِنْ تَوَاقِعِهِ عَيُونُ الْمَسَائِلِ ، وَاتَّصَفَتْ مِنْ مَعْدَلَتِهِ بِالْمُنْصِفِ الَّذِي هَجَرَ فِي أَيَّامِهِ هَجَرَ الْحَيْفِ وَالظُّلْمِ فَالْأَوْقَاتُ فِي أَيَّامِهِ الْمُبَارَكَةِ كُلُّهَا أَسْحَارٌ وَأَصَائِلُ ، وَابْتَهَجَتْ مِنْ إِنْصَافِهِ بِالْعَادِلِ الَّذِي سَهَّلَ عَلَى ذَوِي الْمَطَالِبِ حِجَابَ بَابِهِ فَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يُطْرَقَ بِالشِّفَاعَاتِ وَلَا أَنْ يُسْتَفْتَحَ بِالْوَسَائِلِ ، وَأَشْرَقَتْ مِنْ مَفَاخِرِهِ بِالْكَامِلِ الَّذِي حُسِّنَتْ بِهِ حُلَلُ

الثناء فكأنها آبتسامُ تُغور النور في أثناء الجمائل ، فالعدل في أيامه كالإحسان شامل ، والمعروف بأقلامه كالشجوب المتكفلة برى الأرض الهاميل ، والظلم والإنصاف مفترقان منه بين العدم والوجود فلا يرى بهذا أمرا ولا يردُّ عن هذا أمل ؛ قد أعطى دَسَتْ الوزارة الشريفة حَقَّه : فالأقدار بآياته مرفوعة ، والمضارُّ بمعدلاته مدفوعة ، وكلمة المظلوم بإنصاف إنصاته مسموعة ، وأسباب الخيرات بحسن نيته لينته الحسنة مجموعته ؛ والأقاليم بكلاءة أقلامه محوطة ، وأحوال المملكة بآرائه المشتملة على مصالحها منوطة ؛ والثغور بحسن تفقده مفترة المباسم ، مصونة بإزاحة الأعذار عن مرِّ الرياح النواسم ، أهلة النواحي بموالاتة الحمول التي لا تزال عيسها بإدامة السرى دامية المناسم ؛ والبلاد بما نشرت أقلامه من العدل معموره ، والرعايا بما بسطت [يد] إحسانه من الإحسان معموره ، وأرباب التصرف بما تقتضيه أقلامه عن الحيف منهية وبالرفق مأموره ، والأيدى بالأدعية الصالحة لأيامنا الزاهرة مرتفعه ، والرعية لتقلبها في مهاد الأمن والدعة بالعيش متفعه ؛ وبيوت الأموال أهلة ، على كثرة الإنفاق ، والغلال متواصلة ، مع التوقر على عمارة البلاد ، والحمول متوالية مع أمن من صدرت عنهم على ما في أيديهم من الطوارف والتلاد ؛ والأمور بالتيقظ لها على سعة الممالك مضبوطة ، والنفوس بالأمن على ما هي عليه من التملئ بالنعم مغبوبة ؛ والمناصب مصونة بأكفائها ، والمراتب أهلة بالأعيان الذين تنبّهت لهم في أيامه عيون الحظ بعد إغفائها ؛ ومجالس المعدلة حالية ، بأحكام سيرته المنصفه ، ومواطن العلم عالية ، بما يملئ فيها من فوائده التي أتعب السنة الأقالام ما فيها من صفه .

ولما كان الجنبُ العالى ، الصاحبى ، الوزيرى ، الضيائى ، وزير الممالك الشريفة ، هو الذى كرمت به مناسبها ، وعظمت بالانتماء إليه مناصبها ، وتحلّت

بِعَلَمِهِ مَعَاظُهَا ، وَنَزَلَتْ عَلَى حُكْمِ حِلْمِهِ عَوَارِفُ رِهَا الْعَمِيمَةِ وَعَوَاطِفُهَا ؛ وَزَهَتْ
 بِجَوَاهِرِ فُضَائِلِهِ أَجْيَادُهَا ، وَاسْتَوَتْ فِي مَلَايِسِ حُلِّ الْمَسَرَّةِ بِهِ أَيَّامُهَا الزَّاهِيَةِ
 وَأَعْيَادُهَا ؛ وَأَنَارَتْ بِمَعْدَلَتِهِ لِيَالِيهَا ، وَأَشْرَقَتْ بِالْإِنْتِظَامِ فِي سِيخَابِ^(١) إِيَالَتِهِ لِأَلِيهَا ؛
 فَكَمَّ مِنْ أَقَالِيمِ صَانِ قَلَمِهِ أَمْوَالُهَا ، وَمِمَّا لَكَ حَلَّى عَدْلِهِ أَحْوَالُهَا ، وَبِلَادٍ أَعَانَ تَدْيِيرُهُ
 السُّحُبَ عَلَى رِيَّيَا ، وَأَعْمَالَ أَبَانَ عَنْ اسْتِغْنَائِهَا بِتَأْيِيرِهِ عَنْ مِنَّةِ الْحَيَا حَسَنُ مَسْمُوعِهَا
 وَمَرْئِيَّيَا ؛ وَأَرْزَاقِ أَدْرَهَا ، وَرِزْقِ أَجْرَاهَا عَلَى قَوَاعِدِ الْإِحْسَانِ وَأَقْرَبَهَا ؛ وَجِهَاتِ يَرْ
 أَعَانَ وَأَنْفِيهَا عَلَيْهِا ، وَأَسْبَابِ خَيْرٍ جَعَلَ أَيَّامَنَا بِإِدَامَةِ فَتَحِهَا السَّابِقَةِ إِلَيْهَا ؛ وَقَدَّمَ
 سَعَايَةَ أَزَالِهَا وَأَزَلَّهَا ، وَكَلِمَةَ حَادِثَةٍ أَذَالَهَا وَأَذَلَّهَا ؛ وَوُجُوهَ مَضَرَّةٍ رَدَّهَا بِيَدِ الْمَعْدَلَةِ
 وَصَدَّهَا ، وَأَبْوَابِ ظُلْمٍ لَا طَاقَةَ لِلرَّعِيَّةِ بِسُلُوكِهَا أَغْلَقَهَا بِمُنَى يَمْنِهِ وَسَدَّهَا ؛ فَدَابَّهَ أَنْ
 يُسَدَّدَ إِلَى مَقَاتِلِ الْعِدَا بِاتِّخَاذِ الْيَدِ عِنْدَ الْفُقَرَاءِ سِهَامَ اللَّيْلِ الَّتِي لَا تَصُدُّهَا الدُّرُوعُ ،
 وَأَنْ يَجِدَّدَ لِأَوْلِيَائِنَا مِنْ عَوَارِفِ آلَانَا أَخْلَافَ يَرْ تَرَوَى الْآمَالَ وَهِيَ حَافِلَةُ الضَّرْعِ -
 أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ تُزَيَّنَ بِحِجْدِهِ غُرَرُ التَّقَالِيدِ ، وَنَجِدَّدَ إِلَيْهِ فِي أُمُورِ وَزَارَتِنَا
 الشَّرِيفَةِ إِلقاءَ الْمُقَالِيدِ ؛ وَأَنْ نُوشَى الطُّرُوسَ مِنْ أَوْصَافِهِ بِمَا يَجِدَّدُ عَلَى أَعْطَافِهَا
 الْحَبْرَ ، وَنَزِدَّدَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَقَالِيمِ مِنْ نُعُوتِهِ مَا لَا تَمَلُّ الْمَسَامِيحُ إِيرَادَ الْخَبَرِ مِنْهُ بَعْدَ الْخَبَرِ .
 فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلُويِّ ، السُّلْطَانِيِّ ، الْمَلِكِيِّ ، الْفُلَانِيِّ -
 لِأَزَالِ الدِّينِ فِي أَيَّامِهِ الشَّرِيفَةِ مُشْرِقًا ضِيَاؤُهُ ، آهَلَةً بِاعْتِلَائِهِ مَرَايِعَ الْوُجُودِ وَأَحْيَاؤُهُ ،
 مَمْدُودَةً عَلَى الْأَمَةِ ظِلَالُهُ الْوَارِفَةُ وَأَفْيَاؤُهُ - أَنْ يُجِدَّدَ هَذَا التَّقْلِيدُ بِاسْتِقْرَارِهِ تَجْدِيدًا
 لَا يُبْلِي الدَّهْرُ حِلْلَهُ ، وَلَا تَقْوُضُ الْأَيَّامُ حِلْلَهُ^(٢) ؛ بَلْ يُشْرِقُ فِي أَفْقِ الْمَمَالِكِ إِشْرَاقُ

(١) السخاب بكسر السين المهملة وبالحاء المعجمة قلادة من مسك وقرنفل ومحب بلا جوهر

جمعه ككتب .

(٢) جمع حلة بالكسر بمعنى البيوت وهي مائة فما فوقها انظر المصباح .

النجوم الثوابت ، ويتفرع في مصالح الملك تفرع الأفنان الناشئة في الأصول الثوابت ؛
وتختال به مناصب الدولة القاهرة في أسنى ملاسها ، وتضيء به مواطن العلوم إضاءة
صباحة المصباح في يد قابسها ؛ وتسترنع لنا به الأدعية الصالحة من كل لسان ،
وتجتلي به لأيماننا الزاهرة من كل أفق وجوه الشكر الحسان .

فلتجر أعلامه في مصالح دولتنا الشريفة على أفضل عادتها ، ويرسلها في نشر العدل
على سجيته وفي إجراء الجود على جادتها ، ويكف بها أكتف الحوادث فإنما تزال
أسباب الظلم بحسم مادتها ؛ ولينطقها في مصالح الأموال بما تطل له مسامح الحمول
مضغيه ، ويطلقها في عمارة البلاد بما تغدوله ألسنة الخصب حافظه ولما عده
ملغيه ؛ وكذلك الخزان التي هي معقل الإسلام وحصونه ، وحماء الذي لا يتبدل
بغير أمرنا الشريف في مصالح الملك والملة مضمونه ؛ فليجعلها بتديره كالبحار
التي لا تنقص بكثرة الورد جماتها ، ولا تنزحها الشحب لكثرة ما تحمل الى الآفاق
نعماتها ؛ ولتكن كلمة العدل من أهم ما تفتح به مجالسه ، وآكد ما يؤمر به محاضره
من الأولياء ومجالسه ؛ وأزكى ما يستجيد [به] لاستثمار الدعاء الصالح مغارسه ،
وأوثق ما يحوط به حمى الملك الذي إذ اغفا جفن عينه كان حارسه . وأول ما ينبغي
أن ينافس عليه حاضر دسسته وغائبه ، وأولى ما يعد على إهماله نكاله ويعد على
إقامته رغائبه .

وليلاحظ من مصالح كل إقليم ما كانه ينظر إليه بعين قلبه ، ويمثل صورته
في مرآة لبسه ؛ فيقر كل أمر على ما يراه من سداده ، ويقرر حال كل ثغر على
ما يحصل به المراد في سداده ؛ فيغدو لأعداره بموالاتة الحمول إليه مريحا ، ويؤسى
بسدد خلله لخواطر أهل الكفر متعباً ولخواطرنا الشريفة مريحا ؛ وينظر في أحوال

من به من الجُند والرجال بما يؤكّد الطاعة عليهم ، ويجدد الاستطاعة لديهم ؛
ويزيل أعدائهم وأعدائهم [بوصول حقوقهم اليهم ، ويوفّرهم على إعداد الأهبة
للأعداء^(١)] إذا أتوهم من فورهم ، ويكفّهم بإدراك الأرزاق عليهم عن اعتدائهم
على الرعايا وجورهم ؛ ويتفقد من أحوال مباحريها وولاة الحكم والتحكّم فيها
ما يعلمون به أنه مناقشهم على الأمور اليسيرة ، والهفوات التي يرونها قليلة وهي
بالنسبة إلى كثرة الرعايا كثيره ؛ ويتعاهد أمور الرتب الدينية فلا تؤخذ مناصبها
بالمُناسب ، ولا تغدو أوقافها المَعْدّة لآكتساب العلوم في المكاسب ؛ بل يتعين أن
يرتاد لها العلماء الأعيان حيث حلّوا ، ويُقرّر في رتبها الأئمة الأكفاء وإلا اتخذ
الناس رؤوساً جهالاً فضّلوا وأضلّوا . ولكن أقلامه على كلّ ما جرت به العوائد
في ذلك محتويه ، وأيامه على أكمل القواعد في ذلك وغيره منطويه ، فما ثمّ شيء من
قواعد الوزارة الشريفة خارج عن حكمه فليكتب يمثّل ، وليقلّ في مصالح دولتنا
القاهرة يكنّ قوله أمضى من الظبّا وأسرى من الصبّا وأسير من المثل ؛ فلا تُمضى
في ذلك ولاية ولا عزل ، ولا منع ولا بدل ، ولا عقد [ولا] حل ؛ إلا وهو معدّوق
بآرائه ، متوقّف على تنفيذه وإمضائه ؛ متلقّ ما يقرّر فيه من تلقائه ، وفي الاكتفاء
بسيرته ما يغني عن إطرانه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة :

الحمد لله الذي شدّ لدولتنا القاهرة باصطفاء أشرف الوزراء أزرًا ، وخصّ أيّامنا
الزاهرة باجتماع من حماها عدله أن تَضَع أو تحلّ وزرا ، وأفاض إنعامنا على من طلع

(١) الزيادة من التقليد الآتى بعد .

في أفق خدمتنا هلالاً وأستقل بحسن السير والسيرة بداراً ، وضاعف إحساننا لمن [لا]
نرفعه إلى رتبة شرف إلا وكان أجل الأكفاء على ذلك قدرةً وقدرًا ، وجعل ملكنا
بمن إذا أفتخرت الدول ببعض مناقبه كفأها ذلك جلالاً ونفراً ، وإذا أدخرت تدبيره
وبذلت ما عداه فحسبها ما أبقته وقايةً للملك وذخراً ، وبسط عدلنا في الأقاليم بيد
من حين أمرنا القلم بتقليده ذلك سجد في الطرس شكرًا ، وأفتتح بحمد الله يذكر النعمة
به على آلائه إن في ذلك لذكرى ، وأخذ في وصف دُررٍ مفخرة التي تمثلت له
فنضدها دون أن يستدعي روية أو يعمل فكرًا .

نحمده حمد من والى إلى أوليائه ، موائد النعم ، وأضفى على أصفياه ، ملايس
الكرم ، وحفظ لمن أخلص في طاعته معارف معروفة التي هي في أهل النهى ذمم ،
ونبه لمصالح رعاياه من عم عدله وإن لم يغف عن ملاحظة أمورهم ولم ينم .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نُعلِنها ونُعلِيها ، ونُرخص أرواح
جاحديها ونُغليها ، ونؤالى النعم على المتمسك بها ونؤولِيها ، وتقرب بِمُنْها رُتب الأولياء
من إحساننا ونُدنيها ، ونجدد لهم بتأييدها ملايس المِنَّن نُظهِر عليهم آثار النعم السنية
فيها ، ونرفعههم بحسن عنايتنا إلى أشرف غاية كانوا يُسرُّون أهليتهم لها والله يُبديها ،
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أقامنا لنصر دينه فقمنّا به كما أمر ، وأبقى على
أَيَّامنا حكم أيامه فاستمر الحال على ما سبق به دعوته من تأييد الدين بعمر ، وخصنا
من ينتمى إلى أصحابه بأجل صاحب يُنوب عن شمس عدلنا في محو ظلمة الظلم مناب
القمر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الزهر الغر ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من آخِرت جواهر الكلام لرصف مفارحه ، وأنخبت غرر
المعاني لوصف آثاره في مصالح الإسلام وثماره ، وقامت خطباء الأقلام على منابر

الأندلس بشيرة بُنْ أيامه ، وتطلَّعت مُقل الكواكب مشيرةً إلى ما أقبل على الأقاليم من إقباله وسُحَّتْ سُحْبُ أَقْلَامِهِ ؛ وتبرَّجت زُهرُ النجوم لِيَتَبَظَّم في عُقُودِ مَنْاقِبِهِ سَعُودُهَا ، وتارَّجت أَرْجَاءَ الْمَهَارِقِ إِذْ تَبَاجَّج من لَيْلٍ عن بَحْرِ عَمُودِهَا ؛ وسارت به أنباء السُّعود والظلم الناطق بِذُرِّهِ وهو الخَلْقُ المِيْمُون طَائِرُهُ ، والطَّرسُ الموشَّع بِشُكْرِهِ وهو الخَلْقُ الذی تَمَلَّأ الدُّنْيَا بِبَشَائِرِهِ - من استَخَصَّصَتْهُ الدَّوْلَةُ الْقَاهِرَةُ لِنَفْسِهَا فَتَمَلَّأَهَا عَيْنَا وَسُرِّيَا قَلْبَا ، وَاخْتَصَّصَتْهُ بِخَوَاصِهَا الشَّرِيفَةِ فَرَحَّبَ بِهَا صَدْرَا وَلَبَّأَهَا لُبًّا ، وَكَفَّ بِمُؤَازَرَتِهَا رِيَايَتَهَا حَتَّى قِيلَ : هَذِهِ «تُرَاوِدُ فِتْنَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَفَّعَهَا حُبًّا» ؛ وَأَحْلَتْهُ مِنْ وَزَارَتِهَا الشَّرِيفَةِ بِالْمَكَانِ الْأَسْنَى وَالْحَرَمِ الْحَرِيزِ ، وَأَثْنَتْ عَلَى فَضْلِهِ الْأَسْمَى بِلِسَانِ الْكَرَمِ الْبَسِيطِ الْوَجِيزِ ، وَاعْتَمَدَتْ فِي أُمُورِ رَعَايَاهَا عَلَى مَا فِيهِ مِنْ عَدْلٍ وَوَرَعٍ لَا يُنْكَرُ وَجُودُهُمَا مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ وَأَدْنَتْهُ عَيْنَانَا مَنَّا لَمَّا فِيهِ مِنْ فَضْلِ عِمِيمٍ ، وَحَسَبٍ صَمِيمٍ ، وَنَسَبٍ حَدِيثٍ مَجْدِهِ قَدِيمٍ ، وَأَصَالَةٍ إِذَا أَنْفَخَتْ يَوْمًا تَمِيمٌ بِقَوْمِهَا قَالَتْ أَيْنَ تَمِيمُكَ مِنْ جَدِّهِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمِيمٍ ؛ وَغَرَسَتْهُ لِنَفْسِهَا وَطَالَ ذَلِكَ الْغَرَسُ وَطَابَ الثَّمَرُ ، وَاعْتَضَدَتْ بِتَدْيِيرِهِ فَكَانَ لَهُ عِنْدَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي فِي مَكَانِهِ الْأَعَزِّ أَظْرَفُ سَمَرٍ ، وَوَثِقَتْ بِمَا فِيهِ مِنْ عَدْلٍ وَمَعْرِفَةٍ لَا يُنْكَرُ مِنْ نَحْوِ الصَّوَابِ أَجْتَمَاعَهُمَا فِي عُمَرُ ؛ وَأَشْتَقَّتْ لَهُ بِإِحْسَانِنَا مِنْ نِسْبَتِهِ وَصَفَا جَمِيلًا وَنَعْتَا جَلِيلًا ، وَخَصَّصَتْهُ لِمَزِيَّةِ ذَلِكَ الْأَشْتِقَاقِ بِمَزِيدٍ قُرَيْنَا فَأَمْسَى فِي خِدْمَتِنَا جَلِيلًا وَأَصْبَحَ خَلِيلًا ؛ وَرَعَتْ لَهُ مَا قَدَّمَ مِنْ تَدْيِيرٍ أَتَى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ ، وَسَدَادٍ ظَهَرَتْ مَزِيَّةُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ عَلَى أَمْسِيهِ ؛ وَسَعَى جَمِيلٌ مَا بَرِحَ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ رَأْيًا وَغَاذِيَا ، وَاجْتِمَاعٍ فِي أُمُورِ أَدْلِ الْجِهَادِ مَا بَرِحَ يَدَّابُ فِيهِ عِلْمًا بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِمَنْ جَهَّزَ غَاذِيَا ؛ وَدَانَ لَهُ مِنْ حُسْنِ مَلَاظَمَتِهِ الْأُمُورَ مَا لَيْسَ لِلْوَصْفِ بِهِ مِنْ

قَبْلَ ، وَتَأَمَّلْتُ مَا يُكْشَفُ لَهُ عَلَى الْبُعْدِ مِنَ الْمَصَالِحِ الَّتِي يَأْمُرُ بِالصَّوَابِ فِيهَا وَكَيْفَ لَا وَعُمَرُ الَّذِي شَاهَدَ السَّرِيَّةَ عَلَى الْبُعْدِ مِنْ سَارِيَةِ الْجَبَلِ ، وَأَيَقَنْتُ بِبَسْطِ الْعَدْلِ فِي الرِّعَايَا إِذْ هُوَ مُؤْتِمِرٌ وَالْعَادِلُ أَمْرٌ ، وَتَحَقَّقَتْ عِمَارَةُ الْبِلَادِ عَلَى يَدَيْهِ لِأَنَّ عُمَرَ يُحْكَمُ الْعَدْلُ عِنْدَ الْحَقِيقَةِ عَامِرٌ .

وَلِذَلِكَ لَمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الْفَخْرِيُّ - ضَاعَفَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - هُوَ الَّذِي قَرَّبَتْهُ طَاعَتُنَا نَجِيًّا ، وَرَفَعَتْهُ وَلَا يَتُّنَا مَكَانًا عَلِيًّا ، وَحَقَّقَ لَهُ أَجْتِهَادُهُ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ الْأَمَلِ مِنْ رِضَانَا وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ، وَأَخْلَصَ فِي خِدْمَةِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ فَاتَّخَذَتْهُ لَخَاصَّ الْأُمُورِ وَعَامَّتَهَا صَفِيًّا ، وَأَظْهَرَ مَا بَطَّنَ مِنْ جَمِيلِ اجْتِهَادِهِ بِجَعْلِهِ لِلْمَصَالِحِ الْمُلْكِ وَزِيرًا وَصَاحِبًا وَوَلِيًّا ، وَأَنْجِزَتْ مِنْهُ لَتَدْبِيرِ أُمُورِ الْمَمَالِكِ بِمَا كَانَ الزَّمَنُ بِهِ مَا طَلَا ، وَأَجَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الَّتِي هِيَ مَلِيَّةٌ بِتَصْرِيفِ الْأَرْزَاقِ مَا لَا يَبْرَحُ غَمَامُهُ هَاطِلًا ، وَقَلَّدَتْهُ رِعَايَةَ الْأُمُورِ وَأُمُورَ الرِّعَايَا عِلْمًا أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ لِلَّهِ حَقًّا وَلَا يَأْخُذُ بِاطِلَا ، وَقَلَّدَتْ جِيدَهُ بِأَسْنَى حِلْيَةِ هَذِهِ الرِّتَبَةِ الْجَلِيلَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا بِحُكْمٍ قُرْبَهُ مِنْهَا عَاطِلًا ، وَرَفَعَتْ لَهُ لُؤَاءَ عَدْلٍ مَا زَالَ لَهُ بِالْمُنَى فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ حَامِلًا ، وَكَلَّمَتْ لَهُ بِبُلُوغِ الْغَايَةِ مِنْ أَفْقِ الْعُلُوفَةِ قَدْرَهُ وَمَا زَالَ الْمُؤَهَّلُ لِلْكَامِلِ بِاعْتِبَارِ مَا يَسْئُلُ إِلَيْهِ كَامِلًا ، وَنَوَّهَتْ بِذِكْرِهِ وَمَا كَانَ لظُهُورِ تَحَايِلِ هَذَا الْمَنْصِبِ الْجَلِيلِ عَلَيْهِ فِي وَقْتٍ خَامِلًا ، وَنَظَرَتْ الرِّعَايَا فَمَا عَدَلَتْ بِهِمْ عَنْ بَرِّ رَفِيقٍ ، وَصَاحِبِ شَفِيقٍ ، وَوَزِيرِ عُمَرَى السَّيْرِ مَاسَلِكِ طَرِيقَا إِلَّا وَعَدَلَتْ شَيْطَانُ الظُّلْمِ عَنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ هَذَا الْمَنْصِبُ الْجَلِيلُ غَايَةَ مَدَارِ الْمَمَالِكِ عَلَيْهَا ، وَقِبْلَةَ تَوَجُّهِ أَهْلِ الطَّاعَةِ فِيمَا يُقَاضِ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَتِنَا إِلَيْهَا ، وَهُوَ الَّذِي يَتَدَرَّعُ صَاحِبُهُ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ لِبُوسَا ، وَيُعَالِجُ مِنْ أَدْوَاءِ الْمَهَامِّ مَا بَغِيرَ عِزَائِمِهِ لَا يُوسَى ، وَيَتَرَدَّدُ فِي الْمَخَالِصَةِ وَالْمَنَاصِحَةِ مِنْ مَالِكِ أَمْرِهِ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى - اقْتَضَتْ آرَؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ تُفَوِّضَ ذَلِكَ إِلَى مَنْ نَهَضَ فِي طَاعَتِنَا

الشريفة بما يَجِب ، وعلمنا تحرزه لدينه ولنا فيما يأتى ويَجْتَنِب ، ومن تُزاد به مع نخره أيا من الشريفة نخرًا ، ويُصْبِح له مع ماله من الجلالة فى نفسه رتبُ جلالةٍ أُخرى .

ولهذا رسم بالأمر الشريف العالى المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى : -
لا زال يُصَرِّف الأقدار بيمين أيا من ، ويُشَرِّف الأقدار بيمينه وإنعامه ، ويُدِّر على الأولياء وإبل جوده الذى تُحْجَل الدِّيم من دَوامه - أن تفوض إليه الوزارة الشريفة الكاملة على جميع الممالك الإسلامية : شرقًا وغربًا ، وبعُدًا وقربًا ، وبرًا وبحرًا ، وشامًا ومصرًا ، على أجمال القواعد فى ذلك وأكملها ، وأسنى الفوائد وأفضلها ، وأتم الأحوال التى يُستغنى بِجَمالها عن مَفَصَّليها .

فليُعْطِ هذه الرتبة من جلالته حَظًّا كانت من إبطائه على وجل ، ويُجَارِ الغَمام بوابل إنعامنا الذى يُعَلِّم به أن حُمرَة البرق فى أشائه نَجَل ، ويُطَلِّق قلمه فى مصالح الدولة القاهرة بَسْطًا وقَبْضًا ، وإبرامًا ونَقْضًا ، وتديرًا يُعِين النِيلَ والغَمَام على تَتَبُّع المحل ما وجد كل منهما أرضًا ، ويُعْمَل آراءه المباركة تديرًا للنجاح وتديرًا ، وتقريرًا للقواعد وتقريرًا ، ونظرًا يجعل لكل عمل من ملاحظته نصيبًا ، وفكرًا يحاسب به على حقوق الله وحقوق خلقه فإن الله هو المناقش على ذلك ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ .

ويبدأ بالعدل الذى رسم الله به وبالإحسان فى مُلكنا الشريف ، ويُخَفِّف - مع الجمع بين المصالح - عن خلق الله الوطأة فإن الإنسان ضعيف ، ويُخْزِلُ أولياء دولتنا موادَّ الارزاق فإنَّ سيفَ المنع الذى نُحاشى أيا من عن تجريده أقل نكايَةً من التسوية ، ويمنعُ الأولاد من ظلم الرعايا باعتبار أحوالهم دون أقوالهم فإنَّ منهم من يدعى العدل ويُجور ويُظهر الرفق ويُخيف ، ولينْتَبِعْ أدواء المحل تَتَبُّع طيب خبير .

وَيُصَرِّفُ الْأُمُورَ بِجَمِيلِ تَدْوِينِهِ فَإِنَّ الْبَرَكَهَ مَعْدُوقَةٌ بِحُسْنِ التَّدْوِينِ ؛ وَيَسْتَقْبِلُ رَى الْبِلَادِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - بِسَدَادِ حَزْمٍ يُعْتَفَرُ بِهِ هَذَا الْقَلِيلُ لَذَلِكَ الْكَثِيرُ ، وَيَسْتَخْلِفُ بِالرَّفْقِ وَالْعَدْلِ أَضْعَافَ مَا فَاتَ فِي أَمْسِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . وَلِيَهْتَمَّ بِنُيُوتِ الْأَمْوَالِ فَيُؤَالِي إِيْتَانِ الْحُمُولِ إِلَيْهَا مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَيَضَاعِفُ بِهَا الْحَوَاصِلَ الَّتِي لَا يُطْلَعُ بِغَيْرِ حُسْنِ التَّدْوِينِ عَلَى أَسْبَابِهَا ، فَإِنَّهَا مَعَادِنُ الذَّخَائِرِ وَمَوَارِدُ الرِّجَالِ ، وَإِذَا أَعَدَّ مِنْهَا جِبَالًا شَوَاحِجَ تَلَا لِنِاقُنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ .

وَكَذَلِكَ الْخَزَائِنُ الَّتِي هِيَ مَعَاقِلُ الْإِسْلَامِ وَحُصُونُهُ ، وَحِمَاهُ الَّذِي لَا يُتَذَلُّ بِغَيْرِ أَمْرِنَا الشَّرِيفِ فِي مَصَالِحِ الْمَلِكِ وَالْمِلَّةِ مَصُونُهُ ، فَيَجْعَلُهَا بِتَدْوِينِهِ الْجَمِيلِ كَالْجِبَارِ الَّتِي لَا تَنْقُصُ بِكَثْرَةِ الْوَرَادِ جَمَامُهَا ، وَلَا تَنْزَحُهَا السُّحْبُ عَلَى كَثْرَةِ مَا تَحْمِلُ إِلَى الْآفَاقِ غَمَامُهَا ، وَلِيُصْلِحَ مِنْ مَصَالِحِ كُلِّ إِقْلِيمٍ بِمَا تُثَمِّلُهُ لَهُ عَلَى الْبُعْدِ أَفْكَارُهُ ، وَيَأْمُرَ فِي أَحْوَالِ مَنْ بِهِ مِنَ الْجَنْدِ بِمَا يُؤَكِّدُ الطَّاعَةَ عَلَيْهِمْ ، وَيَجِدُّ الْأَسْتَطَاعَةَ لَدَيْهِمْ ، وَيُزِيحُ أَعْدَارَهُمْ وَأَعْتِدَارَهُمْ بِوُضُوحِ حُقُوقِهِمْ إِلَيْهِمْ ؛ وَيُوفِّرُهُمْ عَلَى إِعْدَادِ الْأَهْبَةِ لِلْأَعْدَاءِ إِذَا أَتَوْهُمْ مِنْ قُورِهِمْ ، وَيُكْفِيهِمْ بِإِدْرَارِ الْأَرْزَاقِ عَلَيْهِمْ عَنْ أَعْتِدَائِهِمْ عَلَى الرِّعَايَا وَجُورِهِمْ ؛ وَيَجْعَلُ ثَغُورَ كُلِّ جَانِبٍ - بِتَسْيِيرِ مُحْصُوهَا ، وَتَثْمِيرِ ذَخَائِرِهَا الَّتِي هِيَ مِنْ مَوَارِدِ رِجَالِهَا - مُصَفَّحَةً بِالْصَّفَاحِ ، مُشْرِقَةً بِأَسْنَةِ الرِّمَاحِ ، مَسْدُودَةً مِنْ جِهَةِ الْعَدُوِّ عَنْهَا مَسَالِكُ الرِّيحِ ؛ وَيَتَفَقَّدُ مِنْ أَحْوَالِ مَبَاشِرِيهِ ، وَوُلَاةِ الْحُكْمِ وَالتَّحَكُّمِ فِيهِ ؛ مَا يَعْلَمُونَ بِهِ أَنَّهُ مَنَاقِشُهُمْ عَلَى الْأُمُورِ الْيَسِيرَةِ ، وَالْهَفَوَاتِ الَّتِي يَرَوْنَهَا قَلِيلَةً وَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَثْرَةِ الرِّعَايَا كَثِيرَةٌ ، وَالْأَحْوَالِ الَّتِي إِذَا عَدَّهَا الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ قَالُوا : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ ، وَيَتَعَاهَدُ أُمُورَ الرُّتَبِ الدِّينِيَةِ فَلَا تُوْخَذُ مِنْاصِبُهَا بِالْمُنَاسَبِ ، وَلَا تُعَدُّ رِزْقُهَا الْمَعْدَّةُ لَا كِتْسَابِ الْعِلْمِ فِي الْمَكْاسِبِ ؛ بَلْ يَتَعَيَّنُ أَنْ يَرْتَادَ

لذلك العلماء الأعلام حيث حلّوا ، ويقرّر فى مراتبها الأكفاء وإلا آتخذ الناس رؤوساً جهّالاً فضّلوا وأضلّوا ؛ وقد جعلنا [أمره] فى ذلك جميعه من أمرنا ، فليقلّ يمتثل ، وينشر كلمة عدلنا التى يسير بطريقتها المثلى المثل ؛ ولا تمضى 'ولاية' ولا عزّل ، ولا منع ولا بذل ، ولا عقد ولا حل ؛ الا وهو معدّدق بأرائه ، متلقّ من تلقائه ، متوقّف على تنفيذه وإمضائه ؛ وقد اختصرنا الوصايا ، آكتفاء بما فيه من حسن الشيم ، واقتصرنا على ذكر بعض المنزاي ، إذ مثله لا يدلّ على صواب ولا يزداد مافيه من كرم ؛ لكن تقوى الله أولى ما دكر به من لم يزل لربه ذاكراً ، وأحقّ ماشكر على التوفيق من لم يبرح له به شاكراً ، والله يزيد قدره اعتلاء ، ويضاعف للدولة الشريفة احتفالاً بشكره واعتناء .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة .

الحمد لله الذى شدّ أزر الملك من الوزراء بالمكين الأمين ، وأشرك فى أمر ملكه من هو على صلاح الجمهور خير معين ؛ وألقى مقاليد حسن تديره لمن دلّت عليه بركة الإستخاره ، وصوب أمر دقيقه وجليله لمن هو لجميل الثناء المعنى وإليه ببنان الاجتباء الإشارة ، وناول كتابها لمن هو أحقّ بحمل أعبائه ، ورقى منصبها لمن لأشبهه بأنه الحقيق باستعلائه ؛ وناول قلم إعطائها ومنعها لواضع الإشارة فى محلّها ، وعدق تثير أموالها بمن لا يأخذها بمقتضى يديه إلا من حلّها .

نحمده على حسن إلهامه ، وشريف إفهامه ؛ ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة عبد مخلص فى أدائها ، محقّ فى إعادتها وإبدائها ؛ ونشهد أن محمداً

عبده ورسوله خير من هو بالحق مبعوث وبالصدق منعوت ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تزال مستمرة في كل وقت موقوت ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن يد الوزارة هي اليد الباسطة فيما قلّ وجلّ ، والمتحكمة فيما عُدق بالملك من كل عقد وحلّ ، والموقوف عند إشارة بنائها وإليها التحكّم في كل إعطاء ومنع ، وتفريق وجمع ، وعزل وإليه ، ونهاية كل نهى وأمر وما لها من غاية ، وربّها من الملك كالروح الباصرة من العين ، واللسان المعبر عن كل زين وشين ، وحسبه أنه في المحلّ من ذات اليمين ، ومن مكانة التمكن في الحرز الحصين ، ولهذا لا يؤهل لها إلا من أنعقد على سُؤدده الإجماع ، وأنقطعت دُون لحاق شرفه الأطماع ، وتأصل في فخارها وتفرّج ، وقام بفروض كفاية كفالتها وتطوّع ، وسار حديث مناقبه في الآفاق ، وجاء بالاختيار والاختبار بالوفاق ، وحسن صورة ومعنى ، وتعدّدت مناقبه فدلّت على أنه الفرد إذا أُلْسِقت عقوده مثني مثني . وكان المجلس العالى الفلانى ربّ حوزتها وسريها ، وروح بصر مرتقى هذه المحامد وإليه [أمر] مصيرها ، والذي حكمت له السيادة بمنالها وحكمته ، وأوضحت بأصالتها وجه الصواب في اختيارها وأحكمته ، وقد حاز من متفرّق لوازمها ما تفرّق فيمن سواه ، وحوى من أدواتها [مادل] على أن الله خلقه فسواه ، إن قال فالصواب موكل بمنطقه ، أو صمت فعظم مهابته قائم مقامه بجمل الخلق لا تخلّقه ، قد جمع إلى التواضع فرط المهابة ، وإلى الابتداء بالمعروف حسن الإجابة ، إن ذكرت الصدارة فهو مالك زمامها ، أو الرئاسة فهو غرّة لثامها ، أو الكفالة فهو مُصَرّف عنانها ، أو الوزارة فهو عين أعيانها ، لم تزل رتبها متشوّقة لحلوله ، مهمّدة لشريف تأهيله .

ولما تحلى منها بهذه الحلى ، وسار حديث ملاءته بتخويلها فى المال ، وتلا لسان القلم سور هذه المحاسن وتلا الثانى بالأول منها إذا تلا ، رُسم بالأمر العالى - أمتعته الله بما وهبه من حُسن مؤازرته ، وشدَّ عضد مملكته بالإمتاع برُبح حُسن معاملته لله وله ولتساجرته - أن تُفوض الوزارة المفخمة ، المكرمة المبجلة المعظمة ؛ للشار إليه : تفويضاً عاماً للقريب من مصالحها والبعيد ، والطارف والتليد ، والمقيم والنازح ، والغادى والرائح ، والسانح والبارح ، والباغى والصادح .

فليباشر ما فُوض إليه منها مباشرة مثله لمثلها ، ولْيُعْطِها من نيئه مناسِبَ نيئها ، وليأخذ أمرها بكتلتا يديه ، وليُعْرِها جانباً من احتفاله ليظهر عليها آثار سُودده كما ظهر شريف تخويلها عليه ، وليطابق فيها لسان نهيه وأمره ، ولْيُعْمَلْ فى مصالحها صالح فكره ، فقد عُدت به مهامها : جليلها وحقيرها ، وقليلها وكثيرها ، وأميرها ومأمورها ، وخليئها وضيئها ، وناعقها وناعبها ، وكاسيها وكاسبها ، ودانيها وقاصيها ، وطائعها وعاصيها ، ومستقبلها وحالها وماضيها ، وواليها وقاضيها ؛ ثقةً بتمام تديره ، وحميد تأثيره ، وأنه إن حَكَمَ فصل ، وإن قَطَعَ أو وصل كان الخزم فيما قَطَعَ ووصل ؛ إذ هو الوزير الذى قد صُرف عن عمل الأوزار وسار ، إلا أنه فى كل منبج سار ، تقطر السيادة من معاطفه ، وتنجى ثمر المني من أغصان قلمه يد قاطفه ؛ لاشئ يخرج عن حكمه ، ولا مصلحة تعزب عن علمه ؛ فولاية الحكم معدوقة بإشارته ، موقوفة على ما يثبت به بليغ عبارته . ومع جلالة قدره لا يحتاج إلى التأكيد فى الأموال وأستندار أخلافها ، والرعايا والأستدامة بالإحسان ودَّ أحلافها ؛ وبيوت الأموال وأستيداء حقوقها ، ومُراعاة جانبها إذ هى الأمُّ الحنونة بتجنُّب عقوقها . والخزائن فهو أدرى بما يجب من تضيق صدرها بالمناقيص عن الإنشراح ، والاهتمام بجواصل تشریفها المستجيلة إفاضة ملابسها قلب من غدا وراح ؛ وثم دقائق ، هو أدرى بما لها من

طرائق ؛ وحقائق ، هو أعرف إذ كان فيها الفائق الرائق ؛ فهو - أجله الله - غنى عن تفصيلها ، وذهنه أشرف عن الوصايا المندوبة لتوصيلها ؛ والله تعالى يقدر له وبه الخير ، ويمتّع بحسن تديره المقرون بحمّل السريرة والسير ؛ والخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية وزير أوردها في " التعريف " وهي :

يُوصى ' بتقوى الله فإنه عليه رقيب ، وإليه أقرب من كل قريب ؛ فليجعل له أمامه ، وليطلب منه لكل ما شرع فيه تمامه ؛ وليجل رأيه في كل ما تشد به الدولة أزرها ، وتُسند إليه ظهرها ؛ وليجعل العدل أصلاً يبني على أسسه ، والعمل في أموره كلها لسلطانه لا لنفسه ؛ وليدع منه الغرض جانباً ، وحظ النفس الذي لا يندو إلا من العدو ليصدق من دعاه صاحباً ؛ وليبصر كيف يُثمر الأموال من جهاتها ، وكيف يخلص بيوت الأموال بالاعتصار على الدراهم الحلال من شبهاتها ؛ ولينزه مطاعم العساكر المنصورة عن أكل الحرام فإنه لا يُسمن ولا يُغنى من جوع ، ولا يرى به من العين إلا ما يحرم الهجوع ؛ وليحذر من هذا فإن المفاجئ به كالخاتل ، وليتجنب إطعام الجند منه فإن [أكل] الدرهم الحرام ما يقاتل ؛ وليحسن كيف يولى ويعزل ، ويسمن ويهزل ؛ وعليه بالكفاة الأمانة ، وتجنب الخونة وإن كانوا ذوي غناء ؛ وإياه والعاجز ، ومن لورأى المصلحة بين عينيه ألفى بينه وبينها ألف حاجز ؛ وليطهر بابه ، ويسهل حجابَه ؛ ويفكر فيما بعد أكثر مما قرب : مقدماً للأهم فالأهم من المصالح ، وينظر إلى ما غاب عنه وحضر نظر المماسي والمصالح ؛ ولا يستبدل إلا بمن ظهر لديه عجزه أو ثبتت عنده خيائته ، ولا يدع من جميل نظره من صحت لديه كفايته ،

أو تحققت عنده أمانته ؛ وليسلك أقصد الطُّرُق فى أمر الرواتب التى هى من صدقاتنا الشريفة وصدقات من تقدم من الملوك ، وهى إما لمن وجب له حق وإن كان غنياً أو عريف صلاحه وهو ضُعلوك ؛ وكذلك ما هو لأيتام الجُند الذين ماتوا على الطاعة ، وأمثالهم ممن خدَم دولتنا القاهرة بما أستطاعه ؛ فإن غالب من مات منهم لم يخلف لهم إلا ما نسمح لهم به من معروف ، ونُجْريه لهم من جارٍ هو أنفع من كثير مما يخلفه الآباء للأبناء من المال المتملك والوقف الموقوف ؛ وليصرف اهتمامه إلى استخلاص مال الله الذى نحن أمناءه ، وبه يشغل أوقاته وتمتلى كالإناء آناؤه ؛ فلا يدع شيئاً يجب لبيت المال المعمور من مستحقه ، ولا يتسمح فى تخليه شيء منه كما أننا نوصيه أنه لا يأخذ شيئاً إلا بحقه ؛ وليبق لأيماننا الزاهرة بتواقيعه ذكرنا لا يقنى ، ويرا لا يزال ثمره الطيب من قلمه يُحنى ؛ ليكون من رياح دولتنا التى تغتم ما يُشير من سخاها المطير ، وحسنات أيماننا التى مذكرونا معنا إلا وقيل : نعم الملك ونعم الوزير .

الوظيفة الثانية

(كتابة السّر ، ويقال لصاحبها "صاحب دواوين الإنشاء")

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب الوظائف أن موضوعها قراءة الكتب الواردة على السلطان ، وكتابة أجوبتها ، وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها ، وتصريف المراسيم وروداً وصدوراً ، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل ، وأنه صار يُوقع فيما كان يُوقع فيه بقلم الوزارة .

قلت : وقد كان فيما تقدم يُكتب له توقيعٌ في قطع النصف بَلَقَب « المجلس العالى » ثم استقرَّ أن يُكتب له تقليدٌ في قطع الثلثين بَلَقَب « الجنب العالى » .
وقد تقدّم الكلام على تقليده في الكلام على التقاليد .

وهذه نسخة تقليد بكتابة السرّ ، كُتِبَ بها للمقرّ المحيوى « محيى الدين بن فضل الله » عند عودته إلى كتابة السرّ بالديار المصرية ، في جمادى الأولى سنة ثلاث ...
من إنشاء السيد الشريف شهاب الدين ، أحد كتّاب الدرّج الشريف ، وهى :

الحمد لله المانّ بفضله ، المستعان به فى الأمر كلّ ، الذى رفع أول الأولياء من العلياء إلى محلّه ، ووضع النعم عند من ينصّ الاستحقاق على تقديمه بمنصبه ويحلّ ما فوّض إليه من أجله ، وأبدع نظام السؤدد بأجل حال ما دام يحيى جامع شمله ، وأودع سرّ ملكنا الشريف عند الحفيظين منه ومن تجلّه ، وأرجع الرياسة إلى من سمّا ثباتاً ، ونما نباتاً ، وعلا عزّماً ، ووفى حرّماً ، فيؤمن آثاره تُضرب الأمثال ولا تجدد في يمن سجاياه كمثلّه .

نحمده على أن أعاد بنا الحق إلى أهله ، ونشكره على أن جاد روض الآمال بوا كيف سحاب كرمنا ووبله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من وفق للصواب فى قوله وفعله ، وتحقق منه جميل الإخلاص فى جميع مذاهبه وسبله ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤوى يوم الجزاء إلى سايغ ظلّه ، والمروى يوم العطش الأكبر بسائغ نهله ، والنبيّ الذى بعثه خاتم رُسله ، وآتاه من الكرامة ما لم يؤت أحداً من الأنبياء من قبله ، والمجتبى من علماء صحابته من أهله لإيداع سرّه وصوّنه وإبلاغ أمره وحمله ، صلى الله عليه وعلى آله الذين سبقوا إلى غايات الفخار

وُخْصُوا بِخُصْلِهِ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ الْمَجَاهِدِينَ فِي حُبِّهِ الْمُعْتَصِمِينَ بِحُبِّهِ ،
 خُصُوصًا الصَّدِيقَ الَّذِي أَحْسَنَ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ مِنْ أَرْتَدَّ بَقْتَلِهِ ، وَمَنْ فَرَّقَ
 بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ وَمَحَضَ عَدْلِهِ ؛ وَمَنْ تَلَقَّى عَنْهُ آيَاتِ الْكِتَابِ فَافْهَمَ ...
 فِي تَرْتِيبِهِ وَجَمْعِهِ وَأَدَائِهِ وَتَقْلِهِ ؛ وَمَنْ كَانَ فَارِسَ حَرْبِهِ ، وَحَارِسَ سِرِّهِ ، وَكَاتِبَ
 وَحْيِهِ وَخَاطِبَ كِفْلِهِ ؛ وَعَنْ بَقِيَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَنْفَرُوا بِأَكْمَلِ الْفَضْلِ
 وَأَجَلِّهِ ، صَلَوةً وَرِضْوَانًا وَضَمًّا بَيْنَهُمَا نُورُ الْهُدَى لِمُسْتَدِلِّهِ ، مَا شَفَى كُرْمَنَا الصُّدُورَ بِصُدُورِ
 إِقْبَالِهِ إِلَى مَنْ قَامَ بِفِرَاضِ وَلَائِهِ وَنَمَلِهِ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَنِعْمَنَا لَا تَزَالُ لِلْعُيُودِ حَافِظُهُ ، وَبِالْجُودِ مُتَحِفَةً وَبِالسُّعُودِ مَلَا حِظَّهُ ،
 وَعَلَى الْمَعُودِ مِنْ كَرَمِ شَيْمِهَا مُحَافِظُهُ ، وَلِلْخِدْمِ مَكَافِيهِ ، وَلِلْقَسَمِ مُوَفِيَةً وَبِالنَّعْمِ مُوَافِيَةً ،
 وَبِمُؤَلَّفِ الْكَرَمِ مُلَافِيَةً ؛ أَتَّبَعَا لِسَبِيلِ الصَّوَابِ ، وَإِيدَاعًا لِلنِّحَةِ عِنْدَ مَنْ لَحِقَهُ
 فِي اسْتِحْقَاقِهَا إِيحَابٌ ، فَلَمَحَلَّهُ اقْتِرَانٌ بِالْاقْتِرَابِ ، وَلَفِعَلَهُ إِنْجَازٌ لَوُعُودِ الصُّعُودِ
 وَإِنْجَابِ ، وَلِفَيْضِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْقَبُولِ أَهْبَى جِلْبَابِ ، وَلِهَ سَبَقِ وَلَاءِ لِمُلْكِنَا
 بَعْدَ جَفَاءِ فِيهِ السَّنِينَ وَالْأَحْقَابِ ، وَصَدَّقُ وُدَّ مَا ضَاعَ لَدَيْنَا وَلَا خَابَ ، وَقَدَّمَ هِجْرَةَ
 كَمِّ لَهَا فِي تَأْيِيدِ الدِّينِ أَنْتِصَارًا وَأَنْتِصَابًا ، وَتَعَدَّدُ مَنَاقِبَ هِيَ فِي الْإِشْرَاقِ وَالرَّفْعَةِ
 كَالنُّجُومِ وَفِي الْكَثْرَةِ عَدَدُ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ ؛ فَمَا دَعَا سُلْطَانُنَا إِلَّا اسْتِجَابَ ،
 وَلَا اسْتَوْعَاهُ سِرَّهُ إِلَّا غَدَا بِهِ يُصَانُ وَلَا يُصَابُ ، وَلَا اسْتَنْطَقْنَا قَلَمَهُ إِلَّا كَفَى الْخَطْبَ
 بِأَمْلَحِ خِطَابِ ، وَلَا اسْتَشَرْنَا رَأْيَهُ إِلَّا حَضَرَ الرُّشْدَ وَمَا غَابَ ؛ فَكَمْ فَرَّقَ لِلْأَعْدَاءِ مِنْ
 كِتَابَةِ بَيْتَابِ ، وَقَرَّبَ مِنْ ظَفَرِ السَّيْفِ فِي الْقِرَابِ ؛ فَبِدَعَوَاتِهِ يُسْتَنْزَلُ مِنَ النِّعْمَاءِ
 أَهْمَرُ سَحَابِ ، وَبِيرَكَاتِهِ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَكَانَ كَيْدُ الْكَافِرِينَ فِي تَبَابِ ، وَبِأَقْلَامِهِ
 إِنْعَامُنَا يَهْبُ وَأَنْتِقَامُنَا يُهَابُ ؛ فَهِيَ عَلَى الْمَمَالِكِ أَمْنٌ سِيَاحَ ، وَلَهَا فِي مَسَالِكِ الْخَيْرِ

أبدع منهاج، وللدولة به وبولده استغناء وإليهما احتياج، فكم ضمتا دُررَ كلاهما
الأدرج، وأطلعا زهر أفلامهما من المَهَارِقِ في أبراج، وكم واصلت في ليل النَّقَسِ
السَّرى والإدلاج، حتى أبدت صَبَاحَ النِّجَاحِ ذَا آتِلَاج، فلا عَجَبَ أن كان للنَّعمِ
إليهما مَعَادٌ وَمَعَاج، وَلِضِيقِ الخُطْبِ عِنْدَ بَاعِهما الرَّحْبِ فُسْحَةٌ وَأَنْفِرَاج .

ولما كان المجلس العالى المَحْيَوَى هو أَسْرَى من تُلقَى إليه الأسرار، وتَبْقَى منه
عند أحرى الأحرار، فكم لها صَانِ أَيْنَ صار، وكم لخواطرنا الشريفة من أفعاله سَارَ
حيث سار، وكم له من كَرَمْنَا دَارٌ في كل دَار، فَمِنَّا لَقُرْبُهُ إِشَار، ولأَثْنَيْنَا عليه إِبْجَار،
ولنا بفضائله إِقْرَار، يُوجِبُ لِلنَّعمِ عِنْدَهُ الإِقْرَار - أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ
أن نُعِيدَ إليه مَنَصِبَهُ، وَنَزِيدَ لَدَيْهِ المَوْهِبَةَ، وَنَجْعَلَ وَجُودَ تَفْضِيلِهِ لِدَوْلَتِنَا أَعْظَمَ مَزِيَّةٍ
وَمُنْقَبَةٍ، وَنَرَاهُ أَجَلَ كُفٍّ لَا سِتْجَاءَ عَقَائِلِ الأسرار المحجَّبة، وإن كان لِنِزَاهَتِهِ
لَا يَخْطُبُهَا فَهَى لَوَجَاهَتِهِ تَرْغُبُ أن تَخْطُبَهُ .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، المملكى الفلانى -
لَا بَرَحَ بِفَضْلِ اللَّهِ يَحْيَى الدِّينَ، وَبِتَأْيِيدِهِ يَبِينُ أَنَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَبِتَسْدِيدِهِ يُصِيبُ
عَيْنَ الصَّوَابِ فِي التَّعْيِينِ - أن نفوض للشار إليه صحابة ديوان الإنشاء الشريف
بالأبواب الشريفة شرفها الله وعظمها : على أجمال عوائده، وأكمل قواعده، وأحسن
حالاته في حُسن مقاصده، ونُفُوز ما يُبَلِّغُه من رسائل عدلنا في مصادِر كل أمر
وموارده، وليستقرَّ بِأَسْمِهِ من المعلوم كذا وكذا .

فَلْيَتَلَقَّ مَنَصِبَهُ المَبَارَكُ بِأَمَلٍ فِي كَرَمْنَا مَبْسُوط، وَرَتَبَتِهِ التَّى يَحْيَى حِمَاهَا وَيَحُوطُ،
مُمِضِيًا لِلْمَهْمَاتِ وَالْمَرَّاسِمِ، مَبْقِيًا مِنْ يَمْنِ آثَارِهِ مَا تَضْحَى بِهِ ثُغُورُ الثُّغُورِ بِوَأَسِمِ،
مُيَدَا لِمَنْ عِنْدَهُ مِنْ كُتَّابِنَا أَوْقَاتِ الأُنْسِ فَأَيَّامُهُمْ [به] كُلُّهَا مَوَاسِمُ، وَبِهَا لَمْ مِنْ الْخَيْرَاتِ

أَجْرُ الْمَقَاسِمِ ، وَقَدْ وَقَرُوا دَوَاعِيَهُمْ إِلَى الْخِدْمَةِ إِذْ وَقَرَّ عَلَى نَفَقَتِهِمْ دَوَاعِيَهُ ، وَهُوَ لِسَانُ
الدَّوْلَةِ وَهُمْ أَذُنُ صَوْنٍ لِمَا يُلْقِيهِ إِلَيْهِمْ وَاعِيَهُ ، فَحَقَّ لَهُمْ إِلَى وِدَادِهِ أَنْ يَجْنَحُوا ،
وَبِإِسْعَادِهِ أَنْ يَجْنَحُوا ، وَعَنْ وَلَائِهِ لَنْ يَرْحُوا : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ، فَلَيْسَ يَرِ الْمَلِكُ بِهِ سُرُورٌ ، وَلِلدَّوْلَةِ مِنْ أَشْعَةِ إِيَابِهِ وَطَلْعَةِ شَهَابِهِ نُورٌ عَلَى
نُورٍ ، وَبِهِمَا عِمَادُ الشَّرَفِ الْأَعْلَى مَرْفُوعٌ وَبَيْتُ الْفَضْلِ الْأَوْفَى مَعْمُورٌ ، وَهُوَ وَبِلِ
هَذَا الْغَيْثِ الْغَمْرِ وَشَبْلِ هَذَا اللَّيْلِ الْمَهْضُورِ ، طَالَمَا هَزَمَ الصُّفُوفَ مِنْ كُتُبِنَا
بِالسُّطُورِ ، وَجَهَّزَ بَرْدًا سَرَّهَا بِالصَّوْنِ مَكْتُومٌ وَعَلَّمَهَا بِالنَّصْرِ مَنْشُورٌ ، وَهُوَ كَكُتْرِ
الْفَضَائِلِ وَكِتَابَةِ الذَّهَبِ شُدُورٌ ، وَمِنْ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الْعُمَرِيَّةِ بِأَفْقِ الْعِلْيَاءِ نَجُومٌ وَأَهْلَةٌ
وَبُدُورٌ ، وَلِلنَّسِيرِ الْأَكْبَرِ إِشْرَاقٌ وَأَتْلَاقٌ وَسُفُورٌ ، وَغَيْرُهُ بِالْوَصَايَا الْمَأْمُورِ ، وَسِوَاهُ
نُبَيْنٌ لَهُ قَصْدُ السَّبِيلِ حَتَّى لَا يَضِلَّ وَلَا يَجُورُ ، وَلَا نَحْتَاجُ أَنْ نَذْكُرَهُ بِمَا هُوَ مِنْ عِلْمِهِ
مَذْكُورٌ ، وَفِي صَحَائِفِهِ مَسْطُورٌ ، وَلَا نَعْلَمُهُ سَدَادًا إِذْ هُوَ عَلَيْهِ مَجْبُولٌ وَمَقْطُورٌ ،
بَلِ الْهُدَى مِنْهُ مَلْتَمَسٌ ، وَمَقْتَنَى وَمَقْتَبَسٌ ، وَمَأْثُورٌ ، وَبِحَمْدِ اللَّهِ مَا فِي حَزْمِهِ قُصُورٌ ،
وَلَا فِي عَزْمِهِ قُتُورٌ ، وَهُوَ بِحَرِّ الْعِلْمِ الْحَمِيطِ وَثَبِيرِ الْحِلْمِ الْمَوْفُورِ ، وَلَيْسَ التَّقْدِيمُ لَهُ
بِمُسْتَعْرَبٍ بَلِ فَضْلُهُ الْمَعْرُوفُ الْمَشْهُورُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْعَى لَهُ فِي خِدْمَتِنَا عَهْدًا قَدِيمًا ،
وَيُقِيهِ لِلدَّعَاءِ مُوَاصِلًا وَمُدِيمًا ، وَيُوزِعُهُ شُكْرَ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخةٌ تقليد بكتابة السِّرِّ، كُتِبَ بها للقاضى شهاب الدين بن فضل الله، وهى :

الحمد لله على عناية حَفِظَتْ مُلْكًا شَرِيفًا بِمَعْقَبَاتِهَا ، وَصَانَتْهُ بِصَاحِبِ تَصْرِيفِ
تَقُومُ كُتُبُهُ وَآرَؤُهُ مَقَامَ الْكُتَائِبِ وَرَايَاتِهَا ، وَسَنَتْ لَنَا الْخَيْرَةَ لَمْ نَجْتَنِ بِقَلَمِهِ النَّصَرَ

من ثمراتها ، وبينت الحُسنى في طريقته المثلُ حتى انقسم الصُّبح من قسَماتها ،
واقْتَسَم النُّجج من عاداتها ، وآتَم فكرهُ بالنُّصح وقد ضَلَّت الأفكارُ عن إصاباتها
فظَلَّت في غَفَلاتها .

نَحْمَدُ حمداً يَهَبُ مع الأَنْفاس في هَبَّاتها ، وَيَهَبُ من اللطائفِ الحِسانِ أَفْضَلَ
هَبَّاتها ، وَيُنَبِّه القلوبَ لتقييدِ شِوارِدِ النِّعم بِصِدْقِ نِيَّاتها ، وَيُنَافِسُ الكرامَ الكاتِبِينَ
على نِفاثِ السَّناءِ في تَسْيِيحِ لُغاتها بِصَفِيحِ سَمَوَّاتها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تَمَلَأُ الصُّحفَ بِحَسَناتها ،
وَتُمَلِّى الوُجوهَ بالأَنْوارِ في توجُّهاتها ، وتُلَوِّح من سِماتها سِمْيَاءَ لا تَشُقُّ على الأبصارِ
في تَوْشِحاتها ، وتَفْخَرُ بِرَفْعِها الأَقلامُ بأنه لا طَعْنُ في أَعْتِدالِ حَرَكَاتها ، على الرِّماحِ
في أَعْتِدالِ قاماتها ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أدَّى الرسالةَ بما
تَحَمَّلَهُ مِنْ أَمَاناتِها ، ورَعَى البُهودَ لِمَنْ أَخْلَصَ في مُراعاتِها ، ودَعَا الأُمَّةَ بِإِذْنِ الله
إلى سَبِيلِ نَجَاتِها ، وأَسْتَأْمَنُ على الوَحْيِ كُتَّاباً سَبَقُوا في السَّعادةِ إلى غَاياتِها ، وبلغُوا عنه
السُّنَّةَ بِإِبانَاتِها والسُّورَ وآياتِها ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابِهِ فُرْسانَ البِلاغةِ
ورُوائِها ، وحَفِظَةَ الأسرارِ وَثِقَاتِها ، وصاغةِ المَعانىِ فى الألفاظِ الغُرِّ بِنَفْثَاتِها ، وأَوَّ
الأحلامِ التى لا تُطِيشُها وقائعُ الدهرِ بِرُوعَاتِها ، ولا تُذهِلُها عن الأورادِ فى أوقَاتِها ،
وتَلَقَّى الوفودَ بِأَقْواتِها ، والأخلاقِ التى أَتَّسَعَ نِطاقُها فى تَصَرُّفاتِها ، وأَمْتَنَعَ حِجابُها
أنْ تُنْخَطَّاهِ الخُدَعُ بِهَفَواتِها ، صِلاةً تَزِيدُ الأَعمارَ بِزَكَاتِها ، وتُزَيِّنُ الأَعْمالَ بِبِرْكَاتِها ؛ وسَلِّمْ
تَسْلِيماً كَثِيراً .

وبعد ، فإنَّ المُلْكَ عَمودُ بِنائِهِ بِسْرَهُ ، وأَرْتِفاعُهُ بالتَّأْسِيسِ لِمُسْتَقَرِّهِ ، وأَمْتِناعُهُ
بعدَ العِساكَرِ المَنْصُورَةِ بِكَاتِبِ يُحَاتِلُ العَدُوَّ فى مَكْرِهِ قَبْلَ مَكْرِهِ ، ويُقاتِلُ فى الحَرْبِ

والسَّلم بنَفَازِ رَأْيِهِ وَنَفَاقِ سِخْرِهِ ، وَيَقَابِلِ كُلِّ حَالٍ بِمَا يَحْسُنُ مَوْقِعُهُ مِنْ صَدْمِهِ
بَصَدْرِهِ أَوْ صَدَّهْ بَصَرُهُ ، وَيَنْظُرُ فِي الْعَوَاقِبِ نَظْرَ الْبَصِيرِ بِأَمْرِهِ ، الْوَاعِي لِأَحْتِيَالِ
عُدْرِهِ قَبْلَ أَحْتِيَالِ الْبَاغِي فِي غَدْرِهِ ؛ إِذَا جَادَلَ فَبِالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ ، وَإِذَا جَاوَبَ أَبْطَلَ
الْأَهْوَالَ الزَّائِغَةَ ، وَإِذَا أَمَرْنَا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ سَيَّرَهُمَا عَنَّا كَالشَّمْسِ الْبَازِغَةِ ،
وَمَلَأَ بِهِمَا حُبًّا لَنَا الْقُلُوبَ الْفَارِغَةَ ؛ وَقَدْ جَرَّبْنَا عَلَى طُولِ الْمَدَى كُتَّابًا ، وَانْتَجَبْنَا مِنْهُمْ
كَثِيرًا أَرْتَضِينَاهُمْ أَصْحَابًا ، وَمَارَسْنَا جَمَاعَةً آزَدَدْنَا بِهِمْ إِعْجَابًا ، وَرَأَيْنَا طَوَائِفَ فِيهِمْ
مَنْ إِنْ أَجَادَ اجْتَنَاءَ لَزَهَرَاتِ الْقَوْلِ حَادَ عَنْ الْجَادَّةِ اجْتِنَابًا ، وَإِنْ كَلَّفَ نَفْسَهُ
مَذَاهِبَ الْكُتَّابِ أَخْلَى بِمَقَاصِدِ الْمُلُوكِ إِنْ كَتَبَ عَنْهُمْ كِتَابًا .

وَلَمْ نَنْظُرْ بِمَنْ تَمَّتْ فِيهِ الشُّرُوطُ الْمَشْرُوطَةُ ، وَمَتَّ بِالْدَّائِرَةِ الْمَحِيطَةِ إِلَى الْفَضَائِلِ
الْمُبْسُوطَةِ ، وَأَمْتَازَ بِفَهْمٍ لَا يَقْبَلُ عَلَى الْفَسَادِ وَلَا يَقْبَلُ الْأَغْلُوطَةَ ؛ إِنْ أَمَلَيْنَاهُ إِمْلَاءً
ذَكَرَهُ ، وَإِنْ حُمِّنَا حَوْلَ مَعْنَى لَا تُؤَدِّي إِلَيْهِ الْعِبَارَةُ فَسَرَهُ ، وَإِنْ سَرَدْنَا عَلَيْهِ فَضْلًا
مُطَوَّلًا خَبَرَهُ ، وَرَبَّمَا رَأَى الْمَصْلَحَةَ فِي اخْتِصَارِهِ فَاخْتَصَرَهُ ، وَإِنْ أَوْدَعْنَاهُ سِرًّا سَرَّاهُ ،
وَصَانَهُ بِحُجُوبِ غَيْبِ أَثَرِهِ ، وَكَتَمَهُ إِمَّا بِخَطِّهِ عَنْ قَلْبِهِ فَلَمْ يُدْرِكْهُ أَوْ بِقَلْبِهِ عَنْ لَحْظِهِ فَلَمْ
يَرَهُ ، وَإِنْ خَلَيْنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِنَا الشَّرِيفَةِ اسْتَخْرَجَهُ كَمَا فِي خَوَاطِرِنَا
وَأَظْهَرَهُ - كَالْمَجْلِسِ الْعَالِي ، الْقَضَائِيِّ ، الْأَجْلِيِّ ، الْكَبِيرِيِّ ، الْعَالِمِيِّ ، الْعَادِيِّ ،
الْعَوْنِيِّ ، الْعَلَامِيِّ ، الْقَوَامِيِّ ، النَّظَامِيِّ ، الْمَدَبَّرِيِّ ، الْمُشِيرِيِّ ، الْفَاضِلِيِّ ، الْكَامِلِيِّ ،
الْأَوْحَدِيِّ ، الْمُفَوَّهِ ، الْخَاشِعِيِّ ، السَّفِيرِيِّ ، الشَّهَابِيِّ : صَلَاحِ الْإِسْلَامِ
وَالْمَسَامِينِ ، سَيِّدِ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، قُدُوةِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، إِمَامِ الْفَضْلَاءِ
وَالْمُتَكَلِّمِينَ ، رَئِيسِ الْأَصْحَابِ ، مَلَاذِ الْكُتَّابِ ؛ سَفِيرِ الْأُمَّةِ ، عِمَادِ الْمِلَّةِ ، لِسَانِ
السلطنة ، مَدَبَّرِ الدُّوَلِ ، مُشِيدِ الْمَمَالِكِ ، مُشِيرِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، وَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) فِي الْمَصْبَاحِ فَسَرَهُ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ أَوْضَحَهُ وَبَيْنَهُ وَالتَّثْقِيلَ مِبَالِغَةً .

«أحمد بن فضل الله» ضاعف الله نعمته . فإنَّا خطبناه لهذه الوظيفة ، وأستخلصناه على كثرة المتعينين لأنفسنا الشريفه ، وأمتحنناه في الأمور الجلييلة واللطيفة ، وحملناه الأعباء الثقيلة والخفيفة ، وأوقفناه مرة وأخرى أطلقنا تصرّيفه ، وأنعمنا النظر في حاله حتى تحقّقنا تثقيفه ؛ وكتب وأستكتب عنا سراً وجهراً فملاً قلباً وسمّعا ، وباشّر مراسمتنا العالية مصرّاً وشاملاً وصلّا وقطعا فعزّ رفعة وعمّ نفعا ؛ وأنشأ التقاليد وقلّدها ، ونفّذ المهمّات وسدّدها ، ووقّع التواقيع وأطلق بها وقد قيّدها ، ومشّى المصالح باحتراز ما بدّدها وأحتراس ما عقّدها ، وجهّز البرد بهمة ما قيّدها طلب الراحة ولا أفعدها . وهو كاتبٌ ملوك ، وصانعٌ سلوك ، وشارعٌ سلوك ، وصانعٌ ذهب مسبوك ، وناسجٌ وشى محوك ، وجامعٌ صفاتٍ ماسواها هو المتروك ؛ لا يعدّو بالكلمة محلّها ، ولا يؤاخي بالقرينة إلا شكّها ، ولا يسمح بخاطبةٍ إلا لمن تعيّن لها ، ولا يعامل بالغلظة إلا من استوجبها ولا يخصّ بالحسنى إلا أهلها ؛ نأمره بالتّهويل فيزُلزل قواعد العدوّ ، ويُشير إليه بالتّهوين فيفيد مع بقاء المهابة الهدوّ ؛ وقد رضيناه حقّ الرضا ، وأضربنا به عمّن بقي من أكاير الكُتّاب ونسبنا من مضى ، وتعيّن علينا أن نحكم له بهذا الاعتبار ونحمله على هذا المقتضى ، وأن نُطلّعه في سماء دسّتنا الشريف شهاباً أضاً ؛ وأن نقلّده مهمّاً مازال هو القائم بتنفيذ أشغاله ، والساعى بين أيدينا الشريفة في تدبير مقاصده وجملة أحواله ؛ إلى ماله من بيتٍ أثّلوا مجده ، وأثّروا سعده ، وأرثوا عندنا وده ؛ وبني كما بنوا ، وأجتنى من السؤدد ما آجتنوا ، ورمى في خدمة الدّول إلى مارموا ، إلا أنّ مذهبه في البيان أحلى ، وأسلوبه أجلى ، وقيمة كلامه أغلى ، وقدره في الكمال هو المعلّى ، وأدبه بحمد الله قد لحظته سعادة أيامنا الزاهرة فما فيه لَو ولا لَوْلا ؛ سوى أنه اتّفق معارضٌ أعترض بين السهم والهدف ، وسفه نفسه فوقف في مواقف التّلف ، ودقّ عنه شأنُ كاتب السر فسقط من حيث

طَمَعَ فِي السُّقُوطِ وَمَا عَرَفَ ؛ وَرَامَ الدُّخُولَ بَيْنَ الْمَلِكِ وَبَيْنَ يَدِهِ ، وَبَيْنَ اللِّسَانِ وَمَا يُحَدِّثُهُ بِهِ الضَّمِيرُ مِنْ حَقِيقَةِ مَعْتَقَدِهِ ، وَالْإِطْلَاعَ عَلَى مَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ لِمَا أَدَارُهُ فِي خَلَدِهِ ؛ وَالتَّعَدَّى بِمَا لَيْسَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ مَتَوَقَّعٌ ، وَسَرَى فِي مَسَرَّى لَوْ طَمَحَ إِلَيْهِ طَرَفُ الشَّهْمِ لَتَقَطَّعَ ؛ وَمَا عَلِمَ أَنَّ كَاتِبَ السَّرِّ هُوَ مُسْتَوْدَعُ الْخَبَايَا ، وَمُسْتَطَلَعُ الْخَفَايَا ، وَقَلَمُهُ (أَبْنُ جَلَا وَطَّلَاغُ الشَّيَا) ، وَفِي اسْتِئْذَانِهِ يُعَرَّفُ بِالْمُنَى وَيُرَعَفُ بِالْمَنَايَا ؛ وَلَهُ الْكِتَابَةُ وَالتَّوْقِيعُ ، وَالتَّصَرُّفُ فِيمَا لِلتَّنْفِيزِ مِنَ التَّحْسِينِ وَالتَّنْوِيعِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ التَّفْرِيقِ وَالتَّجْمِيعِ ، وَالتَّأْصِيلِ وَالتَّفْرِيعِ ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ وَالتَّأْمِينِ وَالتَّرْوِيعِ .

وَمَا دَلَّ ذَلِكَ الْمَعْتَرِضَ بِإِتْجَارِهِ ، وَأَطَالَ الْمَطَارَ فِي غَيْرِ مَطَارِهِ ، وَقَالَ النَّاسُ إِنَّ أَبْوَابَنَا الْعَالِيَةَ جَنَّةَ حُفَّتْ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ بِالْمَكَارِهِ ، رَمَيْنَا بِهِ مِنْ شَاهِقٍ ، وَأَبْعَدْنَاهُ لَأَخْرَجَهُ أَزْهَدَ مَا هَدَرَ مِنْ تِلْكَ الشَّقَاشِقِ ؛ وَتَقَدَّمْنَا بِإِنْشَاءِ هَذَا التَّوْقِيعِ الشَّرِيفِ تَقْوِيَةً لِكَاتِبِ سِرِّنَا الشَّرِيفِ فِي تَصْرِيفِهِ ، وَبَيْنَا أَنَّهُ لَا يُقَاسُ بِهِ أَحَدٌ فَإِنَّهُ لِسَانَ السُّلْطَانِ وَيَدُهُ وَكَفِيُّ بِذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى تَشْرِيفِهِ .

فَرَسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلَى ، السُّلْطَانِيَّ ، الْمَلَكِيَّ ، النَّاصِرِيَّ - لِأَزَالِ إِذَا عَزَمَ صَمَّمَ ، وَإِذَا بَدَأَ الْمَعْرُوفَ تَمَّمَ ، وَإِذَا اسْتَخَارَ اللَّهَ فِي شَيْءٍ رَضِيَ بِخَيْرِهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَسْتَقِلَّ الْمَجْلِسَ الْعَالِي ، الْقَضَائِيَّ ، الشَّهَابِيَّ « أَحْمَدُ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ » الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِصَحَابَةِ دَوَاوِينَ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ : رَفِيقًا لِأَبِيهِ الْمَجْلِسِ الْعَالِي ، الْقَضَائِيَّ ، الْحَيَوِيَّ : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ وَبَرَكَتَهُ فِي الْمُبَاشَرَةِ ، وَشَرِيكَهَا بَلْ مُنْفَرِدًا لِيَقُومَ مَعَهُ وَدُونَهُ بِمَا قَامَ بِهِ مِنْ كِتَابَةٍ بَاطِنَةٍ وَظَاهِرَةٍ ؛ أَسْتَقِلَّ كُلُّ مَنْهُمَا بِهَا فِيمَا بَعْدَ وَقَرُبَ مِمَّا يَضُمُّهُ نِطَاقُ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ؛ مَعَ مَا هُوَ مُسْتَقَرُّ فِيهِ مِنْ كِتَابَةٍ

السر الشريف ، والتصرف في المهمات الشريفة والتصرف ؛ وهو المنفرد بتقديم البريد وعرضه ، ومباشرة ختمه وفضّه ، وقراءته بين أيدينا ، واستخراج مراسيمنا الشريفة في كل مناب ، ومُشافهة وخطاب ، وأبداء وجواب ، وملطف ومكبر ، ومقدم ومؤخر ، ومكمل ومشطر ؛ وإليه أمر البريد والقُصاد والنَّجَّابة ، ومن أشتمل من الدُّجى جلبابه ، أو ألقته إلى ملاء الصُّباح المنشورة يد ليله مُنَّجابه ؛ وتعيين مَنْ يرى تعيينه منهم في المهمات الشريفة السلطانية ، والمصالح المقدسة الإسلامية ؛ وإليه الحمام الرئاسي وترجيته ، وزجَّالته ومدرجته ؛ ومن يصل من رُسل الملوك إلى أبوابنا العالمة ، وجميع من يكتب الدولة الشريفة من كل منسب وغريب ، وبعيد وقريب ؛ وقراءة القصص لدينا ، والكتابة على ما يسوغ كتابة مثله ، وأخذ العلامة الشريفة من يده .

وأما من تستكتبهم عنا في ممالكنا الشريفة فهو المقلد لأعبائهم ، والمخلّي بينه وبين ما يراه في آجتبائهم ؛ يستكتب كل أحد فيما يراه ، ويرفع بعضهم فوق بعض درجاتٍ منهم مستقيظ ومنهم نائم في غمرات كراه ؛ كل هذا من غير معارضة له فيه ، ولا اعتراض عليه في شيء منه ؛ يبلغنا مهماتنا الشريفة ويتلقّى عنا ، ومنه إلينا وإليه منا .

وأما ما يرد عليه من الرسائل عنا بما يكتب به فيمشی منه مالا يمكن وقوفه ، ويراجعنا فيما لا يكون إلا بعد مراجعتنا تصريحه ؛ فليمش على هذه القاعده ، وليستقل بهذه الوظيفة استقلالاً هو كالخبر محل الفائدة ، ولينشر من إقبالنا الشريف عليه بالصلوات العائده ؛ ونحن نختصر [له] الوصايا لانه الذي يملها ، ونقتصر منها على التقوى فإنها الذخيرة النافعة لمن يعاينها ، والباقية الصالحة خير لمن يقتفيها ؛

والله تعالى يقوى أسبابه ، وينير شهابه ، ويزيد من المعالى آكتسابه ، ويغنيننا بقلمه عن سنان يتقدم عامله ، ولسانه عن سيف يقارق قرابه ، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .



وهذه نسخة تقليد بعود القاضى شهاب الدين بن فضل الله إلى كتابة السر .
من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء الشريف ، وهى :

الحمد لله الذى أحمد العقبى بفضله ، وأكّد النعمى بوضله ، وأودع سرّ مدحنا الشريف عند أهله ، وأطلع شهاب الدين من أفق العلياء فى محلّ شرفه وشرف محله ، ورفع قدره فى سيره إلى بروج السعود وحلّوله بدرجات الصعود ونقله ، وأرجع الموهبة منه إلى من يشكرها بقوله وفعله ، وأينع الفرع الزاكى الذى يحيا أصله بواكف سحاب كرمنا ووبله ، وأتمّ النعمة عليه كما أتمها على أبويه من قبله ، وضمّ له أطراف الرياسة وجمع شملها بسمله ، وعمّ بفضله وفضلنا أهل هذا البيت الذين فطروا على السؤدد وبصروا من رضانا باتّباع سبله .

نحمده على إصفاء ظلّه ، ونشكره على إصفاء نهله ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أشرق نور هداها ، بمستدلّه ، وأغدق نوء نداها ، بمستهلّه ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله خاتم رسله ، وجعل له الفضل على الخلق كلّهم ، وألهم به سبيل هديه وسنن عدله ، وأرشدّه إلى فرض دينه ونقله ، وأودعه السرّ الذى لم يودعه سواه وحمله من أعباء الرسالة ما لم ينهض غيره بحمله ؛ صلى الله عليه وعلى آله أغصان الشجرة الزهراء التى هى بضعة منه ونبعة من أصله ، ورضى الله

عن أصحابه الذين أجلّهم من أجله ، خصوصاً مَنْ بادر إلى الإيمان نُحِصَّ من السَّبقِ
بِخُصْلِهِ ، وَمَنْ أَيْدَ بِهِ الدِّينَ وَفَرَّ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ ، وَمَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ حَتَّى
غَزَا الْعِدَا بِجَيْلِهِ وَرَجَلِهِ ، وَمَنْ كَانَ بَابَ مَدِينَةِ الْعِلْمِ وَمَانِحَ جَزَلِهِ وَفَاتِحَ قُفْلِهِ ، وَعَنْ
بَقِيَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ جَاهَدَ حَتَّى قَامَ الدِّينُ بِنَصْرِهِ وَنَصْلِهِ ،
صَلَاةً دَائِمَةً يَجْعَلُهَا اللِّسَانُ أَهَمَّ شُغْلِهِ ، وَيُتَلَقَّى قَادِمُهَا فِي مَوَاطِنِ الْقَبُولِ بِأَكْرَمِ نُزُلِهِ ،
مَا رَمَى قَوْسُ الْعَزْمِ بِصَائِبِ نَبْلِهِ ، وَحَمَى حِمَى الْمَلِكِ بَلِيَّتَهُ وَشِبْلَهُ ، وَفَوَّضَ أَجَلَ
الْمَنَاصِبِ إِلَى فَاضِلِ الْعَصْرِ وَأَجَلَّهُ .

أما بعدُ ، فَإِنَّ آرَاءَنَا لَا تَزَالُ لِلصَّالِحِ مُرَاعِيَةً ، وَلَا تَبْرَحُ بِالإِسْعَادِ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ
سَاعِيَةً ، فَتَدْعُو إِلَى مَقَامِهَا مِنْ وَفَرٍ عَلَى الْإِخْلَاصِ دَوَاعِيَةً ، وَتُدْنِي مِنْ مُلْكِهَا مَنْ لَهُ
بِالْخَفَايَا أَعْظَمُ بَصِيرَةٍ وَفِي جَمِيلِ الْقَضَايَا أَجْمَلُ طَوَاعِيَةٍ ، وَتُلْقِي أَسْرَارَهَا إِلَى مَنْ لَهُ
لِسَانٌ حَقٌّ نَاطِقٌ وَأَذُنٌ خَيْرٌ وَاعِيَةٍ ، وَتُقَدِّمُ مَنْ لَهُ قَدَمٌ صِدْقٌ ثَابِتَةٌ وَيَدٌ بَيْضَاءٌ طَوِيلٌ
فِي الْمِهْمَّاتِ عَالِيَةٍ ، لَتَغْدُو سِهَامُ أَقْلَامِهِ إِلَى الْأَغْرَاضِ رَامِيَةٍ ، وَصَوَائِبُ أَفْكَارِهِ
عَنْ حِمَى الْمُلْكِ مُحَامِيَةٍ ، وَتَكُونُ عِبَارَتُهُ لِلْقَاصِدِ مُوْفِيَةً وَإِشَارَتُهُ لِمَوْعِدِ الْيَمِينِ مُوَافِيَةً ،
وَتُضْحِي دِيمُ نِعْمَتِنَا الْوَكَفَّةُ لِسَوَابِقِ خِدْمَتِهِ مُكَافِيَةً ، لِمَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ ،
وَتُنَاجِي خَوَاطِرُنَا الشَّرِيفَةَ بِهَذَا الْمَنَاجِحِ ، وَيَقْبِلُ عَلَيْهِ وَجْهَ الْإِقْبَالِ ، فِي كُلِّ حَالٍ ، وَيَغْدُو
إِلَيْهِ طَرَفُ الْإِجْلَالِ ، وَهُوَ طَاحٍ ، فَتَجَمَّلُ بِهِ مَمَالِكُنَا مِصْرًا وَشَامَا ، وَتُسَدَّدُ بِهِ مَرْمَى
وَنُصِيبُ مَرَامَا ، وَنَحْفَظُ لَهُ وَلَآئِيَهُ فِي خِدْمَتِنَا حَقًّا وَذِمَامَا ، وَنَكُونُ لَهُ فِي الْحَالَتَيْنِ
بِرًّا وَإِكْرَامَا ، وَنُعَلِي مَحَلَّهُ إِعْلَانًا بَعْلُو مَكَانَهُ وَإِعْلَامَا ، فَيُؤَلِّفُ لِلرِّيَاسَةِ نِظَامَا ،
وَيُضَاعِفُ لِلرُّتْبَةِ إِعْظَامَا ، وَيُعْمِلُ يَرَاعًا بَلْ حُسَامَا ، وَيُجْلُو وَجْهَ الْمُنَى طَلْقًا وَيَبْدُو
بَعْدَ الْبِشْرِ بَسَامَا ، وَيُحْسِنُ بِأَعْيَانِ الْمِهْمَّاتِ قِيَامَا ، وَحَيْثُ نَقَلْتَهُ أَوْطَانَهُ هِضَابَ
الْمَجْدِ وَقَلَّتَهُ ، وَأَيْنَ وَجْهَتَهُ أَعْلَتْ قَدْرَهُ وَتَوَهَّتَهُ ، وَكَلِمَا أَوْفَدَتْهُ أَفَاضَتْ عَلَيْهِ مَلَبَسَ

العزَّ وجددته ، واختصته بالتصرف وأفردته ، وانتصت ماضى اجتهد وجردته ، وأجرته من إجراء فضليها على ما عودته ، واستقلت له منائحها من كثير المواهب ماخولته ، ومن كبير المناصب ماقلدته .

ولما كان فلان هو الذى أودع الأسرار فحفظها ، وأطلع على الدقائق فرعاها ببصيرته ولحظها ، وباشر مهماتها فأمضاها ، وسرّ خواطرنّا وأرضاها ، وظهرت منه بين أيدينا كفاية لا تضاهى ، وقد أجباد أوليائنا من تقاليد عقودا ، وأدنى من المقاصد بلطف عبارته بعيدا ، وأغنى الدولة أن تجهز جيشا وجهاز بريدا ، وأبان بمقاله عما فى أنفسنا فلم يبق مريدا ، وصان الأسرار فجعل لها فى خلدّه خلودا ، وجمع أشتات المحاسن فأضحى فريدا ، كم لعمه فى خدمتنا من هجرة قديمه ، ولأبيه من موالاته هى للمخالصة مواصلة ومُديمه ، وكم لها أسباب فى الرياسة قوية وطرائق فى الهداية قويمه ، وكم كاتب يسر الله بهداهما تعليمه وتفهمه ، وقدر على يديهما وصوله إلى رتب العلياء وتقديمه ، ففنعتهما عيمه ، ونبعتهما صيمه ، ولهما فى الشام ومصر أبحل شيمه ، ولم له هو أيضا من تقدّمات أقتضت تكريمه ، وكفاية عند علومنا الشريفة معلومه ، وكتابة حلل المهارق بوشيا مرقومه ، فلو قابله الفاضل «عبد الرحيم» لبادر إلى فضله إقراره وتسليمه ، أو «عبد الحميد» لكنت مناجه الحميدة بالنسبة إلى مذاهبه ذميه ، أو سمع «عبد الرحمن» مقاله لضمّن ألفاظه معانيه العقيمه ، أو أدركه «قدامة» لعرف تقديمه ، وأقتدى بسبله المستقيمه ، أو حوى «الجوهري» فرائد ألفاظه لعرف أن صحاحه إذا قرئت بها سقيمه ، أو رأى «ابن العديم» خطّه لاستغنت منه بسلاسل الذهب نفسه العديمه ، أو «الولى» لاستجدى من صوب إجادته أغزر ديمه ، أو نظره «ابن مقالة» لوجدت مقتلته نضرة خطّه ونعيمه ،

أو «أَبْنُ الْبَوَابِ» لَكَانَ خَدِينِ بَابِهِ وَخَدِيمَهُ ؛ فَهَمَّ صُدُورُ صُدُورِهِمْ سَلِيمَهُ ، وَأَمَانُ
مَعْدُودَةٍ وَأَمَانُهُمْ مَعْدُومَةٌ .

أَقْتَضَى حَسَنُ رَأْيِنَا الشَّرِيفُ أَنْ نُثْقِلَ إِلَيْهِ مَنْصِبًا هُوَ أَوْلَى بِهِ ، وَنُقَرِّرَ عَيْنَهُ بِدُنُوهِ مِنَّا
وَأَقْتَرَابِهِ ؛ وَنَمَتَّعَ الْبَصَرَ وَالسَّمْعَ بِخَطِّهِ وَخَطَابِهِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ ، الْعَالِي ، الْمَوْلَوِي ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، الْفُلَانِي -
لَا بَرَحَ يُعِيدُ نِعَمَهُ كَمَا بَدَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَيُسَرُّ الْقُلُوبَ بِكَافٍ أَوْدَعِهِ سِرَّهُ ؛ وَيُجَمِّدُ
لِأَحْمَدِ الْأَوْلِيَاءِ عَوْدَهُ وَمُسْتَقَرَّهُ ^(١) .

فَلْيَمْلُقْ هَذِهِ النِّعْمَةُ بِشُكْرِهَا وَلِيَتَرَقَّ مَنْصِبُهَا رَفِيعًا يَنْاسِبُ رِفْعَةَ قَدْرِهِ ، وَلِيَبْسُطَ قَلَمُهُ
فِي تَنْفِيزِ مُهِمِّ الْمَالِكِ مِنْ نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ ، وَلِيَحْفَظَ مَا أَوْدَعَهُ مِنْ خَفِيِّ سِرِّهِ ، وَلِيُلاحِظَ
الْمُهَمَّاتِ بِفِكَرِهِ ، وَلِيَحَافِظَ عَلَى مَا يَعْرِفُهُ مِنْ رِضَانَا طُولَ دَهْرِهِ ؛ وَنَحْنُ نَعْلَمُ مِنْ
صَوَابِ أَعْمَالِهِ وَتَسْدِيدِهَا ، مَا لَا نَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى تَكْثِيرِ الْوَصَايَا وَتَعْدِيدِهَا ، وَلَا إِلَى
تَكَرِيرِهَا وَتَرْدِيدِهَا ؛ لِأَسِيَّا وَقَدْ سَلَفَتْ لَهَا بِهَا خِبْرَةٌ لَا نَفْتَقِرُ إِلَى اسْتِعَاذِ ذِكْرِهَا
وَلَا إِلَى تَجْدِيدِهَا ، وَتَقَدَّمَتْ لَهَا مَبَاشَرَةٌ اسْتَبْشَرْنَا بِمُيَمُونِهَا وَأَثِينِهَا عَلَى حَمِيدِهَا ،
وَأَسْتَدْنِينَا سَنَاهَا وَأَسْتَغْنِينَا عَنْ سِوَاهَا بِوُجُودِهَا ؛ وَلَهُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَوْفَرُ التَّوْفِيقِ ، وَهُوَ
الْحَقِيقُ بِمَا فَوَّضْنَا إِلَيْهِ عَلَى التَّحْقِيقِ ، وَفَضَّلَهُ مِنَ الشَّوَائِنِ عِزِّي وَفِي الْمَجَانِبِ
عَرِيقِ ، وَقَدْرُهُ بِتَجْدِيدِ النِّعَمِ جَدِيرٌ وَبِخِلَالِ الْكَرَمِ خَلِيقٌ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوضِّحُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ
أَبْيَنَ طَرِيقٍ ، وَيُسَرُّ بِمَقْدَمِهِ الْوَلِيَّ وَالصَّدِيقَ ، وَيَقْرُقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِغَدِّهِ
الْفَارُوقِ وَهُوَ مِنْ أَكْرَمِ فَرِيقٍ ؛ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ ! .

(١) حذف المرسوم به اختصاراً في النسخة وامتدحاً على فهمه من نظائره المتقدمة فهو ملحوظ



وهذه نسخة تقليد بكتابة السر :

الحمد لله الذى أظهر لتدبير دولتنا شهبا يعلو على فرقَد الفراقِد، وكَمَّلَ به عقودَ
الممالك فسَمَت جواهرُ فرائدِها على الدَّرارىّ إذ كان واسطة تلك الفرائد؛ ومُعِيدَ
إحساننا إلى خيرِ ولى أغنى تدبيره عَمَّن سواه فكان بالألف ذلك الواحد، ومُحوِّلَ
موادِّ كرمنا لمن هو صدر أسرارنا ويمينُ مملكتنا فى كلِّ صادرٍ عنها وواردٍ؛ ومنقِّلَ
الأكفاء إلى مراتبِ سعودهم فتُصبحُ ألويةُ محامدِهم فى معاقلِ العزِّ آخرَ معاقدٍ،
ومُحَلِّ مَلِكنا الشريف بأكل كافٍ ما أمَّ مصرًا إلا تلقَّته بالهناء ولا فارقَ شاما إلا أسِفَتْ
عليه تلك الربوع والمعاهد .

نحمده على نِعَمٍ أَقَرَّتْ عِيونَ الأولياءَ لَمَّا أَقَرَّتْهُمْ من موادِّ جودنا على أَكَلِ القَواعدِ،
ونشكره على ما بَلَّغْنَا من جميلِ المآربِ وبلوغِ المقاصدِ؛ ونشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده
لا شريكَ له شهادة تُنجي قائلها من جميعِ الشدائدِ، ونشهد أنَّ سيدَ [نا محمدا] سيدَ [البشر]
عبده ورسوله الذى جاد بهديته فكان أكرمَ جائدٍ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحَّابته
خصوصًا على أولِ الخلفاءِ أبى بكر الصديق الذى لا خَرَ كَفَخَّارُه، وعلى أميرِ المؤمنين
عمرَ بنِ الخطَّابِ حاملِ أسرارِهِ وفتاحِ أمصارِهِ، وعلى أميرِ المؤمنين عثمانَ بنِ عفَّانَ
مُبدِّلَ عُسْرِهِ بِيسَّارِهِ، وعلى ابنِ عمِّه علىَّ بنِ أبى طالبٍ أعزَّ نُسبائه وأخصَّ أصهارِهِ،
وعلى بَقِيَّةِ مهاجرِهِ وأنصارِهِ، صلاةً سَهْلَةً المَشَارِعِ عَذْبَةً المَواردِ .

وبعد فإنَّ من سَجَّيتنا إذا تيمَّنا بولى لا نزال نلحُظُهُ ، ونرعى حُقوقَ خَدَمِهِ
فى القُربِ والبُعدِ ونحفظُهُ ؛ ونُقابل ما أسلفه لدينا بنفائسِ النِّعمِ ، ونُقيض عليه مَلايسِ
الجُودِ والكرمِ ، لا سِيَّما من لم يزل يُظهر لنا كل يومَ تَعَبُّدا جديدا، ومن أَصْبَحَ

في الفصاحة والبلاغة وحيدا ، ومن جمع أطراف السؤدد والرياسة فلم يبرح بهما فريدا ؛ ومن تحسن النعم بإفاضتها عليه ، وتكمل المنن بإضافة محاسنها إليه ؛ وتزهو فرائد البلاغة بانتظامها في سلك مجده ، وتشرق كواكب البراعة في أنساقها في فلك سعده ؛ وكان للبايتيه في الاختصاص بنا اليد الطولى ، وتلا عليه لسان أعنائنا في الحالين : « ولآخرة خير لك من الأولى » .

ولما كنت أيها الصدر « شهاب الدين » أحق الناس بهذا المنصب لما لوالدك - أبقاه الله تعالى - ولعمرك - رحمه الله تعالى - من الحقوق ، ولما أسلفاه من الخدم التي لا يحسن التناسي لها ولا العقوق ؛ ولأنك جمعت في المجد بين طارف وتالد ، وفقت بأزكى نفروعم وإخوة ووالد ؛ وجلالته ، ما ورثتها عن كلاله ؛ وخلال ، ما لها في السيادة من إخلال ؛ ومفانحر ، تكاثر البحر الزانح ؛ وماثر ، يعجز عن وصفها الناظم والنائر ؛ ولما نعلمه من فضائلك التي لا تُجحد ، وعينك في عودك لوظيفتك وعود « أحمد » أحمد .

(١) ولما كان فلان هو الذي تقطر الفصاحة من أعطاف قلبه ، وتخطر البلاغة في أبواب حكمه ؛ وتنزل المعاني المتمنعة من معاقل القرائح على حكمه ، وتقف جياد البداهة المتسرعة حيرى قبل التوسط في علمه ؛ إن وشى الطرس فرياض ، أو أجرى النفس فياض ؛ أو نظم فقلائد ، أو نثر ففرائد . لا يتجاسر المعنى المطروق أن يلّم بفكره ، ولا يقدم المعنى المتخيل المسبوق للرور بذكره ؛ ولا يجوز زيف الكلام على ذهنه المتقّد ، ولا يثبت غشاء الكلام لدى خاطره المتقّد ؛ « عبء الحميد »

(١) هذه عبارة أخرى تكتب بدل الأولى ولا يجمع بينهما أى فالكاتب مخير في تصدير مقاله باحداهما

كـ «عبد الرحيم» فى العجز عن لحاق علومه التى يجد «الراغب» على نورها هدى ،
والأصمعى لو أدركه لتسالا عليه : «هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا»
«والطُّغْرَائِيَّ» لو عاصره لزاد نظمته وازداد على نوره هدى ، و«الحريرى» لو رافقه
لأمن فى «مقاماته» من التجريح والردى ؛ قد قصرت عن غاية كماله جياذ القرائح ،
ونجّزت عن وصف صفاته جميع المدائح ؛ وشرف منصبه بانتسابه إليه ، ورفع
قدره بمثوله لديه ؛ مع ما تميز به من نزاهة صرف بها عن الدنيا طرفه ، وزهادة زانت
بالسعد صدره وملاءة ملأت بالعفة كفه ؛ فهو واحد زمانه ، وأوحد أوانه ؛ والبحر
الذى يحدث عن فضله ولا حرج ، والروض الذى ينقل عن فضله إلى الأشماع
أطيب الأرج ؛ وكان قد مال عن منصبه وهو يذكره ؛ وفارقه وهو يشكره ، ونادى
غيره وبقوله يلبى ، وشغل بغيره وهو يقول حسبي «شهاب الدين» حسبي :
«فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي» . فلما حصل له الاستئناس ،
وزال عنه القلق والالتباس ، قال : «ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ» -
أقتضى حسن رأى الشريف أن نخصه باستقرار رتبته لديه ، وأن نستمر به على
وظيفته السنية استقرار السعود المقبل عليه .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال شهاب سعيه لامعا ، وسحاب كرمه هامعا ،
ومطاع أمره لمصالح الدين والدنيا جامعا ؛ - لمناقبه^(١) التى وفرت ميامنها ، وأسفرت
بوصف آثاره الحسنة كوامنها ؛ وأن يعاد إليها كما يعاد السوار إلى الزند ، أو كما يعود
نسيم الصبا إلى الرند . فليؤنس منصباً كان إليه مشتاقاً ، ومجلساً كان متظراً أن يزور
من ملابس جلاله على عنقه أطواقاً ؛ وليجمل هالة كانت متشوقة إلى عقود دُرره .
فأحمد الله على ما خصصناك به من مزيد الاعتناء ، وأن السعادة فى أيامنا الشريفة

(١) المراد أن يستقر فى كذا المناقبه ... وأن يعاد .

متصلةً قُشِمَل الآباء والأبناء ؛ وَيَكْفِيكَ بهذا التوقيع الشريف إذ بلغت به جميع
الأماني ، وتوجناه بيميننا الشريفة لقرب عهدنا بمصافحة الركن اليماني ؛ وأصطفيناك
بقلم عَظْم شَأْنًا بتلك السُّتُور ، وغدا معمورًا بالهداية ببركة البيت المعمور ، وأزداد
بمشافهة الحرم الشريف نوراً على نور . فليُحَسِّن نظره المبارك في ذلك كله ،
وليُبد ما يحسن في هذه الوظيفة من مثله ؛ وفي تقدّم مباشرته في هذه الوظيفة
وعليه ما يُغني عن كثرة الوصايا ، وملاكها تقوى الله تعالى وهي أكل المزايا ؛
وليُحَمِّد أفعاله ويصل أسباب اعتمادِه بسببها ؛ والله تعالى يُجَمِّل له مواهب
تحويله ، ويجعل له الخير في تنقله وتحويله ؛ والخط الشريف أعلاه ، حجةً بمقتضاه ،
إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بكتابة السر :

الحمد لله الذي جعل خواطر أوليائنا بإقرار نَعِمنا مستقره ، ومواطر آلينا على
ذوى الإخلاص في ولائنا دائمة الدِّيم مستمره ، وبشائر رضانا تجدد لكل من ذوى
الاختصاص آتياه وبشره ، وسوافر أوجه إقبالنا لأولى الأصطفاء والوفاء مشرقة
الأوضاع متهللة الأسره ، مُودِع أسرار ملكنا الشريف من آل «فضل الله» عند
أكرم أسره ، ومتمتع دولتنا بخير كاف دَقِّق في مصالحنا فكره ، وأنفق في مناجنا عمره ،
وَجُمِّع آرائنا على أعلى على حلٍّ من بهر بيته بمعرفة وبهر خيره ، ومُطْلِع أنجهم
بأفقي تقربنا مرة بعد مره ، فنحجي نيرهم الأكبر وقد شيدنا بإرتقاءهم بيته وشدنا
بعلائهم أزره .

نحمده على أن جبل سجايانا ، على الإحسان والمبره ، ونشكره على أن أجزل عطايانا ،
لمن لم يزل يعرف حقه ويألف خيره ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

شهادة تشرح لمؤمنها صدره ، وتُصلح لموقنها أمره ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أسمى على الخلائق قدره ، وتولى فى المضائق نصره ، وأعلى فى المشارق والمغارب ذكره ؛ صلى الله عليه وعلى آله أعز عتره ، ورضى الله عن أصحابه الذين أسدوا المنّة وسدوا الشّعره ، صلاةً ورضواناً متواصلين فى كلّ أصيل ومكرّين فى كلّ بكرة ، ما وهب فضل الله مستحيماً فسرّ بالعواطف والعوارف سرّه ، وعقب فى سماء الإِسعاد كوكباً فخلّ محله وقرّ مقرّه ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعدُ فشيئاً ترعى لأوليائها حقوقاً ، ونعمناً الغامرة تُسنى صدقاتها لمن لم يزل فى ولّائها صدوقاً ، وتزيد هباتها توفيراً لمن عاهدت منه لمراضيتها توفيقاً ، وتجدد بتعاهدها معهد الفضل فلا يمسى خليلاً بل يضحى بيا كرامها خليفاً ، وتشيد بإحسانها بيتاً أسس على تقوى الله وطاعة سلطانها فعدداً بالحفظ حقيقاً ، وتحمى بأعتنائها جوانبه من الغير فلا يرهّب حماء لها طروقاً ، ولا تجد بفضل الله لها عليه طريقاً ، وتطلع فى بروج سُعودها زهراً تروق شروقاً ، وتجمع على مهمّاتها من عظموا فضلاً وكرموا فريقاً ، وتودع أسرارها عند سرّاتهم ركوناً إليهم وسكوناً ورضا بهم ووئوقاً ، وتشفع منائحها بمنائح تزيد آمالهم نجاحاً وتفيد أمانيتهم تحقيقاً ، وترفع مكاناً علياً إلى حيث أوسع السرار من ملكها من كان بالميا من ملياً وفى المحاسن عريقاً ، ويخلف فى خدمتها شقيق منهم شقيقاً ، ويصرف أوامرها ونواهيها من أعيانهم من تأمن المصالح مع اجتهداه ، تفويتاً وتخاف الأعداء لسداداه ، تعويقاً ، طالما أتمّناهم على إيداع أسرارنا فلت من سرّائهم مستودعاً وثيقاً ، وعينوا للعالى فصادفت طويّتنا من يقظتهم ونهضتهم تصديقاً ، فهم أولى أن نجعل لأجسادهم بعقود جودنا تطويقاً ، وأحق أن نرفع بنعمنا محلّهم ، ونجمع فى خدمتنا شملهم ، فلا يخشون نقضاً ولا تفريقاً .

ولما كان المجلس العالى الفلافى هو الذى لحظته عنايتنا، فعلا فعلا، وأيقظته إشارتنا، فغدا فى الحكم كهلا، وحفظته رعايتنا، فعمرت بيته العمرى الذى مازال بالعوارف ملموحا وللقبول أهلا، وأحظته سعادتنا، فى إقامته مقام أبيه فى حفظ أسرارنا التى هو أحق بإيداعها وأولى - أقتضى حسن الراى الشريف أن تُجرى بمراسمنا أقلامه، ونوفر من إنعامنا أقسامه .

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف - لا برحت سحائبه عامه، ومواهبه لها مزيد وإدامه، ورعايته إذا أبتدأت فضلا رأت إتمامه، وكواكبه تسير فى منازل عزها ولتيرها الأكر الإرشاد والإمامه - أن يقوض إليه كذا وكذا، على أجل العوائد، وأكل القواعد، نظير ما كان مستقرا لأخيه .

فليبشر هذه الوظيفة التى لها به وبأهله أعظم نخار، وليحل هذه الرتبة التى ما منهم إلا من لها يجتبى ويستخار، وليجمل هذا المنصب الذى إليهم مصيره فى جميع الأمصار، وليحل المهارق بانشاآته التى شان مطاوعها عن شأوها الإقصار، ولتوقل هذه المضبة التى لها على عليائهم اقتصار، وفى آبائهم وأبنائهم لها تعيين وأنحصار، وليدج الطروس من خطه بالوشى الرقيم، وليبرج النفوس من خطابه بالدرّ النظيم، وليسرج الشموس من أوضاع كتابته التى تبرز من إبريز كنوزها «أبن العديم»، وليجهز البرد التى تقدمها مهابتنا فلم يكتبها من كتاب الأعداء هزيم، وليزين مقاصدها التى قرن بها الفتح القريب والنصر العزيز والفضل العظيم، وهو بحمد الله غنى عن الإرشاد بالوصايا والتفهيم، على القدر لا يحتاج مع المعية إلى تنبيه ولا إلى تعليم، وهم أئمة هذه الصناعة ولهم الفضل القديم، وسيلهم السوى وصرأطهم القويم، والله تعالى يوفر لهم فضلنا العميم، ويظفر أقدارهم من لدنا

بتكرير التكريم ، ويسنى أمرهم فى آفاق العلياء يسعد ويقعد ويقيم ، ويديم لكل منهم فى ظل نعمنا المزيّد والتأكيد والتقديم ؛ والعلامة الشريفة أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لكاتب السرّ ، أوردتها فى "التعريف" وهى :

وليأمر عنا بما يُقابل بالأمثال ، ويقال به : السيوف لأقلامه مثال ؛ ويبلغ [من] ملوك العدا ما لا تبلغه الأستة ، ولا تصل إليه المراكب المشرعة القلوع والخيول المطلقة الأعنة ؛ وليوقع عنا بما تذهب الأيام ويبقى ، ويحلد من الحسنات ما يلقى آخره ويلقى ؛ ولْيَمْلِ من لدنه من غرر الإنشاء ما يطرز كل تقليد ، وتلقى إليه المقاليد ؛ ولينفذ من المهّمات ما تحجب دونه الرّماح ، وتُحْجِم عن مجارة خيل البريد به الرّياح ؛ وليتلق ما يرد إلينا من أخبار الممالك على اتّساع أطرافها ، وما تضمه ملاءة النّهار ملء أطرافها ؛ وليحسن لدينا عرضها ، وليؤدّ بأدائها واجب الخدمة وليتمّ فرضها ؛ وليجب عنا بما استخرج فيه مراسمتنا المطاعه ، وبما وكل إلى رأيه فسمع له الصواب وأطاعه ؛ وليمض ما يصدر عنا مما يحوب الآفاق ، ويزكو على الإنفاق ، ويحول ما بين مصر والعراق ، ويطير به الحمام الرسائل وتجرى الخيل العتاق ؛ وليرّ الثّواب ما أبهم عليهم بما يريهم من ضوء آرائنا ، وليؤكّد عندهم أسباب الولاء بما يؤلى إليهم من عميم آلائنا ؛ وليأمر الولاة بما يقف به كل منهم عند حدّه ولا يتجاوزّه فى عمله ، ولا يقف بعده على سواه بأمله ؛ وليتولّ تجهيز البريد ، واستطلاع كل خبر قريب وبعيد ؛ والتجّابة وما تسير فيه من المصالح ، وتأخذ منه بأطراف الأحاديث إذا سالت منه بأعناق المطىّ الأباطح ؛ وأمور النّصحاء والقصّاد ،

ومن يَظُلُّ سِرُّهم عنده إلى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرجالَ أَنْصَداعُها وهم شَتَّى في الْبِلَادِ ؛ وليَعْرِفَ
 حقوقَ ذَوِي الخِدْمَةِ منهم ، وأهلِ النصيحة الذين رضى الله عنهم ، ولا يَنْسَ
 عوائِدَهم من رُسومِ إحساننا الموظَّف ، وكرمنا الذى يَسْتَمِيلُ به القلوبَ ويتألَّف ؛
 وليُصْنِ السَّرَّ بِجَهْدِهِ وهيات أن يَخْتَنِي ، وليَحْجِبْهُ حَتَّى عن مَسْمَعِهِ فِسرُ الثلاثة غير
 الخَفِيِّ ؛ والكَشَافَةِ الذين هم رِبِيَّةُ النظر ، وَجَلَّابَةُ كلِّ خَبَرٍ ؛ ومن هم أَسْرَعُ طُرُوقا
 من الطيف ، وأَدْخَلُ في نُحُورِ الأعداء من دُبابِ السَّيْفِ ؛ وهم أَهْلُ الرِّباطِ للخيَلِ ،
 وما منهم إِلا من هو مُقْبِلٌ ومُدْرِكٌ كاللَّيْلِ ؛ والدِّيَادِبُ والنَّظَّارَةُ ، ومن يَعْلَمُ به الْعِلْمُ
 اليقينَ إِذا رَفَعَ دُخَانَهُ أو نَارَهُ ؛ وهم في جَنَابَاتٍ حيثُ لا يَخْفَى لأحد منهم مَنَارٌ ،
 ولا يَزَالُ كُلُّ نَبِيٍّ بَتْنَوِيَرِهِم كَأَنَّهُ جَبَلٌ في رَأْسِهِ نَارٌ ؛ والحمامَ الرِسَالِيَّ وما يَحْمِلُ من
 بَطَائِقٍ ، ويَحْمَلُ من الأَنْبَاءِ ما ليس سِوَاهِ [له] بَطَائِقٍ ؛ ويَخُوضُ من قِطْعِ الأَنْهَارِ ،
 وَيَقْطَعُ إِلَيْنَا ما بَعْدَ مَسَافَةِ شَهْرٍ وأكثر منه في سَاعَةٍ من نَهَارٍ ؛ وَيَعْزِمُ السَّرَى لا يُلَوِي
 على الرِّبَاعِ ، ويعلم أنها من مَلَائِكَةِ النُّصْرَةِ لِأَنَّهَا رُسُلٌ وَلَهَا أَجْنَحَةٌ مِثْنِي وتُلَاقِ
 ورُبَاعٍ ؛ وغير هذا مما هو به مُعْدُوقٌ ، وإليه تُخَدَى به التُّوقُ ؛ من رُسُلِ المُلُوكِ
 الْوَارِدَةِ ، وطوائِفِ المُسْتَأْمِنِينَ الْوَافِدَةِ ؛ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ [هو لآ] ما لهم المَتَرَجِمُ ، والمَصْرَحُ
 عن حَالِهِم المُحْمَحِمُ ، فليَعْلَمْلَهُم بِالْكَرَامَةِ ؛ وَلْيُوسِّعْ لَهُم من رَاتِبِ الْمُضَيِّفِ ما يَحْبِبُ
 إِلَيْهِمْ في أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ الْإِقَامَةِ ؛ وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ هُوَ لَدَيْنَا المُسْتَشَارُ الْمُؤْتَمَنُ ، والسَّفِيرُ الَّذِي
 كُلُّ أَحَدٍ بِسِفَارَتِهِ مُرْتَهِنٌ ؛ وهو إِذَا كَتَبَ بَنَانُنَا ، وَإِذَا نَطَقَ لِسَانُنَا ؛ وَإِذَا خَاطَبَ
 مَلِكًا بَعِيدَ الْمَدَى عُنُونُنَا ، وَإِذَا سَدَّدَ رَأْيَهُ في نُحُورِ الأعداء سَهْمُنَا الْمُرْسَلِ وَسِنَانُنَا ؛
 فَلْيُنْزِلْ نَفْسَهُ مَكَانَهَا ، وَلْيَنْظُرْ لَدَيْنَا رَتَبَتَهُ الْعَلِيَّةَ إِذَا رَأَى مِثْلَ النُّجُومِ عِيَانَهَا .

فليَرَقِبِ اللَّهَ في هذه الرتبة ، وليَتَوَقَّ لِدِينِهِ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَضِيعُ عنده مِثْقَالُ حَبَّةٍ ،
 وَلْيَخَفْ سُوءَ الْحِسَابِ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ؛ وَجَمَاعَةُ الْكُتَّابِ بِدِيوانِ الْإِنْشَاءِ بِالْمَمَالِكِ

الإسلامية هم على الحقيقة رعيتُه ، وهداهم بما تُمتدّهم به من الآلاء المَعِيثَة ؛
فلا تستكتب إلا من لا تجدُ عليه عاتبا ، ولا يجدُ إلا إذا قعد بين يديه كاتبًا ، والوصايا
منه تُستملَى .

الطبقة الثانية

(من أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة السلطانية أصحابُ
التواقيع ، وهم على ثلاث درجات)

الدرجة الأولى

(ما يكتب فى قطع النصف بـ «المجلس العالى» وكلُّها مفتحة بـ «الحمد لله»)
وتشتمل على ثلاث وظائف سوى ما تقدّم أنه نقل إلى رتبة التقاليد ، وهو كتابة السرّ

الوظيفة الأولى

(نظر الخاص)

وقد تقدّم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنها وظيفة محدّثة ،
أحدثها السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » حين أبطل الوزارة ؛ وأنّ أصل
موضوعها التحدّث فيما هو خاصّ بمال السلطان ؛ وأنّ صاحبها صار كالوزير لقربه
من السلطان وتصرفه فى تدبير جملة الأمور ، وتعيين المباشرين ، إلا أنّه لا يقدر على
الاستقلال بأمر ، بل لابدّ له من مراجعة السلطان . وقد تقدّم ذكر ألقابه فى الكلام
على مقدّمة الولايات من هذا الفصل ، وعلى طُور توقيعه فى الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخاصّ ، كُتب به للقاضى شمس الدين موسى بن
عبد الوهاب فى الأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » وهى :

الحمد لله الذى جعل كلَّ جرح بنا يُوسى ، وعجل كلَّ نعمة تُبدل بوسا ، وتغيّر بالسُرور من المساءة لبوسا .

نحمده حمدا يشرح صدورنا ويسر نفوسنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع لقائليها رؤوسا ، وتطلع في آفاق ممالكنا الشريفة شمسوسا ، وتُنشئ في أيماننا الزاهرة غروبوسا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بشر به موسى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تملأ طروبوسا ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن العمل بالسنة أولى ما يتمسك به المتمسك ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «أبدأ بنفسك» ، وكانت الخواص الشريفة هى المصلحة الخاصة بنا ، المتعلقة دون كل شيء بأنفسنا ، لأن من خزائنها العالية نتفرق مواهبنا الشريفة فى الوجود ، ونتحلّى معاطف الأمراء والجنود ، وكان فيها من لم يزل هو وبنوه قائمين بها أحسن قيام ، [و] فيها من ممالكنا الشريفة ما يضاهاى بمدده الغمام ، من حضر منهم لا يتفقد معه من غاب ، ومن كتب منهم فى شيء من مصالحها قال الذى عنده علم من الكتاب ، كم أجزت صدقاتنا الشريفة بأقلامهم من إنعام ، وتقسموا فى مصالحنا الشريفة هذا فى الخاص وهذا فى العام ، طالما أنقطع والدُّهم رحمه الله تعالى بعذر فمشوا الأمور على أكل سداد ، وأجل اعتماد ، وأتم مالو حضر أبوهم وكان هو المتولى لما زاد ، فما خلت فى وقت منه ، أو من أحد منهم لما غاب من بقى يسد عنه ، فلم يزل منهم ربُّها مأنوسا ، ولا سئل فيها عن قصة إلا وأنبت بها صحف إبراهيم وموسى .

وكان المجلس العالى فلان هو الذى تفرّد آخرًا بهذه الوظيفة ، وأستقل فيها بين أيدينا الشريفة ، وسافر فيها إلى ثغر الإسكندرية - حرمها الله تعالى - فاقتر بيمن تصرفه ، وحسن تعفّفه ، وعدم فيها المضاهى لأنه لا شيء يضاهاى الشمس إذا حلّ

سِرُّهَا فِي مَنَازِلِ شَرَفِهِ ، كَمْ كَفَتْ لَهُ كِفَايَهُ ، وَبَدَتْ بِدَايِهِ ، وَكَمْ بَلَغَ مِنْ غَايَةِ ، كَمْ لَهُ مِنْ هِمَمٍ ، وَكَمْ تَقَدَّمَتْ لَهُ قَدَمٌ ، وَكَمْ اعْتَرَفَ السَّيْفُ بِزِ الْقَلَمِ ، كَمْ لَهُ فِي خِدْمَةِ الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ أَوْلَادِنَا أَثَرُ جَمِيلٍ ، وَفَعَلُ جَلِيٍّ جَلِيلٍ ، وَسُلُوكٌ فَلَا يُحْتَاجُ فِي الشَّمْسِ إِلَى دَلِيلٍ ، كَمْ أَحْسَنَ فِي مَرَّةٍ ، كَمْ رَدَدْنَاهُ إِلَى الْكَرْكِ كَرَّهُ ، كَمْ غَلَبَ عَلَى السَّحَابِ فَرَقَى إِلَيْهَا ، وَبَلَغَ النُّجُومَ وَلَهُ قُدُومٌ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أُنْقَلِ وَالِدُهُ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَحْتَاجُ إِلَى تَوْقِيعِ شَرِيفٍ بِالْاِسْتِقْلَالِ فِي وَظِيفَةِ نَظَرِ الْخَاصِّ الشَّرِيفِ الَّتِي خَلَتْ عَنْ أَبِيهِ ، لِيَعْلَمَ كُلُّ مُتَطَوِّلٍ إِلَيْهَا أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا مَعَ وُجُودِ بَنِيهِ ، فَمَا عَادَ إِلَّا وَعَادَ بَعِينَ الْعِنَايَةِ مُحْرُوسًا ، وَلَا أَقْبَلَ عَلَى كَرْمِنَا إِلَّا قَالِ ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُلُوكَ يَا مُوسَى ﴾ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - زَادَ اللَّهُ شَرَفَهُ ، وَمَكَّنَ فِي الْأَرْضِ تَصَرُّفَهُ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظْرُ الْخَاصِّ الشَّرِيفِ بِالْمَالِكِ الْإِسْلَامِيَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةِ وَالِدِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْوِظِيفَةِ ، وَقَاعِدَتِهِ فِي رُتْبَتِهَا الْمُنِيفَةِ ، لِيَقْضَى مَا كَانَ فِي خَاطِرِ أَبِيهِ مِنَ الْوَطَرِ ، وَلِأَنَّهُ فِي أَمْثَالِهِ عَيْنُ الْأَعْيَانِ وَالْعَيْنُ أُولَى بِالنَّظَرِ .

فَلْيَبَاشِرْ مَا أَنْعَمَتْ بِهِ صِدَاقَاتُنَا الْعَمِيمَةُ عَلَيْهِ عَلَى مَا عَاهَدَ [مِنْهُ] بِالْأَمْسِ ، وَعُرِفَ بِهِ مِنْ حُسْنِ السُّلُوكِ كَمَا يَمِشِي فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ ، وَلِيَقْدِمَ تَقْوَى اللَّهِ وَالْأَمَانَةَ فَهَمَّا أَفْضَلُ مَا يُقَدَّمُ ، وَأَجْمَلُ مَا يَعْمَلُ بِهِ مِنْ تَقَدُّمٍ ، وَالنَّهْضَةَ فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي تَقُومُ بِهَا الْمَصَالِحُ ، وَالتَّصَدَّقَ لَهَا هُوَ بِصَدَدِهِ فَإِنْ بِهِ يَتِمُّ كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ ، وَلِيَحْتَفِظَ عَلَى الْخَزَائِنِ الْعَالِيَةِ ، وَلِيَكُنْ فِيهَا كَوَاحِدٌ مِنْ رُقَّتِهِ عَمَلًا بِالْعَادَةِ [فِيهَا] ، وَإِلَّا فَنَحْنُ نَعْلَمُ مِنْ كِفَايَتِهِ [أَنَّهُ] يَكْفِيهَا ، وَلِيَشْمَرَّ الْجِهَاتُ الَّتِي إِلَيْهِ مَرْجِعُهَا ، وَالْأَمْوَالُ الَّتِي يَدُومُ إِلَيْهَا مِنَ الْعَيْنِ تَطْلُعُهَا ، وَلَيْسَتْ تَجْلِبُ خَوَاطِرَ التُّجَّارِ بِإِصَالِ حَقُوقِهِمْ إِلَيْهِمْ ، وَالْقَائِمِينَ فِي خِدْمَةِ

أبوأبنا الشريفة بتعجيل ما تُنعم به صدقاتنا الشريفة عليهم ؛ وليكن إلى ما تبرز به
مراسمنا الشريفة مُسارعا ، ولها في كل ما أشكل عليه من الأمور مُراجعا ؛ وبقية
هذا من كل ما يحتاج أن نُوصيه بتعلمه فقد علم مما جرت به عادتنا الشريفة بأن
نقوله في مثله ، ولهذا نختصر في الوصايا التي تُشرح آكتفاء بما آناه الله بنا من
فضله ؛ والله تعالى يأخذ به إلى النجاح ، ويفتح له بنا أحسن الأفتاح ؛ والاعتماد
على الخط الشريف أعلاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الخاص :

الحمد لله الذي جعل خواص النعم لملكنا الشريف لأجلها ، ونفائس الذخائر من
دولتنا القاهرة بحملها ، وأخير المفاتيح مبسوطا في أيامنا ظلها .

نحمده بحمائه التي لا نملها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
أشرق مستهلها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي ختمت به أنبيأؤها ورسلها ،
وبعثه الله للأرحام بيأها ، وللأولياء يجلها ، وللأعداء يذلها ، وللسيوف النصر من
العمود يسرها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما شئ على مطية رحلها ، وولى المراتب
أهلها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن خزان ملكنا الشريف مستودع كل ثمين ، وممالكنا المعظمة لا تُعَدَّق
إلا بالثقة الأمين ؛ ومتاجر خواصنا الشريفة لا يُمرَّها إلا من رأيهِ يعضد قلمه في اليمن ،
والمتجر المحروس لا يقوم بئاء محضوله إلا من له حزم سيد وعزم متين ، ونظر
الخواص هو الذروة العالية فمرتقيها على كل ما يعترضه مُعين .

ولما كان فلان هو المختار على يقين، والمخطوب لهذا المنصب ليزيده في التحسين والتحصين، والذي إن نظر في القليل عاد كثيرا بالألوف والمئين، فإن دبر تدبيرا حفظ وحرس وصين، وضبط في حسن الاعتماد بأع إلى الصين؛ وإن توجه إلى الثغر المحروس تفجر له عن أمواله الجمه، وأخرج له من فاخر الحلل ما حسن راقمه رفته؛ وصدر عنه إلى أبوابنا الشريفة بالتحف المضمنه، والمحمول التي أوقرت السفن في النيل، والإبل في السيل، فأزال الغمه، وأثار الأمور المدهمه، ونشر ما طواه لدينا فشكرنا له ما تقدم به مما أتمه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف ... فليباشر هذا المنصب الكريم بتدبير يصلح الفاسد، وينفق الكاسد، ويكبت الحاسد؛ ويكثر الأموال، ويسعد الأحوال؛ ويمر الذخائر، ويسر السرائر؛ ويوفر حاصل الجواهر، ويكثر التحف من كل صنف فاخر؛ ويوفي المهمات الشريفة حقها في الأول والآخر، وينشر التشاريف كالآزاهر . وليختار الأمناء الثقات، وليحرر كل منهم الميقات، وليبع لخاصنا الشريف ويشتر بالأرباح في سائر الأوقات؛ وليتلق تجار الكارم الواردين من عدن، باستجلاب الخواطر وبسط المنن، ونشر المعدلة عليهم ليجدوا من اليمن ما لم يجدوه في اليمن؛ وكذلك تجار الجهة الغربية الواردين إلى الثغر المحروس من أصناف المسلمين والفرنج : فليحسن لهم الوفاة، وليعامهم بالمعدلة المستفاده، فإن مكاسب الثغر منهم ومن الله الحسنى وزياده . والوصايا كثيرة وهو غنى عن الإعادته، و [ملاكمها] تقوى الله فليقتف رشاده، وليصلح مآبه ومعادته، ولا يتدنس بأقذار هذه الدنيا فإنها جمة وقادة، والله تعالى يحرس إرفاقه وإرفاده، بمنه وكرمه ! : بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه؛ إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظر الجيش)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها التحدّث في الإقطاعات بمصر والشام، والكتابة بالكشف عنها، ومشاورة السلطان عليها، وأخذ خطّه . وقد تقدّم ذكر ألقابه في جملة الألقاب في الكلام على مقدّمات الولايات من هذا الفصل ، وتقدّم ذكر ما يُكتب في طرّة تقليده في الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الجيش :

الحمد لله الذي عَدَّقَ بِالْأَكْفَاءِ مَصَالِحَ الْجُنُودِ ، وَصَرَّفَ أَقْلَامَهُمْ فِيمَا نَقُطِعُهُ مِنَ الْجُودِ ، وَاجْتَبَى لِمَرَاتِبِ السِّيَادَةِ مِنْ تَحْمَدِ الْأَقْلَامِ فِي الْعَطَايَا الْبَيْضِ وَالسُّيُوفِ فِي الْخُطُوبِ السُّودِ .

نحمده وهو المحمود ، ونشكره شكراً مُشْرِقَ الْمَيَامِنِ وَالسُّعُودِ ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً عَدَبَهُ الْوُرُودِ ، يَجِدُ الْخِلَاصَ بِرَكَّتِهَا يَوْمَ الْعَرْضِ ﴿ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ﴾ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أَصْحَحَتْ بِهِ جِيُوشُ الْإِسْلَامِ مَنْشُورَةَ الْأَلْوِيَةِ وَالْبُنُودِ ، مَنْصُورَةَ السَّرَايَا فِي التَّهَامِ وَالنُّجُودِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا أَوْرَقَ عُودِ ، وَأَوَّلَجَ نَهَارَ السُّيُوفِ فِي لَيْلِ الْغُمُودِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيماً .

وبعد ، فإنَّ أَجَلَ رُتَبِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ مُرْتَقٍ ، وَأَجْمَلُهَا مُتَقٍ ، وَأَكْرَمُهَا هَادِيًا حَلَّى بِعَقْدِ السِّيَادَةِ مَفْرَقًا ، رَتَبَةً حَكَمْنَا مَرْتَبِهَا فِي أَرْزَاقِ الْجِيُوشِ الَّذِينَ هُمْ حُمَاةَ الدِّينِ وَأَنْصَارُهُ ، وَلَهُمْ رَوَاحُ الظَّفَرِ وَابْتِكَارُهُ ، وَلِهَذَا لَا يَحْطَى بِتَسْنُومِهَا إِلَّا مَنْ عَلَا مِقْدَارًا ، وَشَكَرَتْ الدَّوْلَةُ الشَّرِيفَةُ لَهُ آثَارًا ، وَجَبَّتْ عَلَيْهِ السَّعَادَةُ أَثْوَابَهَا ،

(١) (عَدَّقَ) جَمَعَ .

وأوكفت عليه سبحانه، وأنزلته ساحاتها ورحابها، وغدت لأحاديث عليائه تروى،
وحمد الميسور والمنشور والمطوى .

ولما كان فلان هو الذى نمت مآثره، وكُرمت مفاخره، وأستوت على العلياء
مظاهره؛ وشكر استبصاره وحياطته، وكل سلوكه منهج الفخار وجادته؛ وأحصى
الجنود عدداً، وإن كثروا النجوم مدداً، وأحاط بالأرض المقطعة، فلم تكن نواحيها
عنه ممتعة؛ ولم يغادر منها شيئاً إلا أحصاه، وأتبع سبب مراضينا حتى بلغ أقصاه؛
فالعلم يثني عليه والعلم، والحرب والسلم يشكرانه لمناسبة نظره القرطاس والقلم -
أقتضى حسن الرأي الشريف أن نقيه هضبة سامية العلى، فاحرة الحلى؛ ومنبع
أرزاق أئمة الفضل وأبطالها، ورتبة شهد منالها بعدم مثالها .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه

فليباشر هذه الوظيفة المباركة، وليحل ذراها الأسمى، وليجمل أطلاعه على
الحيوش المنصورة حتى لا يغادر منها أسماً؛ لتغدو مصالحها وريقة الغراس بأسقه،
وعقودها نفيسة الفرائد متناسقه؛ وليجر نظره المبارك فيما صرفناه فيه، أخذاً بمن
السداد من فعله وحسن التنفيذ من فيه؛ ملزماً من تحت نظره بإتقان ما هم بصدد
من العروض والأمثلة، حتى تغدو لديه ممسلة؛ محرراً للإقطاعات وعلم خفاياها فيما
نهبه ونقطعه، ونصله ونقطعه؛ والمقايضات وإن اختلفت، والإفراجات وإن
اكتنفت، والمغلات الآتية والأخرى التى سلفت؛ وما يخص المتصل، من فعل
المنفصل؛ والمتحصل والعبرة، والخاص والعدة لذوى الإمره؛ ومنها مصرى لاغنى
عن تحريره، وشامى يفتقر إلى الإتيان فى قليله وكثيره؛ ولينظر فيمن له جامكية
أو إقطاع مجزل، وكلاهما فى دولتنا سمالك : هذا رايح وهذا أعزل .

هذه وصايا جمه ، وأنت غني عن أن يستقصي القلم ذكرها أو يُثَمِّه ، والله تعالى
يَجَلُّ به رُتَبَه ، وَيَلْغُه أَرْبَه ، ويرفع عليه لواء المجد وعَذْبَه ، بعد العلامة الشريفة
أعلاها الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجيش :

الحمد لله الذي أعزَّ الجيوش المنصورة ، وجرَّ أعناق العدا بالسيوف المشهورة ،
وهزَّ أُلوية التأييد المنشورة ، وجعل الجحافل مُشْرِفةً وأجنحتها خافقةً وساقها مُحْدقةً
وقلوبها مسرورة .

نحمده بحماده المذكورة ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
مأثورة ، موصولة غير مهجورة ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أبطل
من الشيطان غروره ، وصان للإسلام حوزته ونُفُوره ، وسنَّ لأئمة الاستخارة
والمشورة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تورت من الليل ديجوره ، وكثرت
لقائلها أجوره ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنَّ أحوال جيوشنا يتعين حُسْنُ النظر في أمرها ، والقيام بمواد نصرها ،
وإسعافها بناظر يحزر جهات أرزاقها ، ويضبطها مخافة افتراقها ، ويأمر بنظم جرائد
أسمائهم واتفاقها ، ويَتَقَنُ الحِلْيَ ، ويبيِّن يومَ العَرَضِ محلَّه في آرتقاء العُلَى ، ويصون
المحاسبات لكل منفصل ومتَّصل من الحُلُل ، ويسرع في الدخول والخروج ما يصل به
لكلِّ حقِّه عند استحقاق الأجل .

ولما كان فلان هو الممدوح بالسنة الأقلام ، والرئيس بين الأنام ، والمشكور بين
أرباب السيوف وذوى الأقلام ، والمأمون فيما يُعَدَّق به من مهام ، والعزيز المثل ،

والسائر بجذده الأمثال ؛ والمنشور فضله فى كل منشور ، والظاهر أثره تجريده فى الديوان المعمور ، والذى شكرته المملكة الشريفة فهو من صدورها فى الصدور .

(٢) ... فلينظر هذا المنصب السعيد بأمانة تحفظ أرزاق العساكر ، وتجلو الظلام العاكر ، وليحترر جرائد التجريد ، وليصن العدة الكاملة من التبديد ، ولتكن أوراق البياكر نصب عينيه حتى إذا طلبت منه أحضرها محرره ، وإذا وقع فيهم حركة كانت أفلامه غير مقصره ؛ وليرغب فى اقتناء الشاء حتى يصبح عنده منه جملة من الألوف ، وليكن للأمانة والنصح نعم الألوف ؛ وليتق الله مع أصحاب السيوف ، وليستجلب خواطر أرباب الصفوف ، وليجعل له برأ فى كل أرض يطوف ؛ وتقوى الله فهى السبيل المعروف ، فلينعم بجنّتها الدانية القُطوف ، وليلبس برديها الضافية السجوف ، والله تعالى يُجيبه من الخوف ، بمنه وكرمه ! .



وهذه وصية ناظر جيش أوردتها فى "التعريف" قال :

ولياخذ أمر هذا الديوان بكليته ، ويستحضر كل مسمى فيه إذا دعى باسمه وقوبل عليه بجليته ؛ وليقم [فيه] قياما بغيره لم يرّض ، وليقدم من يجب تقديمه فى العرض ؛ وليقف على معالم هذه المباشرة ، وجرائد جنودنا وما تضحى له من الأعلام ناشره ؛ وليقتصد فى كل محاسبه ، ويحتررها على ما يجب أو ما قاربه وناسبه ، وليستصح أمر كل ميت تأتى إليه من ديوان الموارث الحشرية ورقة وفاته ، أو يخبره به مقدمه أو نقيه إذا مات معه فى البىكار عند موافاته ؛ وليحتر ما تضمنته الكشوف ،

(١) لعله والظاهر أثره وتحريره الخ .

(٢) بياض بالاصل ومراده بالأمر الشريف الخ .

ويحقق ما يقابل به من إخراج كل حال على ما هو معروف، حتى إذا سُئل عن أمر كان عنه لم يخف، وإذا كُشف على كُشف أظهر ما هو عليه ولا يُنكر هذا لأهل الكُشف؛ وليحترز في أمر كل مَرَبَعه، وما فيها من الجهات المُقطَّعة؛ وكل منشور يُكتب، ومثال عليه جميع الأمر يترتب؛ وما يثبت عنده وينزل في تعليقه، ويرجع فيه إلى تحقيقه؛ وليعلم أن وراءه من ديوان الاستيفاء من يساوقه في تحرير كل إقطاع، وفي كل زيادة وأقطاع، وفي كل ما يُنسب إليه وإن كان إنما فعله بأمرنا المطاع؛ فليتبصر بمن وراءه، وليتوقَّ اختلاف كل مبطل وأقراءه؛ وليتحقق أنه هو المشار إليه دون رُفْقته والموكل به النظر، والحقق به جملة جندنا المنصور من البدو والحضر. وإليه مدارج الأمراء فيما تنزل، وأمر كل جندى له ممن فارق أو نُزل؛ وكذلك مُساوقات الحساب ومن يأخذ بتاريخ المنشور أو على السَّياقه، ومن هو في العساكر المنصورة في الطليعة أو في السَّاقة. وطوائف العرب والتركمان والأكراد، ومن عليهم تقديم أو يلزمهم روك بلاد، أو غير ذلك مما لا يفوت إحصاؤه القلم، وأقصاه أو أدناه تحت كل لواء يُشر أو علم؛ فلا يزال لهذا كله مستحضرا، وعلى خاطره مُحضرا؛ لتكون لَفَتَات نظرنا إليه دون رُفْقته في السؤال راجعه، وحافظته الحاضرة غنية عن التذكار والمراجعة.

الوظيفة الثالثة

(نظر الدواوين المعبر عنها بنظر الدولة)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها التحدث في كل ما يتحدّث فيه الوزير، وأن كل ما كتب فيه الوزير «يُكشَف» مثلا، كتب فيه «يُكشَف عما رُسم به» ونحو ذلك. وتقدّم ذكر ألقابه في الكلام

على مقدمات الولايات من هذا الفصل ، وتقدم ذكر ما يكتب فى طرة توقيعه فى الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الدواوين ، كُتِبَ به لتاج الدين بن سعيد الدولة ، وهى :

الحمد لله الذى خَصَّ من أخلص فى الطاعة من الأئمة بحسن النظر ، وأجنى من غرس فى قلبه أصل الإيمان من عوارف أيامنا الزاهرة يانع الثمر ، ورفع من استضاء فى دولتنا القاهرة بأنوار الهدى من محجول الرتب إلى مكان الغرر ، وأظهر لوامع السعادة من نعمنا على من أضاء له الرشد فرآه بعين البصيرة قبل البصر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أرفع ما يقتضى وأنفع ما يُدَّخر ، وأفضل ما نجت به الفرقة الموحدة وهلكت به الفرق الأخرى ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف البشر ، وأرأف البدو والحضر ، والمبعوث إلى الأمم كافة لما قضاه الله تعالى من سعادة من آمن وشقاوة من كفر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الميامين الغرر ، صلاة دائمة الورد والصدر ، باقية العين والأثر ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من خصه برنا بالنظر الحسن ، وشمله كرمنا من الرتب بما يُهجر فى بلوغ مثله الوسن ، وأشتمل عليه معروفنا بما يجعل يراعه فى مصالح الدولة القاهرة جميل العبارة حسن اللسن ، من سمى به نفسه إلى سعادة الآخرة فأنته سعادة الدنيا تابعه ، وسلك فى مراضى الدولة القاهرة طريق الإخلاص ففدت لكل خير حاوية ولكل يمن جامع ، مع كفاءة جاءت المناصب على قدر ، ومعرفة ما لحظت المصالح بأقرب نظر ، إلا تمت الأموال وبدرت البدر ، وخبرة ما أعتبرت فيها محاسن سيرته فى كل ما يباشره إلا صغر خبرها الخبر ، ونزاهة سلكت به فى كل

ما يليه أحسن المسالك ، وعِفَّة رَفَعْتَهُ من الرتب الديوانية إلى مَفَارِقِهَا ولا رُبَّةَ لِلتَّاج إلا ذلك .

ولما كان فلان هو الذى آجَتْنِي من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجَنَى ، وفاز من عوارِفِها العميمة بجَمِيلِ المُخَالَصَةِ ما زاد على المُنَى ، وآتَمَتْنِي من أدوات نفسه إلى كمال المعرفة والعِفَّة وهما أنْفَرُ ما يَدْنُرُ للرتب الجليلة وأنفس ما يُقْتَنَى ، وعُنِي من أسباب استحقاقه المناصب بما أَقْتَضَى إحسان الدولة القاهرة أن يُحْتَفَلَ بتقديمه وأن يُعْتَنَى .

فلذلك رُسِمَ أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة : فليُبْشِرْ ذلك محلياً هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل ، ومجلياً في هذه الحلبة بسبق معرفته الذى لا يَحْتَاجُ إلى دليل ، ومبيناً من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار ، ومن كوامن أطلاعه ما لا يَحْتَاجُ إلى بُرْهَانٍ إلا إذا احتاج إليه النهار ، فلا يزال فرع يراعه فى روض المصالح مُثْمِراً ، وليل نَفْسِهِ فى ليل الأعمال مُقْمِراً ، وحسن نظره إلى ما قُرب ونأى من المصالح مُحْدِقاً ، ولسان قلمه لما دَقَّ من أمور الأقاليم محققاً ، ورسم خطه لما يستقر فى الدواوين المعمورة مُثَبِّتاً ، ووسم تحريره لما يُجْتَنَى من غُروس المصالح مُنْبِتاً ، ولدَّرَ أخلاف الأعمال ، بِحُسْنِ الإِطْلَاعِ محتلياً ، ولوجوه الأموال ، بِإِنْفَاقِ التَّوْجِهَةِ إلى ثَمَرِهَا إن أقبلت محتلياً وإن أعرضت محتلياً ، فإنَّ الأمور معادنٌ يُسْتَتِيرُهَا التَصَرُّفُ الجميل ، ومنابتٌ يُنَمِّيها النظر الجلي والإِتْقَانُ الجليل ، وملاكُ كُلِّ أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويتخيَّأها فى كُلِّ حالٍ أمامه ، والله تعالى يوفِّقه بمنه وكرمه ! .

قلت : ورُبَّمَا أُضِيفَ إلى نظر الدواوين المعمورة نظرُ الصُّحْبَةِ الشريفة الآتى ذِكْرُهَا ، وَكُتِبَ بهما جميعاً لشخص واحد .

(١) وهذه نسخة توقيع بهما جميعاً، كُتِبَ بها لتاج الدين بن سعيد الدولة على أثر إسلامه، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهى :

الحمد لله الذى خَصَّ مَنْ أخلصَ فى الطاعة من آلائنا بِحُسْنِ النظر، وأجنى من غرس فى قلبه أصل الإيمان من عوارف أيماننا الزاهرة يانع الثمر، ورفع من استضاء فى دولتنا القاهرة بأنوار الهدى من حُجُولِ الرُتب إلى مكان الغرر، وأظهر لوامع السعادة من نعيمنا على من أضاء له الرشد فراه بعين البصيرة قبل البصر .

نحمده على إحسانه الذى عمّر، وأمتنانه الذى بهر، وفضله الذى عمّ كل من ظهر له الهدى فلم يعارض الحق إذا ظهر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أرفع ما يقتنى وأنفع ما يُدّخر، وأوضح ما نجت به الفرقة الموحدة وهلكت به الفرق الأخرى، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف البشر، وأراف البدو والحضر، والمبعوث إلى الأمم كافة لما قضاه الله من سعادة من آمن وشقاوة من كفر؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الميامين الغرر، صلاة دائمة الورد والصدر، باقية العين والأثر؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى من خصّه ربنا بالنظر الحسن، وشمله كرمنا من الرتب بما يهجر فى بلوغ مثله الوسن، وأشتمل عليه معروفنا بما يجعل يراعه فى مصالح الدولة القاهرة جميل العبارة حسن اللسن؛ من سمّت به نفسه إلى سعادة الآخرة فأنته [سعادة] الدنيا تابعه، وسلك فى مراضى الدولة القاهرة طريق الإخلاص فغدث لكل خير حاوية ولكل يُمن جامع؛ مع كفاءة جاءت المناصب على قدر، ومعرفة ما لحظت المصالح بأقرب نظر؛ لإلّامت الأموال وبدرت البدر، وخبرة ما اعتبرت فيها

(١) هى عين سابقها خلا أن فيها ضم الصجبة مع تغيير يسير، فتنبه .

محاسن سيرته في مباشرة الإصغر خبرها الخبر؛ ونزاهة سلكت به في كل ما يليه أحسن المسالك، وعفة رفعت من الرتب الديوانية إلى غررها ولا رتبة للتاج إلا ذلك .

ولما كان فلان هو الذي أجتني من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجني، وفاز من عوارفها العميمة بجميل المخالصة مازاد على المني، وأنتمى من أدوات نفسه إلى كمال المعرفة والعفة وهما أنخر ما يدخر للرتب الجليلة وأنفس ما يقتنى، وعني من أسباب استحقاقه المناصب والرتب بما اقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يحتفل بتقديمه وأن يعتنى - فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة ونظر الصحبة الشريفة .

فليباشر ذلك محليا هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل، ومجليا في هذه الحلبة بسبق معرفته التي لا تحتاج إلى دليل، ومبيننا من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار، ومن كوامن اطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار؛ فلا يزال فرع يراعه في روض المصالح مثمرا، وليل نفسه في ليل الأعمال مقمرا؛ وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح محققا، ولسان قلمه لما دق وجل من أمور الأقاليم محققا؛ ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مئيتا، ووسم تحريره لما يحتنى من غروس المصالح مئيتا؛ ولدز أخلاف الأعمال، بحسن الاطلاع محتلبا؛ ولوجوه الأموال، بإنفاق التوجه إلى ثمرها إن أقبلت محتلبا وإن أعرضت محتلبا؛ فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجميل، ومنابت ينمىها النظر الحلي والإتقان الجليل؛ وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه، ويتخيلها في كل وقت أمامه؛ والله تعالى يوفقه بمنه وكرمه! . والخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه .

الوظيفة الرابعة

(١)
(نظر الصُّحبة)

[وهذه نسخة توقيع بنظر الصُّحبة] كُتِبَ به للشريف شهاب الدين ناظر الصُّحبة ، من إنشاء الشهاب محمود الحلبيّ ، وهو :

الحمد لله الذى جعل الشرف حيث حلّ ركابنا مُصاحباً ، وأطلع للفضل فى أفق خدمتنا من أولياء دولتنا شهاباً ثاقباً ، وعدّ النظر فى صُحبتنا بمنّ لم يزل لمصالحنا ملاحظاً ولأوامرنا مُراقباً ، وفوّض أمور مباشرة حال من آجته أوقصر فى خدمتنا إلى من لم يزل بنفسه فى واجب الطاعة مُنافساً وعلى فرض الموالاة مُحاسباً .

نحمده حمد من أجلّ فى أوليائنا نظراً ، وخصّ بالنظر فى صُحبتنا من أخبرت خدمته فتساوت فى الطاعة والمناجحة سفيراً وحضراً ، وأعتد فى ملاحظة مباشرى ما يتر عليه من ممالكه على من لا يهمل له حقاً ولا يحدث له ضرراً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال جيوشنا لإعلاء منارها مُجهّزة ، وسرايانا إلى مقاتل جاحديها البارزة مبرزه ، ووعد النصر على من ألحد فيها لنا معجلاً وعلى أيدينا متجزه ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أنهضنا الله من جهاد أعداء دينه بما قرّض ، وأيقظنا لرفع أقدار أهل بيته فلم يقصر بأحد منهم فى أيامنا أمل ولا بعد عليه غرض ، وخصنا منهم بمن تمسك بجوهره الأعلى فلم

(١) يظهر قياساً على ماسبق فى نظائره أن هنا سقطاً ، هو « وموضوعها أن صاحبها يحدث مع الوزير فى كل ما يحدث ويشاركه فى الكتابة فى كل ما يكتب فيه ويوقع فى كل ما يكتب فيه الوزير تبعاً له » . انظر صفحة ٢٩ ج ٤ من هذا المطبوع .

يتعرض من هذا الأذى إلى عرض ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من (يكاد يمسكه عرفان راحته) ، وإلا المؤثر طاعة الله ورسوله وأولى الأمر على راحته ؛ صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس خلودها من الغروب والزوال ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من اخترناه لصحبتنا الشريفة على علم ، وأعدناه لمهماتنا الكريمة لما فيه من تسرع إدراك وتثبت في حكم ؛ وبسطنا له فيما عدقناه به من ذلك لسانا ويدا ، وحفظنا به الأحوال من [وصول] مسترق السمع إليها (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) وأدخنا أقالمه لمصالح كل إقليم يمر ركابنا الشريف عليه ، وفوضنا مناقشة مباشره على ما أهملوه من حقوق الله تعالى وحقوق الرعايا إليه ؛ وأقمناه لتصفح ذلك بنفسه ، وتلمح زيادة كل يوم على أمسه ؛ وأتراج الحق من مديده إلى ظلم بكف كفه عنه ورفع يده ، وأرتجاع الواجب ممن أقدم عليه بالباطل في يومه وأطرح المؤاخذه به في غده ؛ وغير ذلك مما أحصاه الله ونسوه ، واعتمدوا فيه على المصلحة فأجتنوا ثمرة ما عرسوه - من كان له في المناصحة قدم صدق عند ربه ، وفي خدمة الدولة القاهرة قدم هجرة تقضى مزيد قربه ؛ فكان أبدا بمرأى من عنايتنا ومسمع ، ومن إحساننا بالمكان الذى ليس لأحد من الأكفاء فى بلوغ غايته أمل ولا مطمع ، وتفرد بأجتماع الدين والمنصب والأصالة والعلم والكرم وهذه خلال الشرف أجمع .

ولما كان فلان هو الذى آجتى من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الحنى ، وفاز من عوارفها العميمة بجميل المخالصة ما زاد على المنى ؛ وأنتمى من أدوات نفسه ونسبه إلى كمال المعرفة والعفة وهما أخضر ما يذخر للرتب الجليلة وأنفس

ما يُقْتَنَى ، وَغْنَى مِنْ أَسْبَابِ اسْتِحْقَاقِهِ الْمَنَاصِبَ وَالرَّتَبَ بِمَا اقْتَضَى إِحْسَانُ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ أَنْ يُحْتَفَلَ بِتَقْدِيمِهِ وَأَنْ يُعْتَنَى . فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفْوُضَ إِلَيْهِ نَظَرُ الدَّوَاوِينِ الْمَعْمُورَةِ ^(١) .

فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ مُحَلِّيًا هَذِهِ الرِّتَبَةَ بِعُقُودِ تَصَرُّفِهِ الْجَمِيلِ ، وَمُجَلِّيًا فِي هَذِهِ الْحَلَبَةِ بِسَبْقِ مَعْرِفَتِهِ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ ، وَمُبَيِّنًا مِنْ نَتَائِجِ قَلَمِهِ مَا يُبْرِهنُ عَلَى أَنَّهُ مَوْضِعُ الْأَخْتِيَارِ ، وَمِنْ كَوَامِنِ أَطْلَاعِهِ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى بَرهَانٍ إِلَّا إِذَا أَحْتَاجَ إِلَيْهِ النَّهَارُ ؛ فَلَا يَزَالُ فِرْعُ يَرَاعُهُ فِي رَوْضِ الْمَصَالِحِ مُثْمَرًا ، وَلَيْسَ نِقْصُهُ فِي لَيْلِ الْأَعْمَالِ مُقْمِرًا ؛ وَحُسْنُ نَظَرِهِ إِلَى مَا قُرْبُ وَنَأَى مِنْ الْمَصَالِحِ مُحَدِّقًا ، وَلِسَانُ قَلَمِهِ لَمَّا دَقَّ وَجَلَّ مِنْ أُمُورِ الْأَفَالِيمِ مُحَقِّقًا ، وَرَسْمُ خَطِّهِ لَمَّا يَسْتَقَرُّ فِي الدَّوَاوِينِ الْمَعْمُورَةِ مُثَبِّتًا ، وَوَسْمُ تَحْرِيرِهِ لَمَّا يَحْتَئِي مِنْ غُرُوسِ الْمَصَالِحِ مُنْبِتًا ؛ وَلَدَرَّ أَخْلَافُ الْأَعْمَالِ بِحُسْنِ الْأَطْلَاعِ مُحْتَلِبًا ، وَلَوْجُوهُ الْأَمْوَالِ بِإِنْفَاقِ التَّوَجُّهِ إِلَى تُمْثِيلِهَا إِنْ أَقْبَلَتْ مُحْتَلِبًا وَإِنْ أَعْرَضَتْ مُحْتَلِبًا ؛ فَإِنَّ الْأُمُورَ مُعَادِنٌ يَسْتَشِيرُهَا التَّصَرُّفُ الْجَمِيلُ ، وَمُنَابِتٌ يَتِمُّهَا النَّظَرُ الْجَلِيُّ وَالْإِتْقَانُ الْجَلِيلُ ؛ وَمِلَاكُ كُلِّ أَمْرٍ تَقْوَى اللَّهُ تَعَالَى فَلْيَجْعَلْهَا إِمَامَةً ، وَيَتَخَيَّلْهَا فِي كُلِّ حَالٍ أَمَامَةً ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَسُدُّهُ وَيُوقِّعُهُ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قُلْتُ : وَرَبَّمَا أُضِيفَ إِلَى نَظَرِ الصُّحْبَةِ نَظَرُ الدَّوَاوِينِ الشَّرِيفَةِ ، وَحِينَئِذٍ فَيَحْتَاجُ الْكَاتِبُ أَنْ يَأْتِيَ فِي بَرَاةِ الْأَسْتِمْلَالِ بِمَا يَقْتَضِي الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا ، وَيُورِدُ مِنَ الْوَصَايَا مَا يَخْتَصُّ بِكُلِّ مِنْهُمَا . وَالْكَاتِبُ الْبَلِيعُ يَتَصَرَّفُ فِي ذَلِكَ عَلَى وَفْقِ مَا يَحْدُثُ لَهُ مِنَ الْمَعَانِي وَيَسْتَحُجُّ لَهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ .

الدرجة الثانية

(من تواقع أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة بالديار المصرية ما يكتب
 في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء ، مفتتحاً بـ «الحمد لله» إن قصد
 تعظيم المكتوب له على ما هو الأكثر، أو بـ «أما بعد حمد الله» جرياً
 على الأصل لما يكتب في قطع الثلث ، على ما تنف عليه في النسخ)
 وتشتمل على وظائف :

الوظيفة الاولى

(كتابة الدست)

والمراد دست السلطنة . وقد تقدم الكلام عليها في مقدمة الكتاب في الكلام على
 ديوان الإنشاء ، وتقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها
 أن يجلس أصحابها بدار العدل أيام الموكب خلف كاتب السر ، ويقرؤون القصص
 على السلطان بعد قراءة كاتب السر ، ويكتبون عليها بما تقتضيه الحال ، بعد إشارة
 السلطان بالكتابة ، ثم يحمل ما يكتبون عليه من القصص إلى كاتب السر فيعينها .
 وأن هذه الوظيفة كانت من أجل الوظائف وأرفعها قدراً ، منحصرة في عدد قليل
 نحو الثلاثة فما حولها ، ثم وقع التساهل في أمرها ، ودخل فيها العدد الكثير حتى
 جاوز عددهم العشرين ، وبقيت الرئاسة فيهم لعدد مخصوص منهم ، وقنع الباقون
 بالإسم . وقد تقدم ذكر طرقة توقيعه في الكلام على التوقيع .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الدست ، وهى :

الحمد لله الذى فضل الكرام الكاتبين ، وأحيا بفضائل الآخرين الأولين الزاهيين ،
 وأنزل فى القصص : ﴿ لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ .

نَحْمَدُهُ وهو المَحْمُودُ الْمُعِينُ ، ونَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ قَوْمٍ مُخْلِصِينَ ؛ ونَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالشَّافِعُ فِي الْمُدْنِيِّينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ؛ وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ الشَّرِيفَ دَائِرُ جُذْرَانِهَا الْأَمْرُ الْمُطَاعُ ، وَأَبْوَابُهَا الْخَيْرُ الَّذِي لَا يُضَاعُ ، وَسَقْفُهَا الرَّحْمَةُ وَالْإِتِّضَاعُ ، وَصَدْرُهَا الْإِحْسَانُ الْمِيدُ الْبَاعُ ، وَصَحْفُهَا الْأَمْنُ وَالسَّرُورُ فَلَا يُخَافُ أَحَدٌ فِيهِ وَلَا يُرَاعُ ، وَجِلْسَاؤُهَا الْكَاتِبُونَ عَارِضُ الرَّقَاعِ ؛ هُمْ مَعْدِنُ الصَّدَارَةِ ، وَمَوْطِنُ الْكِتَابَةِ وَالْكِتَابَةِ وَالْإِشَارَةِ ، وَأَقْلَامُهُمْ تَأْتِي بِحُسْنِ التَّشْبِيهِ وَالْإِسْتِعَارَةِ ، وَتُطَرِّزُ حَوَاشِي الرَّقَاعِ بَوَشْيٍ بَادِي الْإِنَارَةِ ، مَا اخْتِيرَ أَحَدُهُمْ لِلْجُلُوسِ فِي دَسْتِهِ إِلَّا وَقَدْ أَرْضَى مِنْ اخْتَارِهِ ، وَتَمَيَّزَ بِحُسْنِ السَّمْتِ وَالْوَفَاءِ وَالْوَقَارِ وَالشَّارَةِ .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي لَهُ فِي السُّودِّ أَصْلٌ عَرِيقٌ ، وَفِي الْفَضَائِلِ لَهُ قَلَمٌ مُطِيقٌ ، وَفِي الْبَلَاغَةِ لَهُ لِسَانٌ مُنْطِيقٌ ، وَإِذَا دَجَّ قَرطَاسُهُ فَهُوَ لِلرُّوضِ شَقِيقٌ ، وَنَبَاتُهُ الْجَوْهَرُ لَا الْآسُ وَالشَّقِيقُ ، وَأَصْبَحَ لِلْجُلُوسِ فِي الدَّسْتِ الشَّرِيفِ أَهْلًا عَلَى التَّحْقِيقِ .

فَلِذَلِكَ رُسمَ أَنْ يَسْتَقَرَّ فَلِيَحُلَّ هَذَا الدَّسْتُ الشَّرِيفُ مُبْهِجًا بَيَانَهُ ، مَثَلِجًا لِلصُّدُورِ بِعُرْفَانِهِ ، مَتَبَلِّجًا بِنُورِ يَدِهِ وَلِسَانِهِ ، قَارِئًا مِنْ قِصَصِ النَّاسِ وَظُلَامَاتِهِمْ فِي إِيْوَانِهِ كُلِّ شَيْءٍ فِي أَوَانِهِ ؛ لَا يَكْتُمُ ظُلَامَةً مَكْتُوبَةً فِي رُقْعَةٍ ، بَلْ يَعْرِفُ مَلِكُهُ بِهَا وَيَبْلُغُهَا سَمْعَهُ ، فَإِنَّهُ فِي هَذَا الْحَلِّ أَمِينٌ وَالْأَمِينُ مُحَلُّ النَّصِيحِ وَالْخَيْرِ وَالرُّفْعَةِ ؛ وَإِذَا وَقَعَ فَهُوَ مَأْمُورٌ ، فَلِيَأْتِ بِمَا يُنْهَجُ الصُّدُورُ ؛ وَيَشْفِي غَلِيلَ الشَّاكِي ، بِلَفْظِهِ الزَّاكِي ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ لَكِنْ السَّلِيمُ لِبَعْضِهَا الْحَاكِي ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ فَهِيَ تَأْجِبُهَا الْجَوْهَرُ ،

وبدورها المنور، وكوكبها الأزهر، والله تعالى يمتعه بالفضل الذي لا يحول ولا يتغير،
بمنه وكرمه! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع من ذلك أيضا، وهى :

الحمد لله الذى أفاض على الأولياء من فضله ، وأهمى عليهم من مواهبه ما يقصر
عنه الغمام فى وبله وطله ، ومنح دست الملك الشريف من الألفاظ المحيية ،
والفضائل المفيدة .

نحمده على نعمة التى أجزلت إحسانها ، وأجملت أمتنانها ، وزغت مظهره
فقدمت من الدولة أعيانها ، ونشكره على عوارفه التى ألقى لأهل النناء عنايتها ،
ورحب لذوى البيوت صدرها وفص عنايتها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تشهد القلوب إيمانها ويدحر
القائل لها ليوم الخاف أمانها ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أظهر الله
به الشريعة المطهرة وأبانها ، وشرف [به] هذه الأمة ورفع على جميع الأمم شأنها ، وبعثه
رحمة إلى كافة الخلق فأقام بمعجزاته دليل الهداية وبرهانها ، وأطفأ بنور إرشاده
شرر الضلالة ونيرانها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من نزه
نفسه النفيسة وصانها ، وسلك فى خدمته وصحبته الطريقة المثلى فأحسن إسرار
أموره وإعلانها ، صلاة دائمة باقية تجمل بالأجور أقرانها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فانه لما كانت وظيفة توقيع الدست الشريف من أجل الوظائف
وأسنائها ، وأنفسها وأعلاها ، وأجاليها وأبهاها ، القائم بها سفير الرعية إلى الملك

فى حاجتهم ، وترجّحان مُعَرِّب عن شكايتهم ، وكاشف أحسن ناسر عن ظلامتهم ؛
جالس على إسطال الأُنس بقُرب الحضرة ، منقذ نَهَى مليكه وأمره ، مبلغ ذا الحاجة
من إنعامه جوده وبره - تعين أن يُندب رئيس وأبن رئيس ، وجوهه بجر نفيس ؛
ذو أصل فى السؤدد عريق ، ولسان فى الفضائل طليق ، وقلم حلّ الطروس بما يفوق
زهر الرياض وهو لها شقيق ، وفاضل لا يُقاس بغيره لأنه الفاضل على التحقيق ؛
وكان المقرّ العالى الفلانى هو المشار إليه بهذه الأولوية ، والمراد من سطور هذه
الحامد اللؤلؤية . فلذلك رُسم بالأمر العالى أن يستقرّ المشار إليه فى وظيفة توقيع
الدست الشريف عوضاً عن فلان بحكم وفاته .

فليباشر ذلك مباشرة تُشكر مدى الزمان ، وتُحمد فى كلّ وقتٍ وأوان ؛ وليدبج
المهاريق بوشى يفوق قلائد العقيان ، ولتَمَلَأ بالأجور لنا صُحُفاً بما يوحيه عنا من
خيراتِ حسان . ونحن فلا نُطيل له الوصايا ، ولا نُخلّيه بها فهى له سجايا ؛ مع ما أدبه
به علمه الحَم ، وعمله الذى ما آنصرف إلى شيء إلا تمّ ؛ ويجمعها تقوى الله تعالى
وهى عقد ضميره ، وملاك أموره ؛ وما برح هو وبيته الكريم مصابيح أُنْفِقها ومفاتيح
مُغَلِّقها ، ولهم جُدد ملايسها وللناس فواضل مُخَلِّقها ؛ والله تعالى يزيده من إحسانه
الجزيل ، ونِعَمِهِ التى يرتدى منها كلّ رداء جميل ، ويمتعه بإمارته التى ما شُكرها إلا
قال أدباً : حسْبنا الله ونعم الوكيل ؛ والاعتماد فى مسعاه ، على الخط الكريم أعلاه .

الوظيفة الثانية

(نظر الخزانة الكبرى)

وقد تقدّم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن هذه الوظيفة كانت
كبيرة الموضع من حيث إنها مستودع أموال المملكة ، إلى أن حدثت عليها خزانة

الخاصّ فأخطت رتبها حينئذ، وسميت الخزانة الكبرى باسم هو أعلى منها ، وأنه لم يبق فيها سوى خلع تُخلع وتُصرف أولاً فأولاً . وقد تقدّم ما يكتب في طرة توقيع ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخزانة :

الحمد لله الذى جعل الخزانين ل ذخائرنا كهُوفاً ، وملايس إقبالنا سُنُوفاً ، ومَواهِبنا تُجَزَل عطاءً ومَعْرُوفاً ، وإقبالنا على مُحسِن التدبير ومجمل التأثير عَطُوفاً ، وأيادينا فى إسكان جَنَّتِها قُطُوفاً .

نحمده حمداً مألوفاً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً أَوْضَحَتْ مَعْرُوفاً ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أزال مَخُوفاً ، وأقام الصلاة والجهادَ صُفُوفاً ، وشهر على العدا عند تأييد الهدى سُيُوفاً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما سدل الليل سُجُوفاً ، وسلم تسليماً .

وبعد، فإنَّ الملكَ الشريفَ له تُخَف مَصُونَه ، وذخائرُ مَكُونَه ، وأَصنافُ حِسانٍ فى خزاننا مَخْزُونَه ، وجواهرُ عالِيَةِ القِيَمَةِ ثَمِينَةٌ [لا يقوم عليها إلا من] لا يَمُدُّ عَيْنَ عَفافِه إلى المال وإن كثُرَتْ آلاَفُه ، وَوَجَّحَ جُتَّةَ هَذِهِ الذَخَائِرِ وَلَمْ تَلَمْ بِالْبَلَلِ أَطْرَافُه ، وهو فلان : العريقُ فى آنْتِسابِه ، الوثيقُ آنْتِأُوهُ إلى فضلِ اللهِ وَجَنابِه ، النقيُّ ثوبُ عِرْضِه ، التقيُّ بتمسكه بَسْتَتِه وفَرْضِه ، الوفىُّ نظره بغَضِّه ، المستمسكُ بجمع الخَيْرِ دُونَ بَعْضِه ، من بَيْتِ السِّيادَةِ وَمَنْ هُوَ مِنْ بَيْتِ السِّيادَةِ فَالسُّودَدُ نَجْمُ سَمَائِه وطُودُ أَرْضِه . فلذلك رِسمُ بالأمر الشريف أن يستقر

فليباشِر هذه الوظيفة بعمَلٍ وَنِيَّة ، متمسكاً ذخائر هذه الخزانة العليَّة ، وأمورها وأحوالها ، وتفصيلها وإجمالها ، وحولها وأحمالها ، وحلَّها المرقومه ، وذخائرها

المعلومة، وجواهرها المنظومة، وأكاسها المختومة، وصناديقها المُرْكُومَة، ما عَنْ علمه فيها شَيْءٌ خَافٌ، وصَوْنُهُ لَهَا كَافٌ، وأَمْرُ اللَّهِ بَيْنَ النَّوْنِ وَالكَافِ .

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ خَزَائِنَنَا تُصَبُّ فِيهَا سَحَابُ التَّحَفِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَصْنَافِ، مِنْ سَائِرِ الْمَالِكِ وَالْمُسَدَّنِ وَالْتُّغُورِ وَالْأَطْرَافِ، وَمِنْهَا يُخْرَجُ بِجِهَازِ مَوَاهِبِنَا وَإِنْعَامِنَا لِلرُّوْلِيَاءِ الْأَشْرَافِ، وَإِنَّمَا هِيَ لِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَمْعِ وَالِإِتْلَافِ، وَتَقْوِيَةِ أَهْلِ الطَّاعَةِ عَلَى أَهْلِ الْإِخْتِلَافِ، فَلْيَضْبِطْ مَا تُطْلِقُهُ وَإِنْ كَانَتِ الْأَقْلَامُ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ لَكَثْرَةِ الْإِسْعَافِ، وَلِتَكُنِ التَّشَارِيفُ الْمَشْمُونَةُ الْكَامِلَةُ، حَاصِلَةً بِمَنَاطِقِهَا الْمَجُوهَرَةُ الْهَائِلَةُ، وَطُرُزِهَا الطَّائِلَةُ، وَتَعَايِيهَا الْفَاضِلَةُ، حَتَّى إِذَا أَنْعَمْنَا مِنْهَا عَلَى أَحَدٍ بِشَيْءٍ يَأْتِي بِجُمُودِهِ وَقَدْ حَمِدَ فَاعِلَهُ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَتَقْوَى اللَّهِ نِظَامُ عِقْدِهَا، وَغَمَامُ رِفْدِهَا، وَزِمَامُ مَجْدِهَا، وَتَمَامُ سَعْدِهَا، فَلْيَكُنْ مُتَقَفًّا بِرِدِّهَا، مُتَضَوِّعًا بِنَدِّهَا، وَهُوَ غَنَى عَنْ الْوَصَايَا وَمَدِّهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُ حَرَكَاتِهِ فِي قَصْدِهَا، وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصية لناظر الخزانة، أوردتها في "التعريف" :

وَيَمَلَأُ بِنَظَرِهِ صُدُورَ الْخَزَائِنِ، وَلِيَجْمَعَ فِيهَا أَشْيَاءَ الْحَاسِنِ، وَلِيُعَدَّ فِيهَا كُلُّ مَا يَدَّخِرُ لِلْإِنْفَاقِ، وَيَحْتَفِظُ بِهِ لِلْإِطْلَاقِ، وَيَحْصُلُ مَا يُضَاهِي الْبَحْرَ بِالتَّفْرِيعِ وَالتَّأْصِيلِ، وَالْجَمْلَ وَالتَّفَاصِيلِ، وَمَا لَا يُوزَنُ إِلَّا بِالْقَنَاطِيرِ، وَلَا يُحْصَى مِنْهُ مِلَّةُ الْأَسَاطِيرِ، وَمَا يُهَيِّئُ مِنَ التَّشَارِيفِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي تُبَاهِي أَشِعَّةَ الشَّمْسِ بِلَمْعِهَا، وَنُجُومَ وَشَائِعِ الرُّوضِ بِخَلْعِهَا، وَمَا فِيهَا مِنْ مَخْلَقَاتِ الْوَانِ لَا تُمَازَلُ بِتَصَوِيرِ، وَلَا يُظَنُّهَا الْأَوَّلِيَاءُ إِلَّا الْجَنَّةَ وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ، وَمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنْ عَتَائِيٍّ وَأَطْلَسٍ، وَمُشْرِئٍ وَمُقْنَدَسٍ، وَكُلِّ طِرَازٍ مُدْهَبٍ وَبَاهِيٍّ، وَمَا هُوَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ لَهُ يُضَاهِي، وَكُلِّ

ما يتشرّف به صاحبُ سيفٍ وقلمٍ ، ويُعطى إنعاماً أو عند أولِ استِخدامٍ في خِدمٍ ؛ وما هو مع هذا من أنواع المستعمَلات ، والنواقص والمُكَمَّلات ؛ وما يُحمَل من دار الطراز ، ويمجد مما يأتي من المُبتاع من بزّ وبزاز ؛ وما هو مُرصدٌ للخزّانة العالية من الجهات ؛ التي يحمَل إليها متحصّلاتها : لينفق في أثمانِ المبيعات ، وما يُستعمل ، وما يُعلَم منه بالطّرز ويُعمل ، وبقيّة ما يُدخّر في حواصلها من مال بيت المال الذي يُحمَل ؛ وذلك كلّهُ فهو الناظرُ عليه ، والمناظرُ عنه مما خرج من عنده ووصل إليه ، والمُحاجِجُ عنه بالمراسيم التي تُنكّس للحفظ وتُنزل لديه ؛ فليُراع ذلك جميعه حقّ المِراعاة ، وليحترز قدر ما يُنفق من الأثمان وقيمة المبيعات ، وليحترز فيما يُزكّي بعضه بعضاً من شهادة الرسائل المكتتبه إليه بالحمول وما يُكتب بها من الرجعات ؛ وليُعرّ المعاملين من نظره مالا يبيحون معه سيّلاً ، ولا يقدرّون معه على أن يأخذوا فوق قدرِ استحقاقهم كثيراً ولا قليلاً ؛ وليقدّم تحصيل كل شيء قبل الاحتياج إليه ويدعه لوقته ، ولا يمثّل لديه إلا سرعة الطلب الذي متى تأخر أخر لوقته (؟) ؛ والأمانة الأمانة ، والعفاف العفاف ؛ فإكان منهما واحد رداءً أميريّ إلا زانه ، ولولاهما لما قال له الملك إنك اليوم لدنيا مكين أمين وسلّم إليه الخزّانة .

الوظيفة الثالثة

(نظرِ خزّانةِ الخِصاص)

وهي الخزّانة التي استُحدثت في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » عند استحداث وظيفة « نظر الخِصاص » وقد انتقل ما كان يحمَل إلى الخزّانة الكبرى ويُصرف منها إلى هذه الخزّانة ، سوى الخِلاج ، كما تقدّمت الإشارةُ إليه في الكلام على توقيع ناظر الخزّانة الكبرى .

وهذه نسخة توقيع بنظر خزانة الخاص ، كُتِبَ به للقاضى شرف الدين محمد
 ابن علاء الدين الجَوْجَرِيَّ^(١) ، فى مستَهَلَّ شهر رجب الفرد ، سنة تسع وثلاثين
 وسبعمائة ، وهى :

الحمد لله الذى زاد بنظرنا الشريف شرف من لمحمة من أوليائنا [و] لحظه ، وأفاد
 المستأنف من ربنا من عهدنا له الفطرة السليمة وتيقنا منه الفكرة واليقظه . وأعاد
 للخلف الكريم ، من المشايخ ما كان للسلف القديم الصالح من التقديم ، الذى شملهم
 بالترقيم ، وجعلهم على خرائن جودنا العميم : لأنهم العلماء الحفظة . وجاد بالطرف
 من خاص إنعامنا العام لمن لقلمه عند الإذناء من سرير الملك إنجاز عدة وللسان
 عند ارتقاء منبر النُسك إبراز عظه .

نحمده على أن أجزل لمن عول على شامل كرمنا جزاءه وعوضه ، ونشكره على أن
 تطول بنوافل نعمنا لمن قام بعد أبيه بلوازم خدمتنا المفترضة ، وعكف أعمالنا على بيت
 مبارك ما منهم إلا من شمل من إحساننا بالمنح لما بذل لسلطاننا من النصح ومحضه .
 ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يودع مصونها فى الأرائك
 المتعلية ويقطع يقينها الشكوك المعترضة ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى
 عظمت عطايا بذله ، فالبهار المرتفعة عنها منخضة ، وكرمت سجايا فضله ، فليست
 بمتقلة وأبرمت قضايا عدله ، فليست بمتنقضة ، وعمت البرايا يده البيضاء التى هى
 بالأرزاق فى الآفاق منبسطة وليست عن الإنفاق خشية الإملاق منقضة ، صلى الله
 عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من أقرض الله قرضا حسنا فضا عاف له
 ما أقرضه ، صلاة تدنى لقائلها فى الأولى من النعمة والأمان أمله وتؤتيه فى الأخرى
 من الرحمة والرضوان غرضه ، وسلم تسليما كثيرا .

(١) نسبة الى « جوجر » بفتح الجيمين وراء بليدة بالقرب من دمياط انظر ياقوت ج ٢

وبعد ، فإن أولى مَنْ رُفِعَ بإكرامنا إلى رُتْبَةِ عَلائِهِ ، وَانْتَفَعَ من مقامنا الشريف باختصاصِ خِدْمَتِهِ وإخلاصِ وِلَايَتِهِ - مَنْ شَفَعَ مزايده بجمع أشتات العلوم في أبكاره وَأَنَائِهِ ، وَأَسْتَوْدَعَ ذَخَائِرَ مُلْكِكَ المصنونة فكان حفيظاً عليماً عند اقترابه مِنَّا وإدنائِهِ ، وَصَدَعَ القلوب بإبداعِ وَعَظِهِ وإبدائه ؛ وَاتَّبَعَ سَبِيلَ والدِهِ القويم ، في الشَّدَّةِ في الحق والتَّصَمُّيمِ ؛ وَسَلَكَ طَرِيقَتَهُ التي هداه الله إليها بتوفيقِهِ فأدرك غَايَتَهُ في أَبَدَائِهِ ، وَقَنِعَ بما آتاه الله تعالى فَأَثَرَتْ مَكَارِمُنَا رِفْعَةً محلَّه وتوسُّعَةً حَبَائِهِ ؛ وَبَرَعَ في إِتْقَانِ الفضائل التي آذَنْتْ بِأَصْطِفَائِهِ وَاجْتِبَائِهِ ، وَوَقَعَ عليه أَخْيَارُنَا الذي نستخير الله تعالى له في إبرام كلِّ أمرٍ وإمضاءهِ ؛ وَأَجْمَعَ عليه رأينا الذي كم أَصَابَ الصَّوَابَ في تعيين العلماء الأُنْجَابَ فنصَّ عليه الأَسْتَحْقَاقُ بإيجابِ التَّرجيحِ وَأَقْتِضَائِهِ .

وكان المجلس السامي الشَّرَفِيُّ هو الذي قَدَّمْنَاهُ بعد أبيه لشهادة خزاننا الشريفة فشاهدنا من حُسْنِ سَيْرِهِ مَا أَبْهَجَ ، وَنَظْمِنَاهُ فِي سِلْكِ أَوْلِيَاءِ الْمُلْكِ فَسَلَكَ من الخَيْرِ أَقْوَمَ مَنَهِجَ ، ثُمَّ أَرَدْنَا الْآنَ أَنْ هَلَالَهُ يَنْتَقِلَ إِلَى رُتْبَةِ الْكَمَالِ لَمَّا تَدَرَّبَ وَتَدَرَّجَ ؛ وَأَعَدْنَا لَهُ تَامَّ الْإِقْبَالِ حَيْثُ شَرُفُ دَوْلَتِنَا الْأَعْلَى - زَادَ اللَّهُ تَعَالَى تَأْيِيدَهُ - بِذِكْرِهِ لَدَيْنَا وَبَشُكْرِهِ عِنْدَنَا يُلْهِجَ - فَاقْتَضَى حُسْنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنَّ هَذَا النِّظَرَ الْجَمِيلَ عَنْهُ لَا يُخْرَجُ ، وَهَذَا الْوَقْرَ الْجَلِيلَ لَا يُعَدَّلُ بِهِ عَنْ فَرْعٍ مُنْجِبٍ لِأَصْلٍ طَيِّبٍ أَثْمَرَ الْوَلَاءَ وَالْدُّعَاءَ لِأَيَّامِنَا الشَّريفة وَأَنْتَجَ .

فلذلك رُسم ... لا زالتِ الصُّدُورُ بِصُدُورِ أَحْكَامِهِ تَنْتَلِجُ ، وَالْأُمُورُ بِمُرُورِ إِنْعَامِهِ تَفْضُلُ عَلَى الْحَقِّ الْأَبْلَجِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... فَلْيُنْطِقْ لِسَانُ كَلِمَتِهِ بِالْإِخْلَاصِ فِي حَمْدِ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ مِنْ هَذَا الْإِكْرَامِ الذي بِمَطَارِفِهِ تَسْرُبِلُ وَبِعَوَارِفِهِ تَتَوَجَّحُ ، وَلْيُطْلِقْ سِنَانُ قَلَمِهِ فِي تَبْيِضِ الْمَصَاحِفِ بِذِكْرِ إِنْعَامِ الْمَقَامِ الذي هُوَ كَالْبَحْرِ وَيُقْصَحُ

عن حمده فهو بحمد الله لا يتلجج ؛ وليُحقّق بيان حكمه ضبط الأصل والخضم والواصل والحاصل والمخضر والمخرج ، ولينفق في أوليائنا من عوائد صلوات نعمائنا التي تقبضها أيدي ملوك المدائن ببسط ومن بعضها صدور الخزائن تخرج ؛ وليسلك سنن أبيه التي بها يستظهر ويفتخر ويستدل ويحتج ، ويستمسك بسببه الأقوى من الديانة التي بابها من النجاة في الدارين غير مُرتج ؛ وترك له تفصيل الوصايا لأنه قرين كفيل مُلْكنا القوى الأمين ذى الإرشاد والسداد مع مرافقته في الإصدار والإيراد والتكرار والتعداد لم يحتج ، والله تعالى يجعل الطُروس بذكر تقديمه تحبّر وتُدبج ، والدروس تنشر وعلومه تعطر وتنتأرجح ؛ بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الرابعة

(نظر البيوت والحاشية)

وقد تقدّم أنّ موضوعها تحدّث في كل ما يتحدّث فيه أستاذ الدار ، وتقدّم الكلام على ما يكتب في طرّة تقليد ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر البيوت والحاشية :

الحمد لله الذى عمّر البيوت بنوّاله ، وكثّر فيها أصناف النعم بإفضاله ، وجعل فيها الخير يتضاعف مع كلّ يوم بتجدّده ومع كلّ شهر بإقباله .

نحمده على مديد ظلاله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد صادق في مقالته ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى رَحِمَ الله العالمين بإرساله ، وسقى الجيش من كَفِّه بَنِيْع زلاله ؛ وأوى إلى المدينة دار هجرته وانتقاله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الناصرين لهذا الدين في كل حاله ؛ وسلم تسليما .

وبعد ، فإن طراز الملك الشريف البيوت الكريمة : فمنها يتفجر ينبوع الرزق الجارى ، ومنها يضىء سقط الزند الوارى ؛ ومنها تبسط الحيوانات ، وتمتد الأسمطة في المهيمات ؛ ومنها يقوم للسعد نصبات ^(١) وأى نصبات ، ومنها تقسم ألوان الطيِّبات على مقتراح السموات ؛ وعماد أمرها على ناظر يقوم بتأصيلها وتفرعها ، وتجنيسها وتنويعها ؛ وتكثير حاصلها ، واستدعاء وإصيلها ؛ وجمع كل ما فيه مرغوب ، وأدخار كل ما هو محبوب ؛ وتأليف القلوب على شكره وجل ما فيها عمل القلوب .

ولما كان فلان هو الرشيد في فعله ، المأمون في فضله ، الأمين في عهده وحلّه ، المسدد في الحال كله ، المعطى المباشرة حقها على ما ينبغي في الشهر من مستمّله .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر قليلاً شر هذه الوظيفة الكريمة مستجلباً المنافع ، مشفّفاً بحسن سيرته المسامح ، طالعاً من العفاف في أبهى المطالع ، مستدعيّاً ما جرت العادة باستدعائه من أصناف المتجر السعيد من أصناف متعدّده ، وأنواع منضّده . وليرح أعدار المصالح السعيدة من كل صنف على حده ، وليستجلب خواطر المعاملين بوفائهم وإنجازهم كل عده ، والرواتب اليومية ليصرفها لمستحقّها ، والبيوتات فليستد خلاها حتى لا يظهر نقص فيها ، ومرتببات الأدر ^(٢) الشريفة فلتكن نصّب عينيه على ما يرضيها ، وما آخترناه لهذه الوظيفة إلا أنه أنسب من يليها ، والوصايا كثيرة وتقوى الله فلتكن أطيب ثمرات يحثيها ، وأحسن منحات يحثيها ، وأزين زينة يحثيها ، وهو غنى عما تُسأله [به] الأفلام من فيها ، والله تعالى يصون هممه ويعلّيها بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

(١) في القاموس النصبة بالضم السارية ولعله المراد .

(٢) لعل هذا اللفظ زائد من قلم الناصح . (٣) جمع دار على القلب .



وهذه نسخة توقيع بنظر البيوت :

الحمد لله الذى جدد لأوليائنا ملابس السُّعود، وشيّد لهم مباني العزّ وضاعف
لِقَدْرهم التّرقى والصُّعود، ووالى إلى أوليائهم سحاب الفضل المستملة بالكرم والجود.
نحمده على نِعَمه الصّافية البرود، ومِنَنه الصّافية الورود؛ ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة نُرغم بها أنف الجُود، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
صاحب الحوض المورود واللواء المعقود؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
جاد كل منهم بماله ونفسه فى رضاه والجود بالنفيسين أقصى غاية الجود؛ صلاة
دائمة الإقامة فى التّهايم والتّجود، مستمرة الإدامة ماتعاقب السحاب روضا بجود؛
وسلم تسليما كثيرا

وبعد، فإن أولى من غدت البيوت أهلة بوفود نظره، عامرة بسداده وجميل
فكره، مشيدة بما يُبديه من أوضاح التقرير وغرره - من سما همة وحسن سمتا،
وسلك فى الأمانة طريقا لا عوج فيها ولا أمتا؛ وحلّ فى الرتب خلاها، وتنقل فيها
فما قالت له إياه إلا وقال الذى فارقتها آها؛ وكان فلان هو الذى استحق بكفائته
حسن التنقل، واستوجب الصلة والعائد لما فيه من جميل التأتى والتوصل - أقتضى
حسن الرأى الشريف أن ننقله إلى رتب السعادة، وأن نخصّه كل حين من نعمنا
بالحسنى وزيادة. فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر...

فليضبط أصولها وفروعها، ومفرداتها ومجموعها، وليؤنس بحياطة أجهاده ربوعها؛
وليكفلها بأمانة تضم أطرافها؛ وزاهة تحلى أعطافها؛ وكتابة تحضر جليلها ودقيقها،

وَنَبَاهَةٍ تُؤَقِّ شُرُوطَهَا وَحُقُوقَهَا ؛ وَلِيَحَرَّرَ وَارِدَهَا وَمَضْرُوفَهَا ، لِيُغْدُوَ مَشْكُورَ الْهَمَمِ
مَوْصُوفَهَا ؛ وَلِيَلْحِظَ جَرَائِدَ حِسَابِهَا ، وَيَحْفَظَ مِنَ الزَّيْعِ قَلَمَ كُتَّابِهَا ؛ حَتَّى يَنْبَغِيَ تَصَرُّفُهُ
فِيهَا عَلَى الْأَوَائِلِ ، وَيُشْكِرَ تَعَرُّفُهُ وَتَعَطُّفُهُ عَلَى كُلِّ عَامِلٍ وَمُعَامِلٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَبْلُغُهُ
مِنَ الْخَيْرِ مَا هُوَ آمِلٌ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الخامسة

(نظرُ خزائنِ السَّلاحِ)

وقد تقدّم أنّ موضوعها التحدّث فيما يستعمل ويبتاع من أنواع السَّلاح الذى
يحمل للزردخاناه السلطانية . وقد جرت العادة أن يحمل ما يتحصّل من ذلك فى كل
سنة إلى الزردخاناه مرة واحدة . وقد تقدّم ما يكتب فى طرة توقيع ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر خزائن السَّلاح من إنشاء المولى « شمس الدين بن
القيسّرانيّ » كتب به « لفخر الدين » أنحى جمال الدين ناظر الخالص ، وهى :

أما بعد حمد الله تعالى الذى ضاعف نحر المناصب ، بمتوليها ، ورفع قدر المراتب ،
بمن يكبرها بقدره العلى ويعلّيها ، وأمدّ المناقب ^(١) ، بنظر ذى المناقب الذى يزيّن بمرهف
حرّمه أسلحتهم ويحلّيها ، ويمضى بماضى عزّمه كلّ فرند فريد ليسعر نار صليله
بنظره السعيد ويحلّيها ، جاعل أيا منّا الشريفة تُقدّم لخدمها كلّ سرى تسرى به هممه
إلى العلياء ، وتنتخب لحسن نظرها من علوب بكرم الذات وجمال الإخاء ، وتولى من
الأولياء من يعدّ للأعداء خزائن سلاح تبديدهم بها جيوشنا المؤيدة فى فيافي البداء ،
إذا دارت رحى الحرب الزبون وثارت غنى الغارة الشعواء . والشهادة له بالوحدانية

(١) جمع مقنّب "كنبر" وهم جماعة الخيل والفرسان .

التي آتسق بذُرْها، فى سماء الإخلاص، وأشرق فجرُها، بضياء القُرب والاختصاص،
وسما فجرُها، بجلال الجَمال فأصبح بحمدِ الله أَخْداً فى المَزِيد آمناً من الاتِّقاص،
وعلا ذِكْرُها، بما دَرَعنا به من دُرُوع التوحيد وأسبغ علينا مِنْهُ كُلَّ سابغةٍ دِلاص.
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى خصَّه الله بالتكريم والتعظيم، وختم به الرُّسل
الكِرام بما منحه من الأصطفاء والتقديم، وأوحى إليه فى الكتاب الحكيم :
(أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) . وعلى آله وصحبه الذين هم أشدُّاء على الكُفَّار رُحماء بينهم،
وقرب قُربهم لديه صلى الله عليه وأذهب بينهم - فإنَّ من شيم أياَمنا الشريفة أن
تُبَلِّغ أولياءها مراما، وترعى لأصفيائها ذماما، وتصطفى لولاية الرُّتب من أضحى ثَغَر
ولائه بساماً، وتجرّد لحسن النظر من يُجرّد بهممه حساماً حساماً، لا سيماً من أفتنى
سنن أخيه - أجله الله - فيما يأتى ويذر، وأهتدى بهديه فى كلِّ وردٍ وصدر، وحذا
حدوه السديد الأثر، السعيد النظر، وأتبع رُشدَه الساطع البلج اللامع الغرر، وسار
سيره الذى نتارج به أرجاء الممالك حيث سار سرّاً، إذ هو جمال الجود، جلال
الوجود، مُقيل عثار الملهوف والمجهود، موئل التَّهائم والتَّجود، مستجلب الدعاء لنا
من الطائفين والعاكفين والرُّكع السُّجود، ذو المآثر التى ذِكْرُها أعطر من الروض
المجود المَوْجود، والمناقب التى يساوى فيها الكواكب ويسامتها فى السُّعود والصُّعود.

ولما كان المجلس العالى الفخرى قد أصبح نَحْرُه بأخوته نامياً، وقدره بأبوتِه
سامياً، وأصبحت مفاخرُه به خالده، وجمع مزايا وسجايا جمعت له طارف السَّعد
وتألده - أقتضى رأينا الشريف أن تُشدَّد له بأخيه أزرًا، وتُجدَّد له فى إصلاح السلاح
نظرا، ليكون لأخيه - أعزه الله تعالى - النظر على الخاص والعام، ويبيده مقاليد
خزائنها التى يشمل منها البرايا بَصُوف الإنعام، وتدير خواصنا الشريفة وجُيوشنا

المؤيَّده، وله النظرُ على أعمال لبوس، تقي من الجيوش البوس : البيض [ذات]
القوانيس، واليَلَب المدار والسَّمَر المداعيس، والبيض المهنَّده .

فلذلك رُسِم ... لا زال يجمع لأوليائه على آلائه شَمَلاً، ويرفع أقدار أهل الكرم
باستقرار النعم إذ كانوا لها أهلاً وبها أولى - أن يستقرَّ فلان في نظر خزان السلاح
المنصورة على عادة من تقدَّمه وقاعدته، وبمعلومه الشاهد به الديوان المعمور لهذه
المآثر التي بثَّها القلم، والمفاحر التي آشهرت كالنار على العلم، فليكشف ما بهذه الخزائن
من عُدَّة الحرب، والآلات المُعدَّة في الهيجاء للطعن والضرب، ويشمر في تكثيرها
عن ساعد اجتهداه، ويعزز مواد الإمداد بها بحسن نظره ويؤمن أعماده، ويستعمل
برسم جهاد الأعداء كلَّ نصيل صليل، وصمصام له في الهام صليل، وصفيحة بيضاء
تبيض بها بين أيدينا الصَّحيفه، ولبوس ترهبُ عدو الله وتضاعف تخويفه، وزاعج
يرعب، وسمَّهري يزهِق بلسان سينانه النفوس ويذهب، وخرصان تكلم الأبطال بأسل
السِّتِّها في الحروب، وقواصل لها في سماء العجاج شروق وفي تحلي الكفار
غروب، وبدن يقُدُّ الأبدان، ولأمة لم تُبار في تحصينها وتخييرها ولم تُدان، وفَضْفاضية
على جنود الإسلام تفاض، وسابغة تُسبِّغ على كل راجل من أهل الإيمان ليقضي
من أهل الشرك ما هو قاض .

وليحفظ ما يُنفق على هذا العدد من الضياع، ويأت بما تأتي به الضياع على
أحسن الوجوه وأجمل الأوضاع، وليضبط ما يُصرف عليها من الأموال، ويعتمد
في نظرها ما يُحمَد عاقبة أمره في سائر الأحوال، ويتيمَّن في سائر أفعاله بما من كماله،
ويسترشد بمراشده في أموره باليمن والرشد من خلال جماله، ويسلك بحسن نظره
لهذه الخزائن ما ينتظر به أن يفوق أنظار الأنظار ويرتقب، ويعلم أن هذا أوَّل

إقبالنا عليه (وأوّل الغيثِ قَطْرُثُم يَنْسَكِب) ؛ والله تعالى يجعل خزائن الإسلام بجمال
نخره آهله ، ويُورِدُها مواردَ العزِّ الدائم ويُصَفِّي من أكَدار الأقدار لها مناهله ؛
والعلامةُ الشريفةُ أعلاه ، حجةً بمقتضاه .

الوظيفة السادسة

(استيفاء الصُّحبة)

وصاحبها يتحدّثُ في كل ما يتحدّثُ فيه ناظرُ الصُّحبة المُقدّم ذكره .

وهذه نسخةٌ توقيع من ذلك ، من إنشاء القاضى «ناصر الدين بن النشائى» وهى :

الحمد لله الذى زادَ فخارَ أوليائنا رفعةَ المقدار ، وأفاد الصُّحبةَ الشريفةَ خيرَ كافٍ
استوجب منّا بحمّل خِدْمَتِهِ جَزِيلَ الإيثار ، وجاد بالجُود وأبتدأ السُعود لمن حُسُنَ
فيه الاختيار وحمّد الاختيار ، وأرتاد للمناصب العليةَ كُلَّ "مستوفٍ" للمحاسن له حقوقُ
وفاءٍ لا تُضاع وقدّم ولاء أجمَلَ فيه الإيراد والإصدار .

نحمده على نِعَمِ أَجْزَلِ الآثار ، ونشكره على مَنَ أَجْمَلِ المسار ، ونشهد أن لا إلهَ
إلا الله وحده لا شريك له شهادةً مُخْلِص يترشّف ساحتها ثوابها الدار فى تلك الدار ؛
ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أيد الله به المؤمنين وأحمد ناره الكُفَّار ،
وبعثه رحمةً للعالمين فأقام بناء الإسلام بعد ما كاد ينهار ، وأسرى به إلى السَّبْعِ
الطَّباق فطبّق نبأ معجزاته الأرضَ وملاً الأقطار ، صلاةً باقيةً لا تزال أغصانُ
أجورها دانيةً القُطوف زاكية الثمار ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنَّ أَجَلَ النِّعم ما علّت ملائسها ، وأجمل المَن ما غلّت نفائسها ، وأكل
المنح ما زكّت فى رياض الإقبال غرائسها ، وأجزل العطايا ما جليت فى حُلل الفخار

عرائسها ، وأولى الأولياء بتحويل ذلك لديه ، وتحويل هذه المواهب إليه ، وإسباغ أثواب الأمتان عليه ، واجتباؤه لرتب علّ محلاً ، واختياره لمنصب يُصيح به جيده من عقود العناية محلى - من شكرت أوصافه ، واشتهر عفافه ، وحسن منّا إسماعده وإسعافه ، وحدث خلاله وماثره ، وحاز نحر نعتيه ونحر ذاتيه فلا غرو أن تعددت مفاخره ، وأسلفنا من خدمته ما استوجب أن ينجى به ثمار الإحسان ، وقدم بين أيدينا الشريفة من يمين تصرفه ما أنتج له مضاعفة الآلاء الحسن .

ولما كان فلان هو الذى تحلى من هذه الأوصاف بعقودها ، وتحلى فى مطارف برودها ، وأثنت على خصاله ألسنة الأقلام ، وأثبتت جميل خلاله فى صحف أوراقها وصحائف الأيام ، وحاز من الأمانة والزاهة كل ما يشكر به على الدوام ، وأمتاز بحسن الكتابة التى تقر النواظر وتسر الخواطر وتزرى بالروض البسام . ما باشر رتبة إلا وفى بها ، وحفظ أموالها وغلاها وضبط أمورها وكفى بها - أقتضى رأينا الشريف أن ننقله إلى درجات السعادة ، ونمنحه من إقبالنا الشريف زيادة الحسنى وحسن الزيادة ، ونخصه بوظيفة تُدنيه منّا قربا لتكون قد أجملنا له الابتداء والإعاده .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال نحر أوليائه بمزيد آلائه ساميا ، وقدر أصفياه بمديد عطائه ناميا - أن يستقر فى كذا .

فلينلق هذا الإحسان ، بيد الاستحقاق ، وليتقلد عقود الأمتان ، الذى طالما قدّ جوده الأعناق ، وليباشر ذلك مباشرة يسر خبرها ، ويسير خبرها ، ويشنف الأسماع تأثيرها وأثرها ، وليسلك فيها من السداد ، مايؤكد حمده ، ومن حسن الاعتماد ، مايؤيد سعده ، وليعتمد فيها من الأمانة ما هو المشهور من اعتماد ، ومن العفاف ما صح عنه نقل إسماعده ، وليدبج المراسيم الشريفة بقلمه السعيد ، وليوشها بكتابه التى بها الحسن

مبدئى ومُعِيد ، وليُضَيِّطَ جميعَ أموال الديوان المعمور وغِلاله ، وسائرَ أموره وأحواله ،
 وليُسْتَوْفَ بقامه على مُباشِرِيه وعُمَّاله ، وليُحِطَ عِلْمًا بِخَرَجِ بِلاده وأعماله ؛
 وليُسْتَرْفَع الحساب شامًا ومصرًا ، وليَتَصَفَّحَ الرَّقَاعَ بالممالك الشريفة المحروسة لِيَحْوِيَ
 بجميعها خُبْرًا ، وليَتَعَيَّنَ جُمْلَهَا وتَفْصِيلَهَا ليكونَ مُخْرِجَهَا أَدْرَبَ وبِمُرْدُودِهَا أَدْرَى ؛
 وليُحْصَرَ مَتَحَصَّلُهَا ومَصْرُوفُهَا ، ومَعْجَلُهَا ومَوْقُوفُهَا ؛ حَتَّى لَا يَخْرُجَ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ ،
 وَلِتَكُنْ جُمْلَةُ هَذَا الْأَمْرِ مُحَرَّرَةً فِي ذَهْنِهِ لِيَجِيبَ عَنْهَا عِنْدَ السُّؤَالِ بِتَحَقُّقٍ فَهْمِهِ ؛
 والوصايا كثيرة وهو بها خبير عليم ، حائِزٌ مِنْهَا أَوْفَى وأَوْفَرُ تَقْسِيمٍ ، وَمِلاكُهَا تَقْوَى
 اللَّهُ تَعَالَى فليَجْعَلْهَا عُمْدَتَهُ ، وَلِيَتَّخِذْهَا فِي كُلِّ الْأُمُورِ ذَخِيرَتَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُضَاعِفُ
 لَهُ مِنْ لَدُنَّا إِحْسَانًا ، وَيَرْفَعُ لَهُ قَدْرًا وَشَانًا ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ أَعْلَاهُ .



وهذه وصية لمستوفى الصحبة أوردتها في ”التعريف“ وهي :

فهو المهيمن على الأقلام ، والمؤمن على مصر والشام ، والمؤمل لما يَكْتُبُ بِحَظِّهِ
 مِنْ كُلِّ تَرْتِيبٍ وَإِنْعَامٍ ، وَالْمَلْأَمُ لَصُحْبَةِ سُلْطَانِهِ فِي كُلِّ سَفَرٍ وَمَقَامٍ ؛ وَهُوَ مُسْتَوْفَى
 الصُّحْبَةِ ، وَالْمُسْتَوَلَى بِالْهَمِّ عَلَى كُلِّ رُتْبَةٍ ؛ وَالْمَعُولُ عَلَى تَحْرِيرِهِ ، وَالْمَعْمُولُ بِتَقْرِيرِهِ ،
 وَالْمَرْجُوعُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ إِلَى تَقْدِيرِهِ ؛ بِهِ يَتَحَرَّرُ كُلُّ كَشْفٍ ، وَيُكْفَى كُلُّ كَفٍّ ،
 وَبِتَنْزِيلِهِ وَإِلَّا مَا يَجُلُّ أَسْتِخْدَامُهُ وَلَا صَرْفُ ؛ وَهُوَ الْمُتَصَفِّحُ عَنَّْا لِكُلِّ حِسَابٍ ،
 وَالْمُتَطَّلِعُ لِكُلِّ مَا حَضَرَ وَغَابَ ؛ وَالْمُنَاقِشُ لِأَقْلَامِ الْكُتَّابِ ، وَالْمُحَقِّقُ الَّذِي إِذَا قَالَ
 قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ؛ وَالْمُظْهِرُ لِلْخَبَايَا ، وَالْمُطْلِعُ لِلْخَفَايَا ؛ وَالْمُتَّفِقُ
 عَلَى صِحَّةِ مَا عِنْدَهُ إِذَا حَصَلَ الْخِلَافُ ، وَوَصَلَ الْأَمْرُ فِيهِ إِلَى التَّلَافِ ؛ وَلِيُزَيَّرَ
 الْكُتَّابُ بِمَا يَلْزِمُهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَيُخَرَّرَ بِمُسْتَقَرِّ إِطْلَاقِهِ وَضَرَائِبِ رُءُوسِ

المال ؛ وعَمَلِ المكفّات وأن يكفّوا عملها ، وتقدير المساحات وليستبع خلها ؛
وليُزِمهم بتمييز قيمها بعض عن بعض ، وتفاوت ما بين [تسجيل] ^(١) القُدُن في كل بلد
بحسب ما تصلح له زراعة كل أرض ؛ وبمستجد الجرائد وما يقابل عليه ديوان
الإقطاع والأحباس ، وغير ذلك مما لا يحصل فيه التباس .

ومثلك لا يزود بالتعليم ، ولا يُنازع فكلُّ شيء يؤخذ منه بالتسليم ؛ وما تم ما يُوصى
به ربّ وظيفة إلا وعنده ينزل علمه ، وفيه ينزه فهمه ؛ وملاك الكل تقوى الله
والأمانة فهما الجُنتان الواقيتان ، والجُنتان الباقيتان ؛ وقد عُرف منهما بما يُفاض
منه عليه أسبغ جُلباب ، وأسبُل ستر يُصان به هو ومن يتخذهم من مُعينين ونواب ؛
والله تعالى يبلغه من الرتب أقصاها ، ويُجرى قلمه الذى لا يدع فى مال مما لكما
الشريفة صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

الدرجة الثالثة

(من مواقع أرباب الوظائف الديوانية بالديار المصرية)

ما يُكتب فى قطع العادة : إما فى المنصورى ، مفتحا بـ «أما بعد حمد الله»
أو على قدر المكتوب له فى القطع الصغير ، مفتحا بـ «رسم بالأمر الشريف»
إن أنخط قدره عن ذلك)

وفيها وظائف :

منها - كتابة الدّرج بديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الدّرج الشريف ، كُتب به للقاضى تاج الدين ،
عبد الرحيم بن الصاحب نحر الدين بن أبى شاكر ، وهى :

رِسْم ... - لا زالت صدقاته الشريفة تشمل نجباء الأبناء، ومبراتة الحسيمة
تُجَزَل للولد البار حسن الزيادة وزيادة الحسنى، وهباته الكريمة تُقبل بوجه الإحسان
على فرع الأصل الأسمى وتُرضع تاجه بجوهر نفرة الأسنى، وسمائه الوسيمة، تجل
شد أزr الوزارة الفخيمة، بكفا نجل ثنى الزمان عنان الرياسة إليه وعليه أثنى -
أن يستقر فلان فى كذا وكذا : لأنه رُبى فى حجر الرياسة، وأجتنى من الروض المجد
الذى أعلى السعد غراسه ؛ ونشأ من محلّ السؤدد والفخار، وبزغ من بيت حقت
له رفعة الأقدار ؛ وبسق غصن فرعه من أصل ثابت، وسمأ بدوح عز فى مواطن
المعالى ثابت، وهى ندى قلمه بانتسابه إلى سرّة الكُتاب فناهيك من كاتب لأبى
الخلل كاتب ؛ تعترف الدولة لسلفه بسالف العهود، وتعترف من منهل تديرهم
المورود ؛ وتحتل من تاجهم بأسنى العقود، وتسمو من نخور زارتهم ووزارة فخرهم
بما يملأ الوجود بالجود؛ وتختال من تصريف أعلامهم وأقلام تصريفهم فى روض
التنفيذ المجود فإن ذكرت ما تُرجده قصرت عن إدراكها الجُود، وإن شُكرت
مناقب والده - أجله الله - ففجرها الباذخ مشهود؛ وهو بلسان العام والخاص
مدح مجود، وإلى معانى خطه تنتهى درجات الصعود والسعود؛ فلا غرّ ولهذا
الفرع الناجب أن يتبع أصله، وأن يسلك فضائله وفصله ؛ وأن يقفوا منهجه،
ويحذوا فى الكتابة طريقته المبهجة ؛ ويأتى من البراعة بسنتها القويم، ويبرز من
البراعة وشى خطه الرقيم ؛ وأن يحلّ أجياد المهارق بجوهر تاجه النصيد النظيم، وأن
تحلوا ألفاظه فى الإنشاء حين تتمز على الأسماع مرور النسيم ؛ [لا] سيما وقد ظهرت
عليه من تخاليل الراسة دلائل، وشُرعت له مناهل الأدب والفضائل ؛ وحاز من
حسن النشأة ما سار بُشكره المثل، وحصل من الاشتغال على كثر المعرفة وأشتمل ؛
وغدا جديراً بكل مرتبة سيّيه، وكل رفعة هى بأعدادها مبنية .

فليأشِرْ ذلك مباشرةً يجعلها لباب المعالي مفتحة ، وللزيادة من كل خير سببا كلما
أبدى الدهر مساءً وصحى ؛ ولينقل في اتباع مهيع المجد عن والده وجده أبقاهما الله
تعالى ، وليدأب للتحلى بأخلاقهما الحسنة أقوالاً وأفعالا ؛ وليبرج الطروس بوشى
قلمه ، ولينمق المكتبات ببلاغة كلمه ؛ وليتخذ الصون شعاره ، والعفاف دثاره ؛
والأمانة معتمده ، والنزاهة مستنده ؛ وضبط القول مادته ، وحفظ اليد واللسان
جادته ؛ والوصايا كثيرة وملاكها التقوى وهى حليته الحقيقية ، وعقيدته العقلية
والمنطقية ؛ فليجعلها دأبه ، وليرض فى إعلانه لها ربه ؛ والله تعالى يعلى قدره وجده ،
ويحفظه وأباه وجده .



وهذه نسخة توقيع شريف بكتابة درج تجديداً ، وهى :

رسم ... - لا زال يمنح الأولياء ، بتجديد النعم إحساناً ، ويولى البغاء ، فضلاً
يعلى لهم رتبة وشانا ، ويبدى لهم فى ديوان إنشائه الشريف فضائل جمة وبيانا -
أن يجدد هذا التوقيع الشريف باسم فلان تجديداً لأنوار الإحسان إليه ، وتأكيذاً
لمزايا الأمتنان لديه ، وتسديداً لمستنده الذى ألقاه وجه الإقبال إليه ؛ لما حازه من
فضيلة تامة ، وبلاغة ملأت بديع المعاني ومعانى البديع ألفاظه وكلامه ، وكتابة
أجرت فى حواشى الطروس بحقق التوقيعات أعلامه ، وأمانة بنت على الصّدق
والعفاف أقسامه ؛ ورياسة تأثل مجدها ، فبلغ مرامه ، وأتصل سعدُها ، فلا يحشى
أنفصامه ، وبعد شأوها فهى السامية إلى رفع المنازل من غير سآمه . قد أنصف من
البراعة بجميل الأوصاف ، وظهر استحقاقه فهو بادٍ غير خاف ؛ وتروى من بحر البلاغة

حيثُ وردَ منهلها الصَّافُ ، وسلَّك طُرُقَ الخيرِ فتضاعفَ له الإسعادُ والإسعافُ ،
وأمتازَ بمزايا التَّجَمُّلِ في أمورِهِ والعَفَافِ ، وأسْتَحَقَّ بذلكَ أنْ تُجَدِّدَ له فضلَ الألفه ،
ونُؤكِّدَ له بكرمنا نَيْلاً أَعْتَادَهُ وعَرَفَهُ .

فليسْتَمِرَّ في ذلكَ اسْتِمْرَاراً به أسبابُ الخيرِ مؤتلفه ، ووجوهُ الفضائلِ عن صُنُوفِ
الكتابَةِ غيرِ مُنصرفه ؛ وليُبدَ من البَلاغةِ بيانها البديعُ ، ويُجَمَّلَ منزلُ العلياءِ الرفيعُ ؛
ويَسَلَّكَ مَسَلَكه في الأمانه ، ويتَّقَى الله تعالى بملازمةِ المُراقبَةِ والديانَةِ ؛ والله تعالى
يُعَلِّي مكانه ، ويزيدُ في آقِنَاءِ الفضائلِ إمكانه ؛ والأَعْتَادُ على العلامةِ الشريفةِ أعلاه ،
إن شاء الله تعالى .

قلتُ وربما كُتِبَ التوقيعُ لكاتبِ الدَّرَجِ بزيادةِ معلومٍ ، فيَحْتَاجُ الكاتبُ إلى أنْ
يأتىَ بعبارةٍ تجمعُ إلى ما تقدَّم من براعةِ الاستهلالِ ما يليها من موجبِ الاستحقاقِ ،
وسببِ الزيادةِ وترادفِ الإحسانِ .



وهذه نسخة توقيع بشهادة الخزانة ، كُتِبَ به لابن عبادة ، وهى :

أما بعد حمد الله الذى أفاضَ على الأولياء من خزائن فضله ، وأفَاءَ لهم أوفرَ نصيبٍ
من إحسانه المشكورِ فيه عدلُ قَسَمِهِ وقَسَمَ عدله ، وأهمى عليهم من سُحُبِ مواهبِهِ
ما يَقْصُرُ عنه الغمامُ فى وبله وطله ، وأسبغَ عليهم من جوده العميم ما يَصْفُو لديهم المَرَحُ
فى وإرِفَ ظلّه ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه ورسوله أشرف رُسُلِهِ ، وخاتم
من جاء من الأنبياء من قبله ، والهادى ببعثته الشريفة إلى طُرُقِ الحق وسُبُلِهِ ؛
وعلى آله وصحبه الذين تابَعُوهُ فى قوله وفعله ، وبايعُوهُ على المظاهرة فى نُصرة الدين

الْحَنِيفِ وَأَهْلِهِ ، وَجَمَعُوا هِمَمَهُمْ عَلَى اَلْتَّائِمِ كَلِمَةِ الْإِيْمَانِ وَجَمَعَ شَمْلِهِ ، وَأَرْهَفَ كُلَّ
مِنْهُمْ فِي نَصْرِهِ مَاضِيَ عَزْمِهِ وَنَصْلِهِ - فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ رُعِيَتْ لَهُ حَقُوقُ ذِمَامِهِ ، وَمُنِحَ
أَجْرُ الْعَطَاءِ الَّذِي تَقْضَى الْأَقْدَارُ بِدَوَامِهِ ، وَلُوْحِظَ بَعِيْنُ الْإِقْبَالِ مَا أَسْلَفَهُ مِنْ حُسْنِ
الطَّاعَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِهِ - مَنْ جَدَّ فِي الْخِدْمَةِ فَأُضْحِيَ الْجَدُّ لَهُ خَادِمًا ، وَدَاوَمَ عَلَى
الْمُنَاصَحَةِ فَعَدَا سَعْدُهُ دَائِمًا ؛ وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ فَضِيلٍ بِزِمَامِهِ ، وَمَتَّ بِمَالِهِ عَلَى الدَّوْلَةِ
الشَّرِيفَةِ مِنْ حُرْمَتِهِ وَذِمَامِهِ ؛ وَسَلَكَ فِي أَدَاءِ الْأَمَانَةِ السَّنَنَ الْقَوِيْمَ ، وَجَعَلَ عَلَى خَزَائِنِ
الْأَرْضِ بِمَا تَلَا لِسَانُ فَضْلِهِ : ﴿ إِنِّي خَفِيفٌ عَلِيمٌ ﴾ ؛ وَتَمَسَّكَ مِنَ الْإِخْلَاصِ بِأَقْوَى
الْأَسْبَابِ ، وَجَعَلَتْ لَهُ التَّقْوَى مَحَلًّا يُدْخِلُ عَلَيْهِ مَلَائِكَةَ الْقَبُولِ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، وَزَيْنَ
سَمَاءِ الْمَعَالَى بِكَوَاكِبِ مَجْدِهِ فَمَا تَشَوَّفُ إِلَيْهَا طَرْفٌ مُتَطَاوِلٌ إِلَّا وَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ .

ولما كان فلان هو الذي غدا حسن مناقبه إلى شكره مُرَشِدًا ، وإلى ذكره
بِالْجَمِيلِ مُسْعِدًا ، وَأَهْلَجَ لِسَانَ الْقَلَمِ فِي وَصْفِهِ مُنْشِدًا ؛ وَأَخْتَصَّ مِنْ هَذِهِ الْمَحَامِدِ بِأَوْفَرِهَا
قِسْمًا ، وَطَلَعَ فِي أَفْقِ هَذَا الثَّنَاءِ الْجَمِيلِ نَجْمًا ، فَلِذَلِكَ رَسَمَ

ومنها - أَسْتِيفَاءُ الدَّوْلَةِ .

وَمَوْضُوعُهَا التَّحَدُّثُ فِي كُلِّ مَا يَتَحَدَّثُ فِيهِ الْوَزِيرُ وَنَاطِرُ الدَّوْلَةِ ، وَضَبْطُ الْأَمْوَالِ
الدِّيَوَانِيَةِ ، وَكِتَابَةُ الْحُسْبَانَاتِ ، وَكُلُّ مَا يَجْرِي بِمَجْرَى ذَلِكَ . وَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ
يَكُونَ فِيهَا مُسْتَوْفِيَانِ .

وهذه نسخة توقيع باستيفاء الدولة :

أما بعد حمد الله الذي صانَ الْأَمْوَالَ بِالْأَقْلَامِ الْحَرَّةِ ، وَالدَّفَاتِرِ الْمُسَطَّرَةِ ،
وَالْحُسْبَانَاتِ الْمَصْدَرَةِ ، وَالْجَوَامِعِ الْمُسَيَّرَةِ ، وَالتَّيَقُّظِ الَّذِي أَسْتَخْرِجُ الْبَوَاقِيَ الْمُنْكَسَرَةَ ،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أزال ظلام الظلم وتورّه، ومحا الجور وغيره،
وأيد الحق وأظهره، وعلى آله البرره، وصحبه خصوصا العشرة المبشرة - فإن للدولة
الشريفة من الأقالام ضابطا، ولها من الحساب نظاما أصبح عليها سياجا وحائطا،
يصون الأموال أن تكون بأيدى الخائنين نهبا، ويحرز المطلقات بعدا وقربا،
وقلم الاستيفاء هو الذى إذا طاشت أقلام الكُتّاب كان فى رأسها لحاما، وإذا
خَصَمَ المباشرون بالمصروف قبل السائغ الصحيح وردّ ما كان سقيا وخرّج ما لم
يكن تماما .

ولما كان فلان هو الذى فى الرأسة كبير معروف، وفى السعادة حميد موصوف،
وفى قلمه تصحيح كل مصروف، وله فى الدولة آثار مرضية تشكرها الأقالام
والسيوف، ما نظر فى حساب، إلا أزال عنه ما به يعاب، ولا رأى فذلك،
إلا وأوضح فيها المسالك، ولا عريض باقى، إلا استخرج ما يتعين استخراجه بقلمه
الراقى، وفهمه الواقى، فلذلك رسم أن يستقر

فلباشر هذه الوظيفة بتحريره وتحبيره، وتميزه وتثمينه، وتوفيره وتكثيره، وإيراده
وتصديره، وتسهيله وتيسيره، وإزالة تعسيره، وإذا أمسك دفاتره، أظهر ما ثره،
وإذا نُسيت الجمل أبدى تذاكره، والعمدة على شطبه فى الحسابات الحاضره،
فلا يخرج من عنده شئ بغير ثبوت فإن التواقيع الشريفة والمراسيم الشريفة هى
كالأمثال سائرة، ولا يتخذ المعين، إلا الأمين، ولا يستعين، إلا بمن هو مأمون
اليمين، والصايا كثيرة وهو غنى عن التبيين، فليثق الله رب العالمين، وليستجلب
لنا الأدعية من الفقراء الصالحين، فإن صدقاتنا الشريفة تتعم عليهم بمرتبات
وأرزاق، ونعم وأطلاق، فليسهّل عليهم الصعب فى كل باب وإطلاق، والله تعالى
يُمِدُّه بالإرفاق، بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى .

قلت : وقد يكتب لوظيفة استيفاء الدولة مفتتحا بـ «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك باستيفاء الدولة ، كُتِبَ به لعَلَم الدين بن ريشة ،

وهي :

رِسْمُ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا بَرِحْتُ أَيَّامَهُ الشَّرِيفَةَ تَرْفَعُ لَدَوِي الْكَفَاءَةَ مِنْ إِحْسَانِهَا
عَلَمًا ، وَتُرْجِعُ مَصَالِحَ الدَّوْلَةِ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ فِيهَا خِطَابًا وَأَعْمَلَ فِي مُهِمَّاتِهَا قَلَمًا ،
وَتَخْتَارُ مَنْ دَابَّ فِي تَكْمِيلِ أَدَوَاتِهِ حَتَّى صَارَ عَلَى أَنْظَارِهِ مُتَقَدِّمًا - أَنْ يَرْتَّبَ فُلَانٌ عَلَمًا
بِكِفَايَتِهِ الَّتِي وَضَّحَتْ ، وَدِرَايَتِهِ الَّتِي فَاقَتْ مُنَاطِرَهَا وَرَبَّحَتْ ، وَأَمَانَتِهِ الَّتِي حَصَلَتْ
النَّمَاءُ وَأَرْبَحَتْ ، وَهَمَّتِهِ الَّتِي مَيَّزَتْ الْأُمُومَالَ بِإِحْرَازِهَا فَعَلَى السَّدَادِ خُتِمَتْ وَبِالْتَحَرِّي
أَفْتَتِحَتْ .

فليُشارَ هذه الوظيفة التي تحتاج إليه باحتراز مثله ، والرُّتبة التي يتعين على مُباشِرِها
إِيصَالُ كُلِّ حَقٍّ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَدْ أَرْجَعْنَا ضَبْطَهَا وَتَحْرِيرَهَا إِلَيْهِ ، وَاعْتَمَدْنَا فِي تَيْسِيرِ
أُمُومَالِهَا وَسَدِّ أَحْوَالِهَا عَلَيْهِ ، فَهُوَ جَدِيرٌ بِبُلُوغِ الْقَصْدِ فِيمَا قَرَّرْنَاهُ لَدَيْهِ ، وَحَرَرْنَاهُ
بِقَلَمِهِ وَيَدَيْهِ .

فليُبَسِّطْ فِي مَصَالِحِ الدِّيَّانِ الْمُعْمُورِ وَأُمُومَالِهِ قَلَمَهُ ، وَلْيَعْمَلْ بِمَا هُوَ عَالِمٌ مِنْ تَبْيِينِ
حَقَائِقِ أَحْوَالِ وَظِيفَتِهِ وَيُخْلِصَ فِيهِ قَوْلَهُ وَكَلِمَهُ ، وَلْيُصْنِ الْأُمُومَالَ ، وَيَتَفَقَّدَ مَا يَلِيزُ
الْعُمَّالَ ، وَيُحِثَّ عَلَى حَمُولِ بَيْتِ الْمَالِ ، وَلْيَسْتَرْفِعِ الْحُسْبَانَاتِ مِنْ جِهَاتِهَا عَلَى الْعَادَةِ ،
وَلْيَسْتَوْدِعْ دِفَاتِرَهَا وَجَرَائِدَهَا مَنْ يَتَحَقَّقُ تَحَرُّزَهُ وَسَدَادَهُ ، وَلْيَتَّخِذْ مُعِينِيهِ مِنْ أَرْبَابِ
الْحِدْقِ وَالِدَّرَايَةِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى كُلِّ نَقْصٍ وَزِيَادَةٍ ، وَإِبْدَاءٍ وَإِعَادَةٍ ، وَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ
مَا لَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى زِيَادَةِ الْوَصَايَا وَتَكْثِيرِهَا ، وَمِنْ أَلْمَعِيَّتِهِ مَا يُدْرِكُ بِهِ الْفَصْلَ
فِي جَلِيلِ الْأُمُورِ وَحَقِيرِهَا ، فَإِنَّهُ قَدْ تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ أَهْلِ الْأَدَبِ ، وَشَارَكَ فِي جَلِيلِ

الخطب وسد ما إليه عزمه آتدب ، والله تعالى يبلغه من الجود غاية الأرب ،
ويعينه على صالح العمل وانهاز القرب ، والاعتماد ...

ومنها - استيفاء الخاص . وصاحبها فى الخاص كمستوفى الدولة فى ديوان الوزارة .

وهذه نسخة توقيع باستيفاء الخاص لمن لقبه «أمين الدين» وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه الشريفة تقدم بمهماتنا أمينا ، وتقدم
فى خدمتها من أضحى على شمالا ويمينا ، وتولى الرتب السنية من جعل التحرز لقلمه
مصاحبا ولكلمه معينا - أن يستقر فلان فى كذا : لما عرف من رأسته التى
ميزته ، وأمانته التى جمعت الرفع فأحرزته ، وضبطه الذى ترقى به فى المراتب وتنقل ،
وإدراكه الذى يصبو به غوامض المصالح ويعقل ، ولما سلف له من خدمة ملك
فيها السداد ، ومباشرة علم بها ما هو متصف به من حسن الاعتماد .

فليباشر هذه الوظيفة التى وليها ، وليشهر من همته فيها ما يرفع مكانته ويعليها ،
وليدم المراقبة لمصالح ديوان الخاص الشريف فى كل قول وعمل ، وليسارع إلى
ما يفيد المالحح ويبلغ من الضبط والتحرز غاية الأمل ، وليصن الأموال من ضياعها ،
ويحافظ على سلوك طرائق الحق وأتباعها ، وليسترفح الحسابات من أربابها ،
ويتفقد محرراتها التى هو أعلم وأدرى بها ، ويتخذ من معينيه من أضحت معرفته
للدقائق جامع ، ويحتفل بمتحصلات أموال الخاص بعزيمته التى أضحت لمكانته
رافعه ، لا سيما ثغر الإسكندرية التى قد أصبحت جهاتها لطلب أعلامه متابعة
طائعه ، وليلزم كل عامل بتحرير ما يجب عليه وما تنبغى فيه المراجعة ، فإننا قد أقنناه
لذلك مستوفيا ، ولتصفح أموره الحليلة والحقيقة مستوفيا مستقصيا ، ولتق الله

الذى يبلغه من زيادة منحة الأمل ، ويعينه على صالح العمل ، والله تعالى يمنحه من الخير ما ينجح مسعاه وينزهه عن الزبغ والزلل ، والاعتماد



وهذه نسخة توقيع في المعنى لمن لقبه «بدر الدين» وهى :

رسم بالامر الشريف - لازال يطالع لذوى الكفاية من إحسانه في سماء الإقبال
بدرًا ، ويرفع لمن أم الأبواب لأوليائه من ذوى الرأسة قدرا ، ويشفع لمن شكرت^(١)
معرفته بنجح القصد فأنشرح له باليمن الجمّة صدرا - أن يستقرّ فلان في كذا :
لكفايته التى خطب بسببها إلى مقرّه ، ودرايته التى استوجب بها أن نطق لسان
القلم بذكره ، ونزاهته التى أجمعت بها أمثاله على شكره ، وأمانته التى تستدعى الحق
في حلو الأمر وممرّه ، وديانته التى هى أصل في كل أمره ، وصيانته التى يعتمدها
في سرّه وجهره ، ومشارفته المصالح بعين يقظته التى يلوح لها وجه الصواب فيقف
عند حده وقدره .

فليباشر هذه الوظيفة التى أسلفها حسن الاعتماد ، وليوفّها من معهود يقظته بمن
الاجتهاد ، وليحقق حسن ظنّ المباشرين في رغبتهم فيه في الإنصاف في الإرفاق^(٢)
والإرفاد ، وليعمر جهات الأموال بحمى الاقتصاد ، ويُنجز الأحوال على سبيل
السداد ، وليتبع منهاج الخير في كل ما يأتى من إصدار وإيراد ، فقد رجّع ضبط
هذه الجهة إليه ، وأعتمد في تحريرها عليه ، فليصن الأموال ، ويتفقد ما تحسن به
العقبى والمآل ، وليتحرّر في جميع ما هو لازم له أن يكون على الحق الواضح ، والسنن
القويم فإنه المتجر الرابع والمآب الناجح ، وتقوى الله تعالى فهى عمدة كل عبد صالح ،

(١) لعله من أوليائه ذوى الخ .

(٢) لعله «ورغبتهم فيه من الانصاف» الخ تأمل .

والوصايا كثيرةٌ مَبِينَةٌ تُغْنِي عن إفصاح الشارح ؛ والله تعالى يُلْهِمُهُ الطريقَ السَّيِّدَةَ
وَيُرْشِدُهُ ، وَيُعِينُهُ بِالتَّوْفِيقِ وَيُجِدِّدُهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنها - آستيفاء البيوت والحاشية .

وهذه نسخة توقيع بذلك ، كُتِبَ بها لَعَلَّ الدين « شاكر » عوضًا عن تاج الدين
ابن الغزولى فى الأيام الأشرفية « شعبان بن حسين » وهى :

رِسْمٌ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَمْنَحُ الْأَكْفَاءَ مِنْ إِحْسَانِهَا
نِعْمًا ، وَتُضَاعِفُ لَهُمْ مِنْ عَطَائِهَا كَرَمًا ، وَأَيَّامُهُ الشَّرِيفَةُ تُعْمُ الْبُيُوتَ الْكَرِيمَةَ بِكَافٍ
قَدْ كَسَّرَتْ لَهُ الْأَمَانَةَ فِي دَوْلَتِهِ الْأَشْرَفِيَّةِ عِلْمًا ، وَمَوَاهِبُهُ تَقْدَمُ لِلْوُضَائِفِ مَنْ أُضْحَى
شَاكِرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَتَبَسُّطُ لَهُ فِي دَوَاوِينَ أَعَزَّ الْأَنْصَارِ قَلَمًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِى
الْقَاضِى ، فَلَا نَ الْدِينَ فِي كَذَا وَكَذَا : لِأَمَانَتِهِ الْمُؤَفُّورَةِ ، وَمَعْرِفَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، وَمَحَاسِنِهِ
الْمَذْكُورَةِ ، وَسِيرَتِهِ الْمَشْكُورَةِ ، وَكُتَابَتِهِ الَّتِي أَضَحَّتْ فِي صَفَحَاتِ الْحُسْبَانَاتِ
مُسْطُورِهِ ، وَدِيَانَتِهِ الَّتِي جَدَّدَتْ بِهِجَتَهُ وَسُرُورَهُ ، وَخَبْرَتِهِ بِمَنَازِلِ الْبُيُوتِ الْمَعْمُورَةِ ؛
وَقَدِمَ هِجْرَتِهِ فِي الْوُضَائِفِ الَّتِي أَوْجَبَتْ نُقْلَتَهُ إِلَى أَجْلَئِهَا ، وَصَدَارَتِهِ الَّتِي رَفَعَتْهُ إِلَى
أَرْفَعِ مَحَلِّهَا ؛ كَمْ لَهُ فِي دَوَاوِينَ أَعَزَّ الْأَنْصَارِ مِنْ أَقْلَامٍ مَتَقَّةٍ ، وَآرَاءٍ مُسَدَّدَةٍ ، وَنَظَرٍ
أَصْلَحَ بِهِ كُلَّ فَاسِدٍ ، وَكَبَتْ بِهِ كُلَّ حَاسِدٍ ؛ وَضَبَطَ لِأَصُولِ الْأَمْوَالِ ، وَتَنَبَّهَ لِلْمَصَالِحِ
فِي الْبَكْرِ وَالْأَصَالِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُضُفَةَ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي هُوَ أَخْبَرُ بِمَبَاشَرَتِهَا ، وَأَعْلَمُ بِأَحْوَالِ الْبُيُوتِ
الْكَرِيمَةِ وَعِمَارَتِهَا ؛ وَلْيُظْهِرْ فِي الْحَاشِيَةِ السَّعِيدَةِ مَا ثَرَهُ الْحَسَنَةُ ، وَنَزَاهَتَهُ الَّتِي نَطَقَتْ
بَشْكْرِهَا الْأَلْسِنَةُ ، وَلْيُبَيِّنْ فِي مَبَاشَرَتِهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ ؛ وَلْيَسَلِّكْ طَرَائِقَ الْأَمَانَةِ ،
وَلْيَنْقُفْ آثَارَ ذَوَى الْعَفَافِ وَالصَّيَّانَةِ ؛ وَلْيَلْزَمْ مَبَاشَرَةَ أَعَزَّ وَلِيٍّ فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ ،

ولا يشغله شاغلٌ عن مصالح ممهد الدول مَنْ [هو] لسلطاننا الأشرف أمير سلاح ،
والله تعالى يفتح له من الخير أبواب النجاح . والاعتماد على الخط الشريف أعلاه ،
إن شاء الله تعالى .

قلت : ومما يخطر في سلك توابع أرباب الوظائف السلطانية وظائف
دواوين الأمراء الخاصكية ، فإنه ربما كُتِبَ عن السلطان التوقيع لبعض أرباب
وظائف دواوينهم كما يُكتب في الوظائف السلطانية .



وهذه نسخة توقيع كريم بنظر دواوين بعض الأمراء ، وهى :

أما بعد حمد الله الذى هدى إلى الملة المحمدية مَنْ أسرا الإيمان فى قلبه ونواه ، وضَمَّ
إلى الأمة [الاسلامية] من أضمر الإخلاص فأظهره الله فى متقلبه ومثواه ، وجمع لولى
الدولة ومخلصها الفرج والفرح لأنه مَنْ توكل عليه كفاه ؛ والشهادة بالوحدانية التى
تبلى قائمها من رضاه مناه ، وتجعل جناته لمن أسرها جناته مستقره ومأواه ؛ والصلاة
والسلام على سيدنا محمد الذى قصم عداه ، وقصم عُرا مَنْ عاداه من أهل الشرك
وعداه . وعلى آله وصحبه الذين آهتدوا بهداه ، وأستجدوا جداه ؛ ولَبَّوْا نِداءه ، وأموا
نداه ؛ صلاة تجزى لمصلحتها ثوابه ، وتُجمل مآبه ، وتُجحد عقباه - فإن أولى من رفع له
الكرم محمداً ، وقلدته النعم عقداً محلياً ؛ وأعيد إلى رتبة الأصطفاء ، وفوض إليه ديوان
أعز الأخصاء ؛ وصرف قلمه فى مهامه ، وحصلت همه على جميع أقسامه ؛ وعُدت
مصالحه بتدبيره ، ومناجحه بتأيله وتأثيره ؛ ومتحصلاته بتمييزه وتثمينه ، وأحواله
وأمواله : هذه بحسن تصرفه وهذه بحسن تقريره - مَنْ دخل فى دين الله القويم ،
وآجبتاه وهده إلى الصراط المستقيم ؛ وكساه الإسلام حلة شرفه ، وبوّاه الإيمان

مَبَانِي غُرْفِهِ ، وَنَوَى الْأَسْتِقَامَةَ فِي إِقَامَتِهِ وَمُنْصَرَفِهِ ؛ وَالتَّحَفَ بِبِجَابَابِ الْإِسْلَامِ
وَأَرْتَدَّى ، وَتَلَبَّسَ بِالْإِيمَانِ فَصَدَّ عَنْهُ الْأَذَى وَرَدَّ الرَّدَى ، وَغَدَا مِنْ أَصْحَابِ الصَّرَاطِ
السَّوِيِّ وَمِنْ أَهْتَدَى ؛ مَعَ كِفَايَةٍ أُوجِبَتْ لَهُ التَّقْرِيبَ وَالتَّقْدِيمَ ، وَجَدَّدَتْ لَهُ مَلَابِسَ
التَّكْبِيرِ وَالتَّكْرِيمِ ؛ وَكِتَابَةً فَاقَ بِهَا أَمْثَالَهُ ، وَعَلَا مِثَالَهُ ، وَبَلَّغَتْهُ مِنَ الْعِلْيَاءِ مَرَامَهُ وَمَنَالَهُ ؛
وَمَعْرِفَةٍ بِفُنُونِ الْحِسَابِ ، وَخِبْرَةٍ اعْتَرَفَ لَهُ بِهَا الْكُتَّابُ وَالْحُسَّابُ ، وَأُوجِبَتْ لَهُ مِنَ
الْإِقْبَالِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِ .

ولما كان مجلس القاضي فلان : هو الذى أخذ القلم فى مدحه ، والكرم فى منحه ؛
أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ أَنْ تُقْبَلَ عَلَى إِقْبَالِهِ عَلَى الدِّينِ بَوَجْهِ الْإِقْبَالِ ، وَأَنْ نَبْلِّغَهُ
فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ مَا كَانَ يَرْجُوهُ مِنَ الْأَمَالِ . فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ
يَرْفَعَ مَنْ كَانَ لِلدَّوْلَةِ وَلِيًّا ، وَيَضَعُ الشَّيْءَ مَحَلَّهُ بِتَقْدِيمِ مَنْ أَضْحَى عِرْفَانُهُ جَلِيًّا^(١) .

فَلْيَبْشُرْ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً تَبْلُغُهُ أَمَلًا مِنَ الْإِعْتِلَاءِ ، وَتُنَوِّلُهُ مَرَامًا مِنَ الْإِعْتِنَاءِ ، وَتُؤَمِّنُهُ
مِنْ طَوَارِقِ الزَّمَنِ وَحَوَادِثِ الْإِعْتِدَاءِ ، عَالِمًا أَنَّ دَوْلَتَنَا الْفَلَائِيَةَ الْمَنْصُورَةَ تُجَازِي
عَنِ الْحُسْنَةِ بِأَمْثَالِهَا ، وَأَنَّ أَيَّامَنَا الْفَلَائِيَةَ الْمَشْهُورَةَ الْمَشْكُورَةَ تَبْلُغُ أَوْلِيَاءَهَا غَايَةَ
أَمَالِهَا ؛ وَأَنَّا أَجْرَلْنَا بِرِّهِ ، وَأَجْمَلْنَا ذِكْرَهُ ، وَأَجْرَيْنَا عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ حَمْدَهُ وَشُكْرَهُ ؛
فَلْيَعْتَمِدْ فِي مَبَاشَرَتِهِ الْأَمَانَةَ الْمُبَرَّهَ ، وَالنِّزَاهَةَ الَّتِي رَفَعَتْ مَاسَاءَهُ وَوَضَعَتْ مَاسَرَهُ ؛
وَلْيَشْمَرْ فِي مَصَالِحِ هَذَا الدِّيَوَانِ السَّعِيدِ عَنْ سَاعِدِ اجْتِهَادِهِ ، وَيَعْتَمِدْ فِي أُمُورِهِ مَا أُلِفَ
مِنْ سَدَادِهِ ، وَيَتَخَرَّجَ مِنَ السَّعَادَةِ مَا كَانَ قَبْلَ الْقَوْلِ مِنْ سُعَادِهِ ؛ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ،
وَيَجْعَلِ التَّقْوَى حِلْيَةً لِأَوْفَاتِهِ ، وَحُلَّةً عَلَى سَائِرِ تَصَرُّفَاتِهِ ؛ وَلْيَسِرْ بِتَقْوَاهُ سِيرًا خَبْرًا
وَخُبْرًا ، وَيَذَرْ جُورًا وَجَبْرًا ، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ .

(١) أن يستقر في ديوان كذا الخ وحذفه اختصارا للكتابة وكثيرا ما يفعل مثل ذلك .

قلت : وغالب ما يعتنى به في تواقع أرباب الأقسام المفتحة : «رسم» الدعاء
المصدّر به التواقع [و] أشتمله على براعة الاستهلال .
وهذه جملة أدعية من ذلك يُنسج على منوالها :

أثير الدين — لازال فلك فضله أثيرا ، وطالع سَعْدِه مُنيرا ، وهبوب
ريج مبراته للخيرات مُثيرا .

أمين الدين — لازال يتنحى للخدم الشريفة خير أمين ، ويصطفي للقيام
بالمصالح أنحض مُعين ، ويجتني لأهمّ المُهمّات من هو غير متهّم في المناصحة وغير ظنين .
بدر الدين — لازال يؤلّي المناصب الدينيّة من سلك في النزاهة مسلكا
جميلا ، ويؤلّي الفضل الجزيل من أضحى إشراف بذره على آثار حفظه دليلا .

برهان الدين — لازالت أوامره الشريفة ترفع للعلماء شانا ، وتقيم على
استحقاقهم دليلا واضحا وبرهانا .

تاج الدين — لازالت صدقاته الشريفة ترفع تاج الفضائل على الرؤوس ،
وبره الشامل يدّكي النفوس ويزكّي الفُروس ، وتوارد إفضاله يوشى المهارق ويدبج
الطُروس .

تقيّ الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تقدّم كلّ تقى ، وترجّح
ميزان من هو بالفضائل أملى مليّ ، وترفع قدر من إذا سُئل عن محله في الرياسة
قيل على .

جمال الدين — لازال جمال جميله للنفوس رائقا ، وإفضاله المتوافر لكل
إفضال سابقا .

جلال الدين — لازالت صدقاته الشريفة تزيد جلال ذوى الفضل
جلالا، وإحسانه المتواتر يوسع في البر لأولى الاستحقاق مجالا، وبره المتتابع تقصر
عنه خطأ كل بر فينادى : هكذا هكذا وإلا فلا لا .

رضى الدين — لازال رضى السجيا ، ظاهر المزايا ، مسترسل ديم
العطايا .

زين الدين — لازال نواله الشريف زينا لنائله ، وسؤاله المحقق إجابته
شرقا لسائله ، وقاصد بابيه الشريف يوم بالخير في عاجل الأمر وإجله .

سراج الدين — لازالت عنايته الشريفة تخص أولياءها بجزيل المواهب ،
وتبلغهم من صدقاتها العامة غاية الآمال وأقصى المطالب ، وتوقد لهم من أنوار
سعادتها سراجا يغلب على نور الكواكب .

سرى الدين — لازالت صدقاته الشريفة تصطفى من أرباب الكتابة
من يجيد المعاني فلا يضع لفظا إلا جعل تحته معنى سريّا ، وترضى من فُرسان
البراعة في ميدان اليراعة من يرتقى ببلاغته مكانا عليّا ، وتجتبي من أهل الإجابة من
تميز بالإفادة فلا يزال كلامه لأجساد الطروس حليّا .

شرف الدين — لازالت صدقاته الشريفة تضع الشئ في محله ، وترجع
الفضل إلى مستحقه وأهله ، وتختار للناسب من ظهر شرفه بين قوله وفعله .

شمس الدين — لازالت صدقاته الشريفة تطلع في سماء المعالي من ذوى
الرياسة شمسًا ، ونعمه الجسيمة تثبت في روض الإحسان غرسًا ، ومراسمه العالية
تنقل إلى رتب الرياسة من شدت كفه على عدد الأماني خمسًا .

شهاب الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تُطْلَع في أَفْقِهَا شهاباً، وتُحْمَل من جَزِيلِ المَوَاهِبِ للأُمَانِيِّ سَحَاباً، وتَضَعُ الشَّيْءَ في محله وتَزِيدُ الأمورَ انتظاماً والدعاءَ استِجَاباً .

صدر الدين — لا زالت آراءه الشريفة تستجيد من ذوى الفضائل من جاوزَ الجَوَازَ نظماً وفاقَ النَّثْرِ نَثراً، وتستفيد^(١) به المناصب من الأُمائل من تقصّر عن مجده الكواكبُ رِفْعَةً وَقَدْرًا، وتستزید منه المراتب من فاق سَحَابانَ وائلٍ وسادَ الأوائلَ فأضحى في مجالسِ العُلَفاءِ صَدْرًا .

صلاح الدين — لا زال أمره الشريفُ يقدّم من يُفيد ويُجيد، فيكون لكلِّ أمرٍ صلاحاً، وكرمه الطويلُ المديد، يشملُ من ذوى الفضائل من فاق «سَحَابانَ» وائلٍ فصاحةً وفاقَ «حاتِمَ» الأوائلِ سَمَاحاً، ورأيه الرشيدُ السديدُ، يختارُ من إذا انتضى البراعةَ غلبَ رأيه سيُوفاً وطالَ قلمه رِمَاحاً .

ضياء الدين — لا زالت آراءه الجميلةُ، تختارُ من ذوى الفضائلِ الجميلةِ من تَرَدَّدَ به المناصبُ ضياءً، ونِعْمَةُ الجزيلةُ، تُعَمُّ كلَّ بارِعٍ إذا أدلهمتِ الخطوبُ كان فَوْهَ لها جِلاءً، وعوارفه المستطيلةُ، تشملُ كلَّ فاضلٍ بذلٍ في الخدمة جُهداً وتَكْسُوهُ هَيْبَةٌ وَبَهَاءٌ .

علم الدين — لا زال جَزِيلُ إحسانه، أَوْضَحَ من نارٍ على عَلمٍ، ومزِيدُ أَمْتِنَانِهِ، يشملُ أربابَ السيفِ والقلمِ، وسُحْبُ بَنَانِهِ تَسُحُّ فلا تَسُحُّ بِجَزِيلِ الكَرَمِ .

علاء الدين — لا زال عَلاءُ دولتهِ يَصْطَفِي ذَوِي الفضائلِ، ويختارُ من الفُصَحَاءِ من يَفُوتُ الأَوَانِحَ كما أَضْحَى يَفُوتُ الأوائلِ، ويقدمُ من هو في تَدْيِيرِ البراعةِ كَعَلِيٍّ بنِ هِلَالٍ وفي حُسْنِ البراعةِ كَسَحْبَانَ وائلٍ .

(١) لعله « وتستعيد للنائب ... وتستزید في المراتب الخ » . تأمل .

عِزَّ الدِّينِ — لا زالت صدقاته الشريفة تزيد ذوى الأقالام، من جزيل الإنعام، فتُنيلهم عزًّا، وتستجيد من كُتَّابها الأعلام، من خُصَّ بجواهر الكلام، فكلُّ حُسن إلى كلامه يُعزى، وتستفيد من نُجباء الأيام، كلُّ بارع كأنَّ كلامه زهر الحكام، فلو خاطب سخبان لأورثه قُصُورا وعجْزا .

عِمَاد الدِّينِ — لا زالت آراؤه الشريفة تُتخذ من نُجباء الكُتَّاب، عِمادا، وتختار من ذوى الفضائل فى الخطاب، مَنْ تَجِدُ لكلامه حُسنا وسَدادا، وتُقدِّم من أهل الفضل فى السؤال والجواب، مَنْ لا تَعْدَم فى كلِّ مقاصده رَشادا .

عَضِد الدِّينِ — لا زالت صدقاته الشريفة تجعل من إنعامها، لخدِّامها، عَضِدا، وتلحظ بعين إكرامها، وحسن احترامها، مَنْ طال فى الفضل مَدى، وتزِين مطالع أيامها، بِشُمس أعلامها، فلا ترى مثلهم أحدا .

غَرَس الدِّينِ — لا زالت صدقاته الشريفة تُنبت فى روض الإحسان، من أرباب البيان، غَرَسا، وتجتنى من كِجام اللسان، أزهَرَ النُّكْت الحِسان، وتزِين بها طُرسا، ويُفيض من مَواهب البَنان، ما يشهد لها بجزيل الإِمتنان، فيطيب كلُّ أَمَلٍ نَفْسا .

غِيَاث الدِّينِ — لا زالت صدقاته الشريفة تُبْدى لكلِّ أَمَلٍ غِيَاثا، وتُصْفى ظِلَّها على من استجار بها واستغاثها، وتنطق ألسُن أقالامها، بمواهب إنعامها، فتبدل طريقها وُتراثا .

فَتْح الدِّينِ — لا زالت صدقاته الشريفة تُتخير من ذوى الأقالام، مَنْ يفتح أبواب الكلام، وفتح، وتهب جزيل الإنعام، لمن يستحقه من الكُتَّاب الأعلام،

فِينَالُ بِذَلِكَ شَاءَ وَرِجْحًا، وَتَقَرَّبَ بِيَدِ الْعِنَايَةِ وَالْإِكْرَامِ، مِنْ ذَوِي الرِّيَاسَةِ وَالْإِحْتِرَامِ،
مَنْ هَمَزَ عَلَى الْبَلَاغَةِ قَدْحًا .

نَحْسِرُ الدِّينَ — لَا زَالَتْ آرَاؤُهُ الشَّرِيفَةُ تُنَصَّبُ فِي الْمَنَاصِبِ، مِنْ يَزِيدَ
بُحْسُنِ مَبَاشَرَتِهِ نَحْرُهَا، وَتُمَطَّى ظُهُورَ الْمَرَاتِبِ، مِنْ إِذَا أَظْلَمَتِ الْأَيَّامُ لِعَدَمِ فَاضِلِ
ظَهَرِ بَفَضِيلَتِهِ بَحْرُهَا .

قُطْبُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تُدِيرُ عَلَى قُطْبِ الْبَلَاغَةِ مِنْ
أَرْبَابِ الْيَرَاعَةِ نُجُومًا، وَتُشِيرُ بَعْنَايَتِهَا إِلَى مَنْ حَازَ مِنَ الْفَضْلِ فُنُونًا وَأَحْيَا مِنَ الْآدَابِ
رُسُومًا، وَتُبِيرُ بِدُورِ سَعْدِهَا لِمَنْ لَمْ يَزَلْ قَلَمُهُ لِأَسْرَارِ الْمُلْكِ كَتُومًا .

كَرِيمُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَشْمَلُ مِنْ ذَوِي الْفَضَائِلِ
مَنْ عُدَّ فِي فَضْلِهِ وَأَصْلِهِ كَرِيمًا، فَتُقَدِّمُ مَنْ لَا لَهُ فِي الْبَلَاغَةِ مِمَّا يُنَالُ فَلَا يَزَالُ بِكُلِّ
فَنٍّ عَلِيمًا، وَتُنَصَّبُ فِي الْمَنَاصِبِ مَنْ فَاتَ قَيْسَ الْأَوَائِلِ رَأْيًا وَفَاقَ قُسَا بَحْدِيثِ
بَلَاغَتِهِ قَدِيمًا .

كَمَالُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ سَعَادَتُهُ الْبَاهِرَةُ، تُطْلِعُ فِي سَمَاءِ الْعُلْيَاءِ مَنْ فَاقَ
الْبُدُورَ كَمَالًا، وَأَوَامِرُهُ الْقَاهِرَةُ، تُقَدِّمُ أَسْنَى الْبُلَاغَةِ جَلَالًا، وَأُسْنَى صَدَقَاتِهِ الْوَافِيَةِ،
تُعَمُّ مِنْ ذَوِي الْفَضَائِلِ مَنْ زَادَ الْمَنَاصِبَ بِحُسْنِ مَبَاشَرَتِهِ مَهَابَةً وَجَمَالًا .

مَجْدُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَمْلِكُ أَعْنَةَ الْأَقْلَامِ، مِنْ تَرَاهَا
مَجْدًا، وَتُودِعُ بِمَجِيدِ الْأَيَّامِ، مِنْ جَوَاهِرِ الْفَضْلَاءِ عَقْدًا، وَتَشْمَلُ بِأَيَادِيهَا الْإِكْرَامَ،
مَنْ إِذَا جُمِعَ الْبُلَاغَاءُ كَانَ بَيْنَهُمْ فَرْدًا .

محي الدين - لازالت أوامره الشريفة تشمل من البلاء من شهر بفضل الخطاب، وإذا ماتت الفضائل يحييها، وغيث جوده الهامى يفيض فيض السحاب،^(١) فيبادر العفاة ويحييها، وعنايته نعم ذوى الألباب، فتمهد رتب العز وتهيها .

موفق الدين - لازالت صدقاته الشريفة تطلع كل هلال من أهتدى به كان موفقا، وتملك اليراع من يزرى بابل هلال أنى كتب: رقاعا ومحققا، وتفيض لراجها أفضل نوال من شبهه بالغيث كان محققا .

ناصر الدين - لا زال يقرب من أضى لأهل الكلام، بمهرفات الأقلام، ناصرًا، ويهب طويل الإنعام، لمن باعه مديد في النثر والنظام، فما برح فضله وإفرا، وينتخب من غدا شريعا لعادات الكرام، مضارعا لصفات الكتاب الأعلام، وأصبح في البيان نادرا .

نجم الدين - لازالت أوامره الشريفة تطلع في أفق السعادة، من ذوى السيادة، نجما، وتعم بجزيل الإفاده، من عرف بالفضل وبالإجاده، وفاق أقرانه نثرا ونظما، وتسمح من عنايتها بالإرادته، لمن هو أهل الحسنى وزياده، فتجزل له من كرمها قسما .

نور الدين - لازالت صدقاته الشريفة تعم بالنوال، من هو في البراعة متسع المجال، فيزيد الكلام نورا، وحسناته تشمل ذوى الآمال، بما يجمد في البدء والمآل، فتملا القلوب سورا، ومبراته تصل أولى الكمال، وتنتخب أخيار العمال، فلا برح أنفذ الملوك أمورا .

(١) فى الاصل «الوهم» ويظهر أنه تحريف .

نظام الدين - لازال يتخير مَنْ كان في الناس مجيداً ، وفي البيان مجيداً ،
فحَسُنَ لفظه نظاماً ، ويَهَبُ مِنْ رَته مَزيداً ، لمن كان في الخدمة مُريداً ، فلا ينقُصُ
لِلنصيحة ذِماً ، ويبدُلُ كَرماً مُفيداً ، لمن يراه في الفضل مُبدئاً ومُعيداً ، فحاز نِخاراً
وطابَ كَلاماً .

هُمام الدين - لازال يرتضى مَنْ هو في فُرسان الِبراءة أَنهضُ هُمَام ،
ويقتضى وَعَدَ كرمه لمن نهَضَ في الرِياسة نُهوضَ أَهْتِام ^(١) ، وينتضى عَضْدَ ذَهْنه
فيصِيبُ مَفْصِلَ كُلِّ كَلام .

وَلِيّ الدين - لازال يُجَلِّ أجيادَ المناصب من ذَوِي البلاغه ، بمن يُحَسِّنُ
في الكلام الصِّياغة ، فينظّمه حُلِيّاً ، ويُجَلِّ كُربَ المراتب من فُرسان الِبراعه ، بمن
راحَ فضلُه ولفظُه جَلِيّاً ، ويُوَلِّي المناصبَ من غدا في البيان وافر البضاعه ، فاتخذته
الأقلامُ وَلِيّاً .

(١) لعل الصواب معضد كمنبر : تأمل .

الضرب الرابع

(من الوظائف التى يُكتب فيها بالديار المصرية مَشِيخَةُ الخَوَانِقِ ،
وكلُّها يُكتب بها تَوَاقِيعُ)

وهى على طبقات :

الطبقة الأولى

(ما يكتب فى قطع النصف بـ «المجلس العالى» مفتتحاً بـ «الحمد لله»

وهو مَشِيخَةُ الشُّيُوخِ خَاصَّةً)

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَشِيخَةَ الشُّيُوخِ كَانَتْ فِيمَا تَقَدَّمَ تُطْلَقُ عَلَى مَشِيخَةِ الْخَانِقَاهِ الصَّلَاحِيَّةِ ،
«سعيد السعداء» فَيُكْتَبُ فِيهَا بِذَلِكَ . وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ بَنَى السُّلْطَانُ
الْمَلِكُ النَّاصِرُ «مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ» الْخَانِقَاهِ النَّاصِرِيَّةَ بِسِرْيَاقَوْسَ ، اسْتَقَرَّتْ مَشِيخَةُ
الشُّيُوخِ عَلَى مَنْ يَكُونُ شَيْخًا بِهَا ، وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْآنَ .

وهذه نسخة توقيع بِمَشِيخَةِ الشُّيُوخِ بِالْخَانِقَاهِ الصَّلَاحِيَّةِ «سعيد السعداء»
بالقاهرة المحروسة بِاسْمِ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ النَّخْجَوَانِيَّ ، مِنْ إِنْشَاءِ الْمُقَرَّرِ الشَّهَابِيِّ
أَبْنِ فَضْلِ اللَّهِ الْعَمْرِيِّ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُرَقًّى أَوْلِيَائِهِ ، وَمَوْقًّى أَصْفِيَائِهِ ، وَمُلَقًّى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ لِمَنْ تَلَقَّى سِرَّهَا
الْمُصُونِ عَنْ أَنْبِيَائِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى مُصَافَاةِ أَهْلِ صَفَائِهِ ، وَمُوَافَاةِ نَعْمَانَا لِمَنْ تَمَسَّكَ بِعُهُودِ وَفَائِهِ ، وَتَسَلَّكَ
فَأَصْبَحَتْ رِجَالٌ كَالْجَوَاهِرِ لَا تَنْتَظِمُ فِي سِلْكِهِ وَلَا تُعَدُّ مِنْ أَكْفَائِهِ ، وَطَلَعَ لِلدِّينِ شَمْسًا
يُبَاهِي الشَّمْسَ بِضِيَائِهِ ، وَيُبَاهِلُ الْبَدْرَ التَّمَامَ فَيَتَغَيَّرُ تَارَةً مِنْ نَجْمِهِ وَتَارَةً مِنْ حَيَاتِهِ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نَعُدُّهَا ذُخْرًا لِلْقَائِمَةِ ، ونُفْرَا
بَاقِيًا بِبَقَائِهِ ، رَاقِيًا فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى بِارْتِقَائِهِ .

ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله مبلغ أنبيائه ، ومسوّغ الزلفى لأحبابه ؛
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان من أهل ولّائه ، ومن عرّف به الله
لما تفكر في آلائه ، صلاة يؤمل دوامها من نعمائه ، ويؤمن عليها سكاُن أرضه
وسمائه ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما استقام به [الشخص على] الطريقة ، وأستدام به الرجوع
إلى الحقيقة ، وأستام به يطمئن إلى خالقه لا إلى الخلية ؛ وحفظ أفعه بنير تستضيء به
النيرات ، ونوء تنقسم به الغائم الميطرات - طائفة أهل الصّلاح ، ومن معهم من
إخوان أهل الصفاء الصوفية داعي الفلاح ؛ ومن تضمهم من الواردين إليهم إلى
جنّاح ، والصادرين عنهم بنجاح ؛ ومن تفتح له فيهم أبواب السماء ، وتمنح بنفسهم
عامة الخلق ملايس النعماء ؛ ومن يكشف بتجددهم جنح كل ظلام ، ويكشف
بتوجههم عارضة كل بدر تمام ؛ ويستشفى ببركاتهم من داء كل سقام ، ويستسقى
بدعائهم إذا قصر النيل وقص جناحه الغمام . وهم أولياء الله وأحباؤه ، وبهم يتعلّل
كل لبيب هم سقامه وهم أطباؤه ؛ أنحلهم الحب حتى عادوا كالأرواح ، وأشغلهم
الحب بصوت كل حمام شجّاهم لما غنى وبرح بهم لما ناح ؛ وأطربهم كل سمع
فوجدوا بكل شيء شجّنا ، وعدّ بهم الهوى فاستعدّوا أن لا يلائموا وسنا ؛ ومثل فرط
الكلف لهم الأحباب فما رأوا لهم حالا إلا حسنا ، وأثقل تكرار الذكرى قلوبهم
فما عدّوا غربة غربة ولا وطنا وطنا ؛ قربت المحبة لهم في ذات الله كل متباعد ،
والفت أشتاتهم فاختلفت الأسماء والمعنى واحد .

والخانقاه الصلاحية بالقاهرة المحروسة المعروفة بـ «سعيد السعداء» - قدس الله روح واقفها - هى قُطْبُ نُجُومِهِم السائر، ومرا كُرُ أَفْلاكِهِم الدائر، وإليها نَحْطُ رُحَالُ سَفَارِهِم، وعليها تُحْطُ رِحَالُ أَسْفَارِهِم؛ تَضْطَرِبُ فِرْقُهُم فى البلاد وإليها مَرَجُهُم، وعليها مَجْتَمِعُهُم، وفيها مواضع خلواتهم، ومطالع جلواتهم، ومكان صلاتهم، وإمكان صلاتهم؛ ومشرق شمسهم، ومؤنق غروبهم؛ ومنهاج طريقهم، ومِعْراج حقيقتهم؛ مأوى هذه الطائفة الطائفة فى شرق البلاد وغربها، وبعدها وقربها، وعجمها وعربها، ومن رفَع سُجُوفَهَا أو هو محبوبٌ بحُجُبِهَا، والمؤهلة والعراب، وأهل الإغتراب؛ هى قَسِيحُهُم الرّحيب، وصَفِيحُهُم القريب؛ ومِثالُهُم إذا آجَمَعُوا فى الملا الأعلى زمرا، واخترقوا المهامة وما جازوا ببداء ولا جابوا مقفرا؛ وبلغوا الغاية وما أزعج ركبهم حادٍ فى ليل سري، ووصلوا وما فارقوا فرشهم الممهدة إلى ما وراء الورى؛ شرط كل خانقاه أن لا تُغلق فى وجه من ينزل فيها بابا، ولا تُطيل جهاتها الممنعة له حجبا، ولا تُعجل مقاماتها المرفعة له قبل (١)



وهذه نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ، وهى مشيخة الخانقاه الناصرية لبسرياقوس، مما كتب بذلك للشيخ نظام الدين الأصفهاني، من إنشاء السيد الشريف شمس الدين :

الطَرَّة

توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالى، الشيخى، النظامى، إسحق ابن الشيخ المرحوم جلال الدين عاصم، ابن الشيخ المرحوم سعد الدين محمد الأصفهاني

(١) بياض فى الأصل وبه علامة التوقف .

القُرشي الشافعي - أدام الله النفع ببركته - مشيخة الخانقاه السعيدة الناصرية
بسير ياقوس - قدس الله روح واقفها - ومشيخة الشيوخ بالديار المصرية والبلاد
الشامية والحليّة ، والفتوحات الساحليّة ، وسائر الممالك الإسلاميّة المحروسة ، على
عادته في ذلك وقاعدته ومعلومه ؛ وأن يكون ما يخص بيت المال من ميراث كلّ
من يتوفى من الصوفيّة بالخانقاه بسير ياقوس للشيخ نظام الدين المشار إليه ، بحيث
لا يكون لأمين الحكم ولا لديوان الموارث معه في ذلك حديث ، وتكون أمور
الخانقاه المذكورة فيما يتعلّق بالمشيخة وأحوال الصوفيّة راجعة للشيخ نظام الدين
المشار إليه ، ولا يكون لأحد من الحكم ولا من جهة الحسبة ولا القضاة في ذلك
حديث معه ، ولا يشهد أحد من الصوفيّة ولا ينتسب إلا بإذنه ، على جاري عادته
في ذلك على ما شُرح فيه ، وأوله :

الحمد لله على نِعَمِهِ التي أَلَقَتْ للصالحين من عباده نظاما ، وأسْتَأْنَفَتْ للصالحين
إلى مُرَادِهِ إحراما ، وصَرَفَتْ أَوْامِرَنَا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ لِمَنْ فَوَّضَ أُمُورَهُ إِلَى رَبِّهِ
فَأُنْجَحَ لَهُ مِنْ مَزِيدِ التَّأْيِيدِ مُرَادًا وَمَرَامًا ، وَعَطَقَتْ بِأَوْجُهُ إِقْبَالِهَا الْحِسَانَ عَلَى مَنْ
هُوَ مَتَرَّةٌ عَنْ دُنْيَاهُ ، مُتَوَجِّهَةٌ إِلَى أَخْرَاهُ ، يُمَضِي نَهَارَهُ صَيَامًا وَلَيْلَهُ قِيَامًا .

نحمده على أَنْ جَعَلْنَا نَزْعِي لِلْأَوْلِيَاءِ ذِمَامًا ، وَنَسْعِي بِالنِّعْمَاءِ إِلَيْهِمْ ابْتِدَاءً وَإِثْمَامًا ؛
وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَرْفَعُ لِلْمُخْلِصِينَ فِي عِلِّيَّينَ مَقَامًا ،
وَتُدْفَعُ بِأَعْمَالِ الصَّدَقِ عَنِ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ بَأْسًا وَأَسْقَامًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي جَعَلَهُ لِلتَّقِيِّينَ إِمَامًا ، وَفَضَّلَهُ عَلَى النَّبِيِّينَ إِجْلَالًا وَإِعْظَامًا ، وَكَلَّمَهُ
بِالسَّمَاتِ الْمُسْكِرَّمَاتِ ، وَالصِّفَاتِ الْمَشْرِقَاتِ ، مِمَّا لَا يُضَاهَى وَلَا يُسَامَى ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ شَرُّفُوا إِضَافَةً إِلَى نَسَبِهِ الشَّرِيفِ وَأَنْضَمَامًا ؛ وَرَضَى اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ

الذين عَرَفُوا الْحَقَّ فَبَذَلُوا فِي إِقَامَتِهِ أَجْتِهَادًا وَأَهْتِمَامًا ، صَلَاةً تُجَمِّلُ افْتِتَاحَهَا وَآخِرَتَهَا ،
وَتُجْزِلُ إِرْبَاحَهَا وَإِنْعَامَهَا ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَشِيعْنَا الْعَدْلَ وَالْإِنصَافَ ، لِمَنْ لَهُ بَيْعُنِ الْأَعْرَاقِ اتِّصَالٌ وَبُحْسُنُ
الْأَخْلَاقِ اتِّصَافٌ ؛ وَمَنْ كَرَّمَنَا الْفَضْلَ وَالْإِسْعَافَ ، لِمَنْ لَاحِقَاءَ فِي تَعْيِينِهِ لِنَتَصَدِيرَ
التَّقْدِيمَ وَتَكَرُّيرَ التَّكْرِيمِ وَلَا خِلَافَ ؛ وَمِنْ سَبَّحَانَا الْجَمِيلَةِ أَنْ لَا تُضَاعَ حَقُوقُ مَنْ
هُوَ فِي الزَّهَادَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ إِمَامٌ ، لِأَلْسِنَةِ الْأَيَّامِ ، بِجَلَالِهِ الْحُسْنَةِ إِقْرَارٌ وَأَعْتِرَافٌ ، وَلِمَزَايَانَا
بِحَيْلِ الْمَحَافِظَةِ ، وَجَلِيلِ الْمُلَاحِظَةِ ، لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ فَلَهُ اتِّصَارٌ بِاللَّهِ
تَعَالَى وَاتِّصَافٌ : لِأَنَّهُ الْعَرِيقُ الْأَسْلَافَ ، الرَّفِيقُ بِالضَّعَافِ ، الْحَقِيقُ بِتَوْفِيرِ التَّوْفِيقِ
الَّذِي لَهُ بِحَرَكَاتِهِ الْمُبَارَكَةِ أَكْتِنَافٌ ، الْمُطَبِّقُ النَّهْوضَ بِأَعْبَاءِ الرِّيَاسَةِ : لِأَنَّ الْقُلُوبَ
عَلَى مَحَبَّتِهِ اتِّسَلَفَ ، السَّبُّوقُ إِلَى غَايَاتِ الْفَلَواتِ الَّتِي تَحْفُّ بِهِ فِي بُلُوغِ آمَادِ
الْإِسْعَادِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَلْطَافٌ ، وَالصَّدُوقُ النِّيَّةَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فَكَمْ وَالِى لِنَعْمَائِهِ الزِّيَادَةَ
وَالِاسْتِنَافَ .

وكان المجلس العالى الشيخى ، الإمامى ، الكبيرى ، العالمى ، العالمى ، الأوحدى ،
القدوى ، الورعى ، الزاهدى ، الناسكى ، الخاشعى ، السالكى ، الأصيلى ، العريقى ،
القوامى ، العالمى ، النظامى : جمال الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء فى العالمين ،
أوحد الفضلاء ، قدوة المشايخ ، مربى السالكين ، كثر الطالبين ، موضح الطريقه ،
مبين الحقيقه ، شيخ شيوخ العارفين ، بركة الملوك والسلاطين ، ولى أمير المؤمنين ،
إسحق ابن الشيخ المرحوم فلان - أدام الله النفع ببركاته - هو المفوض أموره إلى
ربه ، المعرض عن الدنيا بباطنه وقلبه ، المتعوض بما عند الله من فضله فما زال
الإيثار من شأنه ودأبه ، إلى إخوانه وصحبته ، فهو من الذين يُطعمون الطعام على

حُبِّهِ ، وَيُلْهِمُونَ مِنَ الْعَمَلِ الْمُبْرُورِ إِلَى أَقْرَبِهِ مِنَ اللَّهِ وَأَحَبِّهِ ، وَيُقِيمُونَ الظَّلَامَ مَعَ
أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ وَحِزْبِهِ ، وَيُسْتَدِيمُونَ الْإِنْعَامَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِهِ
فَفَرُّهُمْ لِأَصْلِهِمْ فِي صُنْعِهِمْ مُشْبِهٍ ، وَيُسْتَسْلِمُونَ لِأَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَكُلُّهُمْ شَاكِرٌ لِرَبِّهِ ،
عَلَى حُلُوِّ الْقَضَاءِ وَمُرَّةِ صَابِرٍ عَلَى سَهْلِ الْأَمْرِ وَصَعْبِهِ ، سَائِرٌ بِالصَّدَقِ فِي شَرْقِ الْوُجُودِ
وَعَرْبِهِ ، مَثَابِرٌ عَلَى الْحَقِّ فِي عَجْمِ الْخَلْقِ وَعُزْبِهِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يُوصَلُ الْحُقُوقَ إِلَى مُسْتَحِقِّهَا ، وَيُجَلُّ
الْوُثُوقَ بِمَنْ تَجَمَّلَ الْمَرَاتِبُ الدِّينِيَّةُ مِنْهُ بِتَرْقِيَّهَا - أَنْ يَفُوضَ إِلَى الْمُشَارِ إِلَيْهِ مَشِيخَةُ
الْخَانِقَاهِ السَّعِيدَةِ النَّاصِرِيَّةِ بِسِرِّيَا قَوْسٍ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَ وَاقِفِهَا - وَمَشِيخَةُ الشُّيُوخِ
بِالدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ وَالْحَلِيبِيَّةِ ، وَالْفُتُوحَاتِ السَّاحِلِيَّةِ ، وَسَائِرِ الْمَمَالِكِ
الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ وَقَاعِدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ مَا يُحْصُ
بَيْتَ الْمَالِ الْمَعْمُورِ مِنْ مِيرَاثِ كُلِّ مَنْ يَتَوَفَّى مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِالْخَانِقَاهِ الْمَذْكُورَةِ لِلْمُشَارِ
إِلَيْهِ ، بِحَيْثُ لَا يَكُونُ لِأَمِينِ الْحُكْمِ وَلَا لِدِيْوَانِ الْمَوَارِيثِ مَعَهُ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ ،
وَتَكُونُ أُمُورُ الْخَانِقَاهِ الْمَذْكُورَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَشِيخَةِ وَأَحْوَالِ الصُّوفِيَّةِ رَاجِعَةً إِلَيْهِ ،
وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الْحُكَّامِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الْحِسْبَةِ وَلَا الْقُضَاةِ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَعَهُ ،
وَلَا يَشْهَدُ أَحَدٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَّا بِإِذْنِهِ عَلَى الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ
مَعْدُوقًا بِنَظَرِهِ .

فَلْيُعَدَّ إِلَيْهَا عَوْدًا حَمِيدًا ، وَلْيُعَدَّ مِنَ الْإِصْلَاحِ مَا مَزَلَ مُفِيدًا ، وَلْيَعْتَصِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى
مَوْلَاهُ فِيمَا تَوَلَّاهُ وَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ تَثْبِيْتًا وَتَسْدِيدًا ، وَلْيُشْهِدْ بِهَا مِنَ الْقَوْمِ الْمُبَارَكِينَ مَنْ
[كَانَ] عَوْدُهُ قَبْلَ الصُّومِ عِيدًا ، وَهُوَ أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسَعَّودُ الْمُبَاشِرُ ، الْمَحْمُودُ

المُعَاشره، المشهودُ منه اَعْتَادُ الاجْتِهَادِ فى الدُّنْيَا والآخِرَه؛ المعهودُ منه النَّفْعُ التَّامُّ ، فى فُقَرَاءِ مِصْرَ والشَّامِ ، فكم أثرا لخير وآثره ، وكثر البرُّ وواتره ، ويسر السَّيْرَ الحَسَنَ الذى لم يَبْرَحْ لسانُ الإجماعِ شاكِرَه .

ونحن نُوصِيه عملاً بما أمر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم فى كتابه المبين ، بقوله وهو أَصْدَقُ القائلين : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الدَّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وإن كنا نتحقَّق ما هو عليه من العلم والدِّين ، والحُكْم الرِّصين ، والزُّهْد والورع اللذين نحن منهما على بَيِّنَةٍ وِيقين ، باتِّباعِ شُرُوطِ الواقِفين ، والإمتناعِ بالعَوَارِفِ أولياءِ الله العارِفين : فإنه ما زال حيثُ حلَّ فى جميع الآفاق ، واصلًا للأرزاق ، مُواصلًا بالأشواق ، شاملًا بالإِرْفاق ، عاملاً بالحقِّ فى إيصالِ الحقوقِ لذوى الاستحقاق . ونأمرُهم أن يكون لهم على تَكْرِيمِهِ اتِّفاق ، وفى مُتَابَعَتِهِ اجْتِماع وَاِتِّساق ؛ فإنه شيخُ الطَّوائِف ، وإمامُ تُقْتَبَسُ منه اللَّطائِف ، وتُلْتَمَسُ منه الهدايةُ فى المَواطِنِ والمَواقِف ؛ واللهُ تعالى يَمْتَنِعُ بِبركاته الأُمَمَ ، وَيَسْمَعُ منه فى الخَلَوَاتِ لنا الدَّعَوَاتِ التى تكونُ لأُورادِهِ المَقْبُولَةِ مَفْتِيحَةً ومُتِمَّةً ، وَيَصِلُهُ بِعِنايَتِهِ التى تَقْيِدُ الهَمَّ وتؤيِّدُ الهَمَّةَ ، ويجعله حيثُ كانَ للفقراءِ نعمةً ويُنِّسَ الناسَ رَحْمَةً ، والعلامةُ الشريفةُ أعلاه ، حجةً بمقتضاه .

الضرب الخامس

(من أرباب الوظائف بالديار المصرية بالحضرة - أرباب الوظائف العادية، وكلها تواقع)

وهى على طبقات :

الطبقة الأولى

(مَنْ يُكْتَبُ لَهُ فِي قَطْعِ النِّصْفِ بِالْمَجْلِسِ الْعَالِي ، وَهُوَ رِئِيسُ الْأَطْبَاءِ الْمُتَحَدِّثُ عَلَيْهِمْ فِي الْإِذْنِ فِي التَّطَبُّبِ وَالْعِلَاجِ وَالْمَنْعِ مِنْ ذَلِكَ وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى)

وهذه نسخة توقيع برياسة الطب ، وهى :

الحمد لله مؤتي الحكمة من يشاء من عباده ، ومُعْطِي أَمَانَةِ الْأَرْوَاحِ مَنْ تَرَقَّى فِي حِفْظِهَا إِلَى رُتْبَةِ اجْتِهَادِهِ ؛ وَجَاعِلِ عِلْمِ الْأَبْدَانِ أَحَدَ قِسْمِي الْعِلْمِ الْمَطْلُوقِ فِي حَالِيِ اجْتِمَاعِهِ وَأَنْفِرَادِهِ ، وَمَوْفِّقٍ مَنْ جَعَلَ نُصْحَ خَلْقِ اللَّهِ فِيهِ سَبَبًا لِسَعَادَةِ دُنْيَاهُ وَذَخِيرَةً صَالِحَةً لِيَوْمِ مَعَادِهِ ، وَمُبْلَغٍ مَنْ كَانَ [دَائِبًا] فِي إِعَانَةِ الْبَرِيَّةِ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهَا بِدَوَامِ الصَّحَّةِ غَايَةَ مَرَامِهِ وَأَقْصَى مُرَادِهِ ، وَرَافِعِ رُتْبَةِ مَنْ دَلَّ اخْتِيَارُهُ وَاخْتِبَارُهُ عَلَى وَفُورِ عِلْمِهِ وَنُجْحِ عِلَاجِهِ وَإِصَابَةِ رَأْيِهِ وَسَدَادِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمَةِ الَّتِي خَصَّتْ بِنِعْمِنَا مِنْ كُلِّ فِي نَوْعِهِ وَفَضْلِهِ وَحَسَنِ فِي عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَجَمَعَ مِنْ أَمَانَةِ وَظِيفَتِهِ وَمَعْرِفَتِهَا مَا إِذَا جَلَسَ فِي أَسْنَى مَنَاصِبِهَا قِيلَ : هَذَا أَهْلُهُ .

(١) في الأصل "ومقلب يداوم الصحة" الخ تأمل .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُشْرِقُ البصائر، بأضوائها،
 وتُفَرِّقُ الضمائر،^(١) باخلاصها من أدوائها، وتُعْدِقُ بيمينها أنواء التوفيق فتتأرجح
 رياض الإيمان بين روائها وإروائها. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أنارت
 ملته، فلم تخف على ذى نظر، وعلت أدلته، فلم ينلها من فى باع رويته قصر،
 وبهرت معجزاته فلو حاولت الأنفاس حصرها أفناها العي والحصر؛ صلى الله عليه
 وعلى آله وصحبه الذين كانوا لأدواء القلوب علاجا، ولسبيل الإيمان مزاجا،
 وللبصائر السائرة فى دجى الشبهات سراجا؛ صلاة دائمة الإقامة، متصلة الدوام إلى
 يوم القيامة؛ وسلم تسليما كثيرا.

وبعد : فإن صناعة الطب علم موضوعها حفظ الأبدان النفيسة، ومقصودها
 إعانة الطبيعة على حماية الأعضاء الرئيسة؛ ومدارها الأعم، على معرفة العوارض
 وأسبابها، ومدركها الأتم، الوقوع على الصواب فى معرفة الجسوم وأوصائها؛ وحينئذ
 تتفاوت رتب أهلها عند تشعب مداركها، واختلاف مسالكها؛ وتشابه عللها،
 والتباس صوابها بجللها؛ إذ لا يميز ذلك حق تمييزه إلا من طال فى العلم بتجره،
 وحسن فى رتب هذا الفن تصدّره؛ وطابق بين نقله وعلاجه، وعرف حقيقة كل
 مركب من الأدوية ومفرد بعينه وأسمه وصفته ومزاجه؛ وتكررت عليه الوقائع
 فعرفها دربة وأحكمها نقلا، ولقب بشرعة التقوى إذ كان الإقدام على النفوس
 قبل تحقق الداء والدواء مذموما شرعا وعقلا؛ ولذلك تحتاج إلى رئيس يُعِمْ
 فى مصالحها نظره، ويُجَلِّ فى منافعها ورده وصدره؛ ويعتبر أحوال أهلها بمعيار
 فضله، ويُزِم الداخل فيها ببلوغ الحد الذى لا بُد منه بين أرباب هذا الشأن

(١) من أفرق المريض والمحموم برأ.

وأهله ؛ ويعرف لأكابر هذا الفن قدر ما منحهم الله من علم وعمل ، ويتسبط رجاء المبتدئ إذا كمل نفسه حتى لا يكون له فيها بغير كمال الاستحقاق طمع ولا أمل .

ولما كان المجلس السامي ، القاضي ، الأجل ، الحكيم ، فلان الدين : هو الذي بلغ من العلم غاية مراده ، وأحتوى من هذا الشأن على ما جمع به رتب الفضلين فيه على أنفراده ؛ فلو عاصره «الرئيس» لأعتمد عليه في كليات قانونه ، أو «الرازي» لعلم أن «حاويه» من بعض فنونه ؛ قد حلب هذا العلم أشطره ، وأكمل قراءة هذا الفن رُموزه وأسطره ؛ وحل أسرار الغامضه ، وأرتوى من شرب رُموزه بأنواء لم يشم غير فكره بروقها الوامضه ؛ وأسلف من خدمة أبوابنا العالية سفرا وحضرا ما أقتضى له منية شكره ، وتقاضى له مزيد التنبيه على قدره والتنويه بذكره ؛ ومجد فيه الفريدان : صحة نقله وإصابته فكره ، وعلم أنه جامع علوم هذه الصناعة فلا يشد منها شيء عن خاطره ولا يغيب منها نقل عن ذكره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال شهاب فضله لامعا ، وسحاب برّه هامعا - أن يكون فلان متولى رئاسة الأطباء بالديار المصرية على عادة من تقدمه .

فليباشر هذه الرئاسة ناظرا في مصالحها ، مُطّلعاً من شهاب فضله ما يزين أفقها زينة السماء بمصابيحها ، متفقداً أحوال مباشريها ، متلمّحاً أحوال المستقلّ بأعبائها والداخل فيها ؛ سالكا في ذلك سبيل من تقدمه من رؤسائها ، حاكما في أمورها بما جرت به العادة المستقرّة بين أكابرها وعلمائها ؛ مطارحا من قدّمت هجرته فيها بما يقتضى له مراجعة أصوله ، مُلزّما من ظهر قصوره فيها بالتدرب إلى حد لا يُقنع منه بدون حصوله ؛ مجيئا في الإذن لمن أظهر الاستحقاق صدق ما أدعاه ، قابلا في الثبوت من مشايخ هذه الصناعة من لا يشهد إلا بما علمه ولا يُخبر من التدرب

إلا بما رآه ووعاه ، متحرّياً في الشُّبُوت لدينه ، آذناً بعد ذلك في التصرّف إن ترقّى علمه باستحقاقه إلى رتبة تعيينه ؛ وليُعْطِ هذه الوظيفة حقّها من تقديم المبرّزين في علمها ، وتكريم مَنْ منحه الله درجتى نقاها وفهمها ، وتعليم مَنْ ليس عليه من أدواتها المعتبرة غير وسمها وأسمها ؛ ومنع من يتطرق من الطُّرقية إلى معالجه وهو عارٍ من ردائها ، وكفّ يد من يهجم على النفوس فيما غمض من أدائها قبل تحقّق دوائها ؛ واعتبار التقوى فيمن يتصدّى لهذه الوظيفة فإنّها أحد أركانها ، واختيار الأمانة فيمن يصلح للإطلاع على الأعضاء التى لولا الضرورة المبيحة حرم الوقوف على مكانها ؛ وليكن فى ذلك جميعه مجانباً للهوى ، ناوياً نفع الناس فإنما لأمرئى مانوى ؛ والله تعالى يحقّق له الأمل ، ويسدّده فى القول والعمل ؛ بمنّه وكرمه ! .

قلت : وربّما أفتتح توقيعها بـ «أما بعد حمد الله» .

وهذه نسخة توقيع برياسة الطّب ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبيّ ، كُتِبَ بها لـ «شهاب الدين الحكيم» فى المحرم سنة تسع وسبعائة ، وهى :

أما بعد حمد الله حاسم أدواء القلوب بلطائف حكّمته ، وقاسم أنواع العلوم بين مَنْ كُلّ استعدّادهم لقبول ما اقتضته حكمة قسمته ؛ وجاعل لباس العافية من نعمه التى هى بعد الإيمان أفضل ما أفاض على العبد من برّه وأسبغ عليه من نعمته ، والمنزّل من القراءان ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قُلْ بفضل الله وبرحمته ؛ ومقرّب مانأى من الفضائل على مَنْ أسرى إليها على مطايا عزّمه وسرى لتحصيلها على جياذ همّته ، ومُنهم آرائنا بتفويض أمانة الأرواح إلى من أنفق فى خدمة الطبيعة أيام عمره فكان بلوغ الغاية فى علمها نتيجة خدمته ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى شرح الله بالهدى صدور أمته ، وخصّه منهم بأعلام كلّ علم وأئمته ، وجلاً

يَقِينِ مِلَّتَهُ عَنْ كُلِّ قَلْبٍ مَارَانَ عَلَيْهِ مِنَ الشَّكِّ وَغُمَّتِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ حَمَاهُمْ
 مِنَ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ مَا بَخَّرَ الْهَدَى لَهُمْ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ وَأَفَاضَ التَّقَى عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْوَارِ
 عِصْمَتِهِ - فَإِنَّ أَوْلَى الْأُمُورِ أَنْ يُعْتَمَدَ فِيهَا عَلَى طَيِّبِهَا الْخَيْرِ ، وَيُصَانَ جَوْهَرُهَا عَنْ
 عَرَضِ الْعَرَضِ عَلَى غَيْرِ نَاقِدِهَا الْبَصِيرِ ؛ وَتُحْمَى مَوَارِدُهَا عَنِ لَمْ يَعْرِفْ كَيْفَ يَحْتَنِبُ
 مَوَاقِعَ التَّكْدِيرِ ، وَتُرْفَعَ كَوَاكِبُهَا عَنِ لَمْ تُدْرِكْ أَفْكَارُهُ دَقَائِقَ الْحَوَادِثِ وَحَقَائِقَ
 التَّأْيِيرِ - أَمْرٍ صِنَاعَةِ الطَّبِّ الَّتِي مَوْضُوعُهَا الْأَبْدَانُ الْقَائِمَةُ بِالْعِبَادَةِ ، وَالْأَجْسَامُ الْقَائِمَةُ
 بِمَا يَتَعَاقَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالزِّيَادَةِ ؛ وَالنَّفُوسُ الَّتِي مَا عَنْهَا إِنْ حَصَلَ فِيهَا
 التَّفْرِيطُ بَدَلٌ وَلَا عِوَضٌ ، وَالْأَرْوَاحُ الَّتِي إِنْ عَرَضَ الْفَنَاءُ لِجَوْهَرِهَا فَلَا بَقَاءَ بَعْدَهُ
 لِلْعَرَضِ ؛ وَالطَّبِيعَةُ الَّتِي إِنْ خُدِمَتْ عَلَى مَا يُحِبُّ نَهَضَتْ عَلَى مَا يُحِبُّ بِالصَّحَّةِ حَقَّ
 النُّهُوضِ ، وَالْأَمْرُجَةُ الَّتِي إِنْ نَفَرَتْ لَعَدَمِ التَّأْتِي فِي سِيَاسَتِهَا أُعْجِزَتْ مَنْ يَرُوضُ .

وَلِذَلِكَ تَفْتَقِرُ عَلَى كَثْرَةِ أَرْبَابِهَا ، وَتَحْتَاجُ مَعَ غَزَاةِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِأَسْبَابِهَا ، وَتُضْطَرُّ
 وَإِنْ أُنْذِفَتْ الضَّرُورَاتُ بِكَثْرَةِ مُتَقِنِيهَا ، وَتُشَوِّفُ وَإِنْ وَجَدَ الْجَمُّ الْغَفِيرُ مِنَ
 الْمُتَلَبِّسِينَ بِأَدَوَاتِهَا وَالمُتَبَحِّرِينَ فِيهَا - إِلَى رُئِيسٍ يُنْعِمُ فِي اعْتِبَارِ أَكْفَائِهَا النَّظَرَ ، وَيُدْفَعُ
 عَنْ رُتْبَتِهَا بِطَرِيقِ غَيْرِ أَهْلِهَا الْغَيْرِ ، وَيَعْرِفُ مِنْ أَحْوَالِ مُبَاشِرِيهَا مَا لَا يَكُنِي
 فِي خُبَرِهَا الْخَبَرُ ؛ فَلَا يَقْبَلُ إِلَّا مَنْ عِلْمُ مِقْدَارِ عِلْمِهِ ، وَوَثِقُ مَعَ الْحِفْظِ بِصَحَّةِ فَهْمِهِ ؛
 وَرَضِيَ عَنْ خُبَرِهِ فِي الطَّبِّ وَاجْتِهَادِهِ ، وَاعْتَبَرَ مِنْهُ كُلَّ نَوْعٍ تَحْتَ أَجْناسِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ
 عَلَى حَدِّهِ وَأَنْفَرَادِهِ ؛ وَجَارَاهُ فِي كُلِّيَّاتِ الْفَنِّ فَرَّاهُ فِي كُلِّ حَلْبَةٍ رَاكِضًا ، وَطَارَحَهُ
 فِي فُصُولِ الْعِلْمِ فَوَجَدَهُ بِجَمَلِ أَعْبَاءٍ مَا تَفَرَّعَ مِنْهَا نَاهِضًا ؛ وَاخْتَبَرَ دُرُوبَهُ فَوَجَدَهَا مُوَافِقَةً
 لِنَحْصِيلِهِ ، مُطَابِقَةً لِمَا حَوَاهُ مِنْ إِجْمَالِ كُلِّ فَنٍّ وَتَفْصِيلِهِ ؛ وَتَلَبَّعَ مَوَاقِعَ دِينِهِ فَوَجَدَهَا
 مَتِينَةً ، وَمَوَاضِعَ أَمَانَتِهِ فَالْفَاهَا مَكِينَةً ، وَأَسْبَابَ شَفَقَتِهِ وَنُصْحِهِ فَعَرَفَ أَنَّهَا عَلَى
 مَا جَمَعَ مِنَ الْأَدَوَاتِ الْكَامِلَةِ مُعِينَةً ؛ وَيَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا «الرَّئِيسُ» فِي أَوَانِهِ ،

و«الرازى» فى زمانه ، و«الفارابى» فى كونه أصلاً تَنَفَّرَ فنون الحِكم من أفنائه ؛
عِلاجُه شفاءً حَاضِرًا ، وكلامُه نِجاةٌ من كل خَطرٍ مُحَاصِرٍ ؛ وتُدِيرُهُ للصِّحَّةِ تَقْوِيمٌ ،
وتَصَفِّحُهُ تَتَقِيفٌ لِعِلماء الصِّناعة وتَسْلِيمٌ ، ودُرُوسُهُ ذِخَائِرٌ يُنْفِقُ من جِواهر حِكْمِها
كلُّ حَكِيمٍ .

ولما كان المجلس العالى الصِّدرى ، الشَّهابى : هو المراد بالتعيين لهذه الوظيفة ،
والمقصود بما أُشير إليه فى استحقاق هذه الرتبة من عبارة صريحة أو كناية لطيفة ؛
وأَنَّهُ جمع من أدوات هذا الفن ما أَفْتَرَق ، وأَحْتَوَى على أَصُولِهِ وقُرُوعِهِ فاجْتَمَعَتْ
على أولَوِيَّتِهِ الطوائِفُ وأَتَّفَقَتْ على تَفْضِيلِهِ الفِرَقَ ؛ فلو عاصَرَهُ «أَبُقراط» لَقَضَى له
فى شَرْحِ فُصولِهِ بالتَّقديمِ ، ولو أدْرَكَ «جالينوس» لَأَقْتَدَى فى العِلاجِ بما عَلَّمَهُ ؛ مع
مِباشِرَةِ أَلْفَتِ بَيْنَ الصِّحَّةِ والنَّفُوسِ ، ومِلاطِفَةِ أَشْرَقَتِ مَواقِعُ البَرِّ بِها فى الأَجْسادِ
إِشْراقِ الشُّمُوسِ ؛ وأَطْلَاعِ يَعْرِفُ بِهِ مَبْلَغَ ما عِنْدَ كُلِّ مَتَصَدِّ لِهَذِهِ الصِّناعةِ من
العِلمِ ، وَتَجَرُّبِ فى الفِنونِ لا يُسَلِّمُ بِهِ لِأَحَدٍ دَعْوَى الأَهْلِيَّةِ إلا بَعْدَ حَرْبٍ جِدالٍ هو
فى الحَقِيقَةِ عَيْنُ السَّلَمِ - فُرُسِمَ بالأَمْرِ العالى أَنَّهُ يَسْتَقَرُّ فُلانٌ فى رِياسَةِ الأَطْباءِ
الطَبائِعِيَّةِ بالِدِيَّارِ المِصرِيَّةِ والشَّامِ المِحرُوسِ ، على عادَتِهِ وعادَةٍ مَن تَقَدَّمَ فى ذَلِكَ ،
ويكونُ مُسْتَقِلًّا فيها بِمُفْرَدِهِ .

فَلْيَنْظُرْ فى أَمْرِ هَذِهِ الطائِفَةِ نَظْرًا تَبَرًّا بِهِ الذَّمَّةُ ، وَيَحْصُلْ بِهِ على رِضا الله تَعالى
ورِضا رِسالِهِ صلى الله عليه وسلم فى الشَّفَقَةِ على الأُمَّةِ ؛ وَيُعْطِى بِهِ الصِّناعةَ حَقَّها ،
وَيُطْلِقَ مِنْ يَدِ مَنْ تَطاولَ إِلَيْها بِغَيْرِ أَهْلِيَّةٍ رِقَّها ؛ وَيُصُونِ النَفُوسَ من إِقْدامِ مَنْ
تَقَدَّمَ بِغَيْرِ خِبْرَةٍ كامِلَةٍ عَلَيْها ، وَيُدْبُ عن الأَرواحِ تَطَرَّقَ مِنْ يَتَطَرَّقُ بِغَيْرِ مَعْرِفَةٍ
وَافِرَةٍ إِلَيْها ؛ فَإِنَّ فارَطَ التَفْرِيطِ فى النَفُوسِ قَلَّ أَنْ يُسْتَدْرَكَ ، وَمَنْ لَمْ تَجْتَمِعْ فِيهِ

أدوات المعرفة التامة والدين فما ينبغي له أن يدخل في المعالجة قبل الكمال وإن دخل فلا يُترك ؛ فإن من لازم صلاح الأرواح صلاح الأجساد ، وإن الداء الذي لا دواء له أن تكون العلة في وادٍ والمعالجة في وادٍ ؛ فلا يقبل في التريكة إلا من يثق بدينه كوثوقه بعلمه ، ولا يُصرف أحداً في هذه الصناعة إلا الذين زكت أعمالهم قبل التريكة ؛ وليشفعها بالامتحانات التي تُسفر وجوه الوثوق بالأهلية عن ألم دقائقها المنكية ، فإن العيان شاهد لنفسه ، ومن لم تنفعه شهادة فعله في يومه لم ينفعه غيره في أمسه ؛ ولا يُخص فيها حُكماً قبل استكمال نصاب الشهادة ، وقبل التثبت بعد كمالها : فإن المعالجة محاربة للداء والموت بجهالة المحارب له شهادة ؛ وليأمر من ألجئ إلى معالجة مرض لا يعرفه بمتابعة من هو أوفق منه بالتقديم ، ومراجعة من هو أعلم منه به : فإن الحوادث قد تختلف «فوق كل ذي علم عليم» . وملاك الأمور تقوى الله فليجعلها حجة فيما بين الله وبينه ، والافتقار إلى توفيقه فليصرف إلى ذلك قلبه وعينه ؛ والخير يكون إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية متطبب طبائعي ، أوردتها في "التعريف" قال :

وليتعرف أولاً حقيقة المرض بأسبابه وعلاماته ، ويستقص أعراض المريض قبل مداواته ، ثم ينظر إلى السن والفصل والبلد ؛ ثم إذا عرف حقيقة المرض ، وقدر ما يحتمله المزاج من الدواء لما عرض ؛ يشرع في تخفيف الحاصل ، وقطع الواصل ، مع حفظ القوى . ولا يهاجم الداء ، ولا يستغرب الدواء ؛ ولا يقدم على الأبدان إلا بما يلائمها ، ولا يبعد الشبه ، ولا يخرج عن جادة الأطباء ولو ظن

(١) لعله تسفر عن وجوه الوثوق بالأهلية لتمام دقائقها الخ . تأمل .

الإصابة حتى يقوى لديه الظن ويتبصر فيه برأى أمثاله . وليتجنب الدواء ، ما أمكنه المعالجة بالغذاء ، والمركب ، ما أمكنه المعالجة بالمفرد ، وإياه والقياس إلا ما صح بتجريب غيره في مثل مزاج من أخذ في علاجه ، وما عرض له ، وسنه ، وفصله ، وبلده ، ودرجة الدواء . وليحذر من التجربة ، فقد قال أبقراط وهو رأس القوم : إنها خطر . ثم إذا اضطر إلى وصف دواء صالح للعلّة نظر إلى ما فيه من المنفعة وإن قلت ، وتحيل لإصلاحه بوصف يصلح معه ، مع الاحتراز في وصف المقادير والكميات والكيفيات ، في الاستعمال والأوقات ، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر عنه . ولا يأمر باستعمال دواء ، ولا ما يستغرب من غذاء ، حتى يحقق حقيقته ، ويعرف جديده من عتيقه : ليعرف مقدار قوته في الفعل . ولعلم أن الإنسان هو بنية الله وملعون من هدمها ، وأن الطبيعة مكافية وبؤسى لمن ظلمها ، وقد سلم الأرواح وهى وديعة الله فى هذه الأجسام ، [فليحفظها ولتق الله فى ذلك جميع الأقسام] وإياه ثم إياه أن يصف دواء ثم [يكون هو الذى] يأتي به ، أو يكون هو الذى يدل عليه ، أو المتولى لمناولته للمريض ليستعمله بين يديه ، وفى هذا كله لله المنّة ولنا إذ هديناه له وأرشدناه إليه .



(٢)
وهذه نسخة توقيع برياسة الكهانين .

(١) الزيادة عن "التعريف" ص ١٣٩ .

(٢) بياض بالأصل .

الضرب السادس (من أرباب الوظائف بالديار المصرية)

زعماء أهل الذمة

ويكتب لجميعهم تواقع في قطع الثلث بألقابهم السابقة مفتحة بـ «أما بعد حمد الله» .

ويشتمل هذا الضرب على ثلاث وظائف :

الوظيفة الأولى (رأسه اليهود)

وموضوعها التحدث على جماعة اليهود والحكم عليهم، والقضاء بينهم على مقتضى دينهم وغير ذلك .

وقد تقدم في الكلام على التحل والمثل أن الموجودين من اليهود ثلاث طوائف : وهم الربانيون، والقراءون، والسامرة . وقد جرت العادة أن يكون الرئيس من طائفة الربانيين دون غيرهم، وهو يحكم على الطوائف الثلاث .

وهذه نسخة توقيع برأسه اليهود ، من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ،

وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل أطاف هذه الدولة القاهرة تصطنى لديمومتها من اليهود رئيساً فرئيساً، وتختار لقومها كما اختار من قومه موسى، وتبهج لهم نفوساً كلما قدمت عليهم نفيساً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأُمي، والرسول الذي أجمل الوصية بالملئ والدُمي، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما هطل وبلى،

وما نزل وسمى - فإنَّ معدلة هذه الدولة تكتنف المال والنحل بالاحتياط ، وتعمهم من إنصافها وإسعادها بأوفر الأنصاء وأوفى الأقساط ، وتلمهم من حادث الزمن إذا أشط ومن صرّفه إذا شاط ، وتضمهم كما صمت النبوة إلى جناح النبوة الأسباط ، لا تزال ترقب الإلّ والذمه ، فى المسلمين وأهل الذمه ، وتقضى لهم بحسن الخيرة ورعاية الحرمه ، وتبيحهم من أمر دينهم ما عليه عوهدوا ، وتمنحهم من ذلك ما عليه عوقدوا ، وتحفظ نواميسهم بأخبار تخدم موادهم إذا شوفوها وتمنح من أمرهم إذا شوهوها : من كل إسرائلى أجمل للتوراة الدراسه ، وأحسن لأسفار أنبيائه آفتباسه وأجمل آتماسه ، ومن تبهته نباهته للتقدمه فاطم آجتاده يوماً حتى صار وجهه الوجاهه فى قومه ورأس الرأسه ، فأصبح معدوم النظير ، معدوداً منهم بكثير ، وموصوفاً بأنه فى شرح أسفار عبرانية حسن التفسير ، وأستحق من بين شيعته أن يكون رأس الكهنه ، وأن تصبىح القلوب فى مجامعهم بحسن منطقه مرتبه ، وبأن للجهالة بتثقيفه لشيعة تحجب عقائدهم عن أن تغدو ممتهنه .

ولما كان فلان هو لحاسن هذا القريض بهجه ، ولجسد هذا التفويض مهجه ، ولما داح هذا الثناء العريض لهجه ، ولعين هذا التعيين غمضها ، ولید هذه الأيادى بسطها وقبضها ، ولأبكار أفكار هذه الأوصاف متقاضيا ومقتضيا ، ومن أدنيت قطاف النعماء أید تقدمته «على غيظ من غص منها» وأجتى غضها - أقتضى حسن رأى الشريف أن يميز على أبناء جنسه حق التميز ، وأن يحارله من التنويه والتنويل أجل ما جيز .

ورسم بالأمر الشريف - لازل يختار فيجمل الاختيار ، ويقدو كالغيث الذى يعم بنفعه الربا والوهاد والأثمار والأشجار - أن تفوض إليه رأسه اليهود على

أختلافهم : من الربانيين ، والقرائين ، والسامرة بالديار المصرية حماها الله وكلاهما .
فليجعل أسبابهم بالتقوى تقوى ، وغرسهم بالتدبير لا تدوى ، ومقاصدهم لا يمازجها
شك ولا شكوى ، ولينزل عليهم منّا منّا يسليهم صنعا حتى لا يفارقوا المن والسلوى ،
وليتق الله فيما يذرّه ويأتيه ، ويحسن في اجتلاب القلوب واختلاطها تأتيه ، وإياه
والتيه حتى لا يقال : كأنه بعد لم يخرج من التيه .

وجماعة الربانيين فهم الشعب الأكبر ، والحزب الأكثر ، فعاملهم بالرفق
الأجدي والسرّ الأجدد ، ولكونك منهم لا تملّ معهم على غيرهم فيما به من النفس
الأمارة تؤمر .

وجماعة القرائين فهم المعروفون في هذه الملة ، بملازمة الأدلة ، والاحتراز في أمر
الأهله ، فانصب لأمرهم من لم يتولّه حين يتولّه ، ومن كان منهم له معتقد فلا يخرج
عن ذلك ولا يخرج ، ولا يلجم منهم بإجام من نار إنكار من في ليلة سبته [بيته]
عليه لا يسرج .

والسامرة فهم الشعب الذين آذن التنظيف أهله بجرويه ، ولم يك أحدهم
لمطعم لكم ولا مشرب بأكوله ولا شرويه ، فمن قدرت على رده بدليل من
مذهبيك في شروق كل بحث وغروبه ، فاردده من منج تحيده عن ذلك وهروبه ،
وإلا فقل له : ياسامري بصرت بما لم تبصروا به . ولكن تستكمل فيهم بالبت ،
وأرفق بهم فإن "المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى" فإياك أن تكون ذلك
المنبت ، ومهم بملازمة قوانينهم كيلا يعدوا أحد منهم في السبت ، وأجعل أمور
عقودهم مستتبه ، وأحسن التحري والتحرير لهم في إتقان كل كتبه ، ولا تخترا إلا
الأعيان ، من كل خزان وديان ، ومن كان له من داود عليه السلام حمة نسب ،

وله به حُرْمَةُ نِسَبٍ ، فَأَرَعَ لَهُ حَقَّهُ ، وَأَحْبَبَهُ مِنَ الرَّفْقِ أ كَرَمَ رُفْقِهِ . والجزيةُ فهي
لدمائكم وأولادكم عِصْمَةٌ ، وعلى دِفَاعِهَا لا دافِعَها وَصْمَةٌ ، ولأجلها وَرَدَ : « مَنْ آذَى
ذِمِّيًّا كُنْتُ خَصْمَهُ » ، وهى أَلَمٌ مِنَ السَّيْفِ إِجَارَهُ ، وهى أَجْرَةٌ سَكَنِيٌّ دار الإسلام
كما هى لاسْتِحْقَاقِ المنفعةِ بها إِجَارَهُ ، فأَدُّوها ، وبها نفوسكم فادُّوها ، ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ ، فَعُدُّوا الطَّافَ اللَّهُ بها وَلَا تَعُدُّوها ، ودأبٌ على مَهْ ، زَجْرًا
لِتَارِكِ عَلامَةٍ ، ومن قَصْدٍ منها خَلاصُهُ ، فقل له فى المَلَأِ : مَاذَا خَلاصُهُ ، ومن رَكْنٍ
فى أَمْرِهَا إلى الإِخْلَادِ والإِخْلَالِ ، وسَكَنَ إلى الإِهْمَالِ ، ولم يَرْضَ بِأَنَّ رَايَةَ الدَّلَّةِ
الصفراءَ على رَأْسِهِ تُشَالُ ، فأَوْسَعَهُ إنْكَارًا ، وألْزَمَهُ منها شِعَارًا ، وإن قَامَ بِنَصْرِهِ منهم
مَعَشَرٌ خَشِنَ فَأَرْهَمَ بَعْدَ العَلَامَةِ خُشْكَارًا ، وَخُدَّهِمْ بِتَجَنُّبِ الغِشِّ الذى هو للعهد
مَغِيرٌ وَمَغِيبٌ ، وَأَكْفَفَ مِنْ هُوَ بِمَا يُنَافِيهِ مَعِيرٌ وَمَعِيبٌ ، وأما من هُوَ مُجِيبٌ لذلك
فهو لِقَصْدِهِ مُحِبٌّ ، وَانْقَلَبَ طِبَاعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِنْ أَبَتْ عَنِ التَّنَاقُلِ فَأَنْتَ مَا تَتَلَوُ :
﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ . وقد عَلِمَ أَنَّ الذى تَتَعَاطَوْنَهُ مِنْ نَفْخِ فى البُوقِ
إنما هُوَ كما قُلْتُمْ لِلتَّدْكَارِ ، فَاجْتَهِدُوا أَنْ لَا يَكُونَ لَتَدْكَارِ الْعِجْلِ الحَنِيدِ الذى له
خُورٌ ، هذه وصايا نَاكَ وَلَهُمْ فَقُلْ لَهُمْ : هذه مَوْهَبَةُ الدَّوْلَةِ وإِحْسَانُهَا إِلَيْكُمْ ، وَلُطْفُهَا
بِكُمْ وَعَاطِفَتُهَا عَلَيْكُمْ ، وَبَصَّرْهُمْ بِذَلِكَ كَلِمًا تَلَا إِحْسَانُنا إِلَيْهِمْ : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا
نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ .



وهذه نسخة توقيع برآسة اليهود أيضا :

أما بعد حمد الله على أن جعل ملاحظة هذه الدولة القاهرة لجميع الملل ناظره ،
وإحسانها لا يُغْفَلُ مصلحة لأولى الأديان غائبة ولا حاضرة ، والصلاة على سيدنا
محمد الذى جعل ذمته وعهده وفين لكل نسمة مؤمنة وكافره - فإن الله تعالى لما مدَّ

رُواقٍ عدلٍ هذه الأيام الشريفة على كل مُعاهدٍ من متقربٍ ومُتباعٍ، وسأوى بينهم في النظر الذي صدق الرأي وصدق الرائد - أقتضى جميلها أن يُسهم لكل من أهل الذمة أوفر نصيب ، وأن لا يُقال لأحدٍ منهم من الإجحاف ما يُريب ، وأن لا تكون أمورهم مُضاعة ، ولا تعبداتهم مُراعاة ، ولا شرائعهم غير مصونة ، ولا أحكامهم عارية [عن] حُسن معونه ، وكانت جماعة اليهود وإن كانوا أولى عني ، وصدق النصارى فيهم وصدقوا في النصارى من أنهم ليسوا على شيء ؛ لا بد لهم من مباشر يأخذهم بالأمر الأخوط ، والناموس الأضبط ، والمراسيم التي عليهم تُشرط ، وكان الذي يُختار لذلك ينبغي أن لا يكون إلا من أكبر الكهنة وأعلم الأخبار ، ومن عرف من دينهم ما لأجله يُصطفى وليثله يُختار ، وممن فيه سياسة تحجزه عن المضار ، وتحجبه عن الاستنفار ، وكان فلان الرئيس هو المتميز بهذه الأوصاف على أبناء جنسه ، وله وازع من نفسه ، ورادع من حُسن حديثه ، وخدمة في مهمات الدولة يستحق بها الزيادة في أنسه ، وهو من بين جماعته مشهور بالوجه ، موصوف بالنباهة ، ذو عبرانية حسنة التعبير ، ودراسة لكُتب أهل ملته على ما فيها من التغيير - أقتضى جميل الاختصاص المنيّف ، أن يرسم بالأمر الشريف - لابرّح يرقب الإلّ والذمة ، ويرعى للمعاهدين الحرمة - أن تفوض إليه رئاسة اليهود الرّبانين والقرائين والسامره ، على عادة من تقدّمه .

فليباشر ذلك مستوعباً أمورهم كلّها ، مستودعاً دقّها وجلّها ، مباشراً من أحوالهم ما جرت عادة مثله من الرؤساء أن يباشر مثلاً ؛ غير مفرط في ضبط ناموس من نوااميس الملكة ، ولا مغفل الإنكار على من يتجاوز ذلك إلى موارد الملكة ؛ ومن فعل ما يقضى بنقض عهده ، فعليه وعلى مستحسنيه له من المقاتلة ما يتعظ به كل من يفعل

ذلك من بعده ؛ بحيث لا يخرج أحد منهم فى كنيسته ولا فى يهوديته ولا فى منع جزيته عن واجب معهود ، ومن خالف فوراً ذلك من الادب ما تقشعر منه الجلود ؛ وما جعلهم الله ذمة للمسلمين إلا حقاً لدمائهم ، فلا يُجِّها أحد منهم فتجتمع له شماتة أهل الأديان من أعدائهم بأعدائهم - والوصايا كثيرة وإنما هذه نُخبها الملخصة ، وفيها من حساب الإحسان إليهم ما تغدو به أيام الإمهال لهم ممحصه ؛ والله يوفقه فى كل تصرف مرغوب ، وتأفف من مثله مطلوب ؛ بمنه وكرمه ! .



وهذه وصية لرئيس اليهود أوردها فى "التعريف" وهى :

وعليه بضم جماعته ، ولم شملهم باستطاعته ؛ والحكم فيهم على قواعد ملته ، وعوائد أمته ، فى الحكم إذا وصح له بأدلته ؛ وعقود الأنكحة وخواص ما يعتبر عندهم فيها على الإطلاق ، وما يُفتقر فيها إلى الرضا من الحائنين فى العقد والطلاق ؛ وفيمن أوجب عنده حكم دينه عليه التحريم ، وأوجب عليه الانقياد إلى التحكيم ؛ وما ادعوا فيه التواتر من الأخبار ، والنظائر على العمل به مما لم يوجد فيه نص وأجمعت عليه الأخبار ؛ والتوجه لبقاء بيت المقدس إلى جهة قبلتهم ، ومكان تعبد أهل ملتهم ؛ والعمل فى هذا جميعه [بما شره موسى الكليم ، والوقوف معه ^(١)] إذا ثبت أنه فعل ذلك النبى الكريم ؛ وإقامة حدود التوراة على ما أنزل الله من غير تحريف ، ولا تبديل كلمة بتأويل ولا تصرف ؛ وأتباع ما أعطوا عليه العهد ، وشدوا عليه العقد ؛ وأبقوا فيه ذمائهم ، ووقوا به دمائهم ؛ وما كانت تحكم به الأنبياء والرَّبَّانيون ، ويسلم إليه الإسلاميون منهم ويعبر عنه العبرانيون ؛ كل هذا مع إلزامه لهم بما يلزمهم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٣ وهى لازمة لاستقامة الكلام .

من حُكْم أمثالهم أهل الذمة الذين أُقِرُوا في هذه الديار، ووقاية أنفسهم بالخضوع والصغار، ومدّ رؤوسهم بالإذعان لأهل ملة الإسلام، وعدم مضايقتهم في الطُّرُق وحيثُ يحصل الالتباس بهم في الحَمَام، وحمل شعار الذمة الذي جعل لهم حلية العمام، وعقد على رؤوسهم لحفظهم عقد التَّمائم، وليعلم أن شعارهم الأصفر، موجب لثلاث أراق دُمهم الأحمر، وأنهم تحت علم علامته آمنون، وفي دعة أصائله ساكنون، وليأخذهم بتجديد صبغه في كل حين، وليأمرهم بملازمته ملازمة لا تزال علامتها على رؤوسهم تبين، وعدم التطاهر بما يقتضي المناقضة، أو يفهم منه المعارضة، أو يدع فيه غير السيف وهو إذا كلم شديد العارضة، وله ترتيب طبقات أهل ملته من الأحرار فمن دونهم على قدر استحقاتهم، وعلى ما لا تخرج عنه كلمة اتّفاقهم، وكذلك له الحديث في جميع كنائس اليهود المستمرة إلى الآن، المستقرة بأيديهم من حين عقد عهد الذمة ثم ما تأكد بعده لطول الزمان، من غير تجديد متجدد، ولا إحداث قدر متريّد، ولا فعل شيء مما لم تُعقد عليه الذمة، ويُقرّ عليهم سلفهم الأوّل سلف هذه الأمة، وفي هذا كفاية وتقوى الله وخوف بأسنا رأس هذه الأمور المهمّة.



[وصية رئيس السامرة^(١) :

ولا يعجز عن لمّ شعث طائفته مع قتلهم، وتأمين سربهم الذي لو لم يؤمنوا فيه لأكلهم الذئب لذلتهم، وليصنّ بحسن السلوك دماءهم التي كأنما صبغت عمامهم الحمر منها بما طلّ، وأوقد لهم منها النار الحمراء فلم يتقوها إلا بالذل، وليعلم أنهم شعبة من اليهود لا يخالفونهم في أصل المعتقد، ولا في شيء يخرج عن قواعد دينهم لمن

(١) لم يعنون في الأصل وزدناه من "التعريف" ص ١٤٤.

أَتَقَدُّ، ولولا هذا لما عُدُّوا في أهل الكتاب، ولا قُنِعَ منهم إلا بالإسلام أو ضَرْبِ
 الرِّقَابِ؛ فَلْيَنْ عَلَى هذا الأساس، [وَلْيُنِي قَوْمَهُ أَنَّهُمْ مِنْهُمْ وَأَمَّا النَّاسُ أَجْناسٌ] ^(١)
 وَلْيَلْتَرَمَ من فُرُوعِ دِينِهِ مالا يَخَالِفُ فيه إلا بَأْنِ يَقُولُ لا مِساسَ؛ وإذا كان كما يقول:
 إنه كَهْرُونَ عليه السلام فَلْيَلْتَرَمَ الجَدِّدَ، وَلْيَقُمْ من شَرَطِ الذِّمَّةِ بما يُقِيمُ به طُولَ المَدَدِ؛
 وَلْيَتَمَسَّكْ بالمُوسَوِيَّةِ من غير تَبْدِيلٍ، ولا تَحْرِيفٍ في كَلِمٍ ولا تَأْوِيلٍ؛ وَلْيُحْصِ عَمَلَهُ
 فَإِنَّهُ عَلَيْهِ مَسْطُورٌ، وَلْيَقِفْ عند حَدِّهِ ولا يَتَعَدَّ طَوْرَهُ في الطُّورِ؛ وَلْيَحْكَمْ في طَائِفَتِهِ
 وَفِي أَنْكِحَتِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَكَأَلِّهِمْ القَدِيمَةَ المَعْقُودَ عَلَيْهَا بما هو في عَقْدِ دِينِهِ،
 وَسَبَبٌ لَتَوْطِيدِ قَوَاعِدِهِ فِي هَذِهِ الرِّتَبَةِ الَّتِي بَلَغَهَا وَتَوَطَّيْنَهُ .

الوظيفةُ الثانيةُ

(بَطْرِكِيَّةُ النَّصَارَى المَلَكِيَّةِ، وَهُمْ أَقْدَمُ من اليَعاقِبَةِ)

وقد تقدَّم في الكلام على النُّحُلِ والمِلَلِ أَنَّهُمْ أَتْبَاعُ مَلِكٍ الذي ظَهَرَ قَدِيمًا بِلادِ
 الرُّومِ، وَأَنَّ الرُّومَ والفَرَنْجِ كُلَّهُم أَتْبَاعُهُ، وبالديارِ المِصْرِيَّةِ مِنْهُمْ التَّزْرُ الِيسِيرُ، وَلَهُمْ
 بَطْرِكٌ يَخْصُهُمْ .

وهذه نسخة توقيع لبطرك المَلَكِيَّةِ :

أَمَّا بَعْدُ حمد الله مُنَوِّعِ الإِحْسَانِ، لأَوَّلِي الأَدْيَانِ، ومَوْصِلِهِ ومُفَرِّعِهِ لِكُلِّ طَائِفَةٍ
 وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ، والصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الذي أَبَادَ اللهُ بِهِ مَنْ أَبَادَ وَأَبَانَ من عَهْدِهِ
 وَذِمَّتِهِ من أَبَانَ - فَإِنَّ الطَّائِفَةَ المَلَكِيَّةَ من النَّصَارَى لَمَّا كَانَتْ لَهُمُ السَّابِقَةُ فِي دِينِهِمْ،
 وَلَهُمْ أَصْلُ الرَّاسَةِ والنَّفَاسَةِ فِي تَعْيِينِهِمْ؛ وما بَرِحَتْ لَهُمُ فِي الكِلَالَةِ وَالْحِفْظِ قَدَمٌ

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٤ .

السابقة، ورُتبه بملوكهم الرومانية سامقه، وما زالت لهم خدَمُ الدول إلى أغراضها
متساوية ومتساوية، ولهم جوار مشكور، وتبذل مشهور، وعليهم وصايا من الملوك
في كل ورود وصدور، ولهم من نفوسهم مزايا تستوجب احترامهم، وتستدعى
إكرامهم، وكان لا بد لهم من بطريك يلاحظ أحوالهم أتم الملاحظة، ويستدعى
لهم من الدولة أعظم محافظه، ويحفظ نوايس قبيلهم، ويحسن دراسة أناجيلهم،
ويعرفهم قواعد معتقداتهم، ويأخذهم بالدعاء لهذه الدولة القاهرة في جميع صلواتهم،
ويجمعهم على سداد، ويفرقهم على مراد. وكان البطريرك فلان هو المتفق بين
طائفتيه على تعيينه، والمجمع على إظهار استحقاقه وتعيينه، والذي له مزايا لو كان
فيه واحدة منها لكفته في التأهيل، ولرفعته إلى منصبه الجليل. فلذلك رسم... -
لأبرح يعطى كل أحد قسطه، ويدخل كل أبوابه ساجداً وقائلاً حطه - أن يباشر
بطريركية النصارى الملكية على عادة من تقدمه من البطارقة السالفة بهذه الدولة.

فليحط أمورها الجزئية والكلية، والظاهرة والخفية، وليأخذهم بما يلزمهم من
قوانين شرعهم، وكل ما يريدون من حسن شعيتهم، وأما الديرة والبيع والكائس
التي للملكية فمرجعها إلى صونه، وأمرها مردود إلى جميل إعانتة وعونه، والأساقفة
والرهبان فهم سواد عين معتقده، وخلاصة معتقده، فلا يخلهم من تبجيل، وحسن
تأهيل، وتتقدم إلى من بالثغور من جماعتك بأن لا يدخل أحد منهم في أمر موبق،
ولا في مشكل موبق، ولا يميلون كل الميل إلى غريب من جنسهم، وليكن الحذر
لغدهم من يومهم وليومهم من أمسهم، ولا يشاكلون رسولاً يرد، ولا قاصداً يفد،
وطريق السلامة أولى ماسلك، ومن ترك الدخول فيما لا يعنيه ترك، هذه جملة من
الوصية لامعة أفلح وأهتدى من بها استنار، ورشد من لها استشار، والله يوفقك
في كل مقصد تروم، ويجعلك بهذه الوصايا تقول وتقوم.



وهذه وصية لبَطْرِكَ الْمَلَكِيَّة أوردتها في "التعريف" وهى :

وهو كبير أهل ملته، والحاكم عليهم ما أمتد في مدته؛ وإليه مرجعهم في التحريم والتحليل، وفي الحكم بينهم بما أنزل في التوراة ولم ينسخ في الإنجيل؛ وشريعته مبنية على المسامحة والإحتمال، والصبر على الأذى وعدم الإكثار به والاحتفال؛ فخذ نفسك في الأول بهذه الآداب، وأعلم بأنك في المدخل إلى شريعتك طريق إلى الباب؛ فتحقق من الأخلاق بكل جميل، ولا تستكثر من متاع الدنيا فإنه قليل؛ وليقدم المصالحة بين المتحاكمين إليه قبل الفصل البت فإن الصلح كما يقال سيد الأحكام، وهو قاعدة دينه المسيحى ولم تخالف فيه المحمدية الغراء دين الإسلام، ولينظف صدور إخوانه من الغل ولا يقنع بما ينظفه ماء المعمودية من الأجسام؛ وإليه أمر الكنائس والبيع، وهو رأس جماعته والكل له تبع؛ فإياه أن يتخذها له تجارة مربحة، أو يقطع بها مال نصراني يقربه فإنه ما يكون قد قربه إلى المذبح وإنما ذبحه؛ وكذلك الديارات وكل عمر^(١)، والقلالى فيتعين عليه أن يتفقد فيها كل أمر؛ وليجتهد في إجراء أمورها على ما فيه رفع الشبهات، وليعلم أنهم إنما اعتزلوا فيها للتعبد فلا يدعها تتخذ متزهات؛ فهم إنما أحدثوا هذه الرهبانية للتقلل في هذه الدنيا والتعفف عن الفروج، وحبسوا فيها أنفسهم حتى إن أكثرهم إذا دخل فيها ما يعود يبق له خروج؛ فليحذرهم من عملها مضيدة للآل، أو خلوة له ولكن بالنساء حراما ويكون إنما تنزه عن الحلال؛ وإياه ثم إياه أن يؤوى إليها من الغرباء القادمين عليه من قريب، أو يكتم عن الإنهاء إلينا مشكل أمر ورد عليه من

(١) هو بالضم المسجد والبيعة "قاموس".

(١) بعيد أو قريب ، [ثم الحذر الحذر من إخفاء كتاب يرد عليه من أحد من الملوك،]
ثم الحذر الحذر من الكتابة إليهم أو المشي على مثل هذا السلوك، وليتجنب البحر
وإياه من اقتحامه فإنه يغرق ، أو تلقى ما يلقيه إليه جناح غراب منه فإنه بالبين
ينعق ، والتقوى مأمور بها أهل كل مله ، وكل موافق ومخالف في القبلة ، فليكن
عمله بها وفي الكفاية ما يغني عن التصريح ، وفيها رضا الله تعالى وبها أمر المسيح .

الوظيفة الثالثة

(بطريكة اليعاقبة)

وقد تقدم في الكلام على النحل والملل الخلف في نسبتهم : فقليل إنهم أتباع
ديسقرس ، وانه كان اسمه في الغلمانية يعقوب ، وقيل أتباع يعقوب البرذعاني ،
وقيل غير ذلك ، والأصح عند المؤرخين الأول . وبطركهم يحكم على طائفة اليعاقبة ،
وجميع نصارى الحبشة أتباعه ، وفي طاعته ملك الحبشة الأكبر ، وعنه تصدر
ولايته .

وهذه نسخة توقيع لبطرك النصارى اليعاقبة :

أما بعد حمد الله الذي أظهر دين الإسلام على الدين كله ، وأصدر أمور الشرائع
عن عقد شرعه وحله ، وصير حكم كل مله راجعاً إلى حكم عدله ، والشهادة له
بالوحدانية التي تدل على أنه الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد وليس شيء كمثله ،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد أعظم أنبيائه وأكرم رسله ، وأشرف ولد آدم
ونسله ، المصطفى في علم الله من قبله ، ووسياته في التوراة من غرور الشيطان وخذله ،
والذي أطفأ الله بركته نار مروث عن إبراهيم وجعلها برداً وسلاماً وأجله من أجله ،

وَبَشَّرْهُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَبْنُ أُمِّهِ وَأَقْرَبُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ كَلِيمُ اللَّهِ بِفَضْلِهِ ؛ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ مِنْ فُرُوعِ أَصْلِهِ ، وَأَصْحَابِهِ سَامِعِي قَوْلِهِ ، وَتَابِعِي سُبُلَهُ - فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا آرَتْضَى الْإِسْلَامَ دِينًا ، وَأَفْضَى بِالْمُلْكِ إِلَيْنَا وَقَضَى لَنَا فِي الْبَسِيطَةِ بَسْطَةً وَتَمَكَّنَا ، وَأَمْضَى أَوْامِرَنَا الْمُطَاعَةَ بِشُمُولِ الْيَمْنِ شِمَالًا وَيَمِينًا - لَمْ نَزَلْ نُؤَلِّ رِعَايَانَا الْإِحْسَانَ رِعَايَةً وَتَوْطِينَا ، وَنُدِيمَ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ مَنَّا ذِمَّةً وَتَأْمِينًا ؛ وَكَانَتْ طَائِفَةٌ النَّصَارَى الْيَعَاقِبَةُ بِالْدِيَارِ الْمَصْرِيَّةِ لَهُمْ مِنْ حِينِ الْفَتْحِ عَهْدٌ وَذِمَامٌ ، وَوَصِيَّةٌ سَابِقَةٌ مِنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ وَلَا بُدَّ مِنْ بَطْرِيكِ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الْأَحْكَامِ ، وَيَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ تَقْضٍ وَإِبْرَامِ .

وَلَمَّا كَانَتْ الْحَضْرَةُ السَّامِيَّةُ الشَّيْخُ الرَّئِيسُ ، الْمُبْجَلُ ، الْمَكْرَمُ ، الْكَافِي ، الْمَعَزَّزُ ، الْمَفْخَرُ ، الْقِدِّيسُ ، شَمْسُ الرَّأْسَةِ ، عِمَادُ بَنِي الْمَعْمُودِيَّةِ ، كَثُرَ الطَّائِفَةُ الصَّالِيَّةُ ، اخْتِيَارَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينَ ، فَلَانَ : وَفَّقَهُ اللَّهُ ، هُوَ الَّذِي تَجَرَّدَ وَتَرَهَّبَ ، وَأَجْهَدَ رُوحَهُ وَأَتَعَبَ ، وَصَامَ عَنِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ ؛ وَسَاحَ فَأَبْعَدَ ، وَمَنَعَ جَفْنَهُ لَذِيذَ الْمَرْقَدِ ، وَنَهَضَ فِي خِدْمَةِ طَائِفَتِهِ وَجَدَّ ، وَخَفَضَ لَهُمُ الْجَنَاحَ وَبَسَطَ الْخَدَّ ، وَكَفَّ عَنْهُمْ الْيَدَ ، وَأَسْتَحَقَّ فِيهِمُ التَّبَجُّيلَ لِمَا تَمَيَّزَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الْإِنْجِيلِ وَتَفَرَّدَ - أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُلْقِيَ إِلَيْهِ أَمْرَ هَذِهِ الْفِرْقَةِ وَنُقُوضَ ، وَنُبَدِّلَهُمْ عَنْ بَطْرِيكِهِمُ الْمُتَوَفَّى وَنُعَوِّضَ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِابْرِحَتْ مَرَامُهُ مُطَاعَهُ ، وَمَرَامُهُ لِإِنْزَالِ أَهْلِ كَرَمِهَا بَيْعَتَهَا مَرْعِيَّةً غَيْرُ مَرَاعَةٍ (١) - أَنْ يَقْدَّمَ الشَّيْخُ شَمْسُ الرَّأْسَةِ الْمَذْكُورَ عَلَى الْمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ الْيَعْقُوبِيَّةِ ، وَيَكُونَ بَطْرِيكًا عَلَيْهَا ، عَلَى عَادَةٍ مِّنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ بِالْدِيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَالثُّغُورِ الْمُحْرُوسَةِ ، وَالْجِهَاتِ الَّتِي عَادَتُهُ بِهَا إِلَى آخِرِ وَقْتِ .

(١) أى غير مفزعة ولم يذكر القاموس ولا اللسان أراعه وانما الفعل راعه ورَّوعه أى أفرعه .

فليسلك سبيل السّوا ، ولا يملك نفسه الهوى ، وليتمسك بخوف الله تعالى
 إن فعل أو نوى ، أو أخبر عن الخواريين أو روى ، فالعليم مراقب ، والعظيم
 معاقب ، والحكيم أمر أولي العقول بالفكرة في العواقب ، والحاكم غداً بحقوق الخلق
 غداً يطالب ، والظلم في كل ملة حرام والعدل واجب ، فليستوف الإنصاف بين القويّ
 والضعيف والحاضر والغائب ، وليقصّد مصلحتهم وليعتمد نصيحتهم ، وليمض على
 ما يدينون به يوسعهم وفسوخهم ومواريتهم وأنكحتهم ، وليقمع غاويهم ، وليسمع
 دعاويهم ، وليزيمهم من دينهم بما وجدوه ، فظنّوه واعتقدوه ، وليتبع سبيل المعدلة
 فلا يعدو [ها] عائدةً إليه أمور القسيسين والرهبان ، في جميع الدّيرة والكائس بسائر
 البلدان ، ولا يعترض عليه فيما هو راجع إليه من هذا الشأن . ولا يقدم منهم
 إلى رتبة إلا من استصلحه ، ولا يرجح إلى منزلة إلا من رشّحه إليها ورّجّحه ، متبعاً
 في ذلك ما بينه له العدل وأوصّحه ، مرتجع الرتبة ممن لم تكن الصدور لتقدمته
 منشّرحه ، مجمعا لغيره في الإيراد والإصدار على اعتماد المصلحة ، وقد أوصحناله ولهم
 سبيل النجاة فليقتفوه ، وعرفناهم بالصواب والخيرة لهم إن عرفوه ، وليسأل الله ربه
 السلامة فيما له يفعل وبه يفوه ، والعلامة الشريفة أعلاه .



وهذه نسخة توقيع لبطرك النصارى اليعاقبة ، كتب به للشيخ المؤمن ، في شهر
 سنة أربع وستين وسبعائة ، وهى :

أما بعد حمد الله على نعمه التى نشت لواء دولتنا فى الآفاق ، فأوى كل أحد
 إلى ظلّه ، وبسطت معدّتنا فى البلاد على الإطلاق ، فنحت الخاص والعام من ربنا
 بوابله وظلّه ، وأصطنعت بدمامها ملوك الملل وحكام الطوائف فنطقوا عن أمرنا

فى عَقْد كُلِّ امرٍ وَحَلَّهٖ ، والشهادةِ بوحْدَانِيَّتِهِ التى تُنْحِجُ أَمَلَ المَخْلِصِ فى قوله وَفِعْلُهُ ،
وتَفْتَحُ لمن تَمَسَّكَ بِعُرْوَتِهَا أَبْوَابَ النِّجَاةِ فَيُصْبِحُ فى أَمَانٍ فى شَأْنِهِ كُلِّهٖ ، والصلاةُ
والسلامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ أَشْرَفُ الْأَنْبِيَاءِ قَدَرًا فى مُحْكَمِ الذِّكْرِ وَنَقْلِهِ ،
المَبْعُوثِ رَحْمَةً للعَالَمِينَ زِيَادَةً فى رِفْعَةِ مَقَامِهِ وَتَقْرِيرِهَا لِفَضْلِهِ ، الْمَنْعُوتِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ
فى مُحْكَمِ كِتَابِهِ الذى لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ
أَنْ يَأْتِيَ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَتَّبَعُوا طَرِيقَتَهُ الْمُثْلَى وَسَلَكُوا مَنَاجِجَ
سُبُلِهِ ، وَعَقَدُوا الذَّمَّ لِأَهْلِ الْمِلَلِ وَأَسْتَوْصَوْا بِهِمْ خَيْرًا لِمَا عَرَفُوهُ مِنْ سَعَةِ حِلْمِهِ
وَبَذَلِهِ - فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَتِ الطَّائِفَةُ الْمَسِيحِيَّةُ ، وَالْفِرْقَةُ الْيَعْقُوبِيَّةُ ، مِنْ أَوْتٍ تَحْتَ ظِلِّهَا
الذى عَمَّ الْوُجُودُ ، وَسَكَنَتْ فى حَرَمِ دِمَائِنَا الذى سَارَ نَبْوُهُ فى التَّهَائُمِ وَالنُّجُودِ ،
وَتَمَسَّكَتْ مِنْ طَاعَتِنَا وَاتَّبَاعِ أَوَامِرِنَا بِمَا سَلَفَ لَهَا مِنَ الْهُدَى وَالْعُهُودِ ، وَكَانَتْ
أَحْكَامُهُمْ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَدُورُ عَلَيْهِ أَمْرُهَا فى كُلِّ حَالٍ ، وَتَنْتَظِمُ بِهِ مَصَالِحُ شَمَائِلِهَا
لِيَبْلُغُوا بِهَا الْآمَالَ ، وَيَأْمَنُوا فى مَعْتَقِدِهِمْ فِيهَا مِنَ الْإِخْلَالِ ، وَأَنَّهُ إِذَا مَاتَ بَطْرِيْرُكَ
لَهُمْ لَا بُدَّ أَنْ نَرْسُمَ لَهُمْ بَغِيرَهُ ، لِيَعْتَمِدُوا فى ذَلِكَ مَا يَتَقَدَّمُ بِهِ إِلَيْهِمْ فى نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ ،
وَيَسْلُكُ بِهِمْ فى أَحْكَامِهِمْ مَا يَحِبُّ ، وَيَعْرِفُ كَلَامَهُمْ مَا يَأْتِى وَيَذَرُ وَيَفْعَلُ وَيَحْتَنِبُ ،
وَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بِمَقْتَضَى مَا يَعْتَقِدُونَهُ فى إِنْجِيلِهِمْ ، وَيُمَشِّى أَحْوَالَهُمْ عَلَى مُوجِبِهِ فى تَحْرِيمِهِمْ
وَتَحْلِيلِهِمْ ، وَيُزَجِّرُ مَنْ خَرَجَ عَنْ طَرِيقِهِ ، لِيَرْجِعَ إِلَى مَا يَحِبُّ عَلَيْهِ أَسْوَةٌ رَفِيقِهِ ،
وَيَقْضَى بَيْنَهُمْ بِمَا يَعْتَقِدُونَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَيَبَيِّنُ لَهُمْ قَوَاعِدَ دِينِهِمْ فى كُلِّ نَقْضٍ
وَأِبْرَامٍ ، فَلَمَّا هَلَكَ الْآنَ بَطْرِيْرُكُم مَعَ مَنْ هَلَكَ ، رَسَمْنَا لَهُمْ أَنْ يَنْتَخِبُوا لَهُمْ مَنْ
يَكُونُ لَطَرِيقَتِهِ قَدْ سَلَكَ ، وَأَنْ يَخْتَارُوا لَهُمْ مَنْ يَسُوسُ أُمُورَهُمْ عَلَى أَكْلِ الْوُجُودِ ،
لنَرْسُمَ بِتَقْدِيمِهِ عَلَيْهِمْ [فيقوم] بِمَا يُؤْمَلُونَهُ مِنْهُ وَيَرْجُوهُ .^(١)

(١) حذف نون الرفع رعاية للسجع .

وكان الحضرة السامية، القديس، المبجل، الحليل، المكرم، الموقر، الكبير،
الديان، الرئيس، الروحاني، الفاضل، الكافي، المؤتمن، جرجس بن القس مفضل
اليعقوبي، عماد بني المعمودية، كنز الأئمة المسيحية، منتخب الملة الصليبية، ركن
الطائفة النصرانية، اختيار الملوك والسلاطين: أطال الله تعالى بهجته، وأعلى على
أهل طائفته درجته، قد حاز من فضائل ملته أسماها، وصعد من درجات الترقى
على أبناء جنسه أعلاها، فتره نفسه عن مشاركة الناس، وتكشف بين أهله
في المأكل واللباس، وترك الزواج والنكاح، واشتغل بعبادته التي لازم عليها في المساء
والصباح، وألقى نفسه إلى الغاية في الأطراح، وساح بخاطره في الفكرة وإن لم يكن
يحسده قد ساح، وأرتاض بترك الشهوات مدة زمانه، وأطرح الملاذ لتعلو درجته
بين أهله برفعة مكانه، واشتمل من علوم طائفته على الجانب الوافر، وعرف من
أوامرهم ونواهيهم ما تقرب به منهم العين والناظر، وطلب من الربّ الرؤوف الرحيم
القوة على أعماله، وسأل الإله أن يزيّن لأهل ملته ما يأتي به من أقواله وأفعاله،
فوقع اختيارهم عليه، وسألوا صدقاتنا الشريفة إلقاء أمرهم إليه.

فرسم بالأمر الشريف - لازل إحسانه إلى سائر العالم وإصلا، وجوده لكل
طائفة بارتداد أكتافها شاملا - أن يقدم حضرة القديس المؤتمن جرجس المشار
إليه على الطائفة اليعقوبية، من الملة النصرانية، بالديار المحروسة والجهات الجارى
بها العادة، ويكون بطريكا عليهم على عادة من تقدم في ذلك ومستقر قاعدته إلى
آخروقت، قائما بما يجب عليه من أمور هذه الملة، باذلا جهده في سلوك ما ينبغي
مما ينظم عليه أمره كله، فاصلا بينهم بما يعتقدونه من الأحكام، متصرفا على كل
أسقف وقس ومطران في كل نقض وإبرام، مالكا من أمور القسيسين والرهبان
والشماسة الزمام، مانعا من يروم أمرا لا يسوغه وضع ولا تقرير، جاعلا نظره عليه

مستقدا بالتحرّز فى التخيير ؛ زاجراً من يخرج منهم عن اتّباع طريق الشريعة المطهرة التى يصح بها عقد الذمة ، ملزماً بسلوكها فى كل ملة فإن ذلك من الأمور المهمة ؛ أمراً من فى الديرة من الرهبان بمعاملة المارين بهم والنازلين عليهم بمزيد الإحسان ومديد الإكرام ، والقيام بالضيافة المشروطة من الشراب والطعام .

وليتحدث فى قسمة موارثهم إذا ترفعوا إليه ، وليجعل فصل أمور أهل طائفته من المهمات لديه ؛ وليشفق على الكبير والصغير ، وليتنزه عن قليل متاع الدنيا والكثير ، وليزهد فى الجليل قبل الحقير . وفى أطلاعه على أحكام دينه ما يكفيه فى الوصية ، وما يرفع به بين أبناء جنسه فى الحياة الدنيوية ؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله أعلاه .



وهذه نسخة توقيع لبطرك اليعاقبة ، وهى :

أما بعد حمد الله على أن جعل من إحسان هذه الدولة لكلّ مليّ وذمّي نصيباً ، وفوق إلى أهداف الرعاية سهما فسهما مامنهما إلا ماشؤهد مصيباً ، والصلاة على سيدنا محمد الذى أحمد الله له سرى فى صلاح الخلائق وتأويها - فإنه لما كان من سجايا الدولة القاهرة النظر فى الجزئيات والكتليات من أمور الأمة ، وتجاوز ذلك إلى رعاية [أهل] الذمة ؛ لاسيما من سبقت وصية سيد المرسلين عليهم من القبط الذين شرفهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوصلته منهم بأم إبراهيم ولده عليه السلام ، وقبول هديتهم التى أبقت لهم مزية على تمر الأيام ؛ وكانوا لأبد لهم من بطريك يحفظ سوامهم ، ويضبط خواصهم وعوامهم ؛ ويجمع شمل رهبانهم ، ويراعى مصالح أديانهم ؛ ويحرز أمور أعيادهم ومواسمهم فى كل كنيس ، ويدعو للدولة القاهرة فى كل تقديس ؛ وتجعل [له] الخيرة فى ضبط أمور البيع والديرة واختيار الأساقفة

والكُهان ، وحفظ النواميس المسيحية في كل قُربان ، ولا يصلح لذلك إلا من هو
بَتُول ، وكل خاشع عاملٍ ناصبٍ يستحقُّ بذلك أن هذا الأمر إليه يُتَوَلَّى .

ولما كان البطريك فلان هو المجمع على صلاحيته للبطاركية على شعبه ، والتقدمة
على أبناء المعمودية من شيعته وصحبه ، لما له من علم في دينه ، ومعرفة بقوانينه ،
وضبط لأفانيته ، وعقل يمنعه عن التظاهر بما يُنافي العهد ، ويُلافي الأمر المعهود -
أقتضى جميل الاختيار أنه رُسِمَ بالأمر الشريف - لأبرح يضع كل شيء في موضعه
من الاستحقاق ، ويبلغ في الإرفاد لأهل المال والإرفاق - أن يباشر بطركية جماعة
اليعاقبة بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه في هذه الرتبة ، ومن ارتقى قبله إلى
هذه الهضبة .

فليباشر أمر هذه الطائفة ، وليجعل معونته بهم طائفة ، وليضبط أمورهم أحسن
ضبط وأجمل ، وأتمه وأكمله ، وليأخذهم بما يلزمهم من القيام بالوظائف المعروفة ،
والعهود المألوفة ، وليلزمهم بما يلزمهم شرعا من كف عن تظاهرٍ ممنوع ، أو تعطى
محذور منكر الشرور والشروع ، أو تنكب عن طريق الاستقامة ، وكما أنهم عدلوا
عن الإسلام لا يعدلون عن السلامه .

وأما أمور الديرة والخائس فأمرها إليك مردود ، فاجر فيها على المعهود ، وأقم
فيها عنك من يحسن النياحه ، ومن يُجمل الإنابة ، ومن يستجلب الدعاء لهذه الدولة
القاهرة في كل قُدَّاس ، ويُعَدِّد التقديس والأنفاس ، وعلى رهبان الأديرة للساجد
والجوامع وظائف لا تُمنع ولا تؤخر ، ولا تُحوج أحدا منهم أنه بها يُذكر ، وليشترط
على أهلها أنهم لا يَأوُّون طليعة الكفار ، ولا من يحصل منه إلا خير ولا يحصل
الإضرار ، وليأمرهم بحسن الجوار ، والقيام بما هو موظف عليهم للمسلمين السُفَّار

وغير السُّفَّار؛ هذه بُذَّة من الوصايا مُقَنَّعة، ولو وسَّع القول لكان ذا سَعَه،
وفى البَطْرِيك من النَّباهة ما يُلهمه الصَّواب، والله يجعل حسنَ الظَّنِّ به لا آرتيَاء فيه
ولا آرتياب، بِمَنَّة وكرمه!، والاعتماد



وهذه نسخة توقيع لبطرك اليعاقبة، وهى :

أما بعد حمد الله الذى خصَّ كلَّ مَلَّةٍ مِنَّا بِمَنَّة، وأقام بأوامرنا على كلِّ طائفةٍ منَ
نرضاه فَنُحَقِّق بإحساننا ظَنَّهُ، وجعل من شَيْمِنَا الشَّرِيفَةِ الوصية بأهل الكتاب عملاً
بالسنة . والشهادة بوحدانيته التى نَتَّخِذ بينها وبين الشُّكِّ والشرك من قُوَّة الإِيْمَانِ
جُنَّة، ونَدَّخِر أجورها فنسُمُو بها يومَ العَرْضِ إلى أعلى عُرْفِ الجَنَّة . والصلاة والسلام
على نبيِّه محمد أكرم من أرسَلَه إلى الأُمَمِ فأَنال كَلَّاماً من البرايا يُمنِّه، وأعظم من بعثه فشرَّع
الدينَ الحنيف وسَنَّهُ، وعلى آله وأصحابه الذين لم تزل قلوبُ المؤمنين بهم مطمئنة -
فإنَّ لدولتنا القاهرة العوارِفَ الحِسانَ، والشَّيْمَ الكريمةَ والعطاياَ والإحسانَ،
والفواضِلَ التى للآمالِ [منها] ما يُرَبِّي عليها وَيَزِيدُ، والمآثرَ التى بَحْرُ رِثَّاهَا الوافرُ
المديد، ولكلِّ مَلَّةٍ من نِعَمِها نوالٌ جَزِيلٌ، ولكلِّ فِرْقَةٍ من مَوَاهِبِها جانبٌ يَقْتَضِي
التَّخْوِيلَ ولا يَقْضِي بالتَّحْوِيلِ، ولكلِّ طائفةٍ من يُمنِّها وَمِنْهَا مَنَاحُ طائفةٍ بِمَزِيدِ
التَّنْوِيلِ، ولكلِّ أناسٍ من مَعْدَلَتِها نصيبٌ يَشْمَلُ المَلَلِ، وعادةٌ معروفٌ تَوَاتَرَتْ مع
أنها خالصةٌ من السَّامةِ والمَلَلِ، سَجِيَّةٌ سَخِيَّةٌ بنا شَرُفَتْ، ومَزِيَّةٌ مَرْوِيَّةٌ مِنَّا أُلْفَتْ،
وإنَّ من أهل الكتاب لَطائفةً كَثُرَتْ بأبوابنا الشَّرِيفَةِ عَدَدًا، وأَسْتَصَفَتْ من مَنَاهِلِ
جُودِنَا مَوْرِدًا، وَاَنْتَظَمَتْ فى سِلْكِ رعايانا فأَضْحَى سَبَبُ فضلنا لها مَوْكِدًا، وكانت
المِلَّةُ المَسِيحِيَّةُ، والفِرْقَةُ اليعقوبيَّةُ، لا بُدَّ لها بعد موتِ بَطْرِيكها من إقامة غيره،

وتقديم من يرتضى بفعله وقوله وسيره؛ لتقتدى به في عقد أمورها وحلها، وتحريمها وتحليلها ووصلها وفصلها، وتهتدى به في معتقدها، وتركن إلى ما يذكركه من مجموع أحكام الإنجيل ومفرداتها؛ وينتصب للفصل بين خصومها بما يقتضيه عرفانه، ويظهر لأهل ملته بيانه؛ حتى لا تجدد في أمر دينها إلا ما تريده، وبما نديمه لها من استمرار الهدنة تبدي دعاءها وتعيده؛ فإن سيدنا محمدا - صلى الله عليه وسلم - أمرنا أن نستوصى بأهل الكتاب خيرا، ونحن نسلك من أتباع شريعته المطهرة مأخضين فيه - إن شاء الله - سيرة يسيرة وسيرا .

ولما كانت الحضرة السامية، الشيخ، الرئيس، المبجل، المكرم، الفاضل، الكافي، الثقة، عماد بني المعمودية، كنز الطائفة الصليبية؛ اختيار الملوك والسلاطين، فلان - أطال الله بقاءه، وأدام على أهل طائفته ارتقاءه - ممن آتفق على شكره أبناء جنسه، واستوجب أن يرقى إلى هذه الرتبة بنفسه؛ واشتهر بمعرفة أحوال فرقه، وهجر الأهل والوطن في تهذيب خلقه؛ وحرّم في مدة عمره النكاح، وسار في المهامه والقفار وساح؛ وأضحى تحميم البطن خاوي الوفاض، قد ترك الطيبات وهجر التنعم وآرتاض؛ وأعتمد في قوله على الإله، وسأل الرب أن يبلغه في أهل ملته ما تمنّاه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يجمع الفرق على الدعاء لأيامه الشريفه، ويدبم للأقربين مواد مواهبه المألوفة - أن يقدم الشيخ فلان على الملة النصرانية اليقينية، ويكون بطريقا عليها على عادة من تقدمه، ومستقر قاعدته، بالديار المصرية والثغور المحروسة، والجهات التي عادت بها، إلى آخر وقت، [فليتول ذلك] سالكا من طرق النزاهة ما يجب، فاصلا بين النصارى بأحكام دينه التي لا تخفى عنه

ولا تَحْتَجِبْ ؛ مَالِكًا أَرْمَةً كُلَّ أُسْقَفٍ وَقَصٍّ وَمِطْرَانٍ ، مَرَجَّحًا بَيْنَ الْقَدِيسِ
وَالْقِسِّيسِ وَالشَّامْسِ وَالرُّهْبَانِ ؛ لِتُصْبِحَ أَحْكَامُ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ بِهِ مَنْوُطَةٌ ، وَمَوَارِيهِمْ
مُقْسُومَةٌ بِشَرْعَتِهِ الَّتِي هِيَ لَدَيْهِمْ مَبْسُوطَةٌ ؛ وَيَقِفَ كُلُّ مِنْهُمْ عِنْدَ تَحْرِيمِهِ وَتَحْلِيلِهِ ،
وَلَا يُخْرِجَ فِي شَرْعَتِهِمْ عَنْ فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ وَلَا يَقْدَمَ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ رَضِيَ بِتَأْهِيلِهِ ؛ وَلِيَأْمُرَ
كُلَّ قَاصٍ مِنْهُمْ وَدَانَ ، وَمَنْ يَتَعَبَّدُ بِالدَّيْرَةِ وَالصَّوَامِعِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسْوَانِ ، بِرَفْعِ
الْأَدْعِيَةِ بِدَوَامِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ الَّتِي أَسَدَتْ لَهُمْ هَذَا الْإِحْسَانَ ؛ وَيُنْزِمُ كَلًّا مِنْهُمْ
بَأَن لَّا يُحْدِثُ حَادِثًا ، وَيُكْرَمَ نَزْلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ رَاحِلًا أَوْ لَاشًا ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْوَلَايَةَ
قَدْ آلَتْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ أَدْرَبُ بِمَا تَنْطَوِي شُرُوطُهَا عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ الْبَهْجَةَ [لَدَيْهِ]
مُقِيمَةً [وَالنِّعْمَةَ عَلَيْهِ مُسْتَدِيمَةً] ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمُوجِبَةٍ وَبِمُقْتَضَاهُ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصية لبطرك اليعاقبة أوردتها في "التعريف" قال :

وَيُقَالُ فِي وَصِيَّةِ بَطْرِكِ الْيَعَاقِبَةِ مِثْلُ مَا فِي وَصِيَّةِ بَطْرِكِ الْمَلِكِيَّةِ ، إِلَّا فِيمَا يُنَبِّهُ عَلَيْهِ .
وَيَسْقُطُ مِنْهُ قَوْلُنَا : « وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ فِي الْمَدْخَلِ إِلَى شَرِيعَتِكَ طَرِيقٌ إِلَى الْبَابِ » إِذْ
كَانَ لَا يَدِينُ بِطَاعَةِ الْبَابِ الَّذِي هُوَ رَأْسُ الْمَلِكَانِيِّينَ ، وَإِنَّمَا هُوَ رَأْسُ الْيَعَاقِبَةِ نَظِيرُهُ
لِلْمَلِكَانِيِّينَ ، وَيُقَالُ مَكَانَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ « وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ فِي الْمَدْخَلِ إِلَى شَرِيعَتِكَ قَسِيمُ
الْبَابِ وَأَنْتَ سَوَاءٌ فِي الْأَتْبَاعِ ، وَتَسَاوِيَانِ فَإِنَّهُ لَا يَزْدَادُ مِضْرَاعٌ عَلَى مِضْرَاعٍ » .
وَيَسْقُطُ مِنْهُ قَوْلُنَا : « وَلِيَتَجَنَّبَ الْبَحْرَ وَإِيَّاهُ مِنْ اقْتِحَامِهِ فَإِنَّهُ يَغْرَقُ » وَثَانِيَةً هَذِهِ
الْكَلِمَةُ إِذَا كَانَ مُلْكُ الْيَعَاقِبَةِ مُغْلَغًا [فِي الْجَنُوبِ] ^(١) وَلَا يَجْرُ ، وَيُبَدَّلُ بِقَوْلِنَا :
« وَلِيَتَجَنَّبَ مَا لَعَلَّهُ يَنْوُبُ ، وَلِيَتَوَقَّ مَا يَأْتِيهِ سِرًّا مِنْ تَلْقَاءِ الْحَبْشَةِ حَتَّى إِذَا قَدَّرَ فَلَا

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٦ .

يَسْمُ أَنْفَاسَ الْجَنُوبِ ؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّ تِلْكَ الْمَادَّةَ وَإِنْ كَثُرَتْ مَقْصَرُهُ ، وَلَا يَحْفَلُ بِسُودَدِ
السُّودَانِ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ آيَةَ الدَّلِيلِ مُظْلِمَةً وَآيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ، ثُمَّ يُخْتَمُ بِالْوَصِيَّةِ بِالنَّقْوَى
كَمَا تَقَدَّمَ ، وَنَحْوَ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

النوع الثاني

(ما هو خارجٌ عن حاضرتي مصر والقاهرة : من وظائف الديار المصرية
مما يُكْتَبُ لأربابها . وهي ثلاث جهات)

الجهة الأولى

(ثغر الإسكندرية ، والوظائف فيها على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(وظائف أرباب السُّيُوف وبها وظيفة واحدة وهي النيابة)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنها كانت أولاً ولايةً ،
إلى أن طرَقَهَا الْفَرَنْجُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فَاسْتَقَرَّتْ مِنْ حِينِئذِ نِيَابَةً ،
يُكْتَبُ لِنَائِبِهَا تَقْلِيدٌ فِي قِطْعِ الثَّلَاثِينَ « الْجَنَابِ الْعَالِي » مَعَ الدُّعَاءِ بِمُضَاعَفَةِ النِّعْمَةِ .

وهذه نسخةٌ تَقْلِيدٌ بِنِيَابَةِ ثَغْرِ الإسكندرية :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمٍ بِاسْمَةِ الثَّغْرِ ، مُسْفِرَةِ الْفَجْرِ ، رَافِعَةِ الْقَدَرِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَشْرَحُ الصَّدْرَ ، وَيَطْلُعُ طُلُوعَ الْبَدْرِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُخَالِفُ مِنْ يُخَالِفُهَا ، وَتُخَالِفُ مِنْ يُخَالِفُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

ورسوله أفضل نبي رابط في سبيل الله وجهده، وكابد في الجهاد أعداء الدين وكايد،
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين خاضوا في غمرات الدجى كل غمر، وندبوا
لحماية الدين ... (١) ... كريمة وسداد نغر .

أما بعد، فإن الأهتمام بالثغور هو أولى ما إليه حُمد، وعلى مصالحها أعتُمِد، وكان
نغر الإسكندرية المحروس هو المفتر عن أحسن الثنايا، والمخصوص من الحياة
بأتم المزايا، والذي كم شفت شفاهه من سُقم عند ارتساف، والذي المشاعر به
والمرابط كم له بالحسنات من أثلاف، وكانت المصلحة تقتضى أن لا يختار له
إلا كل كامل الأوصاف، كافٍ بما تستدعيه مصلحة أهله من إنصاف، ذو عزم
يمضى والسهم مستودعة في الكائن، ويقضى بالعدل المزيل للشوائب والشوائن،
ومن له حزم يسد نغر المعاييب دون كل ملاحظ ومعين، وله سياسة تحفظ بمنالها
الثغور، وتضمن الأمور، وله بشاشة تستجلب الثغور، وتوفق ما بين الألسنة
من أولى الود والصدور، وله حيطة بينا يقال: هذا جانبه دمت إذ يقال: هذا
جانبه صعب ممتنع، وبينما يقال ليقظته للصراحة: هذا سحاب يتجهم (٣) إذ يقال هذا
سيل مندفع .

ولما كان فلان هو مستوعب هذه الصفات، ومستودع هذه الأسماء والسمات،
وإليه بهذه المناقب يُشار، وهو ساحب أذيل هذا الفخار - أقتضى حسن الرأي

(١) بياض بالأصل ولعله فكانوا ليوم انخ .

(٢) في الأصل « كتفت » وهو تصحيف من الناسخ .

(٣) لعله سحاب جهام . أى لا ماء فيه . تأمل .

الشریف أن تُفَوِّضَ إليه نِیَابَةُ السُّلْطَنَةِ الشَّرِیْفَةِ بَثْغَرِ الإسْكَندَرِیَةِ المَحْرُوسِ ،
تَفْوِیضًا یُمِضِ فی مَصَالِحِهِ لِسَانَهُ وَقَلَمَهُ ، وَیُصَرِّفَ بَیْنَ الْأُمُورِ وَالنَّوَاهِیِ إِشَارَاتِهِ
وَكَلِمَهُ ، وَیَزِیِّنَ مَوَازِنَهُ بِطَلْعَتِهِ ، وَیَزِیدُ مِهَابَتَهُ بِبُعْدِ صِیَّتِهِ وَأَشْتِهَارِ سَمْعَتِهِ .

فَلِیُبَایِشَ هَذِهِ الْوُضِیْفَةَ مُجَلًّا مَوَازِنَهَا ، مَكْمَلًا مَرَاتِبَهَا ، مُوْتَلًّا بِقَوَاعِدِ الْأَمْنِ أَرْجَاءَهَا
وَجَوَانِبَهَا ، نَاشِرًا لَوَاءَ الْعَدْلِ عَلَى عَوَالِمِهَا ، قَابِضًا بِالْإِنْصَافِ لِمُظْلَمِ رَعِيَّتِهَا عَلَى يَدِ
ظَالِمِهَا ، مُعْلِمًا مَنَارَ الشَّرْعِ الشَّرِیْفِ بِمُعَاضِدَةِ حُكَّامِهِ وَالْإِتْقَادِ إِلَى أَحْكَامِهِ ، وَالْوُقُوفِ
فِي كُلِّ أَمْرٍ مَعَ تَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ ، وَلِیَحْرُسَ جَوَانِبَ هَذَا الثَّغْرِ وَیَحْمِیَهَا ، وَلِیُصْنُ عَوَارِضَهُ
وَمَا فِیْهَا وَمَنْ فِیْهَا ، وَلِیُكَلِّهَ بَرًّا وَبَحْرًا ، وَلِیُزِجَ عَلَیْهِ مِنْ ذَبَّةٍ سِتْرًا فِیْ سِتْرٍ ، وَلِیُنْجِجَ
لِسَافِرَتِهِ طَلَبًا ، وَلِیَبْلِّغَهُمْ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ أَرْبَابًا ، وَلِیُجِلَّ مَعَامِلَةً مِنْ وَجَدَ مِنْهُمْ
فِي سَفَرِهِ نَصَبًا ، وَأَتَّخِذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا . وَالرَّعِیَّةُ فَهَمْ طِرَازُ الْمَمْلُوكِ ، وَعُنْوَانُ
الْعِمَارَةِ الَّذِي مَنْ شَاهَدَهُ فِي هَذَا الثَّغْرِ عَلِمَ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ، وَأَحْسِنَ إِلَيْهِمْ وَأَرَأْفَ بِهِمْ ،
وَبَلِّغْهُمْ مِنْ عَدْلِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ غَايَةَ أَرْبِهِمْ ، وَأُمُورُ الْخُمْسِ وَالْأَدْيَانِ فَلَهَا قَوَاعِدُ
مُسْتَقَرِّهِ ، وَقَوَانِينُ مُسْتَمَرِّهِ ، فَاسْأَلْكَ مِنْهَا جَدِّدًا وَاضِحًا ، وَأَبْتِغْ لَهَا عِلْمًا لَا يُخَا ،
وْغَیْرَ ذَلِكَ فَلَا یُكَادُ عَلَى فَهْمِكَ یُخْفَى ، مِنْ تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي بِهَا تُكْفَى عَنِ الْمَضَارِّ
وَتُكْفَى ، وَاللَّهُ تَعَالَى یُلْهِمُكَ صَوَابًا ، وَلَا یَجْعَلَ بَیْنَ حِجَاكَ وَبَیْنَ الْمَصَالِحِ حِجَابًا ،
بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .

(١) موثلاً ممكناً . من وثل الشيء أصله وممكنه .

(٢) (لسافرتهم) هم المسافرون .

الصنف الثانى

(من الوظائف التى يكتب بها بئغر الإسكندرية - الوظائف الدينية ،
وكلها توابع ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى^(١)

(ما يكتب منها فى قطع الثلث بـ « السامى » بالياء ، وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(القضاء)

وهو الآن مختص بالمالكية ، وقاضيا يتحدث فى نفس المدينة وظاهريها ،
ليس له ولاية فيما هو خارج عنها .

وهذه نسخة توقيع بقضاء بئغر الإسكندرية للملكى ، كتب به للشيخ « وجيه الدين
محمد بن عبد المعطى الإسكندرى المالكى » وهى :

الحمد لله رافع قدر من نوه العلم بذكره ، ونور التقي مواقع فكره ، ونبه الورع على
رفعة قدره ، وأشرق به منصب الحكم العزيز بإشراق الأفق بطلوع بدره ، وأضاءت
بنور أحكامه غوامض القضايا الشرعية إضاءة الدجى بغرة فجره ، وقضى له دوام
الإصابة فى الاجتهاد بإحراز أجره إذا كان أحد قسمى الاجتهاد مقتضياً لأجره ،
وملى صدره بأنواع العلوم الدينية فوسع له الشرع الشريف صدر مجلسه وأعد له
مجلس صدره ، وزخر من خاطره بحر العلم فارتوت رياض الخواطر بأنوار فرائد دهره ،

(١) لم يذكر الثانية فما يأتى .

وأسفر وجه الدين بُنور علمه وعمله : فقام هذا مقام السرور في أساريه وناب هذا
مناب الشنب في ثغره .

نحمده حمداً يزيد قدر النعم تنويعها ، ويسوغ في المحامد تعظيماً لمسدى المنّة وتنزيهاً ،
وينهض بشكر التوفيق في اختصاص منصب الحكم بمن كان عند الله وجيهاً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تفتّر ثغور الإسلام بإدامتها ،
وتبني قواعد الإيمان على إقامتها ، وتسيم بوارق النصر على جاحدها من أثناء
غمائمها ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنارت الآفاق بملّته ، ودارت أدأة
التشبيه بين أنبياء بنى إسرائيل وعلماء أمته ، وضاهى شرعه شمس الظهيرة في وضوح
أحكامه وظهور أدلّته ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عملوا بما علموا ،
وجاهدوا أعداء الله فما ضعفوا لذلك ولا أَلَمُوا ، وقضوا بالحق بين أمته فلا المقضى
لهم أمموا ولا المقضى عليهم ظلموا ؛ صلاة لا تزال لها الأرض مسجداً ، ولا يريح
ذكرها مُتريماً في الآفاق ومنجداً ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنّ أولى من قلّد الحكم وإن نأى به الورع عن توقّعه ، وخُطب للقضاء
وإن أعرض به الزهد عن طلابه وتبّعهُ ، ودعى إليه إذ الإجابة عليه متعيّنه ،
ووضعت مقاليد الحكم الاستحقاق [في يديه] إذ أولويّته البيّنة لا تحتاج إلى بيّنة -
من عقدت على تعينه لهذا المنصب الجليل الخناصر ، ودعت إلى استدعائه
إليه فضائله الثابتة القواعد وزهاده الزاكية الأواصر ؛ ودلّت عليه علومه دلالة
الأضواء ، على لوايع الشهب ، ونهت عليه فنونه تنبيه الأنواء ، على مواقع السحب ؛
وشهد بورعه المتين ، تفقّهه وأعتزاله ، وأنبأ عن نهوضه بنصرة الدين ، قوة جداله
الذي هو جلاّد مثله وزلّاه ؛ وتجرّ في أنواع العلوم حتى جاور البحر بمثله ولكنّه

العذب الزلال ، وشغل نفسه بالتنوع فى الفنون فكان التحلى بعبادة الله ثمرة ذلك الاشتغال ، ومشى على قدم الأئمة العلماء من أسلافه فلم يشق فى ذلك المضمار غباره ، ونشأ على طريقة العلم والعمل : فماره بالانقطاع إليه ليله وليله بالاشتغال بهما نهاره .

ولما كان فلان هو الذى خطبته هذه الرتبة السنية لنفسها ، وتشوقت إلى الإضاءة بطُلوعه فى أفقها تشوق المطالع إلى الإضاءة بطلوع شمسها ، وأثنى لسان القلم على فضائله وهو يعتذر من الاختصار ، واقتصرت البلاغة على اليسير من التعريض بوصفه وطالب ما لا يحصر معذور فى الاقتصاد والاقتصار ، وعين لما تعين عليه من مصالح الأئمة وذلك يقضى لمثله من أهل الورع أن يجب ، وطلب لعموم مصالح الإسلام التى ما يذغى لمثله من أنصار السنة أن يتأخر عن مثلها أو يغيب ، وكان ثغر الإسكندرية المحروس من المعقل التى يفتّر عن شنب النصر ثغرها ، ومن أركان الدين التى يغص بأبطالها بحرها ، وهى مأوى صلحاء الجهاد الذين سبهم ليلهم أسبق إلى العدا من سهامهم ، وموطن العلماء من أهل الاجتهاد الذين يعدل دم الشهداء مداد أعلامهم ، وهى داره التى تزهى به نواحيها ، وموطن رباطه الذى يوم ولية منه فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها - آقتضت آرائنا الشريفة أن نخص منصب حكمها بعالم أفقها المنير ، وزاهد ثغرها الذى ماشام برقه بصر عدو إلا وأنقلب إليه خاسئاً وهو حسير ، أن نفوض إليه منصب القضاء والحكم العزيز بشعر الإسكندرية المحروس ، على قاعدة من تقدمه فيه ، نظراً فى عموم ذلك الثغر المحروس به (٩) إلى من انعقد إجماع أئمة عصره ومصره على سعة علمه ووفور ورعه وكمال فضله .

(١) مراده أنها مأوى صلحاء المتعبدين الذين الخ .

(٢) يظهر أن فى هذه العبارة سقطا وحرر .

فليأشِر هذا المنصب الذى مَلَكَ أمره العلم والتقى ، ونظام حكمه العدل والورع وهما أكل ما به يُرتقى ؛ وليحكم بما أراه الله من قواعد مذهبه المحكمه ، وأحكام إمامه التى هى بمصالح الدين والدنيا محكمه ؛ وليقض بأقوال إمام دار الهجرة التى منها صدرت السنة إلى الآفاق ، وعنها أخذت ذخائر العلم التى تركوها على كثرة الإنفاق ؛ وبها حمى الأحكام الدينية موطأ الأكتاف ، وفيها استقام عمود الملة ممدود الطرف على سائر الأطراف ؛ فليل من ذلك وغيره جميع ما كان يليه من تقدمه ، وتقتضيه قواعد ولايته التى أمضينا فيه لسانه وقلمه .

فأما ما يدخل تحت هذا الإجمال من آداب القضاء وقواعده ، وأدواته وعوائده : من تخصيص الحكم بأوقاته ، ومساواته بين الخصمين فى إنصافه وإنصاته ؛ واجتناب الحكم فى الأوقات المقتضية لتركه ، وتوقى نقض الأحكام التى نظمها عدم مخالفة النص والإجماع فى سلكه ؛ فإنه مكثف بالإجمال عن تفصيلها ، مكثف عن ذكر كثيرها بالإيماء إلى قليلها ؛ إذ هو أدرى بأوضاعها شرعاً وعرفاً ، وأدرب بما قد يشد منها عن المعية أو يخفى ؛ وملاك الوصايا تقوى الله تعالى وهى من خصائص نفسه ، وفواتح ما ابتدأ الورع بإتقان درسه ؛ والله تعالى يؤيد حكمه ، ويعلى علمه ؛ بمنه وكرمه ! والاعتماد إن شاء الله تعالى .



وأعلم أنه كان فيما تقدم قد وليها قاض شافعى .

وهذه نسخة توقيع بقضائها ، كتب به للقاضى « علم الدين الإخنائى » الشافعى ، فى ثامن شعبان سنة ثلاثين وسبعائة ، وهى :

الحمد لله الذى رَفَعَ لنا فى كل نَفَرٍ عَلمًا ، وأَجْرَى لنا فى جِوارِ كلِّ بحرٍ ما يضاويه
كَرَمًا ؛ وجعل من حُكَّامِ دولتنا الشريفة من يُعرَفُ بنسبه الإنسانى بل السَّائى أنه
يُحْوِ من الدُّلَمِ ظُلُمًا .

نُحَمِّدُهُ عَلَى أن زادنا نِعَمًا ، ووَفَّرَ للأحكام الشرعية بِنَاقِسَمَا ، وأَغْلَى قِيَمًا ، [فأُصْحَتْ
تُساوِ الدَّرَ الثَّمين قِيَمًا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُجْزِدُ
لإقامتها سيفًا وَقَلَمًا ، ونشهد أن مَجْدًا عبده ورسوله الذى جعل الله له شريعة مَازِيَّةً^(١)
وَدِينًا قِيَمًا ، ونصّب من أئمة أتباعه كلِّ علم يَهْدِي أُمَمًا ، صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه
صلاة باقية ما بَقِيَتِ الأرض والسَّما ؛ وسلَّم تسليما .

وبعد ، فإنَّ أولى الثُّغُور بأن لا يَزَالَ به عَلمٌ مرفُوع ، وعِلْمٌ مَصُونٌ حِجَابُهُ المَنُوعُ ،
وعَمَلٌ يَمِشِي به أئمةُ الأُمة على طريقه المشروع ، نَفَرُ الإسْكَندرية - حماها الله
تعالى - فإنها من دار الملك فى أعزِّ مَقام ، ومن مُجاورة البحر فى مَوْطن جِهاد تُحَقِّقُ
به الأعلام ؛ وغالبٌ من فيها إمامٌ فقيهٌ يَتَمَسَّكُ بالشريعة الشريفة فى عُلُوِّ علومه ،
أوربٌ مالٍ له وقوفٌ يجلس الحكم العزیز ينتَصِفُ من خِصام خُصُومه ؛ ولم تَزَلْ
وظيفةُ القضاء بها أهلةُ الصدور ، كَامِلَةَ البُذور ، متَهَلِّلةٌ بما لا يَفُوتُ الشَّنبُ بَراق
الجَزَعِ إذا حَكى إِمَاضُ الثُّغُور ؛ وكان لها مَدَّةٌ قد خَلَّتْ ونحن نفكرُ فيمن يكون
سَدَادًا لثغرها ، وكافيًا فيما يُيَهِّمُ فى الأحكام الشرعية من أَمْرِها ؛ وكافلاً من الحق الذى
أمر الله به بما يَبْقَى النفوس ، وقائماً فى مَدارسها بما يَزِيدُ معالِمها إِشَادَةً فى الدروس ؛
حتى أجمعت آراؤنا الشريفة على من يُحَسِّنُ عليه الإجماع ، وتُحَسِّمُ به دواعى النزاع ،
ويحسُدُ علمه علمُ الشمس لِمَا علا عنها من كُرَّةِ الارتفاع ؛ ومن يتَضَوَّعُ بَنَشْرِ العدل

في يميني كفه القلم ، وإذا وقفت به الركائب قالت : ياسارى القصد هذا الباب
والعلم ، وكان المجلس السامى القضائى العلبى الإسنائى الشافعى ، أدام الله علوه هو
العلم المنشور ، والعلم المشهور ، والمراد بما تقدم من وصف مشكور ، فافتضت
مراستنا المطاعة أن تشارك به من الأحكام الشرعية القضايا ، وأن يسم هذا الشجر
بحكمه عن واضح الشنايا .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف ، العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى :
زاده الله شرفا ، وضاعف له تصرفا - أن يفوض إليه القضاء بمدينة إسكندرية -
حماها الله تعالى - على عادة من تقدمه وقاعدته المستقرة إلى آخر وقت ، على أنه
يستنبط عنه فى تحمله وفيما شاء منه من هو موصوف بصفته ، موثوق بدينه وعلمه
ومعرفته ، ولينتصب فى مجلس الحكم العزيز لمن ينتصف ، ويعمل بما يرضينا من
مراضى الله تعالى فإن للعبون أن تنظر وللأئسنة أن تصف ، ولينظر فى أمر الشهود
فإن الأحكام الشرعية على شهادتهم تُبنى ، وليحترز من الوكلاء فإن منهم من يجعل
الظن يقينا واليقين ظنا ، ولينظر فى أمور الأيتام ويتصرف فى أموالهم بالحسنى ،
وليقيم الحدود ، على مقتضى مذهبه ، ويعول فى العقود ، على من لا يخاف معه أمرؤ
على إلحاق فى نسبه ، وغير هذا مما إليه مرجعه ، وإليه يتمى مفرقه ومجتمعه
وبحكمه يفصل أمره أجمعه ، وليتخذ الله تعالى عليه رقبيا ، ويعلم أنه سيرى كل
ما يعمل عند الله قريبا ، وتقوى الله هى التى تتخذ معه عليها عهدا مسئولا ، ورجاء
مأمولا ، وقولا عند الله وملائكته وأنبيائه مقبولا ، ونقله منها على كل مخالف سيفًا
مسئولا ، ونحن نرغب إلى الله أن يوفقه فى حكمه ، ويعينه على كل مايملى من الوصايا
بما هو ملى به من عمله وعلمه ، والخط الشريف أعلاه ، حجة فيه .

قلت : وكان قد أُسْتُحْدِثَ بالإسكندرية قاضٍ حنفى فى الدولة الأشرفية « شعبان بن حسين » يُؤْتَى من الأبواب السلطانية رقيقاً للقاضى المالكى بها ، يتحدَّثُ فى الأحكام فى القضايا المتعلقة بمذهبِهِ خاصَّةً ، وأمرُ مُودَعِ الأيتام ونظرُ الأوقاف ، وغير ذلك من متعلَّقات قضاء القضاة مختصَّ بالمالكى ؛ ثم صارت بعد ذلك تارةً يؤتَى بها حنفى كذلك ، وتارةً تُشغَرُ منه . فإن وليها حنفى ، كتب له فى قطع الثلث كما يكتب للقاضى المالكى ، وليس بها الآن شافعى إلا نائباً عن المالكى ، ولا حنبلى بها أصلاً .

الوظيفة الثانية

(الحِسْبَةُ بَشْغَرِ الإسكندرية)

ومحتسبها يُمضى تحدُّثُهُ فيما يختص به قاضيا ، وليس له ثواب فيما هو خارج عن ذلك من البلاد .

وهذه نسخة توقيع بالحِسْبَةُ بَشْغَرِ الإسكندرية .

الحمد لله الذى جعل المناصب فى أيماننا الزاهرة محفوظةً فى أكفائها ، مضمونةً لمن تقاضت [له] من الإقبال ر [د] جفائها ، معدوقةً فى مالها إلى من زانها بمعرفته الحسنة بحسن ... (١) ... بمن دلت كفاءته وكفايته على أنه أولى بتقرُّبها وأحقُّ باصطفاؤها .

أحمدُهُ على نِعَمِهِ التى لم تُحِبَّ فى إحساننا أملاً ، ولم تُضَيِّعْ سعى من أحسن [العمل] فى مصالح دولتنا إنَّ الله لا يُضَيِّعُ أجر من أحسن عملاً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً هى أشرف ما فاه به اللسان ، وأفضل ما تعبَّد به

(١) بياض بالأصل . ولعله " بمعرفته الحسنة وحسن بهاها ، مخصوصة بمن الخ " .

الإنسان ، وأرفع ما ملكت به في الدنيا والآخرة عظام الرتب الحسان ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أحل الطيبات وأباحها ، وأزال الشبهات وأزاحها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بأحكامه ، ووقفوا مع ما شرع لهم من حلال دينه وحرامه ، وحافظوا على العمل بسنته بعده محافظتهم عليها في أيامه ، صلاة يتوقد سراجها ، ويتأكد بها انتساق السنة وانتساجها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من رجع فيه حق منصبه إلى نصابه ، ورد به واجب رتبته إلى من جعلته سوابق سيرته أولى به ، وتقاضت له سيرته عواطف كرمنا ، ونهضت نزاهته باستطلاع ما غاب عنه من عوارفنا ونعمنا ، وأغنته أوصافه عن تجديد ثناء يستعاد به رثنا القديم ، ويستدام له به فضلنا العميم ، وتستدر به أخلاف كرمنا الذي تساوى في عمومهم الطاعن والمقيم - من زان التقى أوصافه ، وكملت العفة معرفته وإنصافه ، وتولت الديانة نظره فيما عدى [به] من مصالح الرعايا خصوصاً وعموماً ، وتكفلت الخبرة من اعتباره لأمر الأقوات بأن جعل لكل منها في الجودة حداً معلوماً ، وبأشرف ما فوض إليه بجمع بين رضا الله تعالى ورضا خلقه ، وعول عليه في حسبة أعز الثغور لدينا فتصبح الرعايا فيما بسط لهم من رزقه .

ولما كان فلان هو الذي أضاعت أوصافه وهل تُنكر الإضاءة للسراج ، وتسوّف إليه رتبته فلم يكن لها إلا إليه ملاذ وإلا عليه معاج ، فسلك من السير أرضها لربه ، ومن الأحوال أجمعها لأمن عاقبته وسلامة غيبه ، ومن الاجتهاد في مصالح الرعايا ما يُضاعف شكره على احتسابه ، ومن الخيرة ما يُعرف كلا منهم كيف يكون اكتساء البرية في اكتسابه - رُسم أن يستقر

(١) بياض بالأصل وهو معلوم مما تقدم وحذفه اختصاراً في الكتابة .

فليستمر في ذلك على عادته التي ناضلت عنه فأصابته ، وقاعدته التي دعت له عواطف نعمنا فأجابته ، وليرد في التحذير والتحقيق ما استطاع ، ويناقش حتى يستقر على الصحة فيما يُباع أو يُبتاع ، ويقابل على الغش بما يردع متعاطيه ، ويزجر صانع الأعمال الفاسدة عن استدامتها ومن يوافقه على ذلك ويواطيه ، ويتمر أموال الأحماس بملاحظة أصولها ، والمحافظة على ريعها ومحصولها ، وإمضاء مصارفها على شروط واقفيها إن علمت ومزنية (؟) ما قدم من شكره والثناء عليه ، وملاك ذلك جميعه تقوى الله تعالى وهي أخص ما قدم من أوصافه ، والرفق بالرعايا وإنه من أحسن حلي معرفته وإنصافه ، والخير يكون إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(نظر الصادر)

وموضوعها التحدث في قدر مقرر يؤخذ من تجار الفرنج الواردين إلى الإسكندرية ، وعليه مراتبات لناس مخصوصين من أهل العلم والصلاح ، يُنفق عليهم بمقادير معلومة من متحصل هذه الجهة .

وهذه نسخة توقيع بنظر الصادر والوارد ، أنشأته عن السلطان الملك الناصر «فرج بن الظاهر برقوق» للقاضي ناصر الدين «محمد الطنّاحي» إمام المقام الشريف السلطاني ، في منتصف شهر صفر سنة أربع وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل من سلطاننا الناصر لأخص ولي أعز ناصر ، وخصه من فائض كرمنا المتتابع ومننا المترادف بأكرم وارد وأبر صادر ، وبوأه من فضلنا المنيف أفضل مبر : فتارة تأتم به الملوك وتارة يخطب الكافة على رؤوس المنابر .

نحمدُه على أن جعلنا نَتَّبِعَ في الْوَلَايَاتِ نَهْجَ الصَّوَابِ وَنَقْتَفِيسِهِ ، وَأَثَرَنَا مِنْ أَثَرِهِ
الْأَبُوَّةِ بِأَعْلَى مَوَاقِعِ الْإِجْتِبَاءِ وَالْوَلَدُ سِرُّ أَبِيهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي أَذَلَّ طُغَاةَ الْكُفْرِ بِقَمْعِ آثَافِ كِبَرَائِهِمْ ، وَأَلْزَمَهُمُ الصَّغَارَ بِمَالٍ
يُؤْخَذُ مِنْ أَقْوِيَاءِ أَغْنِيَائِهِمْ فَيَفَرِّقُ فِي ضِعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَفُقَرَائِهِمْ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ
وَرَسُولَهُ الَّذِي نَدَّبَ إِلَى مَبَرَّةِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَذَوِيهِ ، وَرَغَّبَ فِي رِعَايَةِ الْمَوَدَّةِ لِلآبَاءِ
بِقَوْلِهِ : «إِنَّ مِنْ أَبْرَرِ الْبِرِّ رَجُلًا أَهْلًا وَدًّا أَبِيهِ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ عُدَّتْ بِهِمْ مَهَمَّاتٌ ، فَقَامُوا بِحَقِّهَا ، وَوَكَلَتْ إِلَيْهِمْ جَلَائِلُ الْوَلَايَاتِ ، فَأَحْرَزُوا
بِحِمْلِ التَّأْمِيرِ قَصَبَ سَبْقِهَا ؛ صَلَاةً يَبْقَى عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ حُكْمُهَا ، وَلَا يَتَغَيَّرُ عَلَى مَرَّةِ
الزَّمَانِ رَسْمُهَا ؛ وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فإن من كَرِّمَ سَجَايَانَا الَّتِي جُعِلْنَا عَلَيْهَا ، وَشَرِيفَ شِمِينَا الَّتِي يَجْذِبُنَا طِيبُ
الْعُنْصُرِ إِلَيْهَا ، أَنْ نُخَصَّ أَخَصَّ الْأَوْلِيَاءِ بِأَسْنَى الْوَلَايَاتِ ، وَنُخَفَّ أَصْفَى الْأَصْفِيَاءِ
بِنَهَايَةِ غَيْرِهِ فِي الْبِدَايَاتِ ؛ وَنَرْفَعَ قَدْرَ مَنْ لَمْ يَزَلْ ظَهَرُهُ لِلْمُلُوكِ مَحْرَابًا ، وَنُتَوِّدَ بِذِكْرِ مَنْ
رَغِبَتْ فِيهِ الْوُظَائِفُ فَعَدَلَتْ إِلَيْهِ عَنْ سِوَاهِ إِضْرَابًا .

وكان المجلس السامى ، القاضوى ، العالمى ، العاملى ، الفاضلى ، الكاملى ،
البارعى ، البليغى ، الماجدى ، الأوحدى ، الأثيرى ، الأثيلى ، العريقى ، الأصيلى ،
الخطيبى ، الناصرى ؛ مجد الإسلام ، بهاء الأنام ؛ شرف الرؤساء ، أوجد الكبراء ؛
صدر الأعيان ، جمال الخطباء ، جلال النظار ، صفوة الملوك والولاة ، أبو عبد الله
محمد ، ابن المجلس السامى ، الجمالى ، المرحوم عبد الله الطناحى ، إمام المقام الشريف :
أدام الله تعالى رفعة - قد طالت في المخالصة قُدمته ، ووفرت من صدق الموالاة
قِسْمَتَهُ ؛ فَرُفِعَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ خَبْرُهُ ، وَنُصِبَ عَلَى ... (١) ... تَقْدَمُهُ فَحُمِدَ فِي الْإِخْتِيَارِ

(١) بياض بالأصل ، ولعله "المدح أو التعظيم" .

أثره، وكانت وظيفتنا نظير الصادر وخطابة الجامع الغربى بشجر الإسكندرية المحروس - حرسه الله تعالى وحماه، وصان من طُروق العدو المخدول حماء - من أرفع الوظائف قدراً، وأميزها رتبة وأعلاها ذكراً - أقتضى حسنُ الرأى الشريف أن تُسند ولايتهما إليه، ونعتمد فى القيام بمصالحهما عليه .

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف - لا زالت آراؤه مسدده، ونعمه على الأولياء فى كل حين مُجدده - أن يستقر المشار إليه فى الوظيفتين المذكورتين عوضاً عن كانتا بيده، بما لهما من المعلوم، ويُفسح له فى الاستنباط على عادة من تقدمه فى ذلك : استناداً إلى أمانته التى بلغت به من العفة مُنتهاها، وكفايته التى تجز المتكفون عن الوصول إلى مداها، وفصاحته التى أعجزت ببراعتها الخطباء الأماثل، وبلاغته التى قضت بالعى على قس إيايدٍ وحكمت بالفهامة على سخبانٍ وائل .

فليتلق ما أسند إليه بيده الطولى وباعه المديد، وليقابل هذه النعمة الخفيلة بالشكر فإن الشكر مستلزمٌ للزيد، عالماً أن نظير الصادر يقدمه أهل الثغر على عامة الوظائف مَادَقٌ منها وما جَلَّ، ويتبرك المرتبون عليه بما يأخذونه من راتبه وإن قلَّ، فليُحسِن النظر فيه ورداً وصدرًا، ويميز ريعه بحسن النظر فيه حتى يقول المعاند : ما أحسن هذا نظراً ! .

والجامع الغربى فهو أجل جوامع الثغر الإسكندريّ قدراً، وأعظمها فى الأقطار صيتاً وأسيرها فى الآفاق ذكراً، يحضر الجمعة فيه أهل الشرق والغرب، ويُلمُّ بخطبته سُكَّان الوهاد والهضب، فليرق منبره رُقًى من خطبه المثير لخطبته، وعلم علو مقامه فقابله بعلو رتبته، ويشف الأسماع بوعظه، ويشج القلوب بلفظه، ويحي العقول بتدكيره، ويبيك العيون بتحذيره، وليعد للجامع ما تعودته من الإسعاد،

ويجدد مدرّس من معالم خطّابته حتّى يقال : هذا ابن المنير قد عاد ؛ وعماد الوصايا تقوى الله فهى ملائكة الأمور كلّها ، وعليها مدار أحوال الدنيا والآخرة فى عقدها وحلّها ؛ وهاتان مُقدّمتا خيرٍ فليكن لنتيجتهما يرتقب ، ولا يقطع بالوقوف معهما رجاء « فأقول الغيث قطر ثم ينسكب » ؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة فيه بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .

الصنف الثالث

(من الوظائف التى يكتب بها بئغر الإسكندرية المحروس ،
الوظائف الديوانية ، وهى على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له فى قطع الثلث بـ « المجلس السامى » بالياء
وهو ناظر المباشرة بها ، وعنه يعبر بناظر الإسكندرية ، دون ناظر الأصل^(١)
المقدم ذكره فى جملة الوظائف الديوانية بالحضرة)

وموضوع هذه الوظيفة التحدّث فى الأموال السلطانية بالإسكندرية مما يتحصّل من المأخوذ من تجار القرنج ، وسائر المتاجر الواصلة براً وبحراً بالقبض والصرف والحمل إلى الأبواب السلطانية .

وهذه نسخة توقيع بنظر بئغر الإسكندرية ، كُتب به للقاضى « جمال الدين
ابن بصاصة » وهى :

(١) وهو ناظر الخااص المتحدّث فى الأموال السلطانية كما تقدّم .

(١) الحمد لله الذى أضحك الثُّغُورَ بعد عُبُوسِهَا ، وردَّ إليها جَمَالَهَا وأَنَارَ أَفْقَهَا بَطْلُوعِ شَمْسِهَا ، وأَحْيَا مَعَالِمَ الْخَيْرِ فيها وقد كادت أن تُشْرِفَ على دُرُوسِهَا ، وأَقَامَ لمَصَالِحِ الْأُمَّةِ مَنْ يُشْرِقُ وَجْهَهُ الحَقُّ بَبَيَاضِ آرَائِهِ ، وتَلْتَدُّ الْأَسْمَاعُ بِتِلَاوَةِ أَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ وَأَنْبَاءِهِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ أُسْبِغَتْ عَلَيْهِ النِّعَاءُ ، وَتَهَادَتْ إِلَيْهِ الْآلَاءُ ، وَخَطَبَتْهُ لِنَفْسِهَا الْعَلْيَاءُ ؛ وَنُشْهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَرْفَعُ قَدْرَ قَائِلِهَا وَتُعْلِيهِ ، وَتُعِزُّ جَانِبَ مُتَحِلِّهَا وَتُدْنِيهِ ؛ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ نَبِيٍّ رَابِطٍ وَجَاهِدٍ ، وَأَكْرَمُ رَسُولٍ جَنَحَ لِلْسَّلَامِ بِأَمْرِ رَبِّهِ فَهَادَتِ وَعَاهَدَ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَأَشْيَاعِهِ وَحِزْبِهِ .

وبعدُ ، فَأَحَقُّ مَنْ مَاسَ فِي أُرْدِيَةِ الرِّيَاسَةِ عِظْفًا ، وَاسْتَجَلَى وَجُوهَ السَّعَادَةِ مِنْ حُجْبِ عِزِّهَا فَأَبْدَتْ لَهُ جَمَالًا وَلُطْفًا ؛ وَأَصْطَفَتْهُ الدَّوْلَةُ الْقَاهِرَةُ لِمَهْمَّاتِهَا لَمَّا رَأَتْهُ خَيْرَ كَافِلٍ ، وَتَقَلَّ فِي مَرَاتِبِهَا السَّنِيَّةُ تَقُلُّ النَّيِّرِينَ فِي الْمَنَازِلِ . (٢)

ولما كان فلان أدام الله رفعته ممن أشارت إليه هذه المناقب الجليلة ، وصارت له إلى كل سؤال نعم الوسيلة ، رسم بالأمر الشريف - لا زال ... أن يستقر في نظر ثغر الإسكندرية المحروس ويباشِرَ هذا المنصب المبارك بعزماته الماضية ، وهممه العالية ؛ برأى لا يساهم فيه ولا يُشَارَكُ : ليُصْبِحَ هذا الثغرُ بمباشرته باسمًا حاليًا ، وتعودَ بهجته له بجميل نظره ثانيًا ؛ وينتصب لتدبير أحواله على عادته ، ويقرّر قواعده بعالي همته ؛ ويجتهد في تحصيل أمواله وتحصين ذخائره ، واستخراج زكاته

(١) تقدّمت في صفحة ٤٠ و ٤١ من هذا الجزء بعض زيادة وتغيير واختصار .

(٢) لم يذكر خبر المبتدا ولعله سقط من قلم الناسخ والأصل أحق من ماس ... من كان لخلل العفاف لابسًا ، ومن نور الايقان قابسا ، الى غير ذلك من الأوصاف .

وتمية متاجره ؛ ومعاملة التجار الواردين إليه بالعدل الذى كانوا ألفوه منه ، والرفق الذى نقلوا أخباره السارة عنه ؛ فإنهم هدايا البحور ، ودوابه الثغور ؛ ومن ألسنتهم يُطلع على ما يُخفيه الصدور ، وإذا بذّر لهم حبّ الإحسان نشروا له أجنحة مراكيهم كالطيور ؛ وليعتمد معهم ما تضمنته المراسيم الشريفة المستمرة الحكم إلى آخروقت ، ولا يسلك معهم حالة توجب لهم القلق والتظلم والمقت ؛ وليواصل بالحمول إلى بيت المال المعمور ، وليلأ الخزائن السلطانية من مستعملات الثغر وأمتعته وأصنافه بكل ما تستغنى به عن الواصل في البرور والبحور ؛ وليصرف همته العالية إلى تدبير أحوال [المتاجر بهذا الثغر بحيث ترتفع رؤس أموالها وتتمى ، وتوجد سحائب فوائدها وتهمى ، وليراع أحوال] ^(١) المستخدمين في مباشراتهم ، ويكشف عن باطن سريهم في جهاتهم ؛ ليتحققوا أنه مهيمن عليهم ، وناظر بعين الرأفة إليهم ؛ فتتكف يد الخائن منهم عن الخيانة ؛ وتتحلى أنامل الأمين بحاسن الصيانة ؛ وليطالع بالمجئدات في الثغر المحروس ، ليرد الجواب عليه بما يشرح الصدور [ويطيّب النفوس] ^(١) وليتناول من المعلوم على ذلك في غرة كل شهر ما يشهد به الديوان المعمور ؛ والله تعالى يتولاه ويعضده ، ويؤيده ويسدده ؛ بيمته وكرمه ! .

قلت : وربما كتبت لناظرها توقيع مفتتح : «أما بعد حمد الله» في قطع الثلث .



وهذه نسخة توقيع بنظر ثغر الإسكندرية ، وهى :

أما بعد حمد الله مفيض حلل إنعامنا على من أخلص في طاعتنا الشريفة قلبه
ولسانه ، ومولى فضل آلائنا العميمة على من أرهف في مصالحنا عزمه وبنانه ؛

(١) الزيادة مما تقدم في صفحة ٤١ من هذا الجزء .

وَحَلَّى رتب عليا الشريفة بمن أشرق في سماء المعالى بذكره وإنسانه ، وأينعت
 فى غصون الأمانى قطوفه وأفانئه ، ومبلغ أقصى غاية المجد فى أيا من الزاهرة بمن
 تبسم بجميل نظره الثغور ، وتعتصم بحميد خبره وخبرته الأمور ، وتشرق من جميل
 تديره البدور ، وتعتمد على هممه الأيام والدهور . والصلاة والسلام على سيدنا محمد
 الهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، والناسير لواء العدل بسننه الواضح وشرعه
 القويم ، والمنجز لمن آتفى سبله أوفى تكريم ، وأوفر حظاً عظيم ، وعلى آله وأصحابه
 ما أهدى بهديهم ذوو البصائر والأبصار ، وأرتدى بأرديتهم المعلمة مقتضى الآثار -
 فإن أولى من أسندنا إلى نظره الجميل رتبة عز مازالت طيور الآمال عليها تحوم ،
 وعدقنا بتديره الجليل منصب سيادة مآرحت الأمانى له تروم ، وأعتمدنا على همته
 العلية فصديق الخبر الخبر ، وركنا إلى حميد رأيه فشهد السمع وأدى النظر .^(١)

ولما كان فلان هو الذى أتسق فى ذروة هذه المعالى ، وانتظم به عقد هذه
 الآلى ، وحوى بفضيلة اللسان والبيان ما لم تدركه المرفقات والعوالى ، فما حل
 ذروة عز إلا وحلاها بنظره الجليل ، ولا رقى رتبة سيادة إلا وأسفر فى ذروتها وجه
 صبحه الجميل ، ولا عدى بنظره كفاية رتبة إلا وكان لها خير كفيل .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال ينتصى للرب العلية خير منجد ومير ،
 ويمتطى للناصب السنية نعم المولى ونعم النصير - أن يستقر ... فإنه القوى
 الأمين ، والمتمسك من تقوى الله تعالى ومراقبته بالسبب المتين ، والمستند بجميل
 كفايته ، وحميد ديانته ، إلى حصن حصين ، والمستدرى بأصالته وإصابته إلى
 الجنة الواقعة والحرم الأمين ، فليقدم خيرة الله تعالى فى مباشرة الوظيفة المذكورة بعزم

(١) لم يذكر خبرا لأن وهو معلوم من نظائره السابقة أى من كانت صفته كذا وكذا الخ .

(٢) بالصاد المهملة أى يختار وينتق .

لَا يُنْبِئُوا، وَهَمَّةٌ لَا تُنْجُو، وَتَدِيرُ يَتَضَاعَفُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ وَيَرْبُو، وَنَظَرٌ لَا يَعُزُّبُ عَنْ
(١)
مُبَاشَرَتِهِ فِيهِ مَثْقَالُ ذَرَّةٍ إِلَّا وَهَى مِنْ خَاطِرِهِ فِي قَرَارِ مَكِينٍ، وَضَبْطٌ لَا تَمْتَدُّ مَعَهُ يَدُ لَامَسٍ
[إِلَيْهَا] إِلَّا وَيَجِدُ مِنْ مَرَهَفِهِ مَا يُكْفِ كَفَّهَا عَنِ الْخِيَانَةِ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ، وَلِيَضَاعَفَ
هَمَّتَهُ فِي مَصَالِحِ هَذِهِ الْجِهَةِ الَّتِي عَدَقْنَاهَا بِنَظَرِهِ السَّعِيدِ، وَلِيُوقِّرَ عِزِّ مَتْنِهِ فَإِنْ الْحَازِمُ
مَنْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِثْلُهُ لَا يُدَلُّ عَلَيْهَا، وَالتَّوْبِيحَاتُ وَاضِحَةٌ
وَهُوَ - وَفَقَهُ اللَّهَ - أَهْدَى أَنْ يُرْشِدَ إِلَيْهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّقُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ،
وَيُصْلِحَ بِجَمِيلِ تَدِيرِهِ وَحَمِيدِ تَأْتِيهِ كُلِّ خَلَلٍ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .

الطبقة الثانية

(مَنْ يَكْتُبُ لَهُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بـ «المجلس السامى» بغيرياء
أو «مجلس القاضى» وفيها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(كتابة الدرج)

وصاحبها هو الذى يقوم بالإسكندرية مقام كاتب السرِّ بالأبواب السلطانية
في قراءة المكاتبة على النائب، وكتابة الأجوبة وما يجرى مجرى ذلك .
وهذه نسخة توقيع من ذلك :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ شَامِلًا فَضْلُهُ، كَامِلًا عَدْلُهُ، هَامِلًا بِالْإِحْسَانِ
وَبَلُّهُ، مَتَّصِلًا بِالْجَمِيلِ حَبْلُهُ، مَلَا حِطًّا بِعَيْنِ الْعِنَايَةِ لِلْبَيْتِ الزَّاوِيِ فَرَعُهُ الطَّيِّبِ أَصْلُهُ،
مَعْلِيًا نَجْمُهُ إِلَى أَسْنَى الْمَرَاتِبِ الَّتِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَحَلًّا إِلَّا مَحَلُّهُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فُلَانُ

(١) فى الأصل ملتمس الا الخ .

فى كتابه الدرج بشعر الإسكندرية المحروس على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته ،
بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت : لأصاليته المعروفة ، وغصون نسبه
المؤرقه ، وآدابه الجمه ، وفضيلته التى أبدى بها علمه ، وكتابته التى حلت المهارق ،
وأبدت من الجواهر ما تمنى لسه المقارق ، وتدوى لنضارته أزاهر الروض النضير ،
ونتفرد فى الحسن فلا تجد [لها] من نظير ، وتبرز كالعقود فى أجياد الترائب ، وتنشئ
كُتباً تعنى عن الكتاب ، مع ماله من راسة أثبت معاليه ، ونفاسة أضحت بجواهرها
الأوصاف حاليه ، وصدارة توالى منه فاستوجب بها مزيد الحسن المتواليه ،
قد خول فى كرم الأصل فلا غرو أن أمسى نجيبا ، ودعا بديع اللفظ ولطيف المعنى
فغدا كل منهما لأمره طائعا وبالإذعان مجيبا ، وعلا كوكبه فأضحى فى الرفعة بعيدا
وإن كان فى مرأى العين قريبا ، وزكا من أكابره إلى كل فريد فى سؤدده ، واحد
فى علاه يفوق الجمع فى عدده ، فهو إنسان عين زمانه ، ومالك زمام الإنشاء ومصرف
عنان بنائه ، ومبرز الحسنات بسيفارته المقبولة وإطلاق بيانه ، فلا غرو أن استوجب
منا ما يقضى له بالمزيد ، واستحق باتباع أصليه العالم التيق إدراك ما يريد ، وتحلى
بمناقبه ومآثره ، وتقل عن عفاقه ومفائره .

فليستمر فى ذلك على أجمل عوائده ، وأجزل فوائده ، سالكا فى ذلك طرائقه
الحميدة ، ومناجه ومناهج أسلافه السديده ، مبرزاً من خطه ما يجمل به الطروس ،
ويسر بمزايه النفوس ، وينظم كالعقود ، ويلوح للأبصار حسن رونقه [المشهود] ،
والله تعالى يجعل إحساننا لدى بيته الكريم مستمرا ، وأمتنانا العميم عنده مستقرا ،
ونشعر العناية به مفترا ، بمنه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظرُ دار الطراز بغير الإسكندرية)

وهذه نسخة توقيع بذلك ، كُتِبَ بها لصالح الدين بن علاء الدين علي بن البرهان ، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال إيثاره ، يُكْرَمُ من غدا صلاحه لحلة العلي طرازا ، واختياره ، يقدم للناصب الجليلة من ورث من أبيه نهضة واحترارا - أن يستقر فلان في كذا : لكفايته المعروفة المحققة ، ودرايته المألوفة بركاتها الموفرة وحركاتها الموفقة ، وديانته التي منها الأكابر على ثقته ، وأمانته التي تعتمد الحق مستدعية ومنققة ، وصيانته التي هي للواصل حافظة وعلى الحاصل مشققة .

فليباشِر هذه الوظيفة التي كانت في سالف الزمان إلى الحُكَّام تُضاف ، وللعلماء الأعلام عليها نظر وإشراف ؛ ومنها يُسدل على أوليائنا لباس الإنعام وترسل أجناس الإتحاف ، وتُسربل الكعبة البيت الحرام في كل عام بجلبابها المحكم النسج المعلم الأطراف ؛ وليصن ذهبها عند صرفه وقبضه ، وليزِن نَحْزَهَا بتقريب مشوبه وتحرير محضه ، وليُبين عن حسن التدبير في إبرام حريرها ونقضه ؛ وليستجلب رجالها وصناعاتها ، وليُجنب أحوالها ضياعها ، وليستجد أصنافها وأنواعها ، وليتفقد أكافها وبقاعها ؛ حتى يُظهر في أعمالها آثار الصلاح ، وتُشكر مباشرته التي هي محمودة الانتهاء مسعودة الافتتاح ؛ والله يَقْرُن رجاءه بالإرباح ، ويؤذن له حيث سلك بإصابة الصواب والفلاح ، بمنه وكرمه ! .

قلت : ودارُ الطراز هذه هى التى تُعملُ فيها المستعمالاتُ السلطانية : مما يُجَلُّ إلى خزانة الخاَصِّ الشريف من الأقمِشة المختلفةِ الصِّفات : من الحرير والمقترح المَخوَصُّ بالذهب ، والتِّفَاصِيلُ المنقُوشة بضروب النقوش المختلفة ، وغير ذلك من رقيق الكَنِّ وغيره مما لا يُوجد مثله فى قُطْر من أقطار الأرض ؛ ومنه ^(١) تُتخذ الأقمِشة التى يلبسها السلطان وأهل دُورِهِ ؛ ومنه تَعْمَلُ الخِلاَع والتَّشَارِيفُ التى يلبسها أكابر الأمراء وأعيانُ الدولة وسائرُ أهل المملكة ؛ ومنه تُبْعَثُ الهدايا والتَّحْفُ إلى ملوك الأقطار . وقد كان يُكتب لناظر هذه الدار توقيعٌ عن الأبواب السلطانية خارج عن توقيع ناظر الإسكندرية على ما تقدّم ذكره . أما الآن فقد صار ذلك تحت نظر ناظر الإسكندرية يتحدّث فيه كما يتحدّث فى سائر أمورِها ، ومرجع الكلِّ إلى ناظر الخاَصِّ بالأبواب السلطانية .

الجهة الثانية

(مما هو خارج عن حاضرتى مصر والقاهرة بالديار المصرية - بلاد الرِّيف)
والمراد بالرِّيف فى أصل اللغة موضعُ المياه والزَّرْع .
وقد تقدّم أن ريف الديار المصرية وجهان :

الوجه الأول

(الوجه القبلى ، وهو المعبر عنه بالصَّعيد)

وقد تقدّم فى المقالة الثانية فى الكلام على المسالك والممالك أنه يتقسّم إلى صعيدٍ أعلى ، وصعيدٍ أسفل . وقد كانت ولايته العامة فى الزمن المتقدم يعبر عن صاحبها

(١) الضمير عائد على ما تقدم من الحرير والكَنِّ .

بـ«والى الولاية بالوجه القبلى» ثم استقرت نيابة سلطنة على حدّ تقدمة العسكر بغزة فى رتبة المكتبة، فى الأيام الظاهرية «برقوق» وهى على ذلك إلى الآن . ونائبها يكتب له تقليد نيابة السلطنة بها فى قطع النصف .

وهذه نسخة تقليد شريف من ذلك ، من إنشاء الشريف « شهاب الدين » كاتب الإنشاء ، وهى :

الحمد لله الذى رحم بتعاهد نظيرنا البلاد والعباد ، وحسم بموارد زواجرنا مواد الفساد ، وأحد فى هذا الوجه لنا الآثار ووطأ بنا المهاد ، وأفرد آراءنا بجميع المصالح على الجمع والإفراد ، وأولى بنا الرعية الخير فى استرعاء من يبذل فى صياتهم الاجتهاد ، وأعلى بنا كلمة العدل فهى تُنشر وتُداع وأوهى بنا كلمة الظلم فهى تُقهر وتُدَاد ، وأجلى بانتقامنا فئة الضلال فلها عن ملكنا الشريف أندفاع وأنطراد .^(١)

نحمده على أن قرن بآرائنا السداد ، ونشكره على أن ضمن أصطفاءنا حسن الارتداد ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقوم حجتها ، يوم يقوم الأشهاد ، وتُدوم بهجتها ، علماً للإرشاد ؛ ونشهد أن سيد البشر محمداً عبده ورسوله الذى فضل العالم وساد ، وأجزل المكارم وجاد ، وهدى بشرعه من حاد ، وأردى برده من حاد ، وأجرى بجوده النفع حيث كان وأبدى بياسه القمع لمن كاد ، وأخذ بأسيافه الباطل فباد ، وجعل لأنف مخالفه الإرغام ولجيش مجانفه الإرعاد ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب الأنجاد ، صلاة لها تضاعف وتعداد ، وبفتكاتهم (؟) للنواب إتحاد ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

(١) دعت مراعاة السجع الى استعمال الانفعال من طرد ونص أهل اللغة على أنها لغة رديئة . فتنه .

وبعد فإنَّ الله تعالى لما أعلَى هِمَمَنَا وأصعَدَهَا ، ووَفَّى عِزَّائِنَا من النصر موعِدَهَا ،
 وأسَعَفَ بُمَلِكَا الرعيةَ وأسَعَدَهَا ، وضاعَفَ بنا لديمهم النِّعْمَةَ وجَدَّدَهَا ، وأَوْضَحَ
 بنا سُبُلَ المَعْدَلَةِ وجَدَّدَهَا ، وأنجَحَ بِسُلْطَانِنَا آمَالَ الخَلِيقَةِ وأنجَدَهَا - لم نُخَلْ من
 ملاحظَتِنَا أَذْنَى الأَفْطَارِ ولا أَبْعَدَهَا ، ولم نُغْفَلْ من ممالكنا نَاحِيَةً إِلَّا نَحَاها فَضْلُنَا
 وقَصَدَهَا فَأَقْرَبَهَا الصَّالِحَاتِ وَخَلَّدَهَا ، وأَثْرَبَهَا المَسَاحَاتِ وَأَبْدَهَا ، ونَصَرَ الشَّرِيعَةَ
 وَأَيَّدَهَا ، وسَدَّ الذَّرِيعَةَ بِأَفْعَالِ حَزْمٍ سَدَّدَهَا ، ووَطَّنَ أَهْلَهَا ووَطَّدَهَا ، وأورَدَ مَنْ بِهَا
 موارد الأَمْنِ لما وَرَدَهَا .

ولما واجَهَ إقبالنا فى هذه الأيام الوجَهَ القِبْلَى ، وصَعِدَ إلى الصَّعِيدِ الأَعْلَى رُكْبَانَا
 العَلَى ، لَمَحْنَا بِلَادَهُ وتَعَدَّدَهَا ، وتَعَيَّنَ ملاحظَتِهِ وتَأَكَّدَهَا ، وكَثُرَتِ السُّلَالُكَ لِسُبُلِهِ ،
 والمُلُوكُ لَحَوْلِهِ ، والوَرَادُ لِنَهْلِهِ ، والوَفَادُ مِنْ قِبَلِهِ ، وهو مَنهجُ التَّجَارِ فى التَّوَجُّهِ
 من أبوابنا الشَّرِيفَةِ والجَوَازِ ، وبَابُ اليَمَنِ والحِجَازِ ، وفى الحَقِيقَةِ هذا الحِجَازُ يَتَعَيَّنُ لَهُ
 الحِفْظُ وفيهِ الأَحْتِرازُ ، وبِهِ كَرَّاسَى مِنْهَا السَّيَّارَةُ تَمْتَارُ وَعَلَى سِوَاهَا مِنَ الْبِلَادِ تَمْتَارُ ،
 وبِهِ مَرَاكِرُ وُلَاةٍ يَنْفَرِدُ كُلُّ مِنْهَا عَنِ الْآخَرِ وَيَحْزَارُ ، وهى : إَطْفِيحُ ، والبَهْئَسَى ،
 والأَشْثُونِينَ ، وَمَنْقُلُوطُ ، وَسَيُوطُ ، وإِنْجِيمُ ، وقُوصُ . وهذه الأَقَالِيمُ مجْتَمِعَةٌ مُتَفَرِّقَةٌ ،
 وحدودُ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ مُتَعَلِّقَةٌ ، وبِهَا إِقْطَاعَاتُ مُقَدَّمَى الأُلُوفِ والطَّبَلْخَانَاهِ والمَمَالِكِ
 والحَلَقَةِ ، وإِلَيْهَا تَرَدَّدُ الرِّكَاضَةُ والمَرْتَرَقَةُ ، ورُبَّمَا أَخَافَ المَفْسِدُونَ مِنْ بَعْضِهَا سُبُلَهُ
 وَقَطَعَ طُرُقَهُ ، فَاتَّهَمَ البَرِّى ، وَسَلِمَ الحَرِّى ، وَلَبَّسَ عَلَى مَنْ هُوَ عَنِ الحَيَانَةِ عَرِىٌّ ،
 فَرَأَيْنَا أَنْ نَنْصِبَ بِهِذِهِ الأَقَالِيمِ وَإِلَى وُلَاةٍ يُحْوسُ بِنَفْسِهِ خِلَالَهَا ، وَيُدُوسُ بِخَيْلِهِ
 سَهْلَهَا وَجِبَالَهَا ، وَيَفْجَأُ مُفْسِدَهَا ، وَيَبْعَثُ بَعَثَهَا ، وَيُجِدُّ نِفَاقَهَا ، وَيُجِدُّ وِفَاقَهَا ،
 وَيُنْصِفُ ضِعَافَهَا ، وَيُذِيبُ خِلَافَهَا ، وَيُزِيلُ شَكْوَاهَا ، وَيَكْفُ عَدَوَاهَا ، وَيُصْلِحُ

(١) فيه تصحيف ولعله « ويفجأ مفسديها ، ويبعث معتديها » .

فسادها ، ويوضح سدادها ؛ ويوصل حقوقها ، ويستأصل عقوقها ؛ ويواصل طرقها ، ويقابل بالعقاب فسوقها ؛ ويمنع باهتمامه ، أهواءها ، ويشفي بحسامه ، أدواءها .

ولما كان المجلس السامي ، الأميري ، الحسامي هو الذي عرف أحوالها وخبرها ، وولي من أقاليمها ما علم به مصالحها وأعتبرها ؛ وعهدت منه الأمانة والكفاية ، وتحققت نهضته في كل عمل ويقظته في كل ولاية - أقتضى حسن الرأي الشريف أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بهذه الأعمال المذكورة والأقاليم كلها ، وأن ينتضى فيها حسامه الذي ينبغي أن يرتضى ويتنقى لمثلها ؛ وأن يحل محله إذ اخترناه لأعلى رتب الولاية واجلها ، وأن نصل أسباب النعمة لديه بهذه النعم التي كل ولاية فرع لأصلها .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه الشريفة تحصى الرتب العلية بأهلها ، وتشمل دوى الاهتمام بإحسانها وفضلها - أن يفوض إلى المشار إليه ولاية الولاية بالوجه القبل . فليأشر ذلك بهمة تمضي في البلاد عزائمها ، ونهضة تسير إلى دانيها وقاصيها صوارمها ، وشهامة يدهش المتمردين قادمها ، ويفقد مواد الفساد من حسامها حاسمها .

ونحن نرسم له بأمور يلازمها ، ونوصيه بوصايا يداومها ؛ أن يكون بتقوى الله تعالى عاملا ، وللنصح باذلا ؛ وللشريعة معظما ، ولرأية الله تعالى مقدما ؛ ولحق متبعا ، وإلى الخير مسرعا ؛ وللمؤمنين مؤمنا ، وللمنافقين موهنا ؛ وللرعايا موطنا ، وللتزاهرة مظهرها ومبطنها ؛ وعن الأبرياء كافا ، وعن الأتقياء عافا ؛ وعن الأموال منزها ، وإلى ما يصلح الأعمال من صالح الأعمال ^(١) موجهها . وليغد في الأمور متبنا ، ولدوى

(١) فيه شبه استخدام فالأول بمعنى الجهات والثاني بمعنى الفعل . فتنبه .

الفجور مشتبهاً ، ولسماع حُجج الخُصوم منصتا ، ولا يجعل لُلوله الأقاليم حِيناً مؤقّتا ،
 بل يدخُل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها ، وليبَغت بِجُلُوله هذه النواحي لِيَعْلَم ما هم
 عليه من ترك الفواحش أو فِعْلها ، وليُقيم بكل جهةٍ من يُعَلِّمه بما يحتاج إلى عِلْمه ،
 ويُسكِّره بما يفتقر أهل البلاد إلى السّر عنه وكَتْمه ، وليدَحِظ الحارس والأدراك ،
 وليجعل لكل شاردٍ من بطشه أَسْرَع إدراك - وقد رَسَمنا لولاة الأعمال المذكورة
 ومن فيها من ثواب الأُمراء والمشايخ بهذه الصورة وأن لا يُجبروا مفسداً ولا يُثووه ،
 ولا يُنزّلوا خائفاً ولا يُخووه ، ولا يَسْتُرُوا مَخْتَفياً ولا يُجَبُّوه ، ولا يُكَلِّوا نازحاً ولا يُوطِّنوه ،
 بل يحضِّروه ولا يُؤخِّروه ، ويمسكوه ولا يتركوه ، ويسلموه ولا يمجّوه ، ومن خالف
 هذا المرسوم ، أو اعتمد غير هذه الرسوم ، فهو لنفسه ظَلُوم ، وقد برئت منه الذمة ،
 وزالت عنه الحرمة ، وزلت قَدَمُه ، وذهب ماله ودمه ، وقُرِئت مراسيمنا بذلك
 هنالك على منابر الجوامع ، وسمِعها كل سامع ، وهم لك على أَمثال أوامرنا مساعِدُونَ ،
 وعلى اجْتِناب نواهينا معاضِدُونَ ، ولإِصلاح ما استَطاَعُوا مُريدُونَ وقاصِدُونَ ،
 فلا تَمَكَّن أحداً من العُربان ولا من الفلاحين أن يركب فرساً ، فإنما يُعَدُّها لِلخِيانة
 مَخْتَلِيساً ، ولا يكون لها مَرَتِيطا ولا مَحْتَسِيساً ، وكُن لهم مُلاقياً مُراقِياً ، فمن فعل ذلك
 فانتقم منه بما رَسَمنا معاقِياً ، ولا تَمَكَّنهم من حمل السلاح ولا آتِباعه ، ولا آستعارته
 ولا آستِداعه ، وتفقد من الأقاليم من تُجاره وصنّاعه ، نَحْدُ بالقيمة ما عند التُّجار ،
 وأَقْعُ بذلك نفس الفُجار ، وأضرم نار العذاب على من أضرم لعمل ذلك النار ،
 وأمر كل فتّين متعاديّتين بالمصالحة ، وأكفّف بذلك يد المساكفه ، وحلف بعضهم
 لبعض بعد تحليف أكابرهم لنا على السيرة الحميدة والنية الصالحة ، وخُذْهم في الحنايات
 بالعدل والمشاحّة ، وفي المطالبات بالرفق إن لم تكن مُسامحه ، وأحِلَّهم على مَحَبَّة
 الحق الأبلج والشرِعة الواضحة . وإذا رُفعت إليك شكوى فازلها ، أو سُئلت إقالة

عثرة لذي هيئة فأقلها ، أو وجب حد فأنه لحينه ، أو آرتبت في أمر فترو حتى تهتدى
ليقينه ، ولا تعقل إلا من أجم جرمًا يوجب الاعتقال والحبس ، ولا تسرع
إلى ما تخشى فيه اللبس ، وأعمل على براءة الذمة ، وأجهد أن لا يكون أمرك عليك
عُمه ، ولا ترجح للهوى على خصم خصمه ، ولا تظلمه فإن الظلم ظلماته ، وخف نقمة
الله فهي أعظم نقمة ، ولا تأخذك على البريء غلظة ولا قسوة كما لا ينبغي أن تأخذك
في الجريء رافة ولا رحمه ، والله تعالى يرفع لك بالطاعة رتبًا ، ويُنحج لك بالخدمة
طلبًا ، ويبلغ بك في الإصلاح أربًا ، ويرد بك أمر كل مفسد محبًا ، ويوضح لك
من الهداية مغيًا ، ويُنزل بك من الخيرات صيبًا ، والخط الشريف أعلاه ، حجة
بمقتضاه . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بنبابة السلطنة بالوجه القبلي أيضا ، من إنشاء الشريف
شهاب الدين ، كُتب به «لعلاء الدين المرادي» وهي :

الحمد لله الذي جعل إقبالنا مُسفر الوجوه ، ونوالنا مبلغا كلاً من الأولياء ما يؤمله
من القرب من أبوابنا الشريفة ويرجوه ، وإفضالنا يوفر أقسام النعم لمن وفر دواعيه
على طاعتنا فلا يزال استحقاقه يُعينه ويدعوه ، وإجمالنا يُنجز وعود التقديم لمن تعددت
خدمه فلا يتجاوزهُ التكريم ولا يعدوه .

نحمده على أن جعل إنعامنا يهب الجزيل ويحبوه ، ونشكره على أن أقامنا يُحق
الحق فزفعه فيدمغ الباطل ويعلوه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هي خير ما ينطق به الإنسان
ويَقوه ، لا يبرح اللسان يكرر إخلاصها ويتلوه ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله

الذى رفع الله بَعَثْتِهِ عن هذه الأمة كُلِّ مكروه، وحيّ بِشَرَعْتِهِ الدينَ الحنيفَ فلا يُلِمُّ به التبديلُ ولا يَعْرُوهُ ، وأفاضَ بَرَكَاتِهِ فى كلِّ وجهٍ ما يُوسِعُ الخيرَ وَيُدْرِهِ ويمنع الشرَّ وَيُدْرُوهُ ؛ صلى الله عليه وعلى آله الذين هم عِترَتُهُ وأقربُوه ، وصَحْبِهِ الذينَ آسَمَعُوا قَوْلَهُ وَاتَّبَعُوهُ ، صلاةً لا يزالُ وافئذها يتبع سبيلَ الإجابة وَيَقْفُوهُ ، ويصلُّ إلى محلِّ القَبُولِ ولا يَحْفُوهُ ؛ وسَلَّمَ تسليماً كثيراً .

أما بعد، فَإِنَّ الله تعالى لما قَرَنَ آراءَنَا بالسَّدادِ ، وأَحَسَّنَ بنا النظرَ فى صلاحِ البلادِ ومَصلَحِ العبادِ ؛ لم نَزَلْ نرفعُ أقدارَ المخلصينَ بِمِزْيَةِ الاختيارِ والِإِرتيادِ ، ونَجْمُهُم فى صعيدِ الإحسانِ ونُجْلُهُم رُتَبِ الإصعادِ ، ونُذْنِي منهم مَنْ له تَأَمُّ أَهْتَامٍ وشادُّ اجتهادِ ، ونَمِيزُ منهم مَنْ حَسُنَ حالًا بالجمع والإفراد .

والولايةُ على الولاية بالوجه القبلى من أهم ما يُلَمَّحُ ، وأعمُّ ما يَخْتارُ له مَنْ لُحِقَ بِنَصْرِ ولِخَلْقٍ يَنْصَحُ ؛ إذ بهذا الوجهُ عُيُونُ البُلدانِ ، ووجوهُ العُرَبانِ ، وكراسىُ الأقاليمِ الحِسانِ ، ومراكزُ الولاياتِ التى تُحِلُّ دائرةَ السَّوءِ بأهلِ العُدوانِ ؛ وإقطاعاتُ الجندِ والأُمراءِ ، وانحواضُ الشريفةِ التى على عمارتِها إجماعُ الآراءِ ؛ وعليه تتردَّدُ التَّجارُ ، وإليه بالميزة يُسَّارُ ، ومنه تُتعدَّدُ المنافعُ فيتعيَّنُ أن ندفعَ عنه المضارَّ ، ونُلْقِي أُمُورَهُ لمن يُنْتَقَى حُرْمُهُ وعِزُّهُ ويُخْتارُ .

ولمَّا كانَ فلانُ هو الذى له ولاياتٌ أَقْتَضَتْ تَقْدِيمَهُ ، وسَبَقَتْ مِنْهُ سِوَايُكُمْ خِدَمَ أَجَزَلَتْ تَكْرِيمَهُ ، وما زالَ فى الشامِ على الهِمَّةِ حَسَنَ الشَّيمَةِ ؛ وطَهَّرَ البرَّ من كلِّ فاجرٍ ، ورأى أن التَّقوى أَرْجَحُ المتاجرِ ؛ وأَعَذَبَ للرعية من المَعْدَلَةِ المواردِ فَصَدَرَ من أبوابنا إلى أَحْمَدِ المَصادرِ - أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أن نجعلَ له من إقبالنا النَّصِيبَ الوافرَ . فلذلك رَسَمَ بالأمرِ الشَّرِيفِ - لا بِرَحْ يَزِيدُ الأقدارَ عَلاءً ويُظْهِرُها

من تكريمه في أحسن المظاهر - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالوجه القبلي
وجميع نواحيه ، على عادة من تقدمه في ذلك ومستقر قاعدته إلى آخر وقت .

فلتلق هذه الولاية المباركة بقبول حسن ، وليوقظ جفن سيفه الذي لم يعرف
الوسن ، وليتق الله ربّه في السر والعلن ، وليحكم بما شرع الله وسن ، وليجتهد
في إحماد العواقب وإخماد الفتن ، ليسكن من تردد إليها أو سكن . وليلاحظ هذه
الأقاليم بعزائمه السياره ، وليحافظ على سلوك سيرته الساره ، وليستطلع من كل بلد
أخباره ، ويتبع من كل وإل آثاره ، وإن رأى منكراً أزاله ، أو وجد مبطلاً أذاله
أوحقاً أذله ، وليعظم أحكام الشرع وحكامه ، وليجعل إمامه ليسعى نوره أمامه ،
وليطالعنا بما نتعين فيه المطالعه ، ويراجع أوامرنا فيما تجب فيه المراجعة ،
وليستجب لأماننا الأدعية النافعه ، وليباشر بنفسه الأمور التي هي له راجعه ، وليراع
في القضايا المصلحة الجامعة ، ولتكن حمايته للؤمنين واقية وفكته بالمجرمين واقعه ،
وليسع الرعايا بالمعدلة الواسعه ، ويمنع المجترئين بالأخذة الرابيه والهيبه الرادعه ،
ولا يملك أحدًا من العُربان بجميع الوجه القبلي أن يركب فرساً ولا يهتبه ، ويكف
بذلك الأيدي المعتديه فإن المصلحة لمنهم من ركوبها مقتضيه ، وليقيم الحرمة
والمهابه ، وليديم قيامه في الخدمة وانتصابه ، وليرهف حد عزمه ويمضيه ، ويجرد
سيف الانتقام على المفسدين وينتضيه ، ومن وجده من العُربان خالف المرسوم
الشريف من منعه من ركوب الخيل كائنًا من كان ضرب عنقه ، وأرهقه من
البطش بما أرهقه : ليرتدع به أمثاله ، ولا يتسع لأحد في الشرّ بحاله .

وقد كتبنا إلى سائر ولاة الأقاليم بمساعدته ، وأمرناهم بمعاوته ومعاذته ،
وأكدنا عليهم في المبادرة إلى ما يراه من جميع الأمور ، من غير تهاون ولا تقصير .

ولا تُنور؛ حتى لا تنفوت مصلحة عن وقتها، ولا تزال جموع المعتدين معاملة
بكتبتها، وقد حذرنا العربان من مخالفة مارسمنا بالتعرض لما يوجب هلاك نفوسهم،
وقطع رؤوسهم .

وليقرأ هذا المرسوم الشريف على المنابر بجميع نواحي الوجه القبلى لتمثّل مراسمه،
ويتلقّى بالقبول قادمه، وليقفوا عنده، ويقفوا رُشده، ويرهبوا من الشرّ وعيده
ويستنجزوا من الخير وعده، وهو - بحمد الله - ما برح مهذباً، وبأكل الآداب
مؤدّباً، وبما يفعله إلى رضا الله تعالى ورضانا مقرباً، والله تعالى يجعله مختاراً مجتنباً،
ويوزعه شكر متحنا الذى أجزل له الحبا، وخص به هذا العمل الجليل فضاعف
خضبه وأهترّ ورباً، ويطلع به مباركا ميموناً حيث حلّ قيل له : مرحباً، ويصعد به
هذه الرتبة ويهبه توفيقاً مستصحباً، ويمهد به الطرق للسالكين حتى يتلو عليه لسان
التأمين : ﴿ فَيَمُومُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ ، والخط الشريف أعلاه، حجة بمقتضاه، إن
شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد شريف بنيابته أيضا ، من إنشاء المقرّ الشهابى بن
فضل الله، وهى :

الحمد لله مطلق التصرف فيما كان ممنوعا، ومنطق المتصرف ليكون قوله الصواب
مسموعا، وموسع نطاق المصريف فى جميع ما تعين أن يكون له مجوعا .

نحمده حمداً يعذب ينبوعا، ويُنبت بمزيد الشكر زُرُوعا، ويدّر ضُروعا، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تتفرّع فُرُوعا، وتسكن جُوعا وتسكّت
جُوعا، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أقوى لأهل الطغيان رُبُوعا، وأجرى

لعيون الزرد عليهم دموعا ؛ وأغرى القسي بالحين إليهم ورُوعا ، وأسقط على
لباتهم طيور السهام وقوعا ؛ ومهد البلاد بقتلهم قامن من خاف وأطعم من تشكى
جوعا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تعم درع الفجر بشفقها الخلق صدوعا ؛
وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنه لا يستقيم نجاح الأمور ، ويُستدام صلاح الجمهور ؛ إلا بتفقد أحوال
ولائهم ، وتعهد سلوك الرعايا مع رعاتهم ؛ ورد مجموع كل عمل إلى من لا يبيت طرفه
في مصالحهم مملوءا من الوسن ، ولا يقر له في التنقل في مهماتهم جواد في رسن ؛
ولا تهدأ سيوفه في الأغمد ما برقت بارقة فتن ، ولا يشرب الماء إلا ممزوجا بدم
ولا يبيت [إلا] على دمن ؛ وكانت الديار المصرية المحروسة أحوج شئ إلى هذا
الموصوف ، وأكثر اضطرابا إلى ما تُشامُ له في صلاح رعاياها لواضع سيوف ؛ والوجه
القبلي بها هو الجامع ما يزيد على السبعة الأقاليم ، الحائز من أهل الحضرة والبادية
لكل ظاعن ومقيم ؛ قد امتد حتى كاد لا ينتهي إلى آخر ، ولا يلتهي بما يكنفه من بر
مقفر وبحر زاهر ؛ قد جاور بالأودية العميقة الحوت في الماء وجاوره في السماء برفعة
الجبال ، وتناول حتى اتصل طرفاه الجنوبي بالجنوب والشمال بالشمال ؛ وحوت
بحاريه من النيل المبارك [ما] مد الرزق المتد ، وأمد المد المبيض على عبثه ثراها
المسود ؛ وهو الوجه الذي تُعرف في كثر نيله نضرة النعيم ، ويهر حسنا من أول
قطرة تقع من مرآه الجميل على وسيم ؛ قد حال فيه الماء مجرأ كائما يشرب ندى ورد
الحدود ، وحالا كائما ضرب الضرب في لى ريقه المورود ؛ وكان لا ينهض بأعبائه ،
ويرد بالغيط متقرحة عيون رقبائه ، ويمنع كل منسر منسر يُحذر أن يتهب وذيل^(١)
خبائه ؛ إلا من تقدمت له درب يتعلم في جليل الخطوب من مضائها السيف

(١) في الأصل « أن يته وديل » .

المُدْرَب، وَيَقْتَدِي فِي دَقِيقِ التَّلَطُّفِ بِسِيَاسَتِهَا الْقَلَمُ الْمَجْرَّبُ ؛ وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي تَهَادَى كِفَايَتُهُ الْأَعْمَالُ ، وَيَتَعَادَى نَفْعُهُ وَالسُّحْبُ فَلَا يُدْرَى لِمَنِ مِنْهُمَا التَّرْوَى وَلِمَنِ الْإِرْتِجَالُ ؛ وَقَدْ وَلَّى الْأَعْمَالُ الْبَهْسَاوِيَّةَ وَهِيَ فِي هَذَا الْوَجْهِ الْجَمِيلِ أَهْبَجُ صُورِهِ ، وَأَهْبَى فِيمَا تَكَثَّرَ مِنْافِعُهُ الْمَشْهُورَةِ ؛ فَأَضْحَى الْمَغْلُ فِي بَيَادِرِهِ يَتَبَادَرُ ، وَالْإِقْبَالُ يَتَكَثَّرُ إِقْبَالُهُ وَالْحَلُّ يَتَنَازَرُ ، وَمِنْ دَرَعَاتِهَا تُعَرَفُ سَيَاهَا فِي وُجُوهِهَا مِنْ أَثَرِ سُجُودِ اللَّيْلِ كَرَّرَعِ أَخْرَجَ شَطَاهُ فَاسْتَازَرَ ؛ فَاقْتَضَى حَسَنُ رَأْيِنَا الشَّرِيفُ أَنْ نُطْلِقَ تَصْرِفَهُ فِيمَا جَاوَرَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ نَشْغَلَ لَهُ يَمِينًا بِالْيَمِينِ وَشِمَالًا بِالشَّمَالِ .

نُخْرِجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ الْعَالِيَّ - لَا زَالَ يُؤَيِّدُ عِزَّ الدِّينِ ظُهُورًا ، وَيُتِمُّ لَهُ فِي أَعْمَالِهِ نُورًا - أَنْ يَكُونَ فُلَانٌ كَاشِفًا وَوَالِي الْوَلَاةِ بِالْوَجْهِ الْقَبْلِيِّ بِأَجْمَعِهِ : مَعْطَلُهُ وَمِنْ دَرَعِهِ ؛ وَبَرَّةً وَبَحْرَهُ ، وَعَامِرَهُ وَقَفْرَهُ ؛ وَأَهْلَ حَضْرِهِ وَبَادِيَتِهِ ، وَأَصْحَابَ زَرْعِهِ وَمَاشِيَتِهِ ؛ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ فِي ذَلِكَ ، لِأَمْنِ الْمَقِيمِ وَالسَّالِكِ ؛ وَيَجْمَعُ عَلَى الطَّاعَةِ مَنْ قَبْلَهُ هُنَالِكَ ، وَيَنْتَظِمُ عَقْدُ عَقَائِدِهِمُ الْمُتَهَالِكِ ؛ وَيَقْوَى اللَّهُ أَجْرَهُ ، وَالشَّرْعُ الشَّرِيفُ يَكُونُ نَهْيَهُ وَأَمْرَهُ ؛ وَالْحُكَّامُ وَالْأَحْكَامُ هُمَا مَا هُمَا فَلْيَحْفَظْ زِمَامَهُمَا ، وَلْيَنْفِذْ إِلَى الْأَغْرَاضِ سِهَامَهُمَا ؛ وَلْيُوَصِّلِ الْحَقُوقَ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَلْيَسَهِّلِ الْمَطَالِبَ عَلَى طُلَّابِهَا ؛ وَلْيُنِصِفْ إِنْصَافًا لَا يُشْتَكَى مَعَهُ حَيْفٌ ، وَلْيَقِمِ الْمَهَابَةَ حَتَّى لَا يَقْدِرَ عَلَى التَّعْدَى طَارِقُ طَيْفٍ ؛ وَلْيَجَرِّدْ عِزَّائِهِ فَإِنَّ مِنَ الْعِزَائِمِ مَا هُوَ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ ، وَلْيُحْسِنِ قِرَى النَّيْلِ الْقَادِمِ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ فَإِنَّهُ ضَيْفٌ .

فَعَلَيْكَ بِمَا نَأْمُرُكَ بِهِ مِنْ تَعْيِثَةِ صُفُوفِ الْجُسُورِ لِأَمْدَادِهِ ، وَالْإِسْتِعْدَادِ لِحِجْرِ عَوَالِي صَوَارِيهِ وَبَحْرِي حِيَادِهِ ؛ وَتَفَقُّدِ قَبْلِ قُدُومِهِ طَرِيقَهُ ، وَاتْرُكْ عَنْ رِئِّ الْبِلَادِ تَعْوِيْقَهُ ؛ وَأَقِمِ الْجُسُورَ ، فَهِيَ قِيَامُ الْجُسُورِ ؛ وَأَحْفِرِ التَّرَاعَ فَإِنَّهَا تُرَاعَى^(١) ، وَأَسْفِرْ لَهُ

(١) لَمْ نَعْرِضْ عَلَى هَذَا الْجَمْعِ فِي كُتُبِ اللَّغَةِ وَإِنَّمَا التَّرْعَةُ كُفْرَةٌ لِإِفْرَادِهِ وَجَمْعُهَا .

عن عرائس قراها المجنونة وجوها كَمَا قَسَنَ له إصْبَعًا يَقِيسُ ذِرَاعًا ، وَأَقْطَعَ بِإِصْصَالِ
حَقِّ كُلِّ نَاحِيَةٍ إِلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ مُنَازَعَةَ الْخُصُومِ ، وَتَبَيَّنَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قُسِمَتْ بَيْنَهُمْ لِكُلِّ مِنْهُمْ
شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ، وَلَا تَدْعُ [بِهِ أَحَدًا] ^(١) مِنْ أَهْلِ الْمَفَاسِدِ ، وَمَنْ جَرَتْ لَهُمْ بِسَوَاقِ الْفِتَنِ
عَوَائِدُ ، وَمَنْ يَتَعَزَّزُ بِرَبِّ جَاهٍ ، وَمَنْ لَا يَكُونُ لَهُ إِلَى حِمَايَةِ أَتْبَاجِهِ ، وَمَنْ خَرَجَ بِوَجْهِهِ
لِلشَّرِّ مُصَرَّحًا ، أَوْ لِبَابِ عِقَابٍ مُسْتَفْتِحًا ، أَوْ وَقَفَ عَلَى دَرْبٍ أَوْ قَطَعَ طَرِيقَ ،
أَوْ تَوَعَّدَ أَهْلَ رِفَاقٍ أَوْ أَهْلَ فَرِيقٍ ، أَوْ أَقْدَمَ عَلَى ضَرْرِ أَحَدٍ فِي نَفْسٍ أَوْ مَالٍ ،
أَوْ خَشِيتَ لَهُ عَاقِبَةً فِي بَدَايَةِ أَوْ مَالٍ ، أَوْ نَزَلَ فِي بِلَدٍ أَمِيرٌ لِيَتَغَطَّى بِجَنَاحِهِ ، أَوْ تَرَامَى
إِلَى عُصْبَةٍ يَحْمِلُ مِنْهُمْ حَدَّ سِلَاحِهِ ، فَسَلَّ عَلَيْهِمْ سَيْفَكَ الْمَاضِي ، وَأَحْسِنَ إِلَى النَّاسِ
إِذَا خَشِيتَ أَنْ تُسَيَّءَ إِلَيْهِمُ التَّقَاضَى ، وَمَنْ أَمْسَكَتَهُ مِنْهُمْ فَأَمِضْ حَكَمَ اللَّهِ فِيهِمْ ،
وَأَقِمِ الْحُدُودَ عَلَى مَعَدِّيهِمْ ، وَطَهِّرِ الْأَرْضَ بِمَاءِ السَّيْفِ مِنْ أَنْجَاسِهِمْ ، وَعَلَّقْ مِنْهُمْ
أَنَاسًا بِجَبَلِ الْوَرِيدِ إِلَى مَدَارِجِ أَنْفَاسِهِمْ ، وَأَصْلُبْ مِنْهُمْ عَلَى الْجُدُوعِ مِنْ تَنَاضُجِ الرِّيحِ
بَسْعَفِهِمْ ، وَأَوْثِقْ مِنْهُمْ بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ مِنْ لَا تَقْتَضِي جَرَائِمُهُمْ لِإِصْلَاحِهِمْ فِي الْمَقَابِلَةِ
إِلَى حَدِّ تَلْفِهِمْ . وَأَكْرَمْ قُدُومَ مَنْ يَرِدُ عَلَيْكَ مِنَ الْكَارِمِ ، وَقَرِّ بِحُسْنِ تَلْقِيكَ أَنَّكَ
أَوَّلُ مَا قَدَّمَاهُ لَهُمُ مِنَ الْمَكَارِمِ ، فَهُمْ شُمَّارُ كُلِّ نَادِي ، وَرِفَاقُ كُلِّ مَلَّاحٍ وَحَادِي ،
وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَحَدَّثَ الشُّمَّارُ ، وَتُتَدَاوَلَ بَيْنَهُمُ الْأَشْمَارُ ، فَاجْعَلْ شُكْرَنَا دَأْبَ أَلْسِنَتِهِمْ ،
وَمِنْنًا حَلِيَّةَ أَعْنَاقِهِمْ ، وَمِنْنًا سَبَبًا لِاسْتِجْلَابِ رِفَاقِهِمْ ، فَهُمْ مِنْ مَوَادِّ الْإِرْفَاقِ ،
وَجَوَادِّ مَا يُحْمَلُ مِنْ طُرَفِ الْآفَاقِ ، وَفَدَى بَقَايَا أَهْلِ الْعَفَائِدِ الْفَاسِدَةِ ، وَالْمَعَاقِدِ
الْبَائِدَةِ ، مَنْ يَتَعَيَّنُ إِعْقَادُ قَائِمِهِمْ ، وَالتَّبَقُّطُ لِمَتَقِظْطِهِمْ وَالنُّومُ عَنْ نَائِمِهِمْ . وَنَحْنُ نُذَبِّكُ
عَلَى هَذِهِ الدَّقَائِقِ ، وَنُوقِفُكَ عَلَى أَطْرَافِهَا وَلَكَ رَأْيُكَ إِذَا حَقَّتْ الْحَقَائِقُ ، وَطَالَعَ
أَبْوَابَنَا الْعَالِيَةَ بِمَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ ، نُنَزِّلُ أَنْوَارَ هُدَانَا أَقْرَبَ مِنْ رَجَعِ نَفْسِكَ إِلَيْكَ ؛

(١) لعل حرف النفي زيادة من قلم الناسخ .

وأقدر حق هذه النعمة فإننا أوليناك منها ما لا يُضاهى، وليناك من بلادنا قبلة
 ترضاها، وتوليناك حيث وجهت وجهك شطر المسجد الحرام، ونوعت لك أرواح
 الحجاز وأنت في مصر وريفها العام، والله تعالى يديم منك سيفاً يروع مهزته، ويؤيد
 بك الدين فإنه بك يقوم جاهه ويدوم عزه، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه.
 إن شاء الله تعالى .

الوجه الثانى

(من وجهى الديار المصرية البحرى ، وهو الشمالى)

وكانوا في الزمن القديم يخصونه باسم الريف، مثل اختصاص الوجه القبلى بالصعيد.
 (١)
 وأرباب الولايات فيه على ضربين :

الضرب الأول

(أرباب السيوف)

وتختص الكتابة منهم الآن عن الأبواب السلطانية بنائب السلطنة بالوجه
 البحرى، ومقره مدينة دمنهور من البحيرة . وكان في الزمن المتقدم يكتفى في البحيرة
 بوالىها، وكذلك في كل من سائر الأعمال بالوجه البحرى، وفوق الكل ولاية عامة،
 يعبر عن صاحبها بوالى الولاية، وربما [زيد] بالوجه البحرى، وربما عبر عنه
 بالكاشف . ثم استقرت نيابة في رتبة تقديمة العسكر بغزة في أيام الظاهر برقوق،
 على ما تقدم ذكره في المسالك والممالك في المقالة الثانية .

وهذه نسخة تقليد تصلح لنائب الوجه البحرى، مما كان كتب به المقتر الشهابى
 ابن فضل الله لوالى الولاية بها، وهى :

(١) لم يذكر الثانى . فتنه .

الحمد لله الذى أقام بنا كاشفاً لكل شكوى ، كاسفاً بآل كل عدوى ، عارفاً بنهاية كل دعوى ، عاطفاً بعدلنا إلى إزاحة كل لأوى ، وإزالة كل بلوى .

نحمده وهو أهل الحمد والتقوى ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نأمن بها الدانية والقصوى ، ونؤمن بها على السر والتجوى ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف من مهد له جنّة المأوى ، وأشرف به على شرف المثوى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين فطم بشريعته نفوسهم عما تهوى ، وفطر فطهم عليها حتى لا تضل ولا تغوى ، صلاة ترتوى بفائضها السحب ما تروى ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن من سحياً أيا منا أن نكشف كل كرب ، ونحسن إلى رعايا بلادنا إحساناً ينقوع في كل ضرب ، ونديم الأمن حتى لا ندع سوى النيل قاطع طريق أو خارجاً على درب ، ونجرد من المهابة شيئاً يخشى من قربه ، وطيفاً يبيت به طير الكرام ممتلئاً على جنبه ، وخوقاً لبأه من الخصائص المحمدية أنه يتقدم إلى قلوب الأعداء مسيرة شهر [جيش] رعيه ، وكانت الديار المصرية المحروسة هى التى لا يحمدها سواها ذو وجهين ، ولا يوجد لها فى جانبها مماثل فى شيئين ، والوجه البحرى أوسعهما عرضاً ، وأقربهما من الرى أرضاً ، وأصدقهما للبارق المحمر ومضاً ، وأجمعهما للذهب مذهب وللفضة إفضاً ، وأثبتهما وطأة لجرى النيل إذا أقبل فى تياره يتدافع وأشتدت خيله ركضاً ، وهو الوجه المتهلل بشراً ، المتضوع بطيب رياحه نسراً ، المترين بمدائنه أكثر مما زينه فى مقاصيره قيصر وفى مدائنه كسرى ، المثنى بعروس كل قرية زف بها النيل فى مسرى ، وبه الثغور التى لا تُشام لها بروق ، والمحارس التى ما لعادية إليها طروق ، وله من البحرين حارزان ، ومن الجانبين برّ مقفر وريف مقمر متبارزان ، وفيه من الشعوب والقبائل فى الحضر والبادية من

(١) لا يُؤْمَنُ منه بآثره، ولا يُجَسَّدُ بغير ما يراق من دَمٍ مُفْسِدِيهِمْ ثَأْنُهُ . وكان لا يُقُومُ بها كلُّ القيام، ويجمعُ فرائدَها المشدَّرةَ في أكلِ نظامٍ؛ إلا من تقلَّبتِ الأمورُ بقلبه كلَّ التقلب، وجرَّدتِ الثُّوبَ عِزِّه في النوائبِ فجَرَّدَتْ سيفاً يُجَدُّ في التجريب؛ ولم يزلْ مندُبُ بلعِ الحُلْمِ أميراً مُطاعاً، ومندُوباً لا يفرِّقُ في المهمَّاتِ إذا طارتْ نُفوسُ الأنظارِ شِيعاً، وأوقدتِ الأسنَّةُ سُوعاً، وهُمَّاماً لو أومضَ البرقُ ساعةَ بُؤْسِهِ لآرتعدتْ فرائضُهُ زَمْعاً لا إِزْماعاً، أو قابله الرِّيحُ المعتدلُ عند أحكامه لأطبقتْ الأئمُّ على أنه لا يُمائِلُهُ في العدلِ قَطْعاً وأجمعتْ على تَفَرِّده إجماعاً .

وكان فلان هو العليُّ هِمًّا، الجَزَلُ مداومةَ الجَزِيلِ دِيماً، المَلِيٌّ بما لا يَقْدِرُ على مثل دفعه البحرُ متدفِّقاً وهَمُّ الغمامِ منسجماً؛ وقد حَمَدْنَا له في كلِّ ما باشره أثراً، وأخْمَدْنَا بجَمِيلِ ملاحظته كلَّ برِّ ضراب؛ فباشر الوجهَ القبلى فلأعين الناظر المتوسِّم، وعم سروره حتى غامزه جاره الوجهُ البحرى ببنائه الخَضَبِ وضاحكه بشفوه المتبسم؛ فلما تنقَّلَ فيهما استقرار (؟) الوجهين وما وآلهما، وعُرف في وجهه نَضْرَةُ النعيم بما أولاهما، وأخصب جانباهما، وجدَّ بهذا كله ثم جدَّ بهذا فطاب الواديانِ كلاهما؛ فأقتضى حسن الرأى الشريف أن لا يخلو الوجهان معاً من نظره الجلى الجميل، وأن يخلو عليه محاسنهما الكاملة ليُفارق على وجه جميل ويواصل على وجه جميل .

نخرج الأمر الشريف - لازل يختارُ علياً، ويختارُ كلَّ غمامٍ يرتضى له ولياً - أن يكون والى الولاية بالوجه البحرى جميعه، متفرداً بأفراده ومجموعه، ومحكماً في قبائله ومجموعه؛ وبعيده وقريبه، وبدعيه وغريبه؛ وكلُّ ما هو داخل فيه، عائدٌ إلى أعماله وراجع إلى متوليه، على عادة من تقدَّم وقاعدته فيما يليه؛ وهى ما يُدكر من الأعمال:

(١) لم يتقدَّم ما يعود اليه الضمير وان كان الغرض واضحاً .

(٢) خوفاً ودهشاً .

الغريسة ، الشرقية ، البحيرة ، المنوفية ، إبيار ، أشمون ، قليوب . ولا أمر
ولا نهى إلا إليه راجع ، وله في متجددات الأمور مراجع ؛ ولا أرباب تصريف
إلا وله عليهم تصرف ، ولا صاحب جد ولا حد إلا فيه يمضى ويتوقف ؛ وتقوى
الله تعالى أول ما نوصيه بسببها ، ونوصله إلى ربها ؛ وإقامة الشرع الشريف وإدامة
مبارزه وإعلاء مناره ، ومعاضدة حكمه وحكامه وأعوانه وأنصاره ؛ والوقوف معه
في إيراده وإصداره ، وإعلانه وإسراره ، والعمل به فإنه ما يضل من مشى في ضوء
نهاره ؛ وعمارة البلاد ، بادامة العدل وتكامل الرى وتوطين السكّان وقمع الفساد ؛
واعتقاد حكم التذاكر الشريفة لأمر الحراريق التي تعمل ، والترع التي تراعى والجسور
التي لا يقيد جسور على أنها تهمل ؛ فهما قانون الرى الكامل ، والضامن لحضب البر
السائل ؛ وإذا أجرى الله النيل على عاداته الجميلة لا يدع للحل عينا حتى يوارى
بالرى سوءته ، ويخفف بتيسر وصب حق كل مكان إليه وطأته ؛ ولا يدع عاليا
إلا مستفلا ، ولا معطلا إلا معتملا ؛ ولا طوق بحر إلا تمتد يد النيل إلى زر جيو به ،
ولا طائف رمل إلا يطوف طائف شرب على جرعائه وكثيبه ، حتى يعم الجميع ،
ويعمر ربوعها بما ينسجه لها من ملابس حلل الربيع . وعليه بالإنصاف بين
المساكين ، والإنصاف إلى الباكين منهم والمتباكين ؛ ووصل أمورهم على الحق
الذى نشر الله في أيامنا الزاهرة علمه ، ومقتضى الشرع الشريف فإنه ما خاب من
أدام عليه حكمه وأدار إليه عمله . وأما أهل الفساد والأشتباه ، ومن يحتج
بصاحب شوكة أو يتمسك برّب جاه ؛ أو يترل بلد أمير كبير مستظلاً بذراه ، أو ملتجئاً
من خوف أو مستطعاً من قرى قرآه ؛ بجمع هؤلاء تتبع فرقهم ورفاقهم ، وطهر
الأرض منهم وأمسح بالسيوف أعناقهم ؛ وأسجم في قتلاهم ، وأثقل بالقيود أسراهم ،

(٢) لعله وأنحن .

(١) في الأصل شريب .

وشدّد وثاقهم وكذلك من حمّاهم ووالاهم ؛ أو استحسن أو من عليهم أو مانع عنهم ،
أو قال ما هو منهم وهو منهم ، وكلّ أجرهم في الحكم مجراهم ، وأطل تحت أطباق
الثرى ثوابهم ، ونبه منهم أناسا على رؤوس الجدوع وأنهم آخرون نومة لا ينتبهون بها من
كرامهم ؛ حتى يتأدّب بهم كلّ من أعرض ، ويتداوى بمداواته كلّ من في قلبه مَرَض .
وما أشكل عليك فاسترشد فيه بمطالعة أبوابنا الشريفة : لتجد هدى واضحا ، وحقا
لائحا ؛ والله تعالى يجعلك من المهّدين لأرضه ، القائمين في أنواع الجهاد بفرّضه ؛
والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .

الجهة الثالثة

(درب الحجاز الشريف)

وقد تقدّم أنه كان في الزمن المتقدم يُكتب عن السلطان تقليدًا لأمر الرّكب
في الدولة الفاطمية وما تلاها . أما الآن فقد ترك ذلك ورُفِض كما رُفِض غيره من
الكتابة لأرباب السُّيوف بالحضرة السلطانية ، ولم يبق الآن من يكتب له من
ديوان الإنشاء شيء سوى قاضي الرّكب . وقد جرت العادة أن يكتب له توقيع
في قطع العادة مفتّحا بـ «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، كتب به للشيخ « تقي الدين السبكي » رحمه الله
في مبدأ أمره ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال يُعين على البرّ والتقوى ، ويرتاد لوَفَدَ الله من
يتمسك في نشر الأحكام الشرعية بينهم بالسبيل الأقوم والسبب الأقوى - أن يستقر
فلان في كذا : لما اختصّ به من غزارة علومه ، وإفاضة فضائله المتنوعة إلى قوّته

في الحق وتصميمه ؛ فإنَّ مثله من يُختار لهذه الوظيفة الجارية بين وفد الله الذين هم أحقُّ براءة الذَّمِّ ، وأوَّلُ بمعرفة حكم الله تعالى فيما يجبُ على المتلبَّس بالإحرام والداخل إلى الحرم ، وأحوجُّ إلى الأطلاع على جزاء الصيد فيما جزاء المتعرِّض إليه مثل ماقتل من النعم ؛ إلى غير ذلك من ثبوت الأهله التي ترتبُ أحكام الحجِّ عليها ، والحكم في محظورات الإحرام وما يجبُ على المتعرِّض إليها ؛ فليباشر هذه الوظيفة في الوقت المشار إليه على عادة من تقدَّمه فيها ، مجتهداً في قواعدها التي هو أوَّلُ من نهض بها وأحقُّ من يُوفِّيها .

قلت : أما شهود السبيل المعبرَّ عنهم بشهود الحِمَل ، فإنما تكتب لهم مربيَّات شريفةً من ديوان الوزارة .

تم الجزء الحادى عشر . يتلوهُ إن شاء الله تعالى الجزء الثانى عشر

وأوله القسم الثانى

(مما يُكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية - أربابُ

الوظائف بالممالك الشامية)

والحمد لله ربَّ العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

(المطبعة الأميرية ٥٠٧٠/١٩١٧/٣٠٠٠)

فهرس

الجزء الحادى عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندى

صفحة

- الفصل الثانى — من الباب الرابع من المقالة الخامسة فيما يكتب من
الولايات عن الملوك، وفيه ثلاثة أطراف ... ٥
- الطرف الأول — فى مصطلح كتاب الشرق ... ٥
- الطرف الثانى — فى مصطلح كتاب الغرب والأندلس فيما يكتب من
الولايات عن الملوك، وفيه ثلاثة أضرب ... ٦
- الضرب الأول — ما يكتب لأرباب الوظائف من أصحاب السيوف ... ٦
- الضرب الثانى — ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية من أصحاب الأقلام ٢١
- الضرب الثالث — ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية ... ٢٦
- الطرف الثالث — فى مصطلح كتاب الديار المصرية فيما قبل الخلفاء
الفاطميين وفيما بعدهم ... ، وفيه أربع حالات ... ٢٨
- الحالة الأولى — ما كان عليه أمر نواب الخلفاء بهذه المملكة إلى ابتداء
الدولة الطولونية ... ٢٨
- الحالة الثانية — ما كان عليه أمر الدولة الطولونية من حين قيام دولتهم
إلى انقراض الدولة الأخشيديّة ... ٢٩
- الحالة الثالثة — ما كان عليه الأمر فى زمن بنى أيوب ... ٣٢
- الحالة الرابعة — مما يكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات
ما عليه مصطلح كتاب الزمان بديوان الإنشاء بالديار
المصرية مما يكتب عن السلطان لأرباب السيوف
والأقلام وغيرهم : من التقاليد والمراسيم، والتفاويض،
والتواقيع ، وفيه ثلاثة مقاصد ... ٧٢

صفحة

- المقصد الأول — فى مقدمات هذه الولايات ، وفيه مهيان ٧٢
- المهيان الأول — فى بيان رجوع هذه الولايات الى الطريق الشرعى ٧٢
- المهيان الثانى — فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات ٧٤
- المقصد الثانى — فى بيان مقاصد ما يكتب فى الولايات ، وفيه جملتان ١٠١
- الجملة الأولى — فى بيان الرسوم فى ذلك [ولم يذكر فى الأصل غيرها] ،
وهى على أربعة أنواع..... ١٠١
- النوع الأول — التقاليد..... ١٠١
- النوع الثانى — المراسيم ، وفيه ضربان ١٠٧
- الضرب الأول — المراسيم المكبرة ١٠٧
- الضرب الثانى — المراسيم المصغرة ١١١
- النوع الثالث — التفاويض ١١٢
- النوع الرابع — التواقيع ، وهى على أربع طبقات ١١٤
- المقصد الثالث — فى بيان كيفية وضع ما يكتب فى هذه الولايات فى الورق ١٢٧
- فى ذكر نسخ مما يكتب فى متن الولايات من التقاليد والمراسيم المكبرة
والتفاويض والتواقيع ، وهى على ثلاثة أقسام ١٣٣
- القسم الأول — ولايات وظائف الديار المصرية ، وهى على نوعين ١٣٤
- النوع الأول — الولايات بالحضرة ، وهى على ستة أضرب ١٣٤
- الضرب الأول — ولايات أرباب السيوف ، وهى على طبقتين ١٣٤
- الطبقة الأولى — ذوات التقاليد ، وهى ثلاث وظائف ١٣٤

صفحة

- الوظيفة الأولى — الكفالة، وهي نيابة السلطنة بالحضرة ... ١٣٤
- الوظيفة الثانية — الوزارة لصاحب سيف ... ١٤٨
- الوظيفة الثالثة — الإشارة، وهي وظيفة قد حدثت كتابتها ولم يسهل بها
كتابة في الزمن القديم ... ١٥٣
- الطبقة الثانية — ممن يكتب له من أرباب السيوف ذوات التواقيع،
وفيها وظائف ... ١٥٦
- الوظيفة الأولى — نظر البيمارستان لصاحب سيف ... ١٥٦
- الوظيفة الثانية — نظر الجامع الطولوني ... ١٥٩
- الوظيفة الثالثة — نقابة الأشراف ... ١٦٢
- الضرب الثاني — ممن يكتب له بالولايات بالديار المصرية أرباب
الوظائف الدينية، وهو على طبقتين ... ١٧٤
- الطبقة الأولى — أصحاب التقاليد ممن يكتب له بالجناب العالي ... ١٧٤
- الطبقة الثانية — من أرباب الوظائف الدينية أصحاب التواقيع،
وتشمل على مراتب ... ٢٠٤
- المرتبة الأولى — ما كان يكتب في النصف ... ٢٠٤
- المرتبة الثانية — ما يكتب في قطع الثلث، وتشمل على وظائف ... ٢٠٤
- المرتبة الثالثة — من الوظائف الدينية ما يكتب في قطع العادة الصغير
مفتوحاً برسم بالأمر الشريف ... ٢٦٨

صفحة

- الضرب الثالث — من الولايات بالحضرة السلطانية بالديار المصرية
- ٢٧٠ الوظيف الديوانية ، وهى على طبقتين
- الطبقة الأولى — أرباب التقاليد ممن يكتب له الجتاب العالى ،
- ٢٧٠ وفيها وظيفتان
- الطبقة الثانية — من أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة السلطانية
- ٣١٦ أصحاب التواقيع ، وهم على ثلاث درجات
- الدرجة الأولى — ما يكتب فى قطع النصف ، وتشمل على ثلاث وظائف ٣١٦
- الدرجة الثانية — ما يكتب فى قطع الثلث ، وتشمل على وظائف ... ٣٣٣
- الدرجة الثالثة — ما يكتب فى قطع العادة ، وفيها وظائف ... ٣٥١
- الضرب الرابع — من الوظائف التى يكتب فيها بالديار المصرية مشيخة
- ٣٧٠ الخوانق ، وكلها يكتب بها تواقيع
- الضرب الخامس — من أرباب الوظائف بالديار المصرية بالحضرة
- ٣٧٧ أرباب الوظائف العادية ، وكلها تواقيع
- الضرب السادس — من أرباب الوظائف بالديار المصرية زعماء أهل
- ٣٨٥ الذمة
- النوع الثانى — ماهو خارج عن حاضرتى مصر والقاهرة من وظائف
- الديار المصرية مما يكتب لأربابها ، وهى ثلاث
- ٤٠٥ جهات

صفحة

- الجهة الأولى — ثغر الإسكندرية ، والوظائف فيها على ثلاثة أصناف ... ٤٠٥
- الصف الأول — وظائف أرباب السيوف ... ٤٠٥
- الصف الثاني — الوظائف الدينية ... ٤٠٨
- الصف الثالث — الوظائف الديوانية ، وهى على طبقتين ... ٤١٩
- الطبقة الأولى — من يكتب له فى قطع الثلث بالمجلس السامى بالياء ٤١٩
- الطبقة الثانية — من يكتب له فى قطع الثلث بالمجلس السامى بغيرياء
- أو مجلس القاضى ... ٤٢٣
- الجهة الثانية — مما هو خارج عن حاضرتى مصر والقاهرة بالديار
- المصرية بلاد الريف ، وهى وجهان ... ٤٢٦
- الوجه الأول — الوجه القبلى ، وهو المعبر عنه بالصعيد ... ٤٢٦
- الوجه الثانى — من وجهى الديار المصرية البحرى ، وهو الشمالى ... ٤٣٨
- الجهة الثالثة — درب الحجاز الشريف ... ٤٤٢

(تم فهرس الجزء الحادى عشر من كتاب صبح الأعشى)